

(١١٥٩)

كِتَابُ

﴿لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية﴾

شرح

﴿الدرة المضية في عقد الفرق المرضية﴾

تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب البرهان المحمدي
الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الاثري الحنبلي
رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

طبع عن نسخة يظهر انها كتبت عن نسخة المؤلف في عصره وعلى
هوامشها نصحيح لبعض العلماء وقد ذهب ورقات من آخرها
فاكملت حديثاً بخط جديد

وقد وقف هذا الكتاب طابعه على أهل العلم والدين
فلا يجوز لمن وقع في يده شيء من نسخه أن يبيعه

﴿الطبعة الاولى﴾

﴿بمطبعة مجلة المنار الاسلامية بمصر سنة ١٣٢٤ هجرية﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الرابع

﴿ في ذكر بعض السميات من ذكر البرزخ والقبور
واشراط الساعة والعشر والنشور ﴾

اعلم ان المراد بالسميات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه محال ويقابله ما يثبت للعقل وان وافق العقل فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والعطريات ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن الفظار وقد أشار الى ذكر المفصود من ذلك بقوله

﴿ وكل ما صح من الاخبار أو جاء في التنزيل والآثار ﴾

﴿ من فتنة البرزخ والقبور وما أتى في ذا من الامور ﴾

﴿ وكل ما ﴾ أي حكم من الاحكام أو جبر عن خير الامام صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ﴿ صح من الاخبار ﴾ أي ثبت من الاخبار البوية وقدمه لمزيد الاهتمام به ولئلا يظن طان ان ما لم يثبت في التنزيل ليس عليه مزيد تعويل ﴿ أو جاء في التنزيل ﴾ أي القرآن المرسل على النبي المرسل صلى الله عليه وسلم ﴿ وكل ما صح ﴾ والآثار السلفية عن الصحابة الكرام مما ليس للعقل فيه مرام فانه يشعر بأنهم إنما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من فتنة ﴾ العنة الامتحان والاختبار قال في القاموس الفتنة بالكسر الحبرة والعائن الدرهم والديار ومسكر وسكر والغنائ الشيطان لانه يقن الناس عن الدين وفئان من ابنة المبالغة من العنة وفي حديث الكسوف وانكم تنفضون في القبور يبريد مائة

منكر ونكير وقد كثرت لاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم باستعاذته من فتنة القبر وفتنة الدجال وفتنة الحيا والممات وغير ذلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «فبي تفتنون وعني تسألون» أي تمتحنون بي في قبوركم ويتعرف ايمانكم بنبوتي ﴿البرزخ﴾ قال في القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين من وقت الموت الى القيامة من مات دخله وفي النهاية البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز ومنه حديث عبد الله وسئل عن الرجل يحجد الوسوسة فقال تلك برازخ الايمان يريد ما بين أوله وآخره فأولها الايمان بالله ورسوله وأدناها ماطة الاذى عن الطريق وقيل أراد ما بين اليقين والشك. والبرازخ جمع برزخ وفي الآية الكريمة (بينهما برزخ لا يبغيان) أي حاجز يمنعهما من ان يختاطأ أحدهما بالآخر ووجه تسمية ما هنا برزخا اسكونه يحجز بين الدنيا والآخرة ﴿و﴾ فتنة ﴿القبور﴾ جمعه قبر وهو من عطف الخاص على العام لان أحوال البرزخ تشتمل على ذلك فالقبور جمع قبر جمع كثرة وجمع أقبر في القلة ويقال لمدفن الموتى مقبر قال الشاعر

اسكل اناس مقبر في فنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد

والمقبرة موضع دفن الموتى وتضم باؤها وتفتح قال القرطبي اختلف في أول من سن القبر ف قيل الغراب لما قتل قابيل هايل وقيل إن قابيل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفا فابعد الله الغراب ليعث في الارض يعني الغراب على هايل ليدفنه كذا في التذكرة فقال عند ذلك (يا ويلى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فاصبح من النادمين) حيث رأى كرامة الله لهايل بأن قبض الله الغراب حتى وراه ولم يكن ذلك ندم توبة وقيل كان ندمه على عدم معرفة الدفن ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة وقيل انه لما قتله قعد يبكي على رأسه فاقبل غرابان فاقتنلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل قابيل باخيه كذلك فكان ندمه لعدم هدايته ان يفعل كما فعل الغراب فصار الدفن سنة في بني آدم وفيه التنزيل (ثم أماته فاقبره) أي جعل له قبرا يواري فيه اكراما له ولم يجعل مما يلقي على وجه الارض نأكله الطير والعواصف وقوله ﴿وما﴾ أي وفي الذي أو الاشياء

أي والمول الذي (أني) عن الصادق المصدوق (في ذا) اسم إشارة يرجع الى ما تقدم من فئة البرزخ والقبور (من الامور) المهولة المعجية والاشياء الصعبة الغريبة فانه حق لا يرد

(منها) سؤال الماسكين منكر ونكير فالإيمان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبالغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويصل الله القائلين ويفعل الله ما يشاء) وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) نزلت في عذاب القبر زاد مسلم «يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد» فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) في رواية للبخاري «إذا أفتدالمو من في قبره أوتي ثم شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله» الآية وفي الطبراني عن البراء أيضاً مرفوعاً «يقال للكافر من وبك فيقول لا أدري فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة (١) لو ضرب بها جبل لصارت راباً» الحديث وعند أبي داود «يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فأفرشوه من الجنة واقفروا له بابا الى الجنة وألبسوه من الجنة وبفسح له فيه مد بصره» وقال في الكافر يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري الى أن قال فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فأفرشوه من النار

(١) جاء في هامش الاصل ما نصه : في النهاية مانعه في حديث أبي جهل فاذا رحل اسود بصره بمرزبة فيغيب سيفه الارض المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التي للحداد ومنه حديث الملك ويده مرزبة ويقال لها أيضا الآرزة بالهمز والتشديد انتهى وفي القاموس والأوزة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط غصية من حديد انتهى

وافتحوا له بابا إلى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد إذا وضع في قبره ونوى عنه أصحابه أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لحمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعدا من الجنة قال فبرأهما جميعا يعني المقعدين قال قتادة ذكر لنا أنه يفسح له في قبره واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه من غير الثقلين زاد أبو داود أن المؤمن يقال له ما كنت تعبد فإن هداه الله تعالى قال كنت أعبد الله فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله قال فما يسئل عن شيء غير هذا وزاد أيضا فيقول دعوني حتى أبشر أهلي فيقال له اسكن وذكر الكافر أنه يسئل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل وفي الصحيحين أيضا عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة يوم كسفت الشمس «ولقد أوحى إلي أنكم تكفرون في قبوركم مثال قريب من فتنه الدجال يوثق أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فاما المؤمن أو المؤمن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا فيقال له ثم صالحا فقد علمنا أن كنت لماوقنا واما المنافق والمرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت» وأخرجه الامام أحمد بلفظ «ولقد رأيتمكم تكفرون في قبوركم يسئل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد» نحو ما سبق وقد روي أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه وأخرجه أيضا الامام أحمد وابن ماجه وأخرجه الطبراني أيضا وفيه «أتاه منكر ونكير أعينها مثل قدور النحاس وانيابها مثل صياصي البقر - أي قرونها - وأصواتها مثل الرعد القاصف» وروي أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخرجه الامام أحمد ومن حديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه

الامام أحمد أيضا ومن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب السنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له «كيف أنت يا عمر اذا كنت من الارض في أربعة أذرع في ذراعين ورايت منكرا ونكيرا» قلت يا رسول الله وما مسكر ومسكر قل «فتاتا القبر يبعثان الارض بأياهما ويطآن في أشعارها أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ومعها مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يلبثوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه» قلت يا رسول الله وأبا على حالي هذه قال نعم فقلت اذا أكنيكنها وفي رواية «فامتنحك فان التويت ضرتك بها صرقة صرقت رمادا» وأخرجه الاسماعيلي من وجه آخر وروي أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وفيه قال سمر اترد علينا عقولا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم «نعم كياتكم اليوم فقال» عمر رضي الله عنه بفيه الحजर ومن حديث أبي رضى رضي الله عنه رواه الامام أحمد وغير هؤلاء وروي عن مجاهد ان الموني يقتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يعلم عنهم تلك الايام وقد ذكرنا في كتابنا البحور الزاهرة في علوم الآخرة ما لله يشفي ويكفي

(تنبيهات)

(الاول) جاء في رواية سوال ملكين وفي أخرى سوال ملك واحد قال القرطبي لا نعارض في ذلك بالدسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا فبأنه معا عند انصراف الناس يكون أحول في حقه وأشد بحسب ما اقتراف من الآتام وآخر يأتيه قبل انصراف الناس عنه فبما عليه لحصول أنه بهم وآخر يأتيه ملك واحد ويكون أحب عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح قال ويحتمل ان يأتي اثنان ويكون السائل أحدهما وان اشتركا في الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا وصوبه الخافض السيوطي في شرح الصدور فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة مبكر وبكر وبكر ورومن وقد أشار اجلال السيوطي الى هذا في أرجوزته التثبيت في التثبيت بقوله

وقد أتى في مرسل مضعف ان السؤال من ثلاثة لفي
 أو أربع أولئك الاثنان وألحقوا بنا كور مسع رومان
 وقد أشار الى ان الخبر به علقان الضعف والارسال

﴿ الثاني ﴾

الملكان اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام أحمد رضي الله عنه قال الحكيم
 البرمذي وإنما سميا فتاني القبر لاز في سؤاها اتهاارا وفي خلقهما صعوبة قال وسميا
 منكرا ونكيرا لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خاق الملائكة ولا خاق
 البهائم ولا خاق الحوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظر بن اليه
 جعلها الله تعالى تكربة للؤمن لتثبته وتبصره وهناك لسر المناق في البرزخ من
 قبل ان يبعث قل الجلال السيوطي وهذا يدل على ان الاسم منكر بفتح الكاف
 وهو المجزوم به في القاموس قلت وكذا في تهامة ابن الاثير قال ومنكر ونكير اسماء
 الملائكين مفعل وفعل وذكّر ابن يونس من الشافعية ان اسم ملكي المؤمن مبشر
 وبشير قلت وهذا يحتاج الى دليل مأثور وأناي به فان الاحاديث ليس فيها سوى
 منكر ونكير وقد أشار الى ذلك السيوطي في أرجوزته بقوله

وضبط منكر بفتح الكاف فاست أدري فيه من خلاف

وذكر ابن يونس من صحبنا ان الذين يأتیان المؤمنا

اسمهما البشير والمبشر ولم أقف في ذا على ما يؤثر

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قال كثير من الممثلة لا يجوز
 تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وأما المنكر ما يبدو من تلجأجه اذا سئل والنكير
 تقرير الملائكين له وقال الامام أحمد رضي الله عنه تؤمن بمذاب القبر ويبتكر ونكير
 وروجم في منكر ونكير فقال هكذا هو يعني اسمها منكر ونكير

﴿ الثالث ﴾

قال القرطبي اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال والجواب عن ذلك أنه
 يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل

عن كلها ويحتمل ان يكون الاقتصار على بعضها من بعض الرواة وأنى به غيره تاماً وصورة السيوطي لا تنافي أكثر الاحاديث عليه نعم يؤخذ منها - خصوصاً من رواية أبي داود عن أنس المارة فـسا يسئل عن شيء بعدها وعند ابن مردويه فما يسئل عن شيء غيرها انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) قال الشهادة يسئلون عنها في قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمة ما هو قال يسئلون عن الايمان بمحمد وأمر التوحيد وقد ذكر الجلال السيوطي انه ورد في رواية عن أنس رضي الله عنه ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات وباقي الروايات ساكنة عن ذلك فتحصل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص وعن طاوس ان الموتى يسئلون سبعة أيام قلت وتقدم عن مجاهد أن الموتى يسئلون في قبورهم سبعاً وانهم كانوا يستحبون أن يلطم عنهم تلك الايام رواه الامام أحمد في الزهد وكذا أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا أنه مرسل وروى من وجه متصل أيضاً وحكه الرفع لانه ليس للرأي فيه مجال وقد روى كل ذلك الامام الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وذكر عن مجاهد أيضاً أن الارواح تكث في قبورها سبعة أيام وقد روى عن عبيد ابن عمير فيما أخرجه عنه ابن جرير ان المؤمن يقن سبعة أيام والمنافق يقن أربعين يوماً

الرابع

من لم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نفسه من فتنة السؤال وضغطة القبر قال الامام المحقق في كتاب الروح ما ينبغي ان يعلم ان عذاب الذنبر هو عذاب البرخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبراً لم يقبر فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار ماداً أو نسف في الهواء أو غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب أبطل من المقيور

الخامس

قال اس عبد البر لا يكون السؤال الا للمؤمن أو منافق كان منسوباً الى دين

الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر كذا قال وخالفه في ذلك الجمهور وقال
الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح القرآن والسنة تدل على خلاف
هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت وقد ثبت) في الصحيحين وغيرهما انها نزلت في عذاب القبر كما تقدم فان
في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول
الكافر قطعاً ومنه قوله تعالى (كلا ان كتاب الفجار لني سجين) ونحو هذا في كتاب
العاقبة للحافظ عبد الحق الاشيلي وصوبه القرطبي في التذكرة واتصر الجلال
السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر ومثل هذا ما اختاره المحقق ابن القيم والحافظ
عبد الحق الاشيلي وغيرهما من ان سؤال القبر ليس بخاص بهذه الامة بل غيرها
تساويها في ذلك وجزم به أيضاً القرطبي في التذكرة وقال الحكيم الترمذي انه
خاص بهذه الامة وتوقف ابن عبد البر واتصر السيوطي في هذا للحكيم الترمذي
قال الامام المحقق ابن القيم في الروح بعد ذكره الاقوال الثلاثة والظاهر والله أعلم
ان كل نبي مع أمته كذلك يعني يسئل عنه كنبينا صلى الله عليه وسلم مع أمته وانهم
يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجّة عليهم كما يعذبون في الآخرة
بعد السؤال واقامة الحجّة واستدل الحكيم الترمذي على عدم السؤال أن الامم
قبل هذه الامة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبو كفت الرسل واعتزلوهم
وعوجلوا بالعذاب قال فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم
العذاب واعطي السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لمهاية السيف ثم
يرسخ الايمان في قلبه فمن هنا ظهر التفارق فكانوا يسرون الكفر ويعلمون الايمان
وكانوا بين المؤمنين في ستر فلما ماتوا قبض الله لهم فتاني القبر ليستخرج أمرهم
بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب وفيما قاله مقال من عدة أوجه نهبت على
بعضها في البحور الزاخرة منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في
كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان المعروف عند أهل العلم انه بعد
نزول التوراة لم يهلك تعالى مكذبي الأمم بعذاب مناريهم كما أهلك قوم نوح
وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم بل أمر للمؤمنين بمجهاد الكفار كما أمر بني اسرائيل

على لسان موسى بقتال الجيامرة وقنال يوشع للكفار مشهور وكذا داود وسليمان وغيرهم من الانبياء صلوات وسلامه عليهم أجمعين

في السادس

ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي أنه وقع في فتاوى شيخه علم الدين البائني أن الميت يحجب السؤال باللغة السريانية قال ولم أفد لذلك على مستند انتهى قال في التذكرة أن قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد فالجواب أن عظم خلقها يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه وبمنه الله من سماع جواب بقية الموتى وقال السيوطي ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كفي الحفظة ونحوهم وقاله الحلبي من الشافية ولا يخفى ما في هذا (١) والله التوفيق

(تمة) ورد في صحيح الاخبار أن بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتان وذلك على ثلاثة أنحاء مضاف إلى عمل ومضاف إلى حال ابتلاء نزل بالميت ومضاف إلى زمان كالشهداء ومن لقي العدو فصر حتى يقتل أو يفلج والمرابطين في سبيل الله والمراد أن من مات مرابطاً لم يقن في قبره وروي أن سورة تبارك كل ليلة من قرأها عصم من فتنة القبر ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كفي فتنة القبر وأخرج أبو نعيم في الحلية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي مات فيه لم يقن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحمله الملائكة يوم القيامة بأ كفها حتى تميزه الصراط إلى الجنة» ومن لا يستل الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما الجن فالادلة تعهم ويسألون لأنهم مكافئون في الجنة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم والله التوفيق

(١) قوله ولا يخفى ما فيه أي في كلام الحلبي وبعده الجلال من النظر لأن هذه أمور لا تثبت إلا بصحيح السنة والتسجيل وليس في ذلك للاحتيال مجال وكنت سئلت عن ذلك فقلت ما نقله الجلال عن الحلبي في ذلك الجواب وتعقبته من غير وقوف على ماها والحمد لله أعرب الله من هاهنا الأصل

﴿ومنها﴾ الامور التي يجب الايمان بها وأنه حق لا ترد عذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور» قد ذكر الله عذاب القبر في القرآن في عدة اماكن كما بينته في الاكليل في أسرار التنزيل انتهى قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور في قوله تعالى (فلولا اذا بلغت الحلقوم - الى قوله - ان هذا هو الحق البقين) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات قال «اذا كان عند الموت قيل له هذا فان كان من أصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب لقاء الله وإن كان من أصحاب الشمال كره لقاء الله وكره لقاء الله» وأخرج الامام أحمدان النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فأكب القوم فيكون قال «ما يبكيكم؟» قالوا انا نكره الموت قال «ليس ذلك ولكنه اذا حضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله لقاءه أحب وأما ان كان من المكذبين فنزل من حميم وتصلية جحيم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله لقاءه» وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قول السائل ما الحكمة في ان عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذره الناس ويتقى فأجاب عن ذلك بوجهين مجمل ومفصل أما المجمل فان الله تعالى أنزل على رسوله وحسين فأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى (وأنزل عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (الذي بعث في الاميين رسولا منهم - الى قوله - ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذ كرن مايتلى في بيوتكن) الآية والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما أخبر بها الرب على لسان رسوله فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اني أوتيت الكتاب ومثله معه» قال المحقق واما الجواب المفصل فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في مواضع (منها) قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعا وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله

غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولو تأخر عنهم ذلك إلى اقضاء الدنيا لما صح
 أن يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون وقوله تعالى (فوفاه الله سيئات ما مكروا
 - إلى قوله - يعرضون عليها غدوا وعشيا) الآية فذكر عذاب الدارين صريحا لا يحتمل
 غيره ومها قوله تعالى (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصمقون) يوم لا يغني عنهم
 كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) انتهى كلامه وأخرج البخاري من حديث أبي
 هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله أني أعوذ
 بك من عذاب القبر « وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه قال ما زلت في
 شك من عذاب القبر حتى نزلت (ألمأكم التكاثر حتى زرتم المقابر) وقال ابن مسعود
 إذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له من ربك وما دينك فيقول لا أدري
 فيصيق عليه قبره ثم قرأ ابن مسعود (فإن له معيشة ضنكا) قال المعيشة الضنك هي
 عذاب القبر وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما في قوله تعالى (عذابا دون ذلك)
 قال عذاب القبر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولنذيقنهم
 من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) وكذا قال قتادة والريعي بن أنس في
 قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) أحدهما في الدنيا والآخرى عذاب القبر قال الحافظ
 ابن رجب وقد توارث الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر
 ففي الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أنها
 قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال «نعم عذاب القبر حق» وفي
 صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان
 يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن اللهم «اني أعوذ بك من عذاب
 جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة الحيا والمات وأعوذ بك من
 فتنة المسيح الدجال» وأخرج أيضا مسلم وابن أبي شيبة عن زيد بن ثابت رضي
 الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بئله له ونحن
 معه إذ حدث به فكادت أن تلقيه وإذا أقبرستان أروخسة أو أربعة قتال «من يعرف
 أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل أما قتال «متى مات هؤلاء» فقال ماتوا في الأشراك
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تذا فتوا

لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم اقبل علينا بوجهه فقال «تموذوا بالله من عذاب القبر» الحديث وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل القبور يعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه الامام أحمد وأبو يعلى والآجري وعن أبي هريرة رضي الله عنه رواه أبو يعلى والآجري وعن أنس رضي الله عنه رواه مسلم وعن أبي أبوب الانصاري رضي الله عنه رواه الشيخان وعن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجاه وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه رواه ابن ماجه وفيه أيضا عن ابن عمر وعبد الرحمن ابن حسنة وأبي امامة وميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلی ابن سبابة وعلی ابن قسرة وأم بشير وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين

ماورد في ضغطة القبر وظلمته لكل واحد أخرجه الامام أحمد في المسند والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن جديفة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فلما اتينا الى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال «يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله» قال في النهاية الحمائل هنا عروق الاثنين قال ويحتمل ان يكون يراد هنا موضع حمائل السيف أي عواقبه واضلاعه وصدره وأخرج الامام أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان للقبر ضغطة لو كان أحدا منها ناجيا نجا منها سعد بن معاذ» رضي الله عنه وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس ثم قالوا يا رسول الله لم سبحت قال «لقد نضايق عن هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه» وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال «لو نجا من ظلمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضمه ضمة ثم اروح عنه» رواه سعيد بن منصور والحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي

وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» يعني سعد بن معاذ قال الحسن البصري تحرك له العرش فرحاً بروحه أخرجه البيهقي في الدلائل وأخرج الحكيم الترمذي والبيهقي من طريق أبي اسحاق حدثني ابن أمية وابن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عن ذلك قال «كان يقتصر في بعض الطهور من البول» والاحاديث في هذا كثيرة مشهورة قال ابن أبي مليكة ما أجبر من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في الجبة خير من الدنيا وما فيها وقال معاهد أشد حديث سمعناه عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما عني أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد» فقيل يا رسول الله ولا القاسم أبك قال «ولا إبراهيم» وكان أصغرهما قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا مالح والمراد غير من استثناء النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك لأنها ضمت المصطفى ولما ماتت سكب عليها الماء الذي فيه الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قبرها وقال «الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لأبي فاطمة بنت أسد ولقنها حبتها ووسع عليها مدخلها» وكانت وفاتها في المدينة ودقنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام وعليها قبة صغيرة كما في زبدة الاعمال مختصر تاريخ الأزقي قال أبو القاسم السعدي والفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دواؤها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود الانقحاح له فيه قال والمراد بضغط القبر النقصان عليه على حسد الميت قال الحكيم الترمذي سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد الا وقد ألم بخطيئة ما وإن كان صالحاً فحملت هذه الضغطة جزاء لما ثم تدركه الرحمة ولذلك صعد سعد بن معاذ رضي الله عنه قال وأما الانبياء فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالا لمصمتهم أي لأن السؤال عن الانبياء وما جاؤا به

فكيف يستلون عن أنفسهم وقد ذكر الامام الحافظ ابن الجوزي في مناقب سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه انه رآه المروزي رحمه الله بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك فذكر ان الملكين سألاه وقالاه من ربك فقال سبحان الله أو مثلي يستل عن ربه نقالا لا نؤاخذا بهذا أمرنا ثم انصرفا فكيف بانبيا الله وهم المحبرون عنه الدالون عليه المجتهدون في اتقاد عبادته من عقابه وغضبه الى مرضاته باذنه قال محمد النبي ضمة القبر انما أصلها ان الارض أهمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا اليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كاتب مطبعا ضمنه برأفة ورفق ومن كان عاصيا ضمنه بعنف سخطا لربها عليه وقد أخرج البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكرو ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال « يا عائشة ان أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين كائما في العين وان وضغطة القبر على المؤمن كلام الشفيقة يتسكو اليها ابنها الصداق فتغمر رأسه غمرا رقيقا ولكن يا عائشة ويل لساكنين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة »

﴿ فوائد ﴾

﴿ الأولى ﴾ ذكر الديلمي في الفردوس عن علي رضي الله عنه رفعه « أول عمل الآخرة القبور فلا يعرف شريف من وضع » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله أرحم ما يكون لعبده اذا دخل قبره ويفرق عنه الناس وأهله وأخرج الديلمي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرحم ما يكون الله بالعبد اذا وضع في حفرته » وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عاصم الحبلي برفعه « ان أول ما يتحرق به المؤمن في قبره يقال له ابشر فقد غفر لمن نبغ جنازتك » وأخرجه البزار وعبيد في مسندهما والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول ما يجازى به المؤمن بعد موته ان يغفر لجميع من تبعه » وفي الباب عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن أبي الدنيا وسلمان الفارسي أخرجه أبو الشيخ في الثواب وأبي هريرة أخرجه الحاكم في

التاريخ واليهودي في الشعب والديلمي وأنس أخرجه الحكيم الترمذي
(الثانية) قال بعضهم من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بأحد عشرة أسباب إن
يتوب فيتاب عليه أو يستغفر فيغفر له أو يعمل حسنات فتحوها فإن الحسنات يذهبن
السيئات أو يتلى في الدنيا بمصاب فيكفر عنه أو في البرزخ بالضعفة والفتنة فيكفر
عنه أو يتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعت نبيه صلى الله عليه
وسلم أو رحمته به تبارك وتعالى وتقدم في التوبة طرف صالح من هذا والله التوفيق
(الثالثة) الأسباب التي يمدب بها أصحاب القبور على قسمين تجل ومفصل
أما المجل فأنهم يمدبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم معاصيه فلا
يمدب الله روحا عرفته وأحبته وامثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه
أبدا فإن عذاب القبر بل وعذاب الآخرة اثر غضب الله وسخطه على عبده فمن
اغضب الله واسخطه في هذه الدوا ارتكاب مناهيه ولم ينب ومات على ذلك كان
له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فستقل ومستكثر ومصدق
ومكذب وأما المفصل فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين
الذين رآهما يمدبان في قبورهما أن أحدهما كان يمشي بالنسيئة بين الناس والآخر
كان لا يستتر من البول والحديث في الصحيحين وغيرها ولفظه مر النبي صلى الله
عليه وسلم بقبرين فقال «أيهما ليعدبان وما يمدبان في كبر أما أحدهما فكان لا يستتر
من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنسيئة» ثم أخذ جريدة وطبسة فشقه بالثنتين
ثم غرز على كل قبر منهما واحدة قالوا لم فعلت هذا يا رسول الله قال لعله يخفف
عنهما ما لم ييبسا قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وقد روي عن هذا
عن النبي صلى الله عليه بهذا المعنى من وجوه متعددة من حديث أبي بكر وعائشة
وأبي هريرة، وأنس وابن عمر وأبي أمامة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين
قال المحقق ابن القيم في الروح فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكاب السبب الموقف
للمداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقا وفيه تنبيه على أن الموقع بينهم المداوة
بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيها على
أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها أشد عذابا وفي شعبه

أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس فهذا مغتات وقال النعمان وفي صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق وفي حديث ابن مسعود في الذي ضرب في قبره سوطاً امتلاً القبر عليه ناراً لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومضى على مظلوم فلم ينصره وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار وتعذيب الزناة والزواني وتعذيب كل الربا كما شاهدتم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ وحديث أبي هريرة وفيه رضح رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤسهم عن الصلاة والذين يأكلون الرقوم والضريع لتعذيبهم الزكاة والذين يأكلون اللحم المتن الحبيث لزناهم والذين تقرر شفاهم بمقاريض من حديد لفياءهم في الفتن بالكلام والخطب.

ومن الذين يعذبون في قبورهم وأخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم الجبارون والمتكبرون والمراءون والهازون واللازون والطعانون على الساف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيبرهم ونحو هؤلاء ممن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه ويعيرونهم عن عيبه فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلة أوصغرها وكبرها ولما كان أكثر الناس كذلك كان أصحاب القبور معذنين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب وبواطنها حميرات وعذاب فتسأل الله تعالى العافية بالرحمة والعفو والغفران وبالله الإعانة والعون.

(الرابعة) الاسباب المنجية من عذاب القبر على قسمين أيضاً مجمل ومفصل أما المجمل فهو بحسب تلك الاسباب التي تنتقي العذاب ومن أنفعها ان يجلس عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ماخسره ويرجى في يومه ثم يجسده له توبة نصوحاً بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود إلى الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير الاجل وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به

خيرًا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله واما المفصل فيها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «رباط يوم في سبيل الله خير من ضيام شهر وقيامه وان مات أجري عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن القتلان» وفي سنن الترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه يجري عليه عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر» قال الترمذي حديث حسن صحيح وتقدم ذكر الشهداء والذي يقرأ تبارك الملك فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر ألامأحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هي المائنة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» قال الترمذي حديث حسن غريب قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح وأبنا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل ألا أتخفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ (تبارك الذي بيده الملك) احفظها وعلما أهلك وولدك وصبيان ينك وجبرائك فانها المنجية والمجادلة نجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى وهما أن ينجيه من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لوددت انها في قلب كل انسان من أمتي» قال أبو عمر بن عبد البر وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له - تبارك الذي بيده الملك»

﴿تنبيهات﴾

الاول أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وأنكروا جلوس الميت في قبره قالوا وقد وضعوا على صدر الميت زيقاً فكشفوا عنه فوجدوه بحاله ولم يجدوا فيه إلا نكدة

يضر بون الموتى بمطارق الحديد ولا وجدوا حيات ولا عقارب ولا نيرانا واجتباوا
وأجلبوا من مثل هذه الوسواس والترهات وقال اخوانهم من أهل البدع والضلال
كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله قالوا ونحن نرى المصلوب
على الخشبة المدة الطويلة لا يسئل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً قالوا
ومن افترسته السباع ونهشته الطير وقرقت أجزاؤه في حواصل الطيور واجواف
السباع وبطن الحيتان ومدارج الرياح كيف يسئل وكيف يصبر القبر على مثل
هذا روضة أوحفرة وكيف يتسع قبره أو يضيق وأكثروا من هذا الهذيان

وأجاب عن ذلك أئمة الحق من علماء السنة وأئمة الأئمة بما يقع المفترين ويقلع
عن الشاكين منهم الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح فانه أجاب عن ذلك بمدة
أجوبة (منها) ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تخبر بما تحمله العقول بل أخبرهم
قسمات أحدهما ما يشهد العقل والفطرة السليمة به والثاني مالا ندركه العقول
بمجرد ما كالغيبوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب
والعقاب فلا يكون خيبر محال في العقول أصلاً والحاصل ان الانبياء لا تأتي بمحالات
العقول بل بمحارمها فكل خبر يظن ان العقل يحمله فلا يخلو من احد أمرين
اما خطأ في النقل أو فساد في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها انها أمر عقلي
صريح والحال انه خيال وهي غير صحيح فـكـ تعالى (وبرى الذين أتوا العلم
الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) واما الذين في قلوبهم زيغ فلا يزيدون
الارجاس على زجسهم (ومنها) ان يضم الى خبر الرسول مراده من غير غلو ولا نقص
ولا يحمل كلامه على مالا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وعمما قصده من الهدى
والبيان وباهمال ذلك حصل ما حصل من الضلال والعدول عن نهج الصواب
(ومنها) ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل
لكل دار أحكاماً تخص بها وركب هذا الانسان من بدون ونفس وجعل أحكام
الدنيا على الأبدان والارواح تبع لها ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر
من حركات الانسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه فالعقوبات الدنيوية
تقع على البدن الظاهر وتأنم الروح بالتبعية وجعل أحكام البرزخ على الارواح

والابدان تبع لها فكما تبعت الارواح الابدان في احكام الدنيا فتأملت بالمها والتذت براحتها ولذتها وكانت هي المباشرة لاسباب النعيم والعذاب فكذلك تبعت الابدان الارواح في عيها وعذابها وكان العذاب والنعيم على الروح ولها بالاصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار الدنيا فاذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرها على الارواح والاجساد باديا ظاهرا أصلا وما خبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ونعيمه من هذا القيل فاذا ظهر للذوق السليم طابق العقل المستقيم (ومنها) ان الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبا عن ادراك العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز الذين آمنوا بالغيب من غيرهم فأول ذلك الملائكة تنزل على المختضر وتجلس قريبا منه ويشاهدون عيانا ويتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وتكون مهمم الاكفان والحنوط إمامن الجنة وإمامن النار . ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المختضر ويرد عليهم السلام تارة بلفظه وتارة بإشارة وتارة بقلبه اذا لم يتمكن من الطوق والاشارة وقد سمع بعض المختضرين يقول أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه ومن ذلك حكايات كثيرة وقد شاهدنا من ذلك ما لم يخطر بالبال ولا يتصوره الخيال (ومنها) ان اتناو التي في القبر ليست من نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وانما هي من نار الآخرة فهي وان كانت أشد من نار الدنيا الا ان شدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا بل ربما دفن الرحلان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضة ونيعم والآخر في حفرة وعذاب اليم وقدره الرب أعظم وأعجب من ذلك ولكن الكافرون لا يشعروا (ومنها) أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل عليه السلام كان يرسل على النبي صلى الله عليه وسلم ويشل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم لا يراه وكذلك غيره من الانبياء . وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه

وتعالى حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث الله في الارض وهو بينهم فهذا جبريل كان يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والحاضرون لا يسمعونه وكيف يستكر من عرف الله وأقر بقدرة أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماهم حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصراً وسمعا من أن يثبت المشاهدة عذاب القبر وكثيرا ممن أشهده الله ذلك ضعف وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات وسر المسئلة أن نوسمة القبر وضيقه واضاءته وخضرته وناره ليس من جنس المهود سي في هذا العالم والله سبحانه إنما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها وأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الاقرار به والايان سببا لسعادتهم ولو كشف عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفاته نتيجة الايمان بالغيب وما يترتب على ذلك من الثواب قلت وحاصل ذلك ان ما اخبر به الصادق المصدوق وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم تحمله نعتول وحيث كان ممكنا فمعارضة صحيح الاخبار الحاد وهو كما انه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل السنة قال المروزي قال أبو عبد الله الامام أحمد رضي الله عنه عذاب القبر حق لا ينكره الاضال مضل وقال حنبل قلت لابي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نو من بها ونقر بها كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد أقرنا به اذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه ردونا على الله أمره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قلت وعذاب القبر حق قل حق يعذبون في القبور قال وسمعت أبا عبد الله يقول نو من بعذاب القبر ومنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر فقال سبحانه الله نعم نقر بذلك قلت هذه اللفظة نقول منكر ونكير هكذا أو نقول ملكين قال منكر ونكير قات يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني انهما منكر ونكير قال الامام ابن القيم في كتابه الروح وأما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل وبشر الماريسي من خرج عن سمة الايمان فانه يعذب بين النفختين قالا والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت قال ابن القيم واثبت الجبائي وابنه والباخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين واثبتوه

لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم وبالله التوفيق
 ﴿التنبيه الثاني﴾

الحق عند أهل السنة أن عذاب التبر على النفس والبدن قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتمذب منفردة عن البدن وتنعم وتمذب متصلة بالبدن والبدن متمتع بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون على الروح منفردة عن البدن وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام قال شيخ الإسلام وفي المسئلة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث أحدها قول من يقول إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح وإن البدن لا ينعم ولا يعذب قال وهذا تقول الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان وهؤلاء كفار باجتماع المسلمين وبقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون إن الأرواح هي المنعمة والمعدبة في البرزخ فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً قال وهذا قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة قال وهذا ليس من الأقوال الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقر عذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الأبدان والأرواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال على الروح فقط عليها وعلى البدن به أسعناها على البدن فقط وهل يضم إلى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الفساد قول منكر عذاب الأبدان مطلقاً وقول من ينكر عذاب الروح مطلقاً فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة (فالقول الثاني) الشاذ قول من يقول إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تمذب وإنما الروح هي الحياة وهذا بقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالناضي أبي بكر الباقلاني وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن وهو قول باطل وقد خالفه أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب

والسنة واتفاق الامة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة. قال
 والفلاسفة الالمبيون بقرون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهو لا يقررون بمعاد
 الابدان لكن ينكرون معاد الارواح ونعيمها وعذابها بدون الابدان وكلا القولين
 خطأ وضلال نعم قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الاسلام وان وافقهم عليه
 من يعتقد أنه يتمسك بدين الاسلام بل يظن انه من أهل المعرفة والتصوف
 والكلام (القول الثالث) من الشواذ قول من يقول أن البرزخ ليس فيه
 نعيم ولا عذاب بل يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض
 المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن
 وان البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ الا
 أنهم خير من الفلاسفة لانهم مقررون بالقيامة الكبرى انتهى فاذا علمت هذه
 الاقوال وعرفت بطلانها فاعلم أن مذهب سائر الامة وأئمتها أن الانسان اذا
 مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد
 مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن احياناً فيحصل له معها النعيم
 والعذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا
 من قبورهم الى رب المعاد قال ابن القيم والذين قالوا إن عذاب القبر يجري على الميت
 من غير رد الارواح الى الاجساد وان الميت يجوز ان يألم ويحس بالآلام ويعلم بلا
 روح هم جماعة من الكرامية ومن وافقهم وقال جماعة من المعتزلة أن الله سبحانه
 يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فاذا حشروا وجدوا
 تلك الآلام وأحسوا بها قالوا وسبيل المعنيتين من الموتى سبيل السكران والمغنى
 عليه لو ضربوه لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل أحسوا بالآلم والضرب وأنكر
 جماعة منهم عذاب القبر رأساً مثل ابن عمر ويحيى بن كمال وهو قول الماريسي فهذه
 أقوال أهل الخيرة والضلال وقد علمت مذهب سلف الامة وأعيان الأئمة
 والله أعلم

﴿الثالث﴾

تقدم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب

ناله نصيبه منه قبرا ولم يقبر وسفي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في ذكر منام النبي صلى الله عليه وسلم الطويل ورويته للمعدين وكيف يذهب فانه نص في عذاب البرزخ ورويا الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر والله التوفيق

الرابع

زعم أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له أن من ظن الميت بحجي في قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ قال لان الآيات تمنع من ذلك بمعنى قوله تعالى (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) قال ولو كان الميت يحيا في قبره لكان الله تعالى قد أمتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا قال وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ومن خصه نصن وكذلك قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) قال فصيح بنص القرآن ان ارواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى أجسادهم الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وذكر من مثل هذه انجيلات وهي آيات محكمات حملها على غير محاملها ثم قال ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح الموتى ترد الى أجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك عنه لقننا به قال واتما تفرد بهذه من رد الارواح الى الاجساد في القبور المنهال ابن عمرو وليس بالقوي تركه سعيد وغيره وقال فيه المغيرة بن متهم الضبي وهو أحد الأئمة ماجازت المنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام على ما قد قتل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك قال وهذا الذي قال وهو الذي صح أيضاً عن الصحابة وذكر آثارا يزعم انها تدل على ما قال قال الامام المحقق ابن القيم ان أراد ابن حزم بقوله من ظن أن الميت يحيا في قبره خطأ الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتديره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحسب والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان أراد به حياة

أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح اليه إعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا ليسثل ويمتحن في قبره فهذا حق وفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله «فنعاد روحه في جسده» في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كنا في جنازة في بقيع الغرق قد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو ياخذ فقال «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات ثم قال «ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فجلسوا منه مد البصر ثم يحيي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتسيل كما تسيل القطرة من في السماء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الخنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها الحديث وفيه فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهن تارة أخرى فنعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بمث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت الحديث وكذلك في حق الكافر وفيه فنعاد روحه جسده ويأتيه ملائكتان فيجلسانه الحديث رواه الامام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه وأوله ورواه أبو عوانة الاسفرائيني قال ابن القيم ان قوله «ثم تعاد روحه في جسده» لا يدل على حياة مستقرة وإنما يدل على إعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان يلي وتمزق وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغيرة الاحكام (أحدها) تعلقها به في بطن الأم جنينا (الثاني) تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض (الثالث) تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه (الرابع) تعلقها به في البرزخ فانها وإن فارقت وتجردت عنه فلها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها اليه النفات البتة وقد ذكرنا من الاحاديث ما يدل على ردها اليه وكذلك ثبت

انها ترد اليه عند سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة (الخامس) تعلقها به يوم بث الاجساد وهو اكل تعلقاتها بالبدن ولا نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه فوتاً ولا نموا ولا فسادا وقول ابن حزم في المنهال ما قال تعامل منه بارد فالمنهال بن عمرو أخذ الثقات المدول قال الامام يحيى بن معين الميال ثقة وقال العجلي كوفي ثقة وأعظم ما قيل فيه انه سمع من يته صوت غناء وهذا لا يوجب القسح في روايته وتضعيف ابن حزم له غير معتبر فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فساد روحه في جسده وقد استدرك عليه زعمه تفرده بها الامام المحقق ابن القيم وبين انه لم ينفردها بل رواها غيره وقد روي ما هو ابلغ منها ونظيرها كقوله تفرد اليه ووجه وقوله فيستوي جالسا وقوله فيجلسا وقوله فيجلس في قبره وكلها أحاديث صحاح لا مغز فيها والا حاديث الصحيحة صريحة بخلاف ما زعم ابن حزم وأمال ابن القيم في ذلك بما يشفي ويكفي وبالله التوفيق

فصل ٤

في ذكر الروح والكلام عليها وقد أشار الى قطرة من بحر لجي من متعلقاتها فقال
 ﴿وان أرواح الوري لم تعدم مع كونها مخلوقة فاستفهم﴾
 ﴿و﴾ مما ينبغي العلم به (ان أرواح) بني آدم جمع روح قد اختلف في حقيقتها وهل هي النفس أو غيرها وهل هي جزء من البدن أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطأهم ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية وهدى الله أتباع الرسول وساف الأمة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . قال الامام ابن القيم بعد ما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزينها ثم قال والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء

ويسري فيها سر يان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فدامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليهما من هذا الجسم الطيف بقي هذا الجسم اللطيف منشابكا بهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والارادة وإذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح قال وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواء باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا وأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وامثالهما ونحوهما

﴿فائدة﴾

ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح القلب واستدل له بحديث ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «أما النفس فني القلب والقلب بانيات والنيات يسقي العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق» وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة فيه غريب كثير واسانيد ضعيفة جداً والله أعلم واما اختلاف الناس في الروح وهل هي النفس أو غيرها فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد وهذا قول الجمهور وقيل بل هما متغايران قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح النفس تطلق على أمور (أحدها) الروح قال الجوهري النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

نجاسا والنفس منه بشدة ولم ينج الا جفن سيف ومئزر أي بجفن سيف ومئزر والنفس الدم يقول سالت نفسه في الحديث «ما النفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه» والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بني تميم ادخلوا أنيابهم تأمور نفس المئزر

والتأمور الدم والنفس العين يقال اصابته فلان النفس أي عين قابـ ابن القيم ليس كما قال فالنفس هاهنا الروح ونسبة الاصابة الى العين توسع لانها تكون بواسطة النظر والذي أصابه انما هو نفس العائن وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى (فاسلموا على أنفسكم ولا تقتلوا أنفسكم) يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها.

كل نفس بنا كبت رهينة) وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى (بأيها النفس المطمئنة - وأخرجوا أنفسكم - ونهى النفس عن الهوى) وقوله (إن النفس لامارة بالسوء - ولا أقسم بالنفس اللوامة) وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانزاده ولا مع النفس وتطلق الروح على التوأن كقوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحنا من أمرنا) وعلى الوحي كقوله تعالى (بأني الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) وقال (وينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده إن أنذروا أنه لا آية إلا آياتنا) وإنما سمي ذلك روحاً لما يحصل به من الحياة النافعة فإن الحياة بدونها لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان الهميم خير منها وأسلم عاقبة وسميت الروح روحاً لأن بها حياة البدن وكذلك سميت الريح روحاً لما يحصل بها من الحياة وهي من ذوات الوجود ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر

إذا هبت الأرواح من نحو أرضكم وجدت لمسراها على كبدي برداً

ومنها الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحاً لمفعول الحياة بها وسميت نفساً أما من الشيء النفس لفاستها وشرفها وأما من تنفس الشيء إذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفساً ومن النفس بالتحريك فإن البدن كل ما دام خرجت منه فإذا استيقظ رجعت إليه فإذا مات خرجت خروجه كلياً فإذا دفن عادت إليه فإذا سئل خرجت فإذا بعث عادت إليه أي رجعت له قال الامام ابن القيم فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وإنما سمي الدم نفساً لأن خروجه الذي يكون مع الموت يلزم خروج النفس وأن الحياة لأنهم لا يسمونه إلا بالنفس فهذا المعنى قال السموئيل

نسبل على حد الطيات نفوساً وليست على غير الطيات نسبل - -

وبقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وقارقت كما يقال خرجت روحه ومارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال أفاض إذا دفع باختياره وإرادته وقاض إذا دفع قهراً أو قسراً فأنه سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي وقالت فرقة من أهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس قال مقاتل بن سليمان للإنسان حيات وروح ونفس إذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تمارق الجسد بل تخرج في كبل

ممتد له شعاع فيرى الروبا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه ينقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح اسرع من طرفة عين فاذا أراد الله تعالى أن يميتة في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت وقال أيضا اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الروبا رجعت فاخبرت ونجبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قدر أي كتب وكيت وقال أبو عبد الله بن منده من علمائنا ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينة نارية والروح نورية روحانية وزعم بعضهم أن الروح لا هوية والنفس ناسوتية وأن الخلق بها ابتلي . وقال طائفة من أهل الاثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم منها فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح تدعو الى الآخرة وتوثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمددهما بالهامه وتوفيقه وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله وقالت طائفة للمؤمن ثلاث أرواح ولا كافر والموافق روح واحدة وقال بعضهم للانبياء والصدقيين خمسة أرواح وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فان صفت وجمعت الى الملكوت ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قلت الروح التي تتوفى ونفيس روح واحد وهي النفس وأما ما يؤيد الله به أوليائه من الروح فهي روح أخرى غير هذه الروح كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الایمان وأيديهم بروح منه) وكذا التي أيدها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى (اذ كرنا معني عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس) وكذلك الروح التي يلقها على من يشاء من عباده وهي غير الروح التي في البدن وأما القوى التي في البدن وان أطلق عليها أرواحا (١) كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهي قوى مودعة

(١) قوله وان أطلق عليها أرواحا الخ الذي في كتاب الروح « فانها تسمى أيضا أرواحا » الخ ولا يخلو كثير نقله من مثل هذا التصرف ولا تتعرض له

في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى قال وتطلق لروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والانتابة اليه ومحبة وانبعث الالهة الى طلبه وارادته ونسبة هذا الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يوجد بها أهل ولايته ولهذا يقال فلان فيه روح وفلان مافيه روح وللمجبة روح وللالانة روح وللتوكل والصدق روح والناس متفاوتون في هذه الارواح أعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيا بهيميا والله المستعان (الورى) محله جبر بالاضافة الى الارواح أي أرواح الورى قال في القاموس والورى كفتى الحاق والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يطن لان التكليف والماد والحساب يشملهم (لم نعدم) بموت الابدان التي كانت فيها أولا تموت هي ولا تنفى وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا ودلت الأدلة على انه لا يبقى الا الله تعالى وحده كما قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فانفوس البشرية أولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها (مع كونها) أي الارواح (مخلوقة) لله تعالى ومحدثة ومربوبة اوجدها بعد ان لم تكن (فاستفهم) أي طلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكانه يقال فهم كنفح فيها ويحرك وهي أفصح وفهامه وفهامية علم الشيء وعرفه بالقلب وهو فهم ككتف سرج الفهم واستفهمني طلب مني فهم المطلوب فأفهمته وفهمته فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لا كذساب الآراء والذي كما جودة تلك القوة والذهن قيل يرادف الفهم وقدمه في القاموس فقال الذهن بالكسر الفهم والمقل وحفظ القلب والقطعة وقال غيره الذهن هو نفس القوة والفهم استعمالها وانما حث على طلب الفهم في ذلك وامعان التدقيق لادراك تلك المدارك لاختلاف مقالات الناس في هذا المقام ولانه منزلة أقدام ومظنة أوهام وحاصل ذلك انه ذكر مسئلتين عظيمتين الاولى ان الروح مخلوقة محدثة والثانية ان الدم لا يدركها والفناء لا يلحقها ولتذكر أدلة كل مسألة

وحكمها وما فيها من الخطأ والصواب على حداثها وانتقدم أولا ما آخره في النظم نظرا
للاواقع فنقول

اعلم رحمك الله ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بني آدم
وهدى الله اتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين فاجمعت الرسل
وصلوات الله وسلامه عليهم على ان روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة
مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله
تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين
وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها مخلوقة
حتى نبغت نابتة (١) ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة واحتج
لذلك انها من امر الله وامر الله غير مخلوق وان الله اضاف اليه كما اضاف اليه عمله وكتابه
وقدرته وسمعه وبصره ويده وتوقف آخرون قتالوا لا تقول مخلوقة ولا غير مخلوقة

وقد سئل عن ذلك حافظ اصبهان أبو عبد الله بن مائدة من أعيان علمائنا
فقال اما بعد فان سائلا يسأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق
وأبدانهم وذكر أقواما تكلموا في الروح وزعموا انها غير مخلوقة وخص بعضهم
منها أرواح القدس وانها من ذات الله قال وانا أذكر أقاويل متقدمة وأبين
ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم
وأوضح به خطأ المتكلم في الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان
وأصحابه فذكر ان الناس اختلفوا في معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم
الارواح كلها مخلوقة قال وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر واحتجت بقول النبي
صلى الله عليه وسلم «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف» رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
ورواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ورواه الطبراني من حديث ابن
مسعود رضي الله عنه وروي أيضا من حديث سلمان الفارسي وعبد الله بن عباس

وأمر المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين والجنود المجدة لا تكون الامخلوقة . وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتج بقوله تعالى قل الروح من أمر ربي وقال بعضهم الارواح نور من الله تعالى وحياة من حياته واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره» - ونعم الحديث - فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ما تأولنه الصاري في روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدس اسماءه فصارت في المؤمن فبعد صنف من النصاري عيسى وربه جميعا لان عيسى عندهم روح من الله فصارت في مريم فهو غير مخلوق عندهم وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم عليه السلام مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله (وقضت فيه من روحي) وقوله (ثم سواه ونفخ فيه من روحي) فرعوا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصي الى ان صار في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم في ابنه الحسن والحسين رضي الله عنهما ثم في كل وصي وامام فيه يعلم الامام كل شيء لا يحتاج ان يتعلم من أحد قال ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح في آدم وبنيه عيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وانشاها وكونها واخبرها ثم اضافها الى نفسه كما اضاف اليه سائر خلقه قال تعالى (وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه: روح الآدمي مخلوقة مبتدئة باتفاق الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك أبو محمد بن قتيبة وقال الامام أبو اسحق بن شافلا من أئمة علمائنا وهذا يعني كون الروح مخلوقة مما لا يشك فيه من وفق

للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح قد تكلم في هذه المسئلة طوائف من اكابر العلماء والمشايع وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري والقاضي أبو يعلى وقد نص على ذلك الأئمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام فكيف بروح غيره كما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه في ما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية قال ثم ان الجهمي ادعى أمرا فقال انا اجداية في كتاب الله مما يدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وعيسى مخلوق: قلنا له ان الله منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لانا نسبه مولودا وطفلا وصبيًا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي يجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن ما نقول في عيسى الى ان قال والكلمة التي ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكان من الله قولاً وليس كن مخلوقاً وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقه من هذا الثوب قلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله تعالى وروح منه يقول من أمره كان الروح فيه كقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) منه يقول من أمره وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله كما يقال عبد الله وسماؤه وأرض الله فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد أضاف الله اليه روح الذي أرسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك

فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله
وما ينبغي ان يعلم من المضاف الى الله سبحانه نوعان صفات لا تقوم بانفسها
كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وهذه اضافة صفة الى الموصوف بها
فالعلم والقدرة الخ صفات له تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من
الصفات الحسية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها في مذهب
السلف كما مر (والثاني) اضافة اعيان منفصلة ككيت الله وناقته الله وعبده الله ورسول
الله وكذلك روح الله فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكنها
تقتضي تخصيصاً أو تشريفاً يتميز به المضاف اليه عن غيره ككيت الله وان كانت
كل البيوت لله ملكاً له وكذلك ناقته الله والوقى كلها ملكه وخلقه ولكن هذه
اضافة الى الهية تقتضي محبة لها وتكريماً وتشريفه بخلاف الاضافة العامة الى
ربوبية حيث تقتضي خلقه وإيجاده فالاضافة العامة تقتضي الخلق والإيجاد
والخاصة تقتضي الاختيار (والله بخالق ما يشاء ويختار) فاضافة الروح اليه تعالى
من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات فنأمل هذا
الموضع فانه نفيس ويخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس
كما أوضحه وبرهن عليه وبينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح وقال ان
الروح يوصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا من شأن المحدث
المربوب وأطال في الاحتجاج ودفع مقالات أهل البدع والالجاج ونمرة ذلك كون
الروح مخلوقة بالاجماع والله تعالى الموفق

المسألة الثانية

مما ذكر في أصل العقيدة بقاء الارواح وانه لا يلحقها عدم ولا فناء ولا
اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان وقد دلت على هذا الاحاديث
الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد مفارقتها لابدانها الى أن يرجعها الله تعالى
اليها ولو ماتت الارواح لا تقطع عنها الععم والمذاب وقد قال الله تعالى (ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) فرحب بما أقام الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) مع القطع بأن ارواحهم

قد فارقت أجسادهم وتسد ذائق الموت قل المحقق ابن القيم الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فان أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فانها لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله

تمازع الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلق في الشجب
فقل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

الشجب بالشين المعجمة والجيم فوحدة محركا الحزن والعنت يصيب من مرض أو قتال كما في القاموس فان قبل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا فالجواب قد قال الله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الارض الا من شاء الله) فقد استثنى الله تعالى بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فتبطل هم الشهداء وهذا قول أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم وسعيد بن جبير رحمهم الله وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهو قول مقاتل وغيره وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها قال الامام أبو اسحق بن شاقلا من أصحابنا وقد نص امامنا الامام أحمد رضي الله عنه على ان الحور العين والولدان لا يموتون عند النفخ في الصور وقد أخبرنا سبحانه ان أهل الجنة (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان واما قول أهل الدار (ربنا أمتا اثنتين وأحييتنا اثنتين) فتفسر هذه الآية الآية التي في سورة البقرة وهو قوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة أرواحهم قبل يوم القيامة والا كانت ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح « ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق

قيلي أم جوزي بصعقة يوم الطور، فهذا صعق في موقف القيامة اذ اجاب الله لفصل القضاء وأشرقَت الارض بنوره حينئذ يصعق الخلائق كلهم قال تعالى (قد رهم حتى يلاقوا ربهم الذي فيه يصعقون) ولو كان هذا الصعق موتا لكانت مorte أخرى قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لاصعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور قال وقد قال شيخنا أحمد بن عمر ظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضي ان ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى عليه السلام ممن لم يمت من الانبياء وهذا باطل وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتنشق الاحاديث والآثار ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج من قبره يلقي موسى آخذاً بقائمة العرش قال وهذا إنما هو عند نفخة الفزع قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمر والذي يزيج هذا الاشكال ان شاء الله تعالى ان الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد موتهم وقتلهم احياء عند ربهم يرزقون فحين وهذه صفة الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك أحق وأولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لاتأكل أجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى عليه وعليهم السلام وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم انه مامن مسلم عليه الاراد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل من جلته القطع بأن موت الانبياء إنما هو واجع الى انهم غيبوا عنا بحيث لا ندرهم وان كانوا موجودين احياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم احياء موجودون ولا نراهم واذا تقرر أنهم احياء فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض الا من شاء الله فاداً صعق غير الانبياء موت واما صعق الانبياء

فلا يظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه افاق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته «فأكون أول من يفيق» فبينما صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الاموسي فانه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقا لانه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى عليه السلام ولا يلزم من فضيلة واحدة فضيلة موسى عليه السلام على نبينا مطلقا لان الشيء الجزئي لا يوجب أمرا كليا انتهى قال أبو عبد الله القرطبي ان حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا اشكال وان حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة مراداً به أوائله فالمعنى اذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور قال المحقق ابن القيم وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم تردد هل افاق موسى قبله أو لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى لا أدري أصعق أم لم يصعق وقد قال في الحديث فأكون أول من يفيق وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق ولو كان المراد به الصعقة الاولى وهي صعقة الموت لكان قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أو لم يموت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم انها صعقة فزع لا صعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على ان الارواح تموت عند النفخة الاولى نعم تدل على موت الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ واما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على انه يموت مودة ثانية والله أعلم

﴿تمة﴾

﴿في مسائل مما نحن بصدده من أمر الروح﴾

(الاولى) اختلف في خلق الارواح هل كان قبل الاجساد أو تأخر عنها فلما ناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم ونهبرهما ومن ذهب الى تقدم خلق الارواح على الاجساد محمد بن نصر

المروزي وأبو محمد بن حزم بل حكاه ابن حزم إجماعاً واحتج من قال بذلك
 بعجيب منها قوله تعالى (وانمأ خلتنا كم تم صورنا كم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
 فسجدوا) وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة ان خلقنا مقدم على أمر
 الله الملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعاً ان أبداننا حادثة بعد ذلك فلم
 انها الارواح قالوا ويدل عليه قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
 ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وهذا الاستمطار والاشهاد
 لما كان لارواحنا اذ لم تكن الابدان حينئذ موجودة فني موثقاً الامام مالك ان
 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية (واذا أخذ ربك
 من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل
 عنها فقال «خلق الله آدم ثم مسح ظهره يمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء
 للبار وبعمل أهل البار يعملون وخلق هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون»
 فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله اذا خلق
 الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة
 ويدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل
 من أعمال أهل النار فيدخله به النار» قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم وروى
 الحاكم من حديث أبي هريرة عن فروعاً «ما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره
 كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين غني كل انسان
 منهم وبصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب فقال هؤلاء
 ذريتك فرأى رجلاً منهم أتعبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا فقال
 هذا ادك داود يكون في آخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة
 قال يا رب رده من عمري أربعين سنة فقال الله اذا يكتب فيختم فلا يبدل
 فلما انتصى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمري أربعون سنة فقال
 أولم نجعلها لآبائك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسي فكتبت ذريته وخطي
 فخطت ذريته» قال الحاكم هذا شرط مسلم ورواه الترمذي وقال هذا حديث
 حسن صحيح ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لما

نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول من جحد آدم عليه السلام» وزاد ابن سعد ثم أكمل الله لأدم ألف سنة ولد داود مائة سنة وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحهم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألا تستبرأ بهم قالوا إلى شهادتنا انقلوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين فلا تشر كوا بي شيئا فإني أرسل إليكم رسلا ينذركم عنكم عهدي وميثاقى واتزل عيكم كتبتي فقالوا نأشهد أنك ربنا وألهمنا لأزب لنا غيرك ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغي والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لوسويت بين عبادك فقال أي أحب أن أشكر ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله تعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) وهو قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وهو قوله (هذا نذير من النذر الأولى) وقوله (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم أفساقين) قال وكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها وهذا اسناد صحيح وأخرجه اسحق ابن راهويه ورواه محمد بن نصر المروزي من حديث عبد الله بن سلام وقد روي ذلك من وجوه متعددة عن جماعة من الصحابة متعددة وفيه أنه أخرجهم مثل الذر ومثل اللؤلؤ أيضا وروى اسحق ثنا روح بن عباد ثنا موسى بن عبيدة الزبيدي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه الآية اقروا له بالابن والمعرفة الأرواح قبل أن تخلق أجسادها قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء في هذه الآية قال أخرجوا من صلب آدم حين أخذ الميثاق ثم رددوا في صلبه وأخرج عن الضججاء قال إن الله أخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون إلى يوم القيامة فأخرجهم مثل الذر فقال ألا تستدبر بهم قالوا نلى قالت للملائكة شهدنا إن

يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة يمينه فقال هؤلاء في الجنة وقبض أخرى وقال هؤلاء في النار واحتجوا أيضا بما أخرجه الامام عبد الله بن منده من حديث عمرو بن عتبة رضي الله عنه مرفوعا ان الله خلق ارواح العباد قبل المباد بألفي عام فما نعارف منها اثناف وما تناكر منها اختلف وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا به حجج منها قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل ان جلسته مخلوقة بعد خلق الابوين وصرح منه قوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق أصله وأيضا خلق أبي البشر وأصلهم كان هكذا فان الله أرسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صورده ثم نفخ فيه الروح بعد ان صورده فلما دخلت الروح فيه صار لحما ودماء حيا ناطقا فني تفسير أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سمو الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في حذره وقال ما اعطاني الله هذا الالمزية لي وفي لفظ الالمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وذكر الانر الى ان قال فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فتألبت الارض اني أعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع مني ولم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فأعذنها فبعث ميكائيل فأعذت منه فأعذها فبعث ملك الموت فأعذت منه فقال وأنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أفقد أمره فأخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد فأخذ من نوبة حمراء وبيضاء وسوداء فذلك خرج بدو آدم مخلقين فسمد به قبل الرب حتى عاد ملينا لازبا واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (انني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

ساجدين) فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أما عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أر بعين سنة فرت به الملائكة ففرزوا منه لما رأوه وكان أشدهم فرعا منه ابليس فكان يمر به فيضر به فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول (من صلصال كالفخار) ويقول لا امر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه الروح فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه انتهى الطعام قبل ان بلغ الروح رجليه فبهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى (خلق الانسان من عجل) وذ كر باقي الحديث فالقرآن والحديث والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولا تعجبت من خلق النار في حديث ابن زيد «ان الله لما خالق النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولأى شيء خلقتها قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن لله خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق آدم بعد» الحديث فلو كانت الارواح مخلوقة يومئذ لما تعجبت الملائكة من خلق النار وقالت لأى شيء خلقتها وهي ترى أرواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث الصحيح الذي في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «ان خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أر بعين يوم انطفئة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح» فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل اليه الملك بالروح فيدخلها في بدنه وانما أرسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لانه تعالى أرسل اليه الروح التي كانت موجودة

قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك ففرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ في الروح وبين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك ونأمل ما دل عليه النص قال ابن القيم في كتابه الروح واختار ان خلق الجسد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابن حزم وغيره بما يطول ذكره وحاصل ما ذكر ان الذي استدلوا به من أخذ الله الميثاق على ذرية آدم والهد والاشهاد لا يدل على تقدم خلق الأرواح قبل الاجساد خلفنا مستترا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستطاقهم ثم ردهم الى أصلهم ان صح الخبر بذلك والذي صح انما هو القدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد واما استدلال أبي محمد بن حزم بقوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قالوا لعلنا نكسب) فلا نفي هذا الاستدلال بظاهريته لترتب الأمر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا والخطاب للجنة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم عليه السلام ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وقال مجاهد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهر آدم وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما يقال ضرب بناكم وانما ضربت سيدهم قال واما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بالني عام فلا يصح اسناده فان فيه عتبه بن السكن قال الدارقطني مترك وفيه أيضا ارطاه ابن المنذر بعض أحاديثه غلط والحاصل ان الذي ذهب اليه ابن القيم تبعاً لشيوخه وجوع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الأرواح وذهب محمد بن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم والامام اسحق بن راهويه الى تقدم خلق الأرواح والله التوفيق

فائدتان

(الاولى) روى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم نيمان - يعني عرقته - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فتشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبالا قال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا» قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه مشير الغرام الساكن الى أشرف

الاما كن هذا الجديث يدل على ان ذلك المكان أول وطن والنفس أبدا تنازع الى الوطن الاول

(الثانية) ذكر الامام أبو الفرج ابن الجوزي في الكتاب المذكور ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق كتب كتابا على النورية فألقمه هذا الحجر يعني الحجر الاسود فهو بشهد للمؤمن بالوفاء وعلى الكافر بالجحود قال وهذا مروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال العلماء ول هذه العلة يقول لامسه ايماننا بك ووفاء بهدك انتهى

المسئلة الثانية

من مسائل متعلقات الروح أين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة هل في السماء أم في الارض وهل هي في الجنة والنار أم لا وهل تودع في أجساد أم تكون مجردة فهذه من المسائل العظام قد تسلك فيها الناس واختلفوا في ذلك وهي انما تتلقى من السمع فقط ومع ذلك فقد اختلفت فيها أقوال العلماء وتباينت في معالها آراء الفضلاء فقال قوم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالقبول والرحمة لهم وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ومن نحا نحوهم وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها يأتمهم من روحها ونعيمها ورزقها وقالت طائفة الارواح على أفنية قبورها وقال الامام مالك بانني ان الروح مرسله تذهب حيث شاءت وقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة وقال أبو عبد الله بن منده قالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك قال وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجافية وأرواح الكفار ببربرهوت بحضر موت وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبد الله أبا اليان هل لانفس المؤمنين مجتمع فقال ان الارض التي يقول الله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر ان الارض برثها عبادي الصالحون) قال هي الارض التي تجتمع اليها أرواح المؤمنين حينئذ يكون البعث وقالوا هي الارض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا وقال

كعب ارواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سبعين في الارض السابعة تحت خدا بلس وقالت طائفة ارواح المؤمنين يثر زمزم وأرواح الكفار يثر برهوت وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وهذا مثل قول الامام مالك بل هو مستند له وقالت طائفة ارواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله وقال ابن حزم ومن وافقه مستقرا حيث كانت قبل خلق أجسادها بناء على مذهبه الذي اختاره وهو ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد وتقدم ما فيه قال الامام المحقق ابن القيم جمهور الناس على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك والحاصل ان مدار حججهم على أخبار غير صحيحة أو نصوص صحيحة ولكن دلالتها على ما زعموه غير صريحة وقوله مستقرا بعد مفارقة أبدانها في البرزخ الذي كانت فيه قبل خلق أجسادها مبني على ما ذكر من اعتقاده وان ارواح السعداء عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الاشقياء عن يساره وزعمه ان ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الاسلام والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة وأدلة القرآن تدل على ذلك وقد وافق ابن حزم الجمهور على أن ارواح الشهداء في الجنة ومعلوم ان الصديقين أفضل منهم فكيف تكون روح أبي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا العالم الأدنى تحت السماء الدنيا وتكون ارواح شهداء رمانا فوق العناصر وفوق السموات وما زعم أبي محمد بن حزم ان الامام اسحق ابن راهويه ذكر ما قاله وذهب اليه بعينه وقال وعلى هذا جميع أهل الاسلام باطل فان اسحق لم يقل ان مستقر الارواح عند انقطاع العناصر وانما قال محمد بن نصر المروزي في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية فقد ذكر الآثار التي ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم أخذ الميثاق

عليهم وردهم في صلبه وأنه أخرجهم مثل الذر وأنه قسمهم اذ ذاك الى شقي وسعيد وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال قال اسحق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم الآية ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح ما ذكر ابن حزم حيث منقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه أخرجها حينئذ فخطبها ثم ردها الى صاحب آدم وهذا وان كان قد قاله جماعة من السلف والخلف كما مر فالذي صححه ابن القيم والجمهور خلافه ولو سلم ان خلق الارواح قبل الاجساد لم يكن فيه دليل على ان مستقر الارواح حيث منقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقرها أولا وقالت طائفة مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها العدم المحض وهذا أيضا باطل لا يلتفت اليه فان صاحب هذا القول يزعم ان الروح عرض من أعراض البدن وهو الحياة وبه قال ابن الباقلاني ومن وافقه وكذا قال أبو الهذيل العلاف المعتزلي النفس عرض من الاعراض ولم يعينه انه الحياة كما عينه ابن الباقلاني بل قال الروح عرض كسائر أعراض الجسم وهو لا عندهم ان الجسم اذا مات عدت روحه فلا تعذب ولا تنعم وانما يعذب وينعم الجسد اذا شاء الله تعذيبه وتنعيمه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وتعذيبه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة وقال بعض أرباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب قال الامام ابن القيم وهذا قول يردده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقول والفطر قال وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره والله أعلم وقالت طائفة أخرى مستقر الارواح بعد الموت ابدان أخر غير هذه الابدان فهذا فيه حق وباطل فحتم ما أخبر به الصادق المصدوق عن أرواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تأوي الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كالا وكر للطائر وقد صرح بذلك في قوله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه وسلم «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا للروح

كالبُدن لما ويكون ذلك لِمُضِ الْمُؤْمِنِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الرُّوحُ
صُورَةً طَائِرٍ وَهَذَا اخْتِبَارُ ابْنِ حَزْمٍ وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ
نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَمْلِكُ يَعْنِي أَنَّهَا تَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّهَا تَمْسُخُ فِي صُورَةِ الطَّيْرِ قَالَ
ابْنُ حَزْمٍ وَأَمَّا الزِّيَادَةُ الَّتِي فِيهَا أَنَّهَا فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خُضْرٍ كَأَنَّهَا صِفَةُ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ
الَّتِي تَأْوِيهَا قَالَ وَالْحَدِيثَانِ مَعًا حَدِيثٌ وَاحِدٌ قَالَ الْمُحَقِّقُ ابْنُ الْقَيِّمِ وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ
فِي غَايَةِ الْفَسَادِ لَفْظًا وَمَعْنَى قَوْلِهِ حَدِيثٌ «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ تَمْلِكُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ»
غَيْرُ حَدِيثٍ أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خُضْرٍ وَالَّذِي ذَكَرَهُ يَحْتَمِلُ فِي الْأَوَّلِ
وَالثَّانِي فَلَا يَحْتَمِلُهُ بِرُجُوحِهِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا أَرْوَاحَهُمْ فِي حَوَاصِلِ
طَيْرٍ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خُضْرٍ وَفِي لَفْظٍ يَبْضُ وَإِنَّ تِلْكَ الطَّيْرَ تَسْرَحُ
فِي الْجَنَّةِ فَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا وَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ تَحْتَ
الْعَرْشِ هِيَ لَهَا كَالَاوْكَارِ لِلْمَلَائِكَةِ وَقَوْلُهُ أَنَّ حَوَاصِلَ تِلْكَ الطَّيْرِ هِيَ صِفَةُ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ
الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا خَطَأٌ قَطْعًا بَلْ تِلْكَ الْقَنَادِيلُ مَأْوَى لِتِلْكَ الطَّيْرِ فَهِيَ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ
مُشْرَحٌ بِهَا الْحَدِيثُ أَرْوَاحُ وَطَيْرٌ هِيَ فِي أَجْوَافِهَا وَقَنَادِيلُ مَأْوَى لِتِلْكَ الطَّيْرِ وَالْقَنَادِيلُ
مُسْتَقَرَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ لَا تَسْرَحُ وَالطَّيْرُ تَسْرَحُ وَتَذْهَبُ وَتَجِيءُ وَالْأَرْوَاحُ فِي أَجْوَافِهَا
فَإِنْ قِيلَ يَحْتَمِلُ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَهَا فِي صُورَةِ طَيْرٍ لِأَنَّهَا تَرْكَبُ فِي بَدَنِ طَيْرٍ كَمَا قَالَ
تَعَالَى (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَاشَاءُ رَكِبَكَ) وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْلَفْظِ الْآخَرِ أَرْوَاحَهُمْ كَطَيْرٍ
خُضْرٍ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْأَشْبَهُ عِنْدِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ
يَكُونُ الْقَوْلُ قَوْلَ مَنْ قَالَ كَطَيْرٍ أَوْ صُورَةِ طَيْرٍ لِمَطْلَبَتِهِ لِحَدِيثِ نَسَمَةِ الْمُؤْمِنِ وَقَدْ
أَجَابَ الْمُحَقِّقُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ رَوَى بِهِذَيْنِ الْأَفْظِلَيْنِ وَالَّذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ
مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ مَسْرُوقٍ «أَرْوَاحُهُمْ فِي جُوفِ طَيْرِ خُضْرٍ» وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ
وَكُتُبُ بَنِي مَالِكٍ فَلَمْ يَخْتَلَفْ حَدِيثُهُمَا فِي أَنَّهَا فِي أَجْوَافِ طَيْرِ خُضْرٍ قَالَ الْمُحَقِّقُ
لَا يَجُوزُ فِي هَذَا وَلَا يَمْلِكُ بِقَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ وَلَا يَخَالَفُ نَصًّا مِنْ كِتَابِ
إِلَهِهِ وَلَا سُنَّةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَلْ هَذَا مِنْ تَمَامِ أَكْرَامِ اللَّهِ لِلشُّهَدَاءِ أَنْ أَعَاظِهِمْ مِنْ
أَبْدَانِهِمُ الَّتِي مَزَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَبْدَانًا أُخْرَى خَيْرَ أَعْيُنِهَا تَكُونُ مَرْكَبًا لَأَرْوَاحِهِمْ لِيَحْصُلَ
بِهَا كَمَالُ تَعَمُّدِهِمْ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رُدُّ أَرْوَاحِهِمْ إِلَى تِلْكَ الْأَبْدَانِ الَّتِي كَانَتْ

فيها في الدنيا فان قيل هذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في ابدان غير ابدانها التي كانت فيها فالجواب هذا معنى دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسي له تناسخا لظاثره مما دل عليه النقل ولم يحله العقل من صفات الله تعالى وحقائق اسمائه الحسنی حق لا يبطله تسمية المعطيين لها تركيبا وتجسيدا قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا نزيل عن الله عز وجل صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين فان هذا شأن أهل البدع يلقبون أهل السنة وأقوالهم باللقاب التي ينفرون عنها الجهال ويسمونهم أحشوا وتركيبا وتجسيدا يسون عرش الرب تبارك وتعالى حيزاً وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفي استوائه وعلوه على خلقه وكما تسمي الرافضة موالاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصيباً وأمثال ذلك والمقصود ان ما دلت عليه السنة الصريحة من جعل ارواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخا لا يبطال هذا المعنى

واما ما اشتمل عليه من الباطل فالتناسخ الباطل الذي يقوله اعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين يشكرون المادويزعمون ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها وتساكلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى ابدان تلك الحيوانات فتتم فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل في ابدان آخر تناسب أعمالها وأخلاقها وهلم جرا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معادها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل والانبياء من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر فهذه الطائفة تقول أن مستقر الارواح بعد مفارقة ابدانها الاصلية ابدان الحيوانات التي تناسبها وهو أبطل قول واخبث

ويليه قول من يزعم ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم يقع على اجزاء الجسد أو على جزء منه ما عجب الذنب وغيره فيخاق الله فيه الالم واللذة اما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض أو باب هذا القول أو بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهو لا عندهم لا عذاب في البرزخ الاعلى الاجساد

ويقابله من يقول ان الروح لا تماد الى الجسد بوجه ولا تحصل به والعذاب والميم
على الروح فقط والصحيح خلاف هؤلاء وهؤلاء. قالسة الصحيحة المتواترة تبين
ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين

واما قول من قال ان ارواح المؤمنين تجمع بين زمزم فلا دليل على هذا من كتاب ولا
سنة يجب التسليم لها ولا قول صحابي يجب ان يوثق به واما قول من قال ان ارواح المؤمنين
بالجاية وأرواح الكفار يثر برهوت محضرموت فقال ابن حزم هذا من قول الرافضة قال
الامام المحقق وليس كما قال بل قاله جماعة من أهل السنة قال الحافظ أبو عبد الله
ابن منده روي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجاية ثم
روي بسنده عن سعيد بن السيب عن عبد الله بن عمرو انه قال ارواح المؤمنين
تجتمع بالجاية وان ارواح الكفار تجتمع في سبخة محضرموت يقال لها برهوت ثم
روي بسنده عن شهر بن حوشب أن كعباً رأى عبد الله بن عمرو وقد نكأ الناس
عليه يسألونه فقال له رجل سله أين اروا المؤمنين وأرواح الكفار فسأله فقال
أرواح المؤمنين بالجاية وأرواح الكفار يبرهوت قال ابن منده ورواه أبو داود
وغیره ثم ساق بسنده عن أبي الطفيل عن علي بن خنيس بن خنيس بن خنيس بن خنيس
في الارض برهوت يثر في حضرموت وخير واد في الارض وادي مكة والوادي
الذي أهبط فيه آدم في الهدم منه طيكم وشر وادي الارض الاحقاف وهو في حضرموت
ترده أرواح الكفار وروي عن ابن عباس عن علي رضي الله عنهم قال أبغض بقعة في
الارض واد محضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه يثر ماؤها بالنهار اسود
كأنه قيح تأوي اليه الهوام ثم ساق ابن منده من طريق ابن اسحق القاضي حدثنا علي
ابن عيسى الله ثنا سفيان ثنا أبان بن ثعلب قال قال رجل بت فيه يعني وادي
برهوت فكانما حسرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يادومه يادومه قال أبان
فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومه هو الملك الذي على أرواح الكفار قال
سفيان وسألا المحضرمين فقالوا لا يستطيع أحد بيت فيه بالليل

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح فهذه جملة ما علمته في هذا القول فان
أراد عبد الله بن عمرو بالجاية التمثيل والتشبيه وأنها تجتمع في مكان فسيح بشبه الجاية

اسعته وطيب هواه فهذا قريب وان اراد نفس الجايية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب والله التوفيق

وأما قول من قال أمهات مجتمع في الارض التي قال الله فيها (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) فهذا ان كان قوله تفسير الآية فليس هو تفسيرها لها وقد اختلف الناس في الارض المذكورة في الآية الكريمة فقال سعيد بن جبر عن ابن عباس رضي الله عنهما هي أرض الجنة وهذا قول أكثر المفسرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قول آخر أنهم الدنيا التي فتحها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال المحقق وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى في سورة النور (وعند الله الذين آمنوا وما كنتم تعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمي مازوي لي منها» وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك في الآية أرض بيت المقدس وهي من الارض التي أورثها عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها وأما قول سلمان الفارسي رضي الله عنه ومن واقفه ان أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان أراد أنها في أرض الدنيا والآخرة مرسله هناك حيث شاءت قال المحقق هذا قول قوي فإنها قد فارتقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما فهي في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وأما أرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال الله تعالى (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)

وأما من قال أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الارض السابعة فهذا قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته «اللهم الرفق الأعلى» وحاصل هذا ان أرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم وما نزل اليه

وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الكفار عن يساره قال المحقق ان التيم هذا قول يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسرى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث «فاذا رجع قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره

اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسف بنده فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار قال انسطازي في المواهب الاسودة بوزن أزمئة هي الاشخاص والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحين جمع نسف وهي الروح قال القاضي عباس جاء ان ارواح الكفار في سبعين وارث ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعنى فكيف تكون مجتمة في سماء الدنيا فأجاب بأن يحمل انها تعرض على آدم أحيانا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على كون ارواح الكفار في النار في أوقات دون أوقات قوله تعالى (الا يعرضون عليها غدوا وعشيا) واعترض بأن ارواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما أبداه احتمالا ان الجنة كانت من جهة يمين آدم والنار في جهة شماله فكان يكثف له عنها ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتح لها أبواب السماء ولا تلجأ قال وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار « فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن » قال الما فظان حجر وهذا لوصح المكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم واكن سنده ضعيف انتهى وقال المحقق ابن القيم في الروح لا تدل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم كذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في الملأ والسعة وهؤلاء عن يساره في السفلى والسجن وقال ابن حزم ان ذلك البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به عند سماء الدنيا ذلك عقد منقطع العناصر قال هذا يدل على انها عند تحت السماء حيث تقطع العناصر وهي الماء والهواء والتراب والنار قال ابن القيم وهو يعنى ابن حزم دائما يشفع على من قال قولاً لا دليل عليه فأبي دليل له على هذا القول من كتاب أوسنة

قال المحقق اذا كانت ارواح أهل السعادة عن يمين آدم في سماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش فوق السماء السابعة فكيف نكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب عن ذلك من وجوه (أحدها) انه لا يمتنع كونها عن

يمينه في جهة العلوكا ان ارواح الاشقياء عن يساره في جهة السفلى (الثاني) انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك (الثالث) لم يخبر انه رأى ارواح السعداء جميعاً هناك بل قل فاذا عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة ومعلوم قطعاً ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى ارواحهم فوق ذلك واوراح السعداء بعضها اعلا من بعض بحسب منازلهم كما ان ارواح الاشقياء بعضهم أسفل من بعض بحسب منازلهم والله أعلم

قال الامام المحقق ابن القيم فان قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الارواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى يعتد فأجاب بان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت (فمنها) ارواح في عليين في الملاء الأعلى وهي ارواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء (ومنها) ارواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهم ارواح بعض الشهداء لاجميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في مسند الامام أحمد عن محمد بن عبد الله بن جهمش ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالي ان قلت في سبيل الله قال: الجنة: فلما ولى قال «الا الدين سارني به جبريل آنفاً» (ومنهم) من يكون محبوباً على باب الجنة كما في حديث آخر رأيت صاحبكم محبوباً على باب الجنة (ومنهم) من يكون محبوباً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره» (ومنهم) من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما «الشهداء على بارق مهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه الامام أحمد وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه بمجنحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (ومنهم) من يكون محبوباً في الارض لم تل روحه الى الملاء الاعلى فانها كانت روحاً سفلية أرضية فان الأنفس

الأرضية لاتجتمع الانفس السماوية كما لاتجتمعها في الدنيا والنفس التي لم تكنسب في الدنيا معرفة ربها ومحبتة وذكرة والانس به والتقرب اليه بل هي أرضية سفلية لانكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله تعالى وذكرة والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يروح النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما في حديث ويجعل روحه يعني المؤمن مع النسم الطيب أي الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلتحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها تكون معهم هناك (ومنها) أرواح تكون في تنوير الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلثم الحجارة فليس للارواح شقيها وسعيدا مستقر واحد بل روح في أعلا عليين وروح أرضية سفلية لانفصل من الارض

ومن تأمل السنن والآثار في هذا الباب وكان له فضل اعتناء عرف صحة ذلك فكل الآثار الصحيحة حتى وصدق يصدق بعضها بعضا لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل ببناء القبر وبالبدن فيه وهي أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا وتنقسم الى مرسلات ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والدموع عذاب أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهناك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة وهناك اللذة والراحة والنعيم والاطلاق (ثم قال المحقق ابن القيم) وما أشبه حالها بهذا البدن بحال البدن في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها (الدار الاولى) بطن أمه وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات اثلاث (الدار الثانية) هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت الخير أو الشر وأسباب المعادة والشقاوة فيها (الدار الثالثة) دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى (الدار الرابعة) دار القرار وهي الجنة أو النار

فلا دار بعدها والله تعالى ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصاح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل اليها ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشؤها ومعبدها ومشتقها وبالله التوفيق

﴿ المسألة الثالثة ﴾

من المسائل المتعلقة بالروح هل تتلاقى ارواح الموتى وتزاور وتنداكرو وتتلاقى ارواح الاحياء والأموات أيضا وهذا يعلم مما مر من حيث الجملة لان الارواح قسمان معذبة ومنعمة فالمعذبة في شغل شاغل لها بما هي فيه من العذاب عن الزاور والتلاقي واما الارواح المنعمة المرسله غير المحبوسة فهذه تتلاقى وتزاور وتنداكرو ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح رفيقها الذي على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلا قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) قال الامام ابن القيم وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة وقد توارت المراتي بتلاقي الارواح بعضها مع بعض قال الامام عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت ما فعل الله بك قال لقبت محمدا وحزبه وقد جاءت سنة صحيحة بتلاقي الارواح وتعارفها فروى بن أبي الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل بتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر» فكان لا يهلك هالك من بني سلمة الا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فنقول اقرأ على بشر السلام وذكر ابن أبي الدنيا أيضا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال أهل القبور يتوكلون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول صالح فلان يقول صالح ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم أما قدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه راجعون

سلك به غير سبيلها وقال عبيد بن عمير أيضا اذا مات الميت تلفته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الرك مافعل فلان مافعل فلان فاذا قال توفي ولم يأنهم قولوا ذهب به الى أمه الهاوية وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل العائب وقال عبيد بن عمير لو اني آيس من لقاء من مات من أهلي لالغاني قد مت كذا وكذا معاوية بن يحيى عن عبدالله بن سلمة ان أبا هريرة السلمي حدثه ان أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يلتقي الشير في الدنيا فيقول أنظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلي قالوا اما الله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المرية ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط وقال ان أعمالكم ترد على أقداركم وعشائرکم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأنتم نعمتك عليه وأمه عليها يعرض عليهم عمل المسي فيقولون اللهم ألهمه عملا صالحا ترضى به وتقر به اليك وأخرج ابن ماجة عن محمد بن المسكود قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت فقلت اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روجي المؤمنين للثقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور قال حدثنا محمد بن الحسين ثنا يحيى بن اسطلا (١) ثنا مسعم بن رجل من آل عاصم الجعدي قال رأيت عاصما الجعدي في ما بين يدي موتة بسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فأين أنت قال اما والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى أبي بكر (٢) بن عبد الله المزني فتلقى أخباركم قال

(١) الصواب « بسطام الأصغر » كما في ص ٥ من كتاب الروح (٢) الصواب « بكر » كما في كتاب الروح أيضا اهـ مصححه

قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيئات بليت الاجسام واتما تلاقى الارواح والمراني وان لم تصالح بمجرد ما لا ثبات أحكام فضلا عن اثبات اعتقاد لکنوعا على كثرتها وانما لا يخصصها الا الله تعالى ونواظرها مما يستأنس بها وقد قال صلى الله عليه وسلم «أرى رؤياكم قد تواطئت على انها - يعني ليلة القدر - في العشر الاخير» فلما تواطأت رؤيا المؤمنين على تلاقي الارواح وتعارفها كان ذلك مما يستأنس به ويصلح للاستشهاد به على انا لم تثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الاخبار عن النبي المختار من تلاقي أرواح الموتى بعضهم لبعض وتلاقي أرواح الاحياء لارواح الموتى أيضا ثم ان الحس والواقع من أعدل الشهود وقد قال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) روى أبو عبد الله بن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال بلغني أن أرواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فيمسكهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها وكذا أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال يتوفاها في منامها فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتمارfan قال فترجع روح الحي الى جسده في الدنيا الى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتجسس وهذا أحد القولين في تفسير الآية وهو ان الممسكة من توفيت وفاة الموت أولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنى على هذا انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها الى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى والقول الثاني في الآية ان الممسكة والمرسلة كلاهما توفي وفاة النوم فن استكمل أجلها أمسكها عنده فلا يردّها الى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها الى جسدها استكملها وهو الذي اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية ومال تلميذه المحقق الى ترجيح الاول ثم قال والتجقيق أن الآية تتناول النوعين فانه تعالى ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم انه تعالى يمسك نفوس كل ميت سواء مات في النوم أو في اليقظة ويرسل نفس من لم يموت وقد قال سعيد بن المسيب التقي

عبد الله بن سلام وسلمان المازني رضي الله عنهما فقال أحدهما للآخر مات قبلي
فولتني وأخبرني ما تقببت من ربك وإن أنا مات قبلك لنتيتك وخبرتك فقال لا آخر
وهل ياتني الآوات والأحيا قال نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت قال
فأت فلان فلقني في المام فقال له توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط وقال العباس
بن عبد المطلب رضي الله عنه كنت اشتبه أن أرى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في المنام فما رأيته إلا عند قريب الحول فرأيت به مسح العرق عن جبينه وهو
يقول هذا وإن فراغي أن كان عرشي ليهزلوا أني لقيت رؤفا رجبا ولما حضرت
شارح (١) بن عابد الجاني الوفاة دخل عليه عصف (٢) بن الحارث وهو يجود بنفسه
فقال له يا أبا الحجاج إن قدرت على أن تأتي بمداوات فتخبرني بما ترى فافعل قال
وكانت كلته مقبولة في أهل الفتة فكث زمانا لا يراه ثم رآه في منامه فقال له أليس
قدمت قال بلى قال فكيف حالك قال تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا إلا واحد
قلت وما الخواص (٣) قال الذين يشار إليهم بالأصابع (٤) وقال قبيصة بن عتبة وأبوت
سفيان الثوري في المنام بدموته قتلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي هنيئا وضائي عنك يا ابن عميد
لقد كنت قواما إذا الليل قد دجا بعدمة تحزوت وقلب عميد
فدولك فاحترأي قصر تر يده وزرني فاني منك غير بعيد

وهذا باب طويل جدا فإن لم تسمح فضك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير
مقصودة فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فاخبره بأمر لا يملكه إلا
صاحب الروبا وأخبره بما لدفعه هو أو غيره أو حذره من أمر يقع أو بشره بأمر

(١) قوله «شارح» الذي في كتاب الروح «شريح» (٢) عصف ضبته
في كتاب الروح غضيف بالمعجبين وهو الصواب وضطه بعضهم بالطاء وقد
اختلفوا في كونه صحابياً أو تابعياً وقيل هما اثنان ولا محل لتحقيق ذلك هنا (٣)
قوله «الخواص الخ» والعبارة في كتاب الروح هكذا «فلم يهلك منا إلا الخواص»
قلت وما الخواص «والحرص من أسماء الجبل قلله استمارة للشجرة» (٤) قوله
بالأصابع تمتعني في كتاب الروح «في الشيء» اهـ صححه

يوجد فوجد كما قال أو أخبره بأنه يموت هو أو بهض أهله إلى كذا وكذا فيقع
كما أخبر أو أخبره بخصب أو عذب أو عدو أو نازلة أو مرض له فوقع كما أخبر
والواقع أن ذلك لا يخصه إلا الله تعالى والناس مشركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا
من ذلك عجائب وبه يعلم بطلان قول من زعم أن هذه كلها علوم وعقائد سيفي
النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم فهذا عين
الباطل والمحال فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت
ولا خطر يبالها ولا عندها علامة عليها ولا أمانة بوجه ما كما قاله الامام الحق
ابن القيم في الروح

قال ونحن لا نتكر أن الأمر قد يقع كذلك وإن من الرؤيا ما يكون من
حديث النفس وصور الاعتقاد بل أكثر مرآتي الناس إنما هي من مجرد صور
اعتقادهم المطابق وغير المطابق فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع رؤيا من الله ورؤيا من
الشیطان ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصحيحة أقسام (منها) إلهام يليق الله
سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن
الصامت رضي الله عنه وغيره (ومنها) مثل خبره له ملك الرؤيا الموكلة بها (ومنها) التقاء روح
النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكره (ومنها) خروج روحه
إلى الله سبحانه وخطابها له (ومنها) دخول روحه إلى الجنة ومشاهدها وغير ذلك
فالتقاء أرواح الأحياء بأرواح الموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند
الناس من جنس المحسوسات وهذا موضع اضطربت فيه الناس فمن قائل أن العلوم
كلها كامنة في النفس وإنما اشتغالها به الم حس يحجب عنها مطالعتها فإذا تجردت
بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت اكمل كانت علومها
ومعارفها هناك أكمل قال الحق ابن القيم في كتاب الروح وهذا فيه حق وباطل
فلا يرد كله ولا يقبل كله فإن تجرد النفس يطعمها على علوم ومعارف لا تحصل بدون
التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطالع على علم الله الذي بعث فيه رسوله ولا
على تفاصيل مما أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل الامماد واشراط
الساعة وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم

الا بالوحي ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معسده أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنعقة في الشواغل البدنية ومن قال من الناس ان هذه المراتي علوم يخلقها الله تعالى في النفس ابتداء بلا سبب فلي نهج قول منكر الاسباب والحكم واتموى قول الحق وهو قول يخالف لشرع والعقل والمنطق ومن قال (١) ان الروايات امثال مضروبة يفرها الله للعبد بحسب استعداده والله على يد ملك الروايات فرة يكون مثلاً مضروباً ومرة يكون خمس حاراة المراتي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه وهذا أقرب من القولين قبله ولكن الروايات ليست مقدورة عليه بل لها اسباب أخرى كما تقدم من ملاقات الارواح وإخبار بعضها ببعض ومن إلقاء الملك الذي في القلب والروح ومن رؤية الروح للاشياء مكافحة بلا واسطة

وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله بن عتده في كتابه (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لقي عمر بن الخطاب علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال له يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث أسألك عنهن فهل عندك منهن علم فقال علي بن أبي طالب وما هن قال الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً فقال علي نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الارواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام فانه ارف منها اثلث وماتنا كرمها اختلف» فقال عمر «واحدة» قال عمر والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فينبأ هو ومن نسيه (٢) اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما في القلوب قلب الا وله سعادة كسعادة الامر يدا التمر يرضى اذ تخلته (٣) سحابة فأظلم اذا انجلت (٤) فأضاء وينا القلب يتحدث اذ تخلته سحابة فتضي اذ انجلت عنه فيذكر» قال عمر «اثنتان» قال والرجل يرى الروايات فيها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من عبد ينام يتملى نوما الا عرج بروحه الى المرش فالذي لا يستيقظ دون المرش فذلك الروايات التي تصدق والذي يستيقظ دون

(١) كذا في الاصل والعمود «ومن قائل» (٢) المبارقة في كتاب الروح هكذا «فينبأ هو وما سية» (٣) في كتاب الروح «تجلته» (٤) في كتاب الروح «تجلت» في الموضعين ومعناها واحد

العرش نهي التي تكذب « فقال عمر رضي الله عنه : ثلاث كنت في طلبهن فالجد
الله الذي أصبتهن قبل الموت : وروى أن عمر بن الخطاب قال عجبت لرويا الرجل
يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كخذ يسد ويرى الشيء فلا يكون شيئا
فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين يقول الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى
أجل مسمى) قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في السماء فهو الحق
فاذا ردت الى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبها فيما رأت من ذلك
فهو الباطل قال فجعل عمر رضي الله عنه يتعجب من قول علي رضي الله عنه قال الحافظ
ابن منده هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروى عن أبي الدرداء وروى
ابن منده عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال «ان الارواح جنود مجندة تتلاقى
فتشام كما تشام الخيل فا تعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف » قال الامام ابن
القيم ولم تزل الناس قد بما وحديثا تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العذري
أظلم نهارى مستهما وتلتقي مع الليل روجي في المنام وروحها

فان قيل فالنائم يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة
و يكون المرء يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف اتقت روحهما فالجواب عن
هذا إما ان يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرويا للنائم أو يكون حديث نفس من
الرائي تجرد له في منامه قال حبيب بن أوس

سقى لطيفك من زور اناك به حديث نفسك عنه وهو مشغول

والمقصود أن ارواح الاحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى ارواح الاحياء والاموات
قال بعض السلف أن الارواح تتلاقى في الهواء فتعارف وتنادى كرا فيأنيها ملك
الرويا بما هو لاقيا من خير أو شر قل وقد وكل الله تعالى بالرويا الصادقة
ملكها عليه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومنقلبها في دينها ودنياها وطبعها
ومعارفها لا يشبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم
الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير أو شر في دينه ودنياه ويضرب
له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشيره بخير قدومه أو يقدمه ويثذره

من معصية ارتكبها أو هم بها وبمحذره من مكروه انعمت أسبابه ليعارض تلك
الاسباب بأسباب تدفعها وتغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله تعالى في
الرويا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتحريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاقي
الارواح ونذاكرها وتعارفها وهم ممن كانت تودته وصلاحه وزهده واقباله على
الآخرة عن مام رآه أو روي له وهم ممن استغنى وأصاب كنزا أو دفيناعن منام وهذا
عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم دل في المام على زمزم وأصاب الكنز الذي
كان هناك وفي مثل ذلك حكايات كثيرة وبالله التوفيق

﴿ فكل ما عن سيد الخلق ورد من أمر هذا الباب حتى لا يرد ﴾

﴿ فكل ما ﴾ أي شيء أو الذي ﴿ عن سيد الخلق ﴾ ورسول الحق نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قال في المطلع السيد الذي يفوق في الخبر قومه قال الزجاج
وقيل النقي وقيل الحليم وقيل الذي لا يثلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا صلى الله
عليه وسلم وقال في القاموس سيد القوم أجلمهم وهو صلى الله عليه وسلم أجل خلق
الله وأعظم خلق الله وأكرم خلق الله وأكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم قال الامام
المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اختاف الناس في جواز اطلاق السيد علي
النشر فمنهم قوم ونقل عن الامام مالك واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم لما قيل
له يا سيدنا قال «أنا السيد الله» وجيزه قوم واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم
للانصار «قوموا الى سيدكم» وهذا أصلح من الحديث الاول قلت وكذا حديث «ان
ابني هذا يعني الحسن - سيد» وحديث «اناسيد ولد آدم ولاخبره» وغير ذلك مما
لا يحصى الا بكلفة قال في البدائع السيد أحد ما يضاف اليه فلا يقال التبعي انه سيد كئدة
ولا يقال الملك انه سيد البشر قيل وعلى هذا لا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم
قال في البدائع وفي هذا نظر فان السيد اذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى
والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق ﴿ورد﴾ بالاسانيد المقبولة ودونه أهل العلم
في الكتب المنقولة المشهورة ﴿من أمر﴾ أي من أمور ﴿هذا الباب﴾ الذي مناهه
السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك ﴿حق﴾ يجب اعتقاده
ولا يأنبه لانه صحت به القول ولم يرد به القول وان عجزت العقول عن ادراكه

فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها والفرق بينهما بين لا يخفى على ذي تبصر (لا برد) من ذلك شيء لثبوتة عن المعصوم وصحته عن رسول الحي القيوم فن تصدى لرد شيء من هذا الباب فقد اخطأ الصواب وضل وخاب وكان من أهل البدع والارثياب فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جعلهم الله وسائل بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعهم بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه فالاصل الاول اثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها الله تعالى على عباده والامثال التي ضربها لهم والاصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة وبيان ما يحبه ويكرهه والاصل الثالث يتضمن الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدة له في وجوب الاعتصام بالرسالة: على هذه الاصول الثلاثة مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمرضى الذي يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعذب به عدم الطبيب موت الابدان واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه وموت لا ترجى الحياة معه أبدا وشقي شقاوة لا سعادة معها أبدا فلا فلاح الا بتابع الرسول والايمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ما ورد عن سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه حق لا يرد أشرط الساعة وعلاماتها ولهذا قال

فصل في اشراتها

في اشرات الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ونجبتها

قال تعالى (اقتربت الساعة) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) وقال (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات في ذلك كثيرة واما الأحاديث فلا تكاد تحصى فان قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قدمضي قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عاما فالجواب أن الاجل اذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقتراب أجل ولا ريب أن الاجل الدنيا قدمضي أكثره وبقي أقله ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغداة الذي بعد يومك فقال (ولتنتظر نفس ما قدمت لغد) وقال تعالى (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعا «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل أحدهما على الاخرى وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال وأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصصبه هكذا بالوسطى والتي نلي الابهام «بعثت والساعة كهاتين» وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «انما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر الى مغرب الشمس» وفي لفظ سائما بقاؤكم فباسلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس»

ولا كان أمر الساعة شديدا وهو لها مزيدا وأمرها بعيدا كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان اشراتها واماراتها وأخبر عما بين يدها من الفتن البعيدة والقريبة ونهأمتهم وحذرهم ليتأهبوا لذلك العقبة الشديدة

ثم اعلم ان وقت مجيء الساعة مما افرد الله بعله وانما أخفاه تعالى لانه أصلح للمبادئ لا يتباطأوا عن التأهب والاستعداد كما ان اخفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ونجبتها واستدلوا بأحاديث

غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه الكشف وذكر هو تقريرا أنها تقوم على رأس الخمائة بعد الألف أو أزيد قال الشيخ العلامة مرعي في (بهجة الناظرين وهذا أيضا مردود لان كل من تكلم بشي من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان

ثم أعلم ان اشراط الساعة وأماراتها تنقسم الى ثلاثة أقسام قسم ظهر واقتضى وهي الامارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينتقض بل لا يزال في زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الامارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وانما تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها (فالاولى) أعني التي ظهرت ومضت واقتضت (منها) بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اوموته وفتح بيت المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة أول الفتن قتل عثمان (ومنها) وقعة الجمل (ومنها) وقعة صفين فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قد لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواها وأحدية (ومنها) واقعة النهروان فأخرج بن جرير عن محمد بن مسلم قال أتينا أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه فقلت يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاوم المسلمين فقتل ان رسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل ان شاء الله المارقين وفي رواية عنه عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم يعني في وقعة الجمل وذلك لان طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا ببيعة علي رضي الله عنه وعهد الينا ان نقاتل معه القاسطين يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لانهم ظلموا عليا ونازعوه أمرا هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق الى الباطل وعهد الينا ان نقاتل معه المارقين وأراد بهم الخوارج فانهم مرقوا من الدين وفي الخوارج أحاديث كثيرة جدا في الصحيحين وغيرها (ومنها) نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الامام أبي محمد الحسن بن علي وأخى الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان ابني هذا سيد وسيصالح الله به بين فئتين عظيمتين

من المسلمين» العديث شهد جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم (ومنها) ملك في أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الأذى كقتل الحسين يده ماسم الحزن وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقنصل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق (ومنها) ملك نبي العباس وما جرى في أيامهم من المحن والباس (ومنها) نادر الحجازاني أضافت منها اعاقق الأبل بمصرى (ومنها) ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك وإظهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام وضوان الله عليهم وقد أخرج الإمام أحمد أبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما من فرعا «يكون في آخر الزمان قوم يسبون الرافضة برفض الإسلام فإذا رأيتهم فاقتلهم فأنهم مشركون» ونظط الطبراني باستاد حسن عنه كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده علي قتال النبي صلى الله عليه وسلم «سيكون من أمي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم يهزبون الرافضة فاقتلهم فأنهم مشركون» (ومنها) خروج كذاين دجالين كل منهما يدعي أنه نبي (ومنها) زوال ملك العرب رواه الترمذي ومنها كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما (ومنها) كثرة الزلازل والمسخ والغذف وغير ذلك ما أخره عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أمارات الساعة فظهر وهضى وأنفى

في الثانية

الامارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكثر وهي كثيرة جدا (منها) قوله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدين» لكعب ابن لكع» رواه الإمام أحمد والترمذي والفضيلة المقدسي من حديث حمزة بن رضى الله عنه والشيخ العبد والأحق والتميم والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون الثنام والخمى ونحوم رؤساء الناس (ومن الامارات) قوله صلى الله عليه وسلم «يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالنابض على الجمر» رواه الترمذي عن أنس وقوله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضي الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم

يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة - وفي لفظ - فاق - رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس (ومنها) أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقتل لليلتين لا تتفاخه وكبره روى معناه الطبراني عن ابن مسعود وفي لفظ «من أشرط الساعة انتفاخ الأهلة» بالخاء الممجمة أي عظمها وروى بالجيم (ومنها) اتخذ المساجد طرقاً (ومنها) ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة إذا رأيتم الناس اماتوا الصلاة واضاعوا الامانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفروا بالدماء واستملوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الارحام ويكون الحكم ضعفاً والكذب صدقاً والحريز لباساً وظهر الجور وكثر الطلاق وموت النجاة وأمن الخائن وخون الأمين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطرقين والولد غيظاً وفاض اللثام فيضا وغاض الكرام غيضا وكان لأمرء والوزراء والأمناء خونه والعرفاء ظلمة والقراء فسقة إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم انثن من الجيفة وأمر من الصبر ينشيه الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة وتظهر الصفراء وتطلب البضاء يعني الذنب والفضة وتكثر الخطباء ويقبل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطوات المنابر وخربت القلوب وشربت الخمر وعطلت الحدود وولدت الامة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحاف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا - وهو بضم الدال الميملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه اذا أخص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال التي ومنعوها مستحقها كما في النهاية - والامانة مغنا والزكاة مغرما وكان زعيم القوم اردلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه ويرصديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيان والمعازف وشربت الخمر في الطرق واتخذ الظالم فخرا وبيع الحكم وكثرت الشرط. واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفاً - أي بأن تجعل على السروج كما يفعل امرء زماننا - ولعن آخر هذه الأمة أهلها فليترقبوا عند ذلك رجحا حمراء وخسفاً ومسغوا وقدفا وآيات» (ومنها) مارواه الامام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم

عن سلمان موقوفا والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعا «إذا ظهر القول وحزن العمل وانتلفت الالسن واختلفت القلوب وقلع كل ذي رحم وجهه فنسد ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» (ومنها) ما أخرجه الامام أحمد أيضاً والحاكم وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعا «إذا كانت الفاحشة في كباركم وانما لك في صغاركم والعلم في مرداكم والمداعنة في خياركم» يعني فتقرب اقامة الساعة وأخبار من هذه كثيرة جدا ذكرت منها طرقا صالحا في كتابي البحور الزاهرة في علوم الآخرة (منها) ما في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه انه قال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجذبكم به أحد غيروي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقتل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد» وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه يحدث وقال بعض القوم سمع ما قال فكروه ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه: قال أين السائل عن الساعة؟ فقال ها انا يا رسول الله قال «فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة» قال كيف اضاعها قال «اذرسد الامر الى غير أهلها فانتظر الساعة» والله أعلم

﴿الاشراط والامارات﴾

(الثالثة) العلامات العظام والاشراط الجسام التي تعقبها الساعة وهي المقصود في اللفظ والتي تكلم عليها أهل العلم واليهما الاشارة بقوله ﴿وما أتى في النص من اشراط فكله حق بلا شطاط﴾
 ﴿وما﴾ أي وما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا بد من رده الذي ﴿أتى﴾ أي ورد وجاء ﴿في النص﴾ القرآن في أو الحديث النبوي ﴿من اشراط﴾ الساعة ياقسامها الثلاثة مما ذكرنا وما لم نذكر والمراد بالساعة يوم القيامة ويصعب

الساعة لقربها أولانها تأتي بقشة في ساعة أولان بمثل الموتى من قبورهم يكون في أسرع من اللمحة أولان فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة وروى عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة وتقدم أن الاشرائط جمع شرط وانها أماراتها وعلا مآها ﴿ فكله ﴾ أي الذي أتى في النص من اشرائط الساعة وفي نسخة كلها أي الاشرائط ﴿ حق ﴾ واقع ويقين ليس له مدافع ﴿ بلا شطاط ﴾ كسحاب وكتاب أي من غير طول وبعد يقال رجل شاط بين الشطاط والشطاطة والشطاط وهو البعيد ما بين الطرفين وقرئ (ولاشطاط) ولا تشاطط أي لا تبعد عن الحق والمعنى أن الذي جاء في النص من اشرائط الساعة حق كله لا بعد فيه ولا عقل ينافيه ثم أخذ في تعداد تلك الاشرائط فقال

﴿ منها الامام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح ﴾

﴿ منها ﴾ أي من اشرائط الساعة التي وردت بها الاخبار وتواترت في مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها أن يظهر ﴿ الامام ﴾ المقتدى بأقواله وأفعاله ﴿ الخاتم ﴾ للائمة فلا امام بعده كما أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده ﴿ الفصيح ﴾ اللسان لأنه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني والبيان خلوص الكلام من ضعف التأليف وتناثر الكلمات والتعقيد مع فصاحة مفرداته والفصاحة في المفرد خلوصه عن تناثر الحروف والقرابة ومخالفة القياس والفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر معها على التعبير المقصود بلفظ فصيح والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وقوله ﴿ محمد المهدي ﴾ هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبد الله فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يراطي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي » رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يراطي اسمه اسمي واسم

أبيه اسم أبي بئلاها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا» وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضا لا تذهب الدنيا حتى يهلك رجل من أهل بني يواطى اسمه اسمي بئلا الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما أخرجه الطبراني في معجمه الصغير وأخرجه الترمذي ولفظه حتى يهلك العرب رجل من أهل بني وقال حديث حسن صحيح وكذلك أخرجه أبو داود في سننه وروى ابن مسعود أيضا رضي الله عنه رفعه اسم المهدي محمد وفي مرفوع حذيفة محمد بن عبد الله ويكنى أبا عبد الله ومن أسمائه أيضا أحد بن عبد الله كما في بعض الروايات

وأما زعم الشيعة أن اسمه محمد بن الحسن وأنه محمد بن الحسن العسكري فهذان فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عنه جعفر مبراث أبيه الحسن قلت هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ومحمد بن الحسن العسكري هذا ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ويعرف بالحجة وهو الذي زعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته في منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والشيعة زعم أنه دخل السرداب في داو أبيه وأمه تنظر إليه فلم بعد بخرج إليها وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين وقيل غير ذلك وكل ذلك ضرب من الجورن والهذيان وأما ذلك فقد مات رضوان الله عليه وعلى آبائه

وأما نسبه ووصفه بالمهدي فقد ثبت له هذه الصفة في عدة أخبار وعن كعب الأحبار قال أنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أمر حفي وسيخرج التوراة والأنجيل من أرض يقال لها طاكية أخرجه أبو يعين في كتاب الفتن وفي بعض رواياته عن كعب قال أنما سمي مهديا لأنه يهدي إلى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة وذكر الامام أبو عمرو الداني قال أنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار

التوراة يحتاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم واما لقبه فالجابر لانه يجبر قلوب
 أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم
 واما كنيته فابو عبد الله واما نسه فانه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم ان الروايات الكثيرة والاخبار الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة
 النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين وجاء في
 بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول أصح قال ابن حجر في كتابه القول
 المختصر واما ما روي «ان المهدي من ولد العباس عمي» فقال الدارقطني حديث
 غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم قال ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن
 عباس رضي الله عنهما مرفوعا «الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن
 عبرتك الخلفاء» ونك المهدي في آخر الزمان به ينشر الله الهدى ويظفي نيران الضلالة
 ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك بنحتم» وخبر هشيم بن كعب وابن عساكر
 عن ابن عباس ورجاله ثقة «اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثا يا عم أما علمت
 ان المهدي من ولدك موقعا راضيا» وخبر أبي نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي
 الله عنه «الا ابشرك يا أبا الفضل ان الله عز وجل افتتح بي هذا الامر وبذريتك بنحتم»
 وخبر الديلمي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم انه قال «لن تزال الخلافة في ولد عمي وصنواي حتى يسلموها الى الدجال» وخبر
 الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل رضي الله عنهم «يا عباس أنت عمي
 وصنواي وخير من أخلف بعدي من أهلي اذا كانت خمس وثلاثون ومائة فهي
 لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي» وخبر الخطيب وابن عساكر
 عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لعماس يا عم «الا أخبرك ان الله
 افتتح هذا الامر بي وبختمه بولدك» فهذه الاخبار كلها لاتنافي ان المهدي من ذرية
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث التي ان المهدي
 من ولدها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الأئمة ان كون المهدي
 من ذريته صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الانفاتح
 الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته صلى الله عليه وسلم وللعباس

فيه ولادة من جهة ان في أمهاته عباسية والخاص ان الحسن في المهدي الولادة
العلمي لان احاديث كونه من ذريته أكثر وللاحسين فيه ولادة أيضا وللمباس
فيه ولادة أيضا ولا مانع من اجتماع ولادات متعددة في شخص واحد من
جهاث مختلفة وبالله التوفيق

فوائد

(منها) في حليته وصفته قال ابن عباس رضي الله عنهما المهدي اسمه محمد بن
عبدالله وهو رجل وبسة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الامة كل كرب
وبصرف بعده كل جور وعن حذيفة ابن اليمان رضي عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدرري اللون لون عربي
والحشم جسم اسرائيلي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضي في خلافته أهل
الارض وأهل السماء والطير في الجوف ملك عشرين سنة» أخرجه أبو نعيم في مناقب
المهدي والطبراني في معجمه وأخرج أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهدي مني أحلى الحبيبة أفنى الآف
يملاً الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين» وأخرج أبو نعيم
من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليبعثن
الله في عترتي رجلاً أفرق الثنايا أحلى الحبيبة يملأ الارض عدلاً ويفيض المال أيضاً»
وفي مرفوع عمران بن حصين أنه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا رسول الله كيف لا بهذا حتى نعرفه قال «هو رجل من ولدي كأنه من رجال نبي
اسرائيل عليه عباة تان قطرا نيتان كأنني وجهه الكوكب الدرسي في اللون في خده
الايمن خال اسود ابن أربعين سنة» أخرجه الامام أبو عمرو الداني في سنة وأخرج
أبو نعيم من حديث أبي امامة رضي الله عنه مرفوعاً «المهدي من ولدي ابن أربعين
سنة كان وجهه كوكب دري في خده الايمن خال اسود عليه عباة تان قطرا نيتان
كأنه من رجال نبي اسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك» وفي حديث
أبي وائل عن علي رضي الله عنه قال نظر الى الحسن وقال ان ابني هذا سببكم
سماء رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج علي

حين غفلة من الناس وامانة الحق واطهار الجور يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها وهو رجل أجلى الجبين أقى الالف ضخم البطن أزيل اتخذين بفخذه اليمين شامة أفالج الثنايا بملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وجورا وعن أبي جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن صفة المهدي قال هو شاب مربع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره وحليته ورأسه وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه ان المهدي **ك**ت اللحية **أ** كحل العينين براق الثنايا في وجهه خال أقى أجلى في كتفه علامة النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات المهدي أزج أبلج أعين يجسي من المجاز حتى يستوي على مسجد دمشق أخرجه أبو نعيم وفي رواية لابن نعيم بكتفه اليمنى خال وفي حديث علي مرفوعا انه كثر اللحية **أ** كحل العينين براق الشاياتي وجهه خال وفي كتفه علامة وقال كعب الاحباراني لأجد المهدي مكتوب (١) في أسفار الانبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب أخرجه أبو عمرو المقرئ في سننه ونعيم بن حماد واخرج أبو نعيم عن طاووس قال علامة المهدي انه يكون شديدا على المال جوادا بالمال رحيا بالمساكين . ورأيتني قد وصفته في كتابي البحور الزاهرة بأنه آدم أي أسمر ضرب من الرجال أي خفيف اللحم بمشوق مستدق ربة أي لا بالطويل ولا بالقصير أجلى الجبهة أي خفيف شعره النزعين عن الصدغين وهو الذي انحسر الشعر عن جبهته أقى الالف أي طويله مع دقة أرنبته اسم أي رفيع العرين أزج أي حاجبه فيه تقويس مع طول في طرفه أو امتداده أبلج أعين **أ** كحل العينين واسع العين (٢) والكحل بفتحين سواد في أجفان العين خلقه من غير اكتمال براق الثنايا أي لثناياه بريق ولعان أفرقها أي ليست متلاصقة أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما وفي رواية في لسانه ثقل واذا أبطأ عليه ضرب فخذه الايسر بيده اليمنى ابن أربعين سنة وفي رواية مابين ثلاثين الى أربعين خاشع لله خشوع النسر بجناحية عليه عباءتان قطوانيتان قال في النهاية هي عباة بيضاء قصيرة الجلل والنون زائدة

(١) كذا في الاصل (٢) لعل الصواب واسع انهم أو الجبهة والالفال واسمها

الفائدة الثانية في سيرته

قل أهل العلم يعمل سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوقظ نائمًا ويقاقل
 على السنة لا يترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان
 كما قام به النبي صلى الله عليه وسلم أوله ثلاث الدنيا كلها كما ملك ذوالقرنين
 وسليمان بن داود عليهما السلام يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد إلى المسلمين
 الفتنهم ونعمتهم يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلما وجورا يحشو المال حشوا
 ولا يعبده عدا يقسم المال صحاحا بالسوية يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض
 والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر يملأ قلوب أمة بمحمد صلى الله
 عليه وسلم غنى حتى أنه يأمر ماديا يادي الأمن له حاجة في المال فلا يأتيه إلا
 وجل واحد فيقول أنا فيقول انت السادن أي الخازن فقل له المهدي يأمرك أن
 تعطيني مالا فيقول له احث حتى إذا جله في حجره وبرزه ندم فيقول كنت اجش
 أي أحرص أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعجز غني ما وسعهم قال فيرده فلا يقبل
 فقال له األا تأخذ شيئا أعطيتك الأمانة. تنعم أمة محمد برها وافرها في زمانه نعمة لم يسمع
 بمثله قط وترسل السماء عليهم مدرارا لا تدخر شيئا من قطرها وتوفي الأرض أكلها لا تدخر
 عنهم شيئا من نذرها تجري على يديه الملاحم يستخرج الكنوز ويفتح المداخل ما يبر
 الخافقين يوتى إليه ملوك الهند مغالين وتعمل خرائثهم لبيت المقدس حلياء يأوي
 إليه الناس كما يأوي النحل إلى يسعوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول
 يمد الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبريل على مقدمة
 وميكائيل على ساقته ترمي الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد ولعب الصبيان
 بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئا ويزرع لأناس مدا فيخرج له سبعمائة مد وبربع
 الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الاعمار وتؤدي الامانة وهلك الاشرار ولا يبق
 من يفض آل محمد صلى الله عليه وسلم محبوب يعني المهدي في الخلائق يعطي الله
 به الفتنة العمياء وتأمين الأرض حتى أن المرأة تمنح في خمس نسوة مائة رجل
 ولا يخن شيئا إلا الله مكتوب في شعائر الانبياء ما في حكمة ظلم ولا عيب

﴿الثالثة في علامات ظهوره﴾

قال العلامة الشيخ مرعي في كتابه (فوائد الفكر في المهدي المنتظر)
 اعلم ان لظهور المهدي علامات جاءت بها الآثار ودلت عليها الأحاديث والأخبار
 فمن علامات ظهوره على ما ورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والنظامة
 وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذي القعدة وظهور الحشف والفن معه
 قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء
 فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج
 المهدي مكتوب على رأسها «البيعة لله» كذا في الاشاعة للعلامة السيد محمد البرزنجي
 المدني وبفرس قضيا يابسا في أرض باهية فيخضر ويورق ويطلب منه آية فيومي
 الى طبر في الهواء بيده فيسقط على يده وينادي مناد من السماء: أيها الناس ان الله قطع
 عنكم الجبارين والمنافقين واشياهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم
 فالحقوه بمكة فانه المهدي واسمه محمد بن عبد الله وتخرج الارض افلاذ كبدها
 مثل الاسطوانات من الذهب ويخرج كنز السكبة المدفون فيها فيقسمه في سبيل الله
 رواه أبو نعيم عن علي رضي الله عنه ويستخرج تابوت السكبة من غار انطاكية
 أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه بيت المقدس فاذا نظر
 اليه يهودا سلموا الا قليلا منهم ونأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه
 البيعة وتكشف القرأة فتحسر عن جبل من ذهب وذكروا أنه ينكشف القمر أول
 ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف ونظر في هذا الشيخ مرعي بان المادة
 انكشاف القمر ليالي الابدار والشمس أيام الاسرار ولكن من الممكن ان يكون
 ذلك آية لظهوره وفيها خرق للمادة وروى أبو نعيم في الفن قال شريك بلقي
 ان القمر قبل خروجه ينكشف مرتين برمضان وذكر الكسائي عن كعب الاحبار
 ان القمر ينكشف ثلاث ليال متواليات وروى عن كعب الاحبار يطلع نجم
 بالمشرق وله ذنب يضئ كما يضئ القمر يتعطف حتى يلتقي طرفه أو يكاد وفي
 الدليلى مرفوعا تكون هذه في رمضان توقظ النائم وتفرغ اليقظان ومن وجه آخر
 يكون صوت في رمضان في نصف الشهر يصعق منه سبعون ألفا بمعنى مثلها

ويخرج منها وبصم مثلها ويمتق من الامكار مثلها ومن علامات المهدي ايضا
تخسف قرية بلاد الشام يقال لها حرستا كما في الاشاعة وغيرها

في الرابعة

« في الاشارة الى بعض الفس الواقعة قبل خروج المهدي وخروج خوارج قبل ذلك »
(مها) ما ذكره في الاشاعة انه يسر الفراءة عن جبل من ذهب كما تقدم فاذا
منع به الناس ساروا اليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم من خليفة يقتلون عنده ثم لا يصير
الى أحد منهم فيقول لكل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن
بكله يقتلون عليه حتى يقتل من كل امة تسعة وتسعون وفي رواية فيقتل تسعة
اعشارهم وفي رواية من كل تسعة تسعة فيقول لكل رجل لبي اكون اما انحو وقد
قال صلى الله عليه وسلم « من حضر فلا يأخذ منه شيئا » وعن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي
من ولدي ولا يرح المهي حتى يرح ستون كذاما كلهم يقول امانني » وعن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون
كذابون قرياس ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله » رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري
بمعناه ونظام الحديث في مسلم « وحتى يقض العلم وتكثر الزلزل ويقتارب الزمان
وتظهر الفتن ويكثر الهرج » وهو القتل الحديث وهو في صحيح البخاري الا ان قوله
وتكثر الزلزل في البخاري دون مسلم وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان بين يدي الساعة كذاين »
زاد في طريق أخرى قال جابر فاحذروهم وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر
المهدي الا على خوف شديد من الناس وزلزال وفتنة وملا بصيب الناس والطاعون
قل ذلك وسب قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وثبتت في دينهم
وتغيرت في حالهم حتى يتنى المنمي الموت صاحبا ومساء من غلظم ما يرى من
كل الناس وأكل بعضهم بعضا حينئذ يخرج ياطوبى لمن أدركه وكان من انصاره
والويل لكل للويل لمن خالفه وخالف أمره وقال محمد بن الصلت قلت للحسين
بن علي رضي الله عنهما ما من علامة بين يدي هذا الامر يعني ظهور المهدي

قال بلى قلت وما هي قال هلاك بني العباس وخروج السفياي والحسب بالبئذ
قلت جعلت فداك أخاف ان يطول هذا الامر فقال انما هو كمنظام يتبع بعضه بعضا
وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال تكون في الشام رجفة يهلك فيها أكثر
من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين فاذا كان كذلك
فانظروا الى أصحاب البراذن الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تجل
بالشام وذلك عند الجوع الأكبر والموت الأحمر فاذا كان ذلك فانظروا خسف
قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد
من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فاذا كان ذلك فانظروا
خروج المهدي . .

ومن أقوى علامات خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفياي
والابقع والاصهب والاعرج والكندي

أما السفياي فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عتبة قال العلامة الشيخ
مرعي في فوائد الفسك وفي عقد الدر ان السفياي من ولد خالد بن يزيد بن أبي
سفيان ملعون في السماء والارض وهو أكثر خاق الله ظلما قال علي رضي الله عنه
السفياي من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجه أثر جسدري
بعينه نكسة يياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى
يقتر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج اليه رجل من أهل بني في الحرم فيبلغ
السفياي فيبعث اليه جندا من جنده فيهمهم فيسير اليه السفياي بمن معه حتى اذا
جاز بيده من الارض خسف بهم فلا ينجو الا المتخبر عنهم أخرجه الحاكم في مستدركه
وقال هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه

والابقع يخرج من مصر والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج
الجرحمي من الشام قال كعب الاحبار أول من يخرج ويغلب على البلاد
الاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ثم يخرج من بعده الجرحمي من الشام ويخرج
القحطاني من بلاد اليمن قال كعب فيما هولاة الثلاثة قيد تغلبوا على مواضعهم
واذا قد خرج السفياي من دمشق من واد يقال له وادي اليابس يوتى في ميامه فيقال

له قم فاخرج فيقوم فلا يجد أحدا ثم يوتى الثانية ثم الثالثة ويقال له فيها فانظر الى باب دارك فينحدر في الثالثة الى باب داره فاذا بسبعة أنفار أو تسعة معهم لواء فيقولون نحن أصحابك ومع وحل منهم لواء معقود لا يرى ذلك لواء أحد الا انهزم فيخرج اليه صاحب دمشق ليقاتله فاذا نظر الى رايته انهزم فيدخل دمشق الشام في ثلثمائة وستين راكبا وما ينضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفا من كلب وهم اخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرستا ويسقط جانب مسجدها الغربي ثم يخرج الأبقع والاصهب فيخرج السفيناني من الشام والابقع من مصر والاصهب من جزيرة العرب ويخرج الاعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثم يغلب السفيناني على الأبقع والاصهب ويسير صاحب العرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قبس الى السفيناني فيظهر السفيناني عليه ويجوز ما جمعوا من الاموال ويظهر على الرايات اثلاث ثم يقاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الارض ويدخل الزوراء فيقتل من أهلها

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لآل محمد واجب على كل مؤمن نصره وهذا الرجل يحتمل ان يكون هو الهاشمي الآتي ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر ويحتمل ان يكون غيره . ويثور أهل خراسان بمساكر السفيناني فنكون بينهم وقعت فاذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلا من بني هاشم بكفه التيجي خال سهل الله أمره وطريقه هو أخوه المهدي من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بأخر المشرق بأهل خراسان وطالقات ومعه الرايات السود الصغار وهي غبر رايات بني العباس على مقدمته رجل من بني تميم الموالي ربعة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب ابن صالح التميمي يخرج اليه في خمسة آلاف فاذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبله الجبال الرواسي لهدا يهد الارض للمهدي فيلتقي الهاشمي بخيل السفيناني فيقتل منهم مئة عظمية بيضاء اصطخر حتى تظا الخيل الدماء الى ارماعها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله انتصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدي ويأيمه وبالله التوفيق

﴿الخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك﴾

أخرج نعيم بن حماد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ومهاجرة بيت المقدس وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند أبي نعيم وأبي بكر بن المقرئ في معجمه يخرج المهدي من قرية يقال لها كربة

وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء وإذا هاجر المهدي من المدينة إلى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتغير مأوى للوحوش وقد ورد عمران بيت المقدس خراب يثرب وفي حديث قتادة يخرج المهدي من المدينة إلى مكة وفي حديث ابن عباس ستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا وفي خبر أبي جعفر يظهر المهدي بمكة عند العشاء وفي الخبر يبعث السفيناني جيشا إلى مكة فيأمر بقتل من كان فيهما من بني هاشم فيقتلون ويتفرقون هاربين إلى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي بمكة فإذا ظهر اجتمع كل من شئ منهم إليه بمكة ويأتي سبعة علماء من أفق ٧ شئ على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة و بضعه عشر فيجتبون بمكة ويقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهادوا على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه : ولم تقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع ولعلمهم يعرفون اسم أمه بالكشف كما ذكره في الأشعة فيقف السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيرون بمكة فيقولون أنت فلان فيقول بل أنا رجل من الأنصار فبنفتل منهم فيصفونهم لأهل الخبرة والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة وهكذا ثلاث مرات فيصيرون بمكة في الثالثة عند الركن فيقولون أئمتنا عليك ودناؤنا في عنقك إن لم تعديدك نبايعك وقد أقبل عسكر السفيناني في طلبنا فيجلاس بين الركن والمقام فيمديده فيبايع له فيلقي الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل أخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرج

أَيْضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: يَمُوتُ الْمَهْدِيُّ بَعْدَ أَيَّامٍ حَتَّى يَدُ
الْبَاسِ لِمَهْدِيِّ وَأَنْصَارِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عِدَّتُهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا عِندَ
أَصْغَابٍ بِدَرْ يَسِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ حَتَّى يَسْتَخْرِجُوهُ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ مِنْ دَارِ عِندِ
الْمُضَفِّفِ فَيَأْتِيهِمْ كَرَهَا فَيُعَلِّي بِهِمْ رُكَّتَيْنِ عِنْدَ الْمَقَامِ وَأَخْرَجَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَأْتِي الْمَهْدِيُّ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ لَا يَوْقُظُ نَائِمًا وَلَا يَهْرِيقُ دَمًا وَاللَّهُ
وَقَدْ تَكَثَّرَتِ الرِّوَايَاتُ وَالْأَثَارُ بِأَمْرِ الْمَهْدِيِّ وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ أَوَّلَ ظَمٍ
يَكُونُ شَابًا ثُمَّ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ فَيَفِرُّ إِلَى مَكَّةَ مُخْتَفِيًا ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى
أَقْرَبِيهِ بِالْمُطَافِ عِنْدَ الرُّكْنِ فَيَقْهَرُونَهُ عَلَى الْبَايَعَةِ بِالْإِمَامَةِ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ
الْمُؤْمِنُونَ ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَى جِهَةِ الْكُوفَةِ ثُمَّ يَعُودُ مِنْهَا مِنْ جَيْشِ السَّفْيَانِيِّ فَيُخَالِفُهُ
اللَّهُ عَلَى السَّفْيَانِيِّ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَزَبَرَ الْمَهْدِيُّ فَيَهْزِمُ السَّفْيَانِيَّ إِلَى الشَّامِ فَيَقْدِرُ
الْمَهْدِيُّ فَيَذْبَحُهُ عِنْدَ عَتَبَةِ بَيْتِ الْقُدْسِ كَمَا تَذْبَحُ الشَّاةُ وَيَغْنَمُهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ
الَّذِينَ هُمْ جُنْدُهُ مِنْ نَبِيِّ كَلْبٍ وَلَا أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ الْغَنِيمَةِ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ يُخْرِجُ رَجُلًا
يَكَلِّبُ يَقَالُ لَهُ كُنَانَةٌ بَعِيْنَهُ كَوَكَبٍ فِي وَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّخْرِيَّ بِغِيٍّ السَّ
فَيَمُوتُ إِلَيْهِ الْمَهْدِيُّ رَايَةً وَأَعْظَمَ رَايَةً فِي زَمَانِهِ مِائَةَ رَجُلٍ فَتَصِفُ كَلْبٌ خِيْلَهَا وَ
وَالْبَلَاءُ وَغَنَمُهَا فَإِذَا نَسِئَتْ الْحِيْلَانَ وَلَتَ كَلْبٌ أَذْبَارَهَا فَيَقْتُلُونَهُمْ وَيَسْبُونَهُمْ
تَبَاعُ الْعِذْرَاءُ مِنْهُمْ بِشَانِيَةِ دِرَاهِمٍ وَيُؤْخَذُ الصَّخْرِيُّ فَيُؤْتَى بِهِ أَسِيرًا إِلَى الْمَهْدِيِّ فِي
عَلَى الصَّخْرَةِ الْمُعْرِضَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عِنْدَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي يَبْطِنُ الْوَادِي عَلَى
طُورِ رَبِيعَاتِ الْمُقَطَّرَةِ السَّنِي عَلَى الْوَادِي كَمَا تَذْبَحُ الشَّاةُ وَفِي رِوَايَةٍ ثُمَّ يُؤْخَذُ
السَّفْيَانِيُّ عَلَى أَعْلَى سَحْرَةٍ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَالْحَائِبُ
مِنْ خَابٍ مَنْ قَاتَلَ كَلْبًا وَلَوْ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتَكْبِيرَةٍ أَوْ بِصَيْعَةٍ وَالْحَائِبُ مَنْ خَابَ يَوْمًا
غَنِيمَةً كَلْبٍ وَلَوْ بِعُقَالٍ » فَقَالَ حَنْدِيفَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَحِلُّ قَتْلُهُمْ وَتَغْنَمُ أُمُّ
وَهُمْ مُسْلِمُونَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَكْفُرُونَ بِاسْتِحْلَالِهِمُ الْحُمْرَ وَالزَّنَا »
وَالْحَدِيثُ لَا تَحْشُرْ أُمَّتِي حَتَّى يُخْرِجَ الْمَهْدِيُّ بِعِيْدِهِ اللَّهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ الْإِبْدَالَ مِنَ الشَّامِ وَالْحِجَابِ مِنْ مِصْرَ وَعَصَابِ أَهْلِ الشَّرْقِ
يَأْتُوا مَكَّةَ فَيَبَايِعُ لَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى الشَّامِ وَجَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وميكايل على يساره ونعمه أهل الكهف أعوان له فيفرح به أهل السماء والأرض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتد الأنهار وتضعف الأرض أكلها فيقدم إلى الشام فيأخذ السفيناني فيذبح تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية والذي يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفيناني أنه يذبح تحت لشجرة هو أو وزيره والذي يذبح على العتبة هو نفسه إن كان المذبح تحت لشجرة وزيره أو وزيره إن كان هو المذبح ثم تمهد الأرض للمهدي ويدخل في ملأته ملوك الأرض كلهم ويبعث بعثاً إلى الهند فتفتح ويروى بملوك الهند اليه مقبلين يتنقل خزائنها إلى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث في ذلك سنين وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمساً وسبعاً وستاً بالترديد وفي بعضها تسعة عشر سنة وأشهر وفي بعضها عشرين وفي بعضها الاثني. وفي بعضها أربعين منها تسع سنين بهادن الروم فيها ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل إلا أكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البعثة والأقل على غاية الظهور والوسط على الأوسط قال في الاشاعة وهذا الذي تقتضيه إشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالمهدي وإن الله تعالى موضعهم عن الظلم والجور قسطاً وعدلاً واللائق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ما ينسون فيها الظلم والجور والفتن والسبع والتسع أقل من ذلك مع أنه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الآفاق كما سيفي بعض الروايات وبني المساجد واليُلبدان ويحلي بيت المقدس بهذا يقتضي مدة طويلة منع ماوردان الأعمار تطول في زمانه فطوله مستلزم لطول مدته والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء ولا شياً لها دته للروم - تسع سنين ثم فتح القسطنطينية ورومية المدائن وغيرها وهذا يقتضي طول مدته قال الله التوفيق

﴿ تنبيه ﴾

قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي إلا عيسى والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروج الزوايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك

بين علماء السنة حتى عدم من معتقداتهم وقد روى الامام الحافظ ابن الاسكندر بسند مرضي (١) الى جابر بن عبيد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر» وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «يا حذيفة لولم يبق من الله الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك وجل من أهل بيتي تجري الملا على يديه ويظهر الاسلام ولا يخلف الله وعده وهو سريع الحساب» أخر الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وأخرج نحوه أبو عمرو المقرئ من حديث أبي هريرة مرفوعاً ومن حديث قيس بن جابر عن أبيه عن جده مرفوعاً وفيه «ثم يخرج المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» رواه أبو نعيم في فوائده وأخرجه الطبراني في معجمه ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم و حديث ابن عباس أخرجه ابن الجوزي في تاويله ومن حديث علي أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في سننهم وقد روى عن ذكر من الصحابة وغير ما ذكره رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطع فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة وكذا عند أهل الشيعة أبصا لكنهم زعموا أنه محمد بن الحسن العسكري كما تقدم وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد بن الحنفية وأنه حي مقيم بجبل رضوى وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان فضاختان يجريان بماء وعسل فزعموا أنه قد أتاه معه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر قالوا وهم أحياء يرزقون ويقولون أنه يعود بعد النبية ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً قالوا وإنما عوقب بهذا الجب لخروجه الى عيد الملك بن مروان وقيل الى يزيد بن معاوية والى هذا الأئمة أشار كثير عزة بقوله

وسبلا لا يذوق الموت حتى يقود الخيل بقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم رماة برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل

الاقول للامام فذلك نفسي اطالت بذلك الجبل المقاما
وجبل رضوي بفتح الراء وبهدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف كسرى و
جبل جبينه في عمل الينبع بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينة على سبع مراحل
ميامنه طريق المدينة ومياسره طريق البرلمان كان مصعدا الى مكة وهو على ليلتين
الى البحر وكان المختار بن أبي عبيد التقي الخبيث المشهور يدعو الى امامه محمد بن
الحنفية رضي الله عنه وعن أبيه علي بن أبي طالب وكان المختار يزعم ان محمدا هذا
هو المهدي قال الجوهري في الصحاح كيسان لقب المختار المذكور واقتصر عليه في
القاموس أيضا وقال غيرها كيسان مولى علي رضوان الله عليه وقيل ان كيسان
تلميذ علي وهؤلاء الكيسانية أحد فرق الضالال كما مر في تعداد الفرق فعلى عقولهم
الدمار وعلى أفهامهم البوار ما أضل علومهم وأبلد فهمهم وبالله التوفيق
(تمة) جاء عن ابن سيرين ان المهدي خير من أبي بكر وعمر قد كاد يفضل الانبياء
وجاء عنه أيضا لا يفضل عليه أبو بكر وعمر وهو وان كان أخف من الاول فليس
بصحيح فان الامة مجمعة على أفضليتهما عليه بل وعلى جميع الصحابة خلافا للرافضة
خذلهم الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي
ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الامر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام
ويصلي المهدي بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهي صلاة الفجر ثم يستمر المهدي
على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الامر اليه ثم يموت المهدي
ويصلي عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس بهتفتى مامر يعلم قدر سنه
لانه يخرج ويبيع له وهو ابن أربعين أو خمسة وثلاثين سنة وتقدم الخلاف في
مدة ملكه والله تعالى أعلم

(خاتمة) أخرج نعيم عن الوليد بن مسلم قال سمعت رجلا يحدث قوما
بقال المهديون ثلاثة مهدي الى الخير عمر بن عبد العزيز ومهدي الدم وهو الذي
يسكن على يديه الدماء ومهدي الدين عيسى بن مريم عليه السلام وأخرج
أيضا عن كعب قال مهدي الخير بعد السفياي وأخرج أيضا عن اوطاة قال بلغني
أن المهدي يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجليه من قحطان مثقوب

الاذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرون سنة ثم يموت قتلاً بالسلاح ثم يخرج رجلاً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مهدي حسن السيرة ينزو مدينة قيصر وهو أمير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى مريم وتقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبي الحسن محمد الحسين أنه قال قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمحيي المهدي وأنه من أهل بيته صلى الله عليه وسلم وأنه بذلك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى فيساعده على قتال الدجال باب لد بارض المسلمين وأنه يوم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه بعد صلاة واحدة وهي الفجر كما مر والله التوفيق

في العلامة الثانية خروج الدجال وما يتعلق به

وما أدراك ما الدجال منبع الكفر والضلال ومنبوع الفتن والوجال فأنذرت به الأنبياء قومها وحذرت منه أممها ونعتته بالنعوت الطاهرة ووصفه بالأوصاف الباهرة وحذره المصطفى وأنذر ومنته لأمته نعموتاً لا تخفى على ذو بصيرة وقد قيل أنه صافي ابن صياد أو صائد وأن مولده المدينة كما في الحديث الوارد وقيل بل هو شيطان موثق في بعض الجرائر أو أنه من أولاد شياطين السكاهن أو هو شق نفسه وإن أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها إياه وكانت الشياطين تعمل له المجائب فخبه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا القول ليس بصائب وقال كعب الأحبار الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة وفي الترمذي أنه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «يتبع الدجال من يهود أصهبان سبعون ألفاً عليه الطبالسة» وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «يخرج الدجال من يهودية أصهبان ثم يخلق له عين والآخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوه في الشمس سمكاو يتناول الطير من الحو له ثلاث صيحات يسمعا أهل المشرفة والمغرب» ومن حديثه أنه شاب وفي رواية شيخ وسندهما صحيح جسيم أحمر وفي رواية أيضاً أنه وفي رواية آدم قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري يذكر

السابقين وقيل هو التذاتي ما بين صدور القديمين مع تباعدهما وقيل هو الذي في
رجليه اعوجاج، فقال الشعر بضم الحيم وتخفيف اللفاء أي كثيره هجان بكسر اوله
وتخفيف الحيم أيض أقر أي تسديد البياض ضحهم فيلاني مفتاح الماء وسكون
التحنية أي عظيم الجنة قال ابن الاثير في نهاية في صفة الدجال أقر فيل وفي رواية فيلانيا
الفيل العظيم الجنة والفيل الامر العظيم والياء زائدة والفيلاني منسوب اليه بزيادة
الألف والنون للبالغة انتهى، كأن رأسه أغصان شجرة أي شعر رأسه كثير متفرق
قائم وفي رواية ان رأسه من ورائه جلك أي شعر منكس من الجعود كاللحاء الساكن
والرمل اذا مبت عليها الريح قال في النهاية وهذا معنى ما مر انه جمده قتل مكتوب
بين عيبه كف رحرورامقطة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها
الكافر لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعة أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة
وسمعون ألقا من يهود أصهبان عليهم التيجان وكاهن ذوسبف شلى ومن صفاته
أيضا انه تام عياه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كان أنه متفار وأمه امرأة
فرضاخية أي كذبرة اللحم طويلة الشفتين وقال في النهاية وفي حديث الدجال وان
أمه كانت فرضاخية أي ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل فرضاح وامرأة فرضاخة
والياء للبالغة له أي الدجال حاراهلب وهو الشعر الملبظ يعني كثير الشعر ما بين أذنيه
أربعون ذراعا بضع خطوه عدمتهى طرفه وقال أبو النعمان عن بعض الصحابة رضي الله
عنهم يخرج الدجال على حمار رحس رواه ابن أبي شيبة وقال علي رضي الله عنه يخرج
الدجال ومعه سبعون ألفا من الحماكة رعم بعضهم ان الحماكة اسم موضع على مقدمته
أشعراي رجل كثير الشعر يقول بدو بدو وهذا لفظ فارسي معناه أسرع أسرع وفي
مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الدجال عريض المنخر فيه
رفاء أي انحوا في صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر
من الدجال وفي رواية أمر أكبر من الدجال

واعلم ان العلماء قد اختلفوا في الدجال فقيل انه ليس بانسان وانما هو شيطان موثق
بسبعين حلقة في بعض حزاز الجن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو

غيره فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة وإذا أبرزاته انان عرض ما بين اذنيها
أربعون ذراعاً فيضع على ظهرها منبراً من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون
اليه بخزائن الارض وأول خروجه يدعي الايمان والصلاح و يدعو الى الدين
فينبع و يظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين و يعمل به فيتبع و يحب على
ذلك ثم يدعي الالهية فيقول انا الله فتغشى عينه وتقطع اذناه و يكتب بين عينيه
كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من
الايمان هكذا رواه الطبراني وقال كعب الاحبار يتوجه الدجال فينزل عند باب
دمشق الشرقي ابتداء قبل خروجه ثم يلتبس فلا بقدر عليه ثم يرى عند المياه
النبي عند نهر الكسوة فيطلب فلا يدري أين توجه ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة
ثم يظهر السحر ثم يدعي النبوة فينصرف الناس عنه يعني المسلمين فيأتي النهر
فيأمره ان يسيل فيسيل ثم يأمره ان يرجع فيرجع ثم يأمره ان ييبس فييبس الحديث رواه
انيس بن حماد و يبعث الله له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تر يد فيقول
لهم نعم اذهبوا للناس فقولوا انا ربهم فيبشهم في الآفاق و يدعي الالهية و يخرج
من أرض المشرق من نواحي خراسان ومعه اليهود من أصبهان وغيرها و قيل انه
يخرج من يهودية أصبهان كما تقدم و قيل من كوثا بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود
والنساء والاعراب وفي الترمذي انه يخرج من خراسان وفي صحيح مسلم عن
أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يتبع الدجال من يهود أصبهان
سبعون ألفاً عليهم الطباية » وفي الطبراني يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق
معه قومه وجوهرهم كاللجان فيفتن الناس به فتنة عظيمة في الحديث ما كانت
ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال ومامن نبي الا وحذر قومه
الدجال الحديث رواه الحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً وفي الحديث ان قبل
خروجه بثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والسنة
الثانية تمسك ثلثي قطرها والارض ثلث نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها
و يهلك كل ذي ضرر وظائف و يسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار
وما وأحدهما فيه دخان فيقول هذه الجنة وهذه النار رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعاً

وعن حذيفة ان معه جنة وبارا ورجالا يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثمر يدنو منه
وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «الدجال أعور العين اليسرى يقال الشعر معه جنة ونار فاره جنة وجنة ناره
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران
بحريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار نأجيج فأما ان
أدرك ذلك أحد منكم فليأت الدهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم يبطأ في رأسه فيشرب
هـ هـ ماء بارد وان الدجال مسح العين عليها طرفة غايطة مكتوب بين عينيه كافر
فترواه كل مؤمن كاتب وتبر كاتب» ومن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
في الدجال ان معه ماء وبارا فاره ماء بارد وماءه نار فلا تهاكوا قال أبو مسعود
وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . كل هذه الروايات في صحيح
مسلم وانفق البخاري ومسلم من حديث حذيفة وصلى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله «ان الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً فأما
الذي يراه الناس ماء فانه نحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فانه ماء عذب فمن
أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فأما ماء عذب فليشرب قال أبو مسعود
وأنا قد سمعته تصديقاً لحذيفة وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً
ما حدثني نبي قومه إنه أعور وأنه يحمي معه مثل الجنة والنار فالتى يقول أنها الجنة
هي النار وأنا أنذرتكم به كما أنذره نوح قومه» وأخرج مسلم من حديث الزواس
من سمعان الكلابي رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال
دات عداة خفص فيه وزفر حتى ظنناه في طائفة الخمل فلما رحنا اليه عرف ذلك
فيما فقال ما شأكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة خفصت فيه وزفرت حتى
ظنناه في طائفة الخمل فقال غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا
حجبكم دونكم وإن يحرح واست فيكم فكل امرئ حبيب نفسه والله خليفني على
كل مسلم انه شاب قلط عيه طافية كاني أتبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه
مكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف اخارج خلته . أي انه يخرج قصداً وطريقاً

والتخلل الدخول في الشيء - بين الشام والعراق فمات يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله فما ليته في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسرعه في الارض قال كالفيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبيون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبث ففروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا واصبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيسأعونهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصيحون محلين ليس بأيديهم شيء من أمرهم ويمر بالخربة فيقول أخرج كنوزك فتبعه كنوزها كيما سبب التحل ثم يدعو رجلا مملثا شابا (١) فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتהל وجهه يضحك فينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تمدر منه جان كالاولو فلا يحل لكافر يجرد ريع نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه الحديث

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن الذي معه من صورة الجنة والنار ونحوها على طريق التخيل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة بن شعبه في الصحيحين وغيرها انه قال كنت أكثر من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن آية الدجال فقال لي وما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز قال «هو أهون من ذلك» قال فعنما انه أهون على الله من ان يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة ويدل له أيضا الرواية السابقة أحدهما في رأي العسین أبض الحديث وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها امتحانا من الله تعالى لعباده وحملوا قوله هو أهون الخ أي من أن يخاف منه أو ان يضل الله به من يحبه قال في الاشاعة كالعلامة الشيخ مرعي والتحقيق الاول ويدل له ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم «فن أدرك ذلك منكم فليقع بالذي يراه انها نار فانه

عذب بآلهة. وما في رواية قالار روضة خضراء وفي الصحاح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا مأثورا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال «يأتي وهو عرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباغ التي في المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أوأنتم أن قلتم هذا ثم أحببته أنشكون في الأمر فيقولون لا قل فبئس له ثم يحببه فيقول الرجل حين يحببه والله ما كنت قبك قط أشد سيرة مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه وأخرج مسلم عنه أبضا هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيترجمه قبله رجل من المؤمنين فيأمنه المصالح ماله الدجال سأي وهو جمع مسلحة فومهم سلاح والمسلحة كالثمر والمزق وهو الذي يكون فيه قوم برقوبت العدو بلابهم عليهم فيقولون له أين نعد فيقول أعود إلى هذا الرجل الذي خرج قال فيقولون له أوأنت من يربنا فيقول ما ربنا خفاء فيقولون ائسلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونة قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال فبأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه وشجروه فيوضع ظهره وبطنه ضرا ما قال فيقول أما تؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيدثر بالمشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله قال ثم يمشي الدجال بين القطين ثم يقول له فم ليسستوي قائما وفي رواية فم حيا باذني فيعود حيا قال فيقول له تؤمن بي فيقول ما أردت بك الابسية قال ثم يقول يا أيها الناس أنه لا يفعل بسدي بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى زفونه نحاس فلا يستطيع إليه سبيلا قال فيأخذ يديه ورجليه فيقذف به فيحرب الناس أنه قد قذف إلى النار وأما أتى في الجنة فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين قال القرطبي في تذكرته إن هذا الحضر عليه السلام قال العلامة الشيخ مرعي فيهم حنه ثبت أن الدجال لا يسلط على أحد

بالقتل الاعلى رجل واحد يخرج اليه وهو شاب حسن فيقول له الدجال أنت من بني
و بألوهيتي فيقول له أنك للعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشي
الدجال بنحاره بين الشقين ويقول له قم حيا باذني فيعود حيا ثم يقول له بعد ذلك
أنت من بني فيقول ما ازددت فيك الا يقينا أنك للعين قال ابراهيم بن محمد بن
سفيان يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وقد توهم القرطبي فزعم ان
القائل ذلك ابراهيم أبو اسحق السيعي وليس كذلك وقالت بعضهم ان الرجل
المدكور من أصحاب الكهف وقد مر أنهم يكونون من أصحاب المهدي

فان قلت كيف يقال انه لا يسلط الا على واحد مع ماورد عن حذيفة رضي
الله عنه ان مع الدجال رجلا يقتلهم ثم يحبسهم فالجواب ان هؤلاء الرجال انما هم
شياطين وقتله اياهم واحياؤه لهم انما هو في رأي العين لا على الحقيقة واما قتل
ذلك الرجل فعلى الحقيقة

(فائدة) ورد أنه لم يبق من الناس بلافتنة من الدجال الا اثنا عشر ألف رجل
وسبعة آلاف امرأة والله المستعان واخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال في أمي
فيمكث أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله
عيسى ابن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيها ليهلكه » الحديث

﴿ و ﴾ منها أي من علامات الساعة العظمى العلامة الثالثة ان ينزل من السماء السيد
﴿ المسيح ﴾ عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما
الكتاب فقوله (وان من أهل الكتاب الا ليوم من به قبل موته) أي ليوم من بعيسى
قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة
ملة ابراهيم حنيفا مسلما ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وان الضمير
في قوله قبل موته ليهود ويؤيده قراءة أبي رضي الله عنه قبل موته . واما السنة ففي
الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم خكيا عدلا فيكسر

الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجرية» الحديث وفي مسلم عنه «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب» بنحوه واخرج مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تنزال طائفة من أممي يقتلون على الحق طاهرين الى يوم النيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم يقال صل بنا فيقول الا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الامة» واما الاجماع فقد أجمعت الامة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة مما لا يعتد بخلافه وقد ائتمد اجماع الامة على انه ينزل وبحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشرعية مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو منصف بها ويتسلم الامر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وانباؤه كسائر أصحاب المهدي حتى أصحاب الكهف الذين هم من أنباة المهدي كما تقدم ان عيسى عليه السلام يصلي وراء المهدي صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته وكذلك يسلم اليه تابوت بني اسرائيل وكل ما معه من آلات الامر

فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام

(الاولى) في حليته وسيرته أما حليته فمعد البخاري من حديث عقيل بن خالد انه أجمد عريض الصدر وفي رواية آدم كاحسن ما أنت راء من آدم الرجال سبط ينظف بكسر الطاء المهلة أي يقطر زادا في رواية له لمسة أي بكسر اللام وتشديد الميم أحسن ما أنت راء من اللحم قد رجليها بشديد الحميم أي سرحها وفي رواية له بين منكيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مبروع الخلق الى الحرة والياض سبط الرأس زادي حديث أبي هريرة بنحوه كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ولا منافاة بين الحرة والادمة لجواز أن تكون ادمته صافية كما مر لا يجدر بريح نفسه كافر الامات

واما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل النردو يضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام ويتخذ الدين فلا يعبد الا الله ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال ويرفع الشعثا والنباغض وينزع

الله سم كل ذى سم حتى تلعب الأ ولاد بالحيات والمقارب فلا تضرم ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها ويملا الأرض سلبا وينعدم القتال وتنبت الأرض نبتتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم وكذا الرمانة وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لانت الأرض تحرث كلها ويكون مقرراً لشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه رسول لهذه الأمة كما مرو يكون قد علم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى وهو في السماء قبل ان ينزل وزعم بعض العلماء ان بنزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام يرفع التكليف وهذا مردود للاخبار الواردة انه يكون مقرراً لأحكام هذه الشريعة ومجهدا لها اذ هي آخر الشرائع ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والدنيا لا تبقى بلا تكليف فان بقاء الدنيا انما يكون بمقتضى التكليف الى ان لا يقال في الأرض الله الله ذكره القرطبي في تذكرته وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم وتسلب قریش ملكها قال الحافظ السخاوي في كتابه القناعة وابن حجر سبب القول المختصر معنى ذلك لا يبقى لقریش اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر «لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي من الناس اثنان» قال البرزنجي في الاشاعة وبذل لهذا حديث جابر عند مسلم «فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لان بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة» وعلى هذا فلا منافاة ان يكون المهدي أميرا حتى في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في الامور لعيسى عليه السلام للتبرك والتميم به

فان قلت كيف يصح خبر لا يزال هذا الامر في قریش مع مشاهدتنا انفصال قریش عن الملك منذ أزمان فالجواب استحقا قبال هذا الامر وان ظلمها ظالما واما عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم وربما ان يكون بقاء الامر في قریش ولو مراجعة ولا شك ان قریشا يرجعون على ان ملوك زماننا يزعمون انهم انما يتسلطون بالنيابة عن قریش ويعملون صورة نيابة عن نقيب السادة الاشراف على ان لبني هاشم استقلالاً بالامر في محلات كالبحجاز واليمن والمغرب وغيرها.

ثم انه لا يخفى انه لا يحسن ان يقال ان الامر في أيام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولا من أولي العزم معصوما والمهدي رجل مجتهد نعم يكون المهدي

من خواص السيد عيسى بل وزيره واقرب لديه يراجمه في الامور وتصدر عنه الشورى والله التوفيق

الفائدة الثانية

في وقت نزوله من السماء ومحلّه وما يجري على يديه من الملاحم
اما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضحا كفيه على أجنحة ملكين فني صحيح مسلم من حديث النّوّاس بن سميان رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « فبينما هو أي الدجال كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهردتين واضحا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ رأسه قطرا واذ رفع رأسه تحدر منه جمان كالارز فلا يحمل لكافر بمجد ربه الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه » قوله مهردتين قال في جامع الاصول رويت هذه اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال لثوب اذا صبغ بالورس ثم بالزعفران جاء لونه مثل زهرة الخورزاة فذلك الثوب مهرد وقيل أراد بالمهرد الثوب المصبوغ بالهرد وهو صغ أصفر قيل انه الكرم وقيل أراد في شتتين من الهرد وهو القمل انتهى
وقال في النهاية في حديث عيسى عليه السلام انه ينزل بين مهردتين أي في شتتين أو حلتين وقيل الثوب المهرد الثوب الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجئ لونه مثل لون زهرة الخورزاة قال القتيبي هو خطأ من القلة وأراه مهردتين أي صفراوين يقال هريت العمامة اذ لبستها صفراء وكان فعلت منه هروت فان كان محفوظا بالبدال فهو من الهرد الشق وخلي ابن قتيبة في استدراكه واشتقاقه قل ابن الانباري القول عندنا في الحديث بين مهردتين يروى بالبدال والذال أي بين مصرتين على ما جاء في الحديث ولم يسمه الا فيه وكذلك أشياء لم تسمع الا في الحديث والمصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة وقيل المهرد الثوب الذي يصبغ بالعروق والعروق يقال لها الهرد وفي حديث ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهردة جاء تفسيره في الحديث انها العدة انتهى والجان حب الفضة
وهيكون نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من النهار

حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقى شيء لم يصب الا رأس انسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقرعون فلا يخرج الاسهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنتهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلي بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدجال كما سيأتي بيان ذلك

الفائدة الثانية في مقدار مدته ووفاته

أما مدته ووفاته فقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني وابن عساکر أنه صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة » وعند الامام أحمد وابن أبي شيبة وأبي داود وابن جرير وابن جبان عنه أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الامام أحمد وابن أبي شيبة وابن عساکر وأبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة اماما عادلا حكيما مقسطا » وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « يلبث عيسى بن مريم أربعين سنة لو يقول لابطحاء سيلي عسالات » وفي المنتظم للامام الحافظ ابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى ابن مريم فيتزوج وولد له » ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمد وان أمهما من اليزد قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر » وعلى هذا روايات أربعين وردت بإلفاء الكسر وورد في رواية أنه انما يمكث سبع سنين وجمع بعضهم ان سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وينزل سبعا فلهذا أربعون سنة وهذا والله أعلم بشيء لما مر من حديث عائشة عند الامام أحمد وغيره « فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة » وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفتيت بان ابن مريم

يمكث في الارض بعد زواله سبع سنين قال واستمرت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الامام الحافظ البيهقي اعتمد ان مكثه في الارض أربعين سنة معتقدا ما أفاده الامام أحمد في روايته بلفظ ثم يمكث ابن مريم في الارض بمسء قتل الدجال أربعين سنة وهذا هو المرجع لان زيادة الثقة يحتاج بها ولائهم يأخذون برواية الاكثر ويقدمونها على رواية الاقل لما معها من زيادة العلم ولأنه مشتهر والمثبت مقدم انتهى والى قتل سيدنا عيسى بن مريم للدجال أشار بقوله

﴿ وانّه يقتل للدجال بياب لدخل عن جدال ﴾

﴿ وانّه ﴾ أي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ﴿ يقتل ﴾ بأمر الله له ومعه ونأيده ﴿ للدجال ﴾ أي الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه في الشرائع وقيل انما سمي دجالا لانه يقطع الارض ويسير في أكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك وقيل سمي به لتوهمه على الناس وتلبسه يقال دجل اذا لدس وموه وقيل مأخوذ من الدجل وهو طلي الحرب بالقطران وتغلبت فكان الرجل يغطي الحق ويستتره

﴿ تنبيه ﴾

انما سمي الدجال مسيحا لان أحد عينيّه ممسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا كما في جامع الاصول واما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فقبل المسيح زكريا عليه السلام ايّاه وقيل لانه كان يمسح ذالعاية فيبرأ وقيل لانه كان يمسح الارض أي يقطعها في سياحته وقيل المسيح الصديق فيسندنا عيسى مسيح الهدى واما الدجال فمسيح الضلالة وضطه فيها ففتح الميم وكسر السين مخففة بالخاء المهملة وسمع مسيح بالتشديد على وزن فعيل قاله الازهري فرقا بينه وبين عيسى فيشدد في الدجال ويخفف في سيدنا عيسى قال العبيسي الشافعي في رسالته « الاجرة المفيدة على الاسئلة العديدة » ما لفظه قال ابن دحية عن شيخه أبي القاسم عن أبي عمر ان موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نطق به

بالحاء المهملة وتقله الصحابة المبلغون عنه وقال الرازي : اذا المسيح قتل المسيحاه
يعني عيسى عليه السلام يقتل الدجال انتهى وقال في المطلع المسيح اثنان نبي
الله عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على
ما هو في القرآن وانما اختلف في معناه فقل سمي مسيحاً لمسحه الارض فعمل
بمعنى فاعل وذكر نحوه ما تقدم وزاد قيل انما سمي مسيحاً لانه كان ممسوح القدمين
لاخص له وقيل لان الله تعالى مسحه أي خلقه خلقاً حسناً وهذا تقدم والمسحة الجمال
والحسن وقيل لانه خرج ممسوحاً بالدهن قال وأما الدجال فهو مثل عيسى في
اللفظ عند عامة أهل المعرفة والرواية وعن أبي مروان بن سراج وغيره كسر الميم
وتشديد السين وأنكره الهروي وجعله تصحيفاً وقال بعضهم كسرت الميم للفرقة
بينه وبين عيسى عليه السلام وقال الحربي بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها
في عيسى وكل سواء قال أبو الهيثم والمسيح بالحاء المهملة ضد المسيح بالحاء المعجمة مسحه
الله اذ خلقه خلقاً حسناً ومسخ الدجال اذ خلقه ملعوناً وقال أبو عبيد المسيح
الممسوح العين وبه سمي الدجال وقيل المسيح الاعور وبه سمي الدجال وقيل أصله
مسيح فيهما معرب وعلى هذا اللفظ ينطق به العبرانيون انتهى وذكر نحوه في النهاية
ثم قال في الدجال وقيل إنه الذي مسخ خلقه أي شوه وليس بشيء انتهى

تقدم ان سيدها عيسى عليه السلام يصلي بالمسلمين صلاة المصير بمسجد دمشق ثم يخرج
بن معه من أهلها في طلب الدجال ويمشي وعليه السكينة والارض تقبض له وما
أدرك نفسه من كافر الا وقتله ويدرك حيث ما أدرك بصره حتى يدرك بصره
حصونهم وقرياتهم الى أن يأتي بيت المقدس فيجده مغلقاً قد حصره الدجال
فيصادف ذلك صلاة الصبح وفي رواية عند الامام أحمد من حديث جابر مرفوعاً
فيفر المسلمون يعني من الدجال الى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم
ويجهدهم جهداً شديداً ثم ان الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك
الرجل ثانياً كما تقدم ويبادر الى بيت المقدس فاذا صعد عقبة فوق رفع ظلة على
المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقوام من برك حتى اذا طال الحصار قال رجل
الى متى هذا الحصار أخرجوا الى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا اما بالشهادة واما

المتنج هل أنتم الا بين احدى الحسنين فقياديون على القتال يعة يعلم الله انها
الصدق عن أنفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد
وان قوت المؤمن التهلل والتسبيح والتحميد ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كنه
ينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن أبصارهم ويبين أظهرهم رجل عليه لامة
فيقولون من أنت فيقول أنا عبد الله وكلته عيسى اخناروا احدى ثلاث ان يبعث
الله على الدجال وجنوده عذايا جسيا أو يحسف بهم الارض أو يرسل عليهم
سلاحكم ويكف سلاحهم فيقولون هذا يارسل الله اشقى لصدورنا فيومئذ ترى
اليهودي العظيم الطويل الاكول الشروب لاقتل يده سيفه من الرعب فينزلون
اليهم فيسلطون عليهم هكذا في هذه الرواية وفي رواية أخرى فيينا امامهم أي
المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح اد نزل عليهم أنبي الله عيسى بن مريم عليه
السلام لاصح فيرجع المهدي فتهبى لينتقم عيسى عليه السلام لبصلي بالناس
ويقال له ياروح الله تقدم أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة أذن فيقول
عليه السلام لينتقم امامكم فيصلي لكم وبضع عيسى عليه السلام يده بين كفتي
المهدي فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى
افتح فيمنح ورأه أي وراء الباب الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم يذوي
سيف محلي وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا
فيقول عليه السلام ان لي فيك ضربة لن تسبقي بها فبدركه عند باب له ولذا
قال (باب) متعلق بقتل الدجال أي يقتله ياب (لد) بضم اللام فidal مهله برزن مد
بلد مشهورة بينها وبين رملة فلسطين مقدار فرسخ الى جهة الشمال متصل شجرها بشجرها
فيقتله هناك وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر فيقول
يا أيها الناس ما يجمعكم أن نخرجوا الى الكذاب الخبيث ويسمعون النداء جاءكم الفوث
فيقولون هذا كلام رجل شعبان وتشرق الارض بنور ربها وينزل عيسى بن مريم
فيقول يا معشر المسلمين أحمدا وركم وسبحوه أي فان التحميد والتسبيح قوتهم
كما هم يفعلون ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيّق الله عليهم الارض فاذا أتوا
باب لد في نصف ساعة براقتون عيسى فاذا نظر الدجال عيسى يقول أقيموا

الصلاة خوفاً منه أي من عيسى ويقول يانبي الله قد أقيمت الصلاة فيقول عيسى يا عدو الله زعمت أنك رب العالمين فلن تصلي فيضربه بمقرعته وفي رواية بحرته التي نزل بها من السماء وفي رواية يذبحه بالسكين ولا منافاة في ذلك إذ كل ذلك سلاح سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله رواه الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه ثم ينزل عيسى بن مريم فينادي من السحر يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب يمثا كما يمثا الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا يهودي فلا يترك من كان تبعه أحداً الا قتله

وحاصل وجه الجمع بين الروايات أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل أولاً بدمشق الشام على المنارة البيضاء لست ساعات من النهار ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثاً للمسلمين ويأمرهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد فيخرج إليه من لم يحرم بالصلاة فيأتي المهدي في الصلاة فيقهقر ويقال لعيسى تقدم أي يقول له ذلك من لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدي تقهقر فيضع عيسى يده على كتف المهدي أن تقدم ويقول للقاتل امامكم فيجيب المهدي بالفعل والقاتل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل الدجال إلى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما عرف عدم التخلص ذاب خوفاً منه كما يذوب الملح بالماء فادركه فقتله أو أن الدجال ينشئ صلاة في غير وقتها وهو أدل على ضلاله وجهالته بالله كما في الاشاعة ثم قال وهذا وجه آخر وهو أقرب إلى التحقيق وهو أن الصلاة في الأيام القصار التي هي آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت وعلى هذا فلا إشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار وبين كونه يصلي بالناس صلاة العصر

ولي على هذا الجمع استشكال ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله أن الروايات ثابتة أن

نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال فتعهم ضيابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل ويكون نزوله على المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعون الدجال وقد فر هذا كالصريع ان عيسى ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار وفيه أيضاً أن الناس لم يكونوا أحرماً بالفجر بعد بل يريدون ذلك وأيضاً المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام إنما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح لا العصر وأول صلاة عيسى بالناس الطاهر . وربما يحاب عن هذا بأن يكون قد جمع بين صلاتي الطهر والعصر تأخيراً لا اشتعاله في طلب الدجال فالأولى التسليم لما ورد على ما ورد والاذعان للاخبار الثابتة فلا تقابل بالمعارضة والرد ولهذا قال (خل) أي أترك وتبرغ (عز جدال) في ذلك فإنه أمر سمي أخبر به المصوم والمقتل لا يحمله فوجب اعتقاده والتسليم والافتقار والاذعان لما أخبر به خير العباد ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم

والجدل لفظة الدل في الحسومة والقدرة عليها يقال جادل يجادل فهو جدل ككتف ومجدل كمنبر ومجدال كحراب وجدلت الحبل أجذله جدلاً مثل فتلته أفتله فتلاً أي فتنه فتلاً محكماً والمدة الاوض يقال طعمه فجذله أي رماء على الأرض ومنه حديث «كنت نبياً وآدم يجتدل في طينته» والجدال في اصطلاح النظار والفقهاء قتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله وإبطال قول غيره وهو وإن كان مأثوراً به على وجه الانصاف واظهار الحق لأنه لا يستغنى عنه لأن به تمييز صيغة الدليل من فسادة تحريراً ونقيراً وتلخيص الأسئلة الواردة من الردود اجزلاً وتفصيلاً إلا ان الغالب فيه انما يكون على وجه العلبة والحسومة والغضب والمرأ وهو يعني المرأ استعراج غضب المخادع عن طريق الحق واليه ينصرف التعر عن قيل وقال قال البرهاري من علمائنا واسمه الحسن بن علي في كتابه شرح السنة ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال ولا يتبع فيها الأهواء بل هي التصديقه بأثر الرسول صلى الله عليه وسلم بلا كيف فلا يقال لم ولا كيف قال الكلام والحجوة

والجدال والمراءى يحدث يتدح الكك في القلب وان أصاب تصاحبه السنة والحق انتهى مختصرا وروى الامام أحمد والترمذي وصححه عن أبي امامة مرفوعا «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل - ثم تلا - ما ضل بوء لك الاجدلا» وللإمام أحمد عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك المراءى وان كان محققا» والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا «لا تمار أخاك» ولأبي داود بإسناد حسن عن أبي امامة رضي الله عنه مرفوعا «انا نزعهم بيوت في ر بضع الجنة لمن ترك المراءى وان كان محققا» وعند ابن ماجه والترمذي وحسنه عن أنس مرفوعا «من ترك المراءى وهو محق بني له بيت في وسط الجنة» وروى أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجدال وهو مبطل بني له بيت في ر بضع الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها» والله الموفق

﴿تنبيهات﴾

(الاول) اذا قتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الدجال انهزم نجتوده الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي الا انطلق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة الا قال يا عبد الله هذا يهودي وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله الا العرقد فانها من شجر اليهود لا ينطق ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي خلني فاقتله الا العرقد فانه شجر اليهود» وفي صحيح البخاري نحوه

﴿الثاني في قدر لبته في الارض وكيفية النجاة منه﴾

اما قدر لبته في الارض فتقدم في خبر النواصير بن سماعيل عن مسلم والترمذي انه يمكنك ان تبين يوم ما يوم كسنة ويوم كشهريوم كجمعة وسأراياه كما بناكم وفي رواية عند الامام

أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين فيه. ثم قال عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة من مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه وفي حديث أبي امامة رضي الله عنه عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء «ان أيامه أربعون سنة السنة كعصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الا آخر حتى يمسي» وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يحضي النهار فيكون مضى النهار عندهم كمضي الساعة والشهر كالיום والسنة كالشهر ومنهم من قال بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند الامام أحمد والترمذي في اشراط الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالفرصة بالار (١) وذكر بعض العلماء ان الصلاة تقدر في هذه الايام أيضاً على قياس ما مر واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين فمنهم من مال الى الترجيح فعلى هذا حديث الدواس بن سمان رواه الامام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه فهو أقوى لانه أصح وان كان الثاني أيضاً صحيحاً فيقدم عليه ومنهم من مال الى الجمع وطريقته ان أيامه أربعون سنة وتسمى السنين أياماً مجازاً كما يقال أيام ابن الزبير وأيام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وأيام بني أمية ثم ان أول أيام السنة الأولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقى أيامه كأيامهم تتناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا الى أن تكون السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر أيامه بحيث يصح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الا آخر حتى يمسي (٢) فتكون

(١) يقول مصحح الكتاب يحتمل ان يكون المراد بتقارب الزمان ما حدث في هذا العصر من مراكب البحار والكهرباء في البحر والبر فيكون هذا من اعلام السرة التي ظهر صدقها (٢) يحتمل أن المراد بهذا أن المدينة تكبر وتتسع حتى يكون مسافة ما بين النابيين من الصباح الى المساء ويؤيد هذا أحاديث أخرى وردت في عمران المدينة

السنة الأولى مشتملة على مقدار سنين من سنيننا وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنيننا ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً أنه يقول يعني الدجال أنارب العالمين وهذه الشمس تجزي بأذني اقتر يدون أن أحبسها فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة ويقول أنريدون أن أسيرها فيجعل اليوم كالساعة الحديث (١)

وأما كيفية النجاة منه فعلم أن مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب ثم أنه لحسته وعجزه أعور وهو جسم مري وهذه كلها لا تجوز على الباري وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفي رواية من آخر الكهف رواه مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً وورد عن أبي امامة مرفوعاً من لقيه منكم فليقتل في وجهه رواه الطبراني وروى الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً « من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » قال الترمذي حديث حسن صحيح وما ينبغي للمؤمن أن يكثر من ذكر الله تعالى من التهلل والنسيب والتكبير فإنه قوته

﴿ الثالث ﴾

نما ينبغي لكل عالم أن يث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال وقد قال ابن ماجه سمعت الطائفاً يقول سمعت البخاري يقول ينبغي أن يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على الناس وقد أخرج الامام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً يخرج الدجال في خفة من الدين وأدبار من العلم فينبغي لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذي اشترأت فيه القلوب وكثرت فيه الخن واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الرابع

اختلف الناس الصحابة فمن اقدم قديما وحديثا في الدجال هل هو صافي
ابن صياد أو غيره قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري مما يدل على
ان ابن صياد هو الدجال ما أخرح مسلم في صحيحه عن محمد بن المنكر قال
رأيت جابر بن عبد الله يحلب يائه ان ابن صياد الدجال قتل له أنحلف على ذلك
قال اني سمعت عمر يحلب على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي
صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه وفي تذكرة القرطبي عن مافع قال
كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول والله ما أشك ان المسيح الدجال ابن صياد
أخرجه أبو داود واسناده صحيح وفي ذلك عدة أحاديث وآثار صحيحة الا انها
ليست صريحة ولا نصا في ان ابن صياد هو الدجال وقد أخرج الامام أحمد بسند
صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه مر فوعا يخرج الدجال من يهودية أصهبان
قال أبو ثعلبة كانت اليهودية من جملة قري أصهبان وأنا سميت اليهودية لانها
كانت تختص بسكنى اليهود ولم تنزل كذلك الى زمن أبوب بن زياد أمير مصر
في زمن المهدي بن منصور العباسي وسكنها المسلمون و بقيت لليهود منها قطعة
وحاصل كلام الحافظ ابن حجر ان الاصح ان الدجال غير بن صياد وواقته في
الاشاعة وان واقته ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود وانه ما كن في يهودية
أصهبان في خبر ابن عمر رضي الله عنهما قال لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة
الاولى ثم قال لقيته لقية أخرى وقد مدت عنيته قال فقلت متى فمت عنيك ما
أرى قال لا أدري قال قلت لا تدري ومي رأيتك قال ان شاء الله خلقها في عصاك
هذه قال فحرقا شد نحر حارسه فزع بعض أصحابي اني ضربته بعضا كانت
معي حتى تكسرت وأما ما فوالله ما شعرت قول وجاء ابن عمر ودخل على أم
المؤمنين حفصة رضي الله عنها فحدثها فقالت ما تريد اليه اما انه قد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «ان أول ما يبعثه على الناس غضب يفضبه» وقد كان أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذنبي
بارسول الله اصرت سقه فقال صلى الله عليه وسلم اني بكن هو قلن تسلط عليه وكن

لم يكن هو فلا خير لك في قتله ذكره في التذكرة وغيره وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال لما فتحت أصبهان كانت بين عسكرنا وبين عسكر اليهودية فرسخ فكننا تأتيها ونمتار منها فأتيها يوما فاذا اليهود يضطربون فسألت صديقنا لي منهم فقال ملكنا الذي نستفتح به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس اذا الوهج من قبل العسكر فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعني اليهودية فلم يمدحني الساعة قال الحافظ ابن حجر: وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته وبقي سنده ثقات وقد أخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة وأخرج الترمذي من حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعا «يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لها ولد ثم يولد لها أعور أضر شيئا وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه» قال أبو بكره نعم نعت له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يه فقال «أبوه طوال ضرب اللحم كأنه منقار وأمه امرأة طويلة اليدين» قال أبو بكره فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبيه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكشنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيئا وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه قال فخرجنا من عندها فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله جمجمة فكشفت عن رأسه فقال ما قلنا قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيني ولا ينسام قلبي قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويخرجه أبو داود الطيالسي

وبالحاصل ان كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل بعيد وحديث أبي داود الذي رواه عن جابر ان ابن صياد فقد يوم الحرة ضحيح السند وراه غيره بسند حسن فهو يضعف خبر انه مات بالمدينة وانهم صلوا عليه لانه أسلم وانهم كشفوا عن وجهه ولا يلزم أيضا مع خبر حسان بن عبد الرحمن المازلان فتح أصبهان كان في خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها وبين شهادة سيدنا عمر رضي الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة وخاضل كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري وكلام غيره ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير

بن نفير وشريح بن عبيد وعمر والأسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال ليس
 بأسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض حزائر ابن كمال تقدم قال
 الحافظ بن حجر وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد وأما ما أخرجه أبو
 داود في جبر الحساسة من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن قل شهد جابر أنه
 الدجال هو ابن صياد قلت فإنه قد مات قال وإن مات قلت فإنه قد أسلم قال
 وإن أسلم قلت فإنه قد دخل المدينة قال وإن دخل المدينة وإن صح ذلك فهو
 شهادة على حسب طه وما قرئ في صدره من اعتقاده أنه ابن صياد. وأما ما ذكر
 سيف بن عمري كتاب الفتح والردة من أنه لما نزل المسلمون على سوس وأحاطوا
 بها واشبهوا القنصل أشرف عليهم يوم الأربعاء والنسيون فقالوا يامشر المرء
 إن مما عهد البنا علماؤنا وأولياؤنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيه
 الدجال فإن كان الدجال فيكم ففتحونها والا فلا تغزوا بالحصار قل وصافي ابن
 صياد يومئذ مع العمان بن بشير رضي الله عنه في جندته فأتى صافي ابن صياد باب السوس
 ففتحها وقال انتحى فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وفتح
 الأبواب ودخل المسلمون فالمصحح خلافه قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجب
 به من ما تضمنه حديث نعيم وخبر الحساسة وبين أحاديث كون الدجال هو ابن
 صياد أن الدجال هو الذي رأى نعيم موثقا بيمينه وإن ابن صياد شيطانه طهر في صو
 الدجال تلك المدة التي قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا ممكن والله أعلم

في الخامس

في ذكر قصة نعيم الداري وحديثه الذي رواه عنه أبي علي رضي الله عنه
 وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه
 بعل وعائشة رضي الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس عند الشعبي
 الشعبي ثم نسب القاسم بن محمد فقال أشهد على عائشة حدثتني كما حدثت باما
 بنت قيس وروي أيضا من حديث جابر أخرجه أبو داود بسند صحيح وأما حديث
 وطمة الذي هو عمدة الباب وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث فأخرجه مسلم
 صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح

ولفظ رواية مسلم قالت فاطمة رضي الله عنها سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: «الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال «يلزم كل انسان مصلاه» ثم قال—اتدرون لم جمعتمكم؟ قالوا الله ورسوله اعلم قال «اني والله ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتمكم لان تيمم الداري كان رجلا نصرانيا نجاء ورايع وأسلم وانه حدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفؤا (أي بفتح الهززة وسكون الراء) فهمزة مضمومة أي لجؤا) الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة (وهي بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرهما سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج) قال—فدخلوا الجزيرة فلةيتهم دابة أهلب (أي كثير الشعر غليظه وعند أبي دود) فاذا أنا بامرأة تجر شعرها—وفي رواية مسلم—دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثر الشعر فقالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة (وهي بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الاولى سميت بذلك لانها تجسب الاخيار وقدروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان هذه هي دابة الارض التي تخرج آخر الزمان فتكلم الناس كما يأتي) قالت أيها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال فلما سمعت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلفا وأشدّه وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبته الى كعبه بالحديد قلنا وهلك ما أنت قال قدرتم على خبري فاخبروني ما أتم قالوا نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم (أي هاج واضطربت أمواجه) فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في أقرعها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت انا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفرغنا منها ولم نأمن ان تكون شيطانة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أدرك عيسى منكم ليقرنه مني السلام»
وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني يدين في بيت مریم مع رسول الله صلى الله
وسلم عليهما وصاحبيه رضي الله عنهما فيكون قبره رابعا وسبعا المواهب اللدنية
لقسطلاني رحمه الله بقي من البيت موضع قبر يدين فيه عيسى بن مریم عليه السلام
ويكون قبره الرابع ومر حديث ابن عمر عند ابن الجوزي في المصنف قال العلامة
الشيخ مرعي في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ياتي قوله صلى الله
عليه وسلم في الحديث المارمعي في قبوري فانه صلى الله عليه وسلم عبر بذلك لشدة
القرب اذ هو اقرب منه أو بتقدير مضاف أي في جانب قبوري لينطبق
الكلام ويتفق فدل مجموع ما ذكرنا ان المسيح عيسى بن مریم عليه السلام عوت
بالمدينة المنورة قال بعضهم ولعل موته عند حجة وزيارته الذي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان الكلام على المهدي والدجال وعيسى بن مریم عليه السلام طويل شهير
أفردت في ذلك الكتب المبسطة والمختصرة وذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة من
ذلك طرفا صالحا يغني من أحصاه علما عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب والله
أعلم بالصواب

العلامة الرابعة ﴿

خروج أجوج وماجوج والبا أشار بقوله

﴿وأمر أجوج وماجوج اثبت فإنه حق كهدم الكعبة﴾

﴿وأمر أجوج وماجوج﴾ بهمران ولا بهمران لغتان وقري بهما فمن همرها
جعلها من أحبيج النار وهو ضوؤها وحرارتها وسوا بذلك لكثرة هم وشدة هم وقبل
من الإباح وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان أعجميان غير مشتقين قال مقاتل هم
من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقال الصحاح هم من الترك وقال كعب احتلم آدم
عليه السلام فاحتلط ماله بالتراب فأسف خلقوا من ذلك وفيه نظر لان الانبياء
لا يخلطون على ان ابناءهم لا يتربوا على الحلم الذي يقتضي أن يترأى له في منامه
ما يكون سببا لآله كما لا يحق وقد روي الطبراني من حديث حذيفة رضي الله

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يأجوج أمة لها أربع مائة أمير وكذلك مأجوج ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده» قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والمعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقال الكسائي في المراس أن يافث سار إلى المشرق فولد له هناك جوه ونبرش وشار واسقويل ومياشع وهي أسماء أعجمية فمن جوه جميع الصقالبة والروم وأجناسهم ومن مياشع جميع أصناف المعجم ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعاً وخمسون ومنهم من طوله وعرضه كذلك ومنهم من يلتحف بأحدى أذنيه ويفترش الأخرى وقال علي رضي الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالف في موضع الاظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم والمراد بأمرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة فلهذا قال (أثبت) أي اعتقد ثبوته

أما الكتاب فقوله تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) وأما السنة ففي صحيح مسلم من حديث الثواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله تعالى يوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بتناهم فخرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ومحضرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار» الحديث وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طالع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج وتزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عدن ابن ٧» الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد وهو في مسلم من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد

عن الثقات عن ابي بصير قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننبأ بكر فقال ما نزل كرون قالوا نذكر الساعة قال «انها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدمال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويا جوج وما جوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ورواه من وجه آخر وكفى حذيفة بأبي سريجة وقال فيه وثار تخرج من قعر عذو ترحل الناس وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وفي خبر علي رضي الله عنه لهم محاليل وأبواب السباع وتداعي الحمام وثساد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان غظام أحداها وبرة يشتون فيها والآخرة جلدة يصيفون فيها ..

سئل الامام النووي هل يا جوج وما جوج من ولد حواء وكما ثبت انه يبعث كل واحد منهم فأجاب هم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عدداً كثر العلماء وقيل انهم من آدم دون حواء قال النووي كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عبد جاهر العلماء قال النووي فيكونون اخوانا من الأب قال الحافظ ابن حجر لم يرد هذا عن أحد من السلف الا عن كعب الاحبار وورده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعا والا فابن كواحين الطوفان ولم يثبت في قدر اعمارهم شيئا انتهى وقد ذكر الامام ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يا جوج وما جوج هل بلغتهم دعوتك فقال «جزت ليلة اسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا» فليس الفرآني والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا وما لم نذكر قال (فانه) أي أمر يا جوج وما جوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس (حق) ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده فقد روى الجماعة الا ابا داود من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا بحرا وجهه يقول «لا آله الا الله» ويل للعرب من شر قد اقرب فتتح اليوم من ردم يا جوج وما جوج مثل هذه» وحلق بأضبعيه الابهام والتي تليها قالت قلت يا رسول الله اهلك وبنينا

الصالحون؟ قال «نعم إذا كثرت الحبث» إشارة بذلك الى ان الذي فتحوا من السد قليلا وهم مع ذلك لم يلبسهم الله تعالى ان يقولوا عند تقبهِ وحفره غدا فنزحه ان شاء الله فاذا قالوها خرجوا وقد روى عبد الرزاق عن أبي قتادة قال بأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم النرك فبقوا دون السد وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن طريق السدي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت علي بن أبي طالب عن النرك فقال هم سبابة فبنى السد فبقوا خارجا عنه وسئل علي بن رضوان الله عليه عن النرك فقال هم سبابة لبس لهم أصل هم من يأجوج ومأجوج خرجوا يغفرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيرة في الارض رواه ابن المنذر وأخرج الامام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خاله مرفوعا «اسمكم لتفولن لاعدو وانكم لاتزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا بأجوج ومأجوج عرض الوجوه صفار البون صهب الشعور من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة» قوله صهب الشعور اي شعرهم بين الحمار والسواد وقال الزهري بأجوج ومأجوج ثلاث أمم منسك وتأويل وتأربس وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد ابن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ورواه ثلاث أمم نأويل وتأربس ومنسك وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه وفي حديث حذيفة لا يعمرون بفل ولا وحش ولا طير ولا جل ولا خنزير الا أكاه ومن مات منهم أكاه وذكر بعضهم في صفتهم ان فيهم من له قرن وذنب وانباب بارزة يا كاون اللحوم نيثة وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية وعند النسائي من رواية عمر بن أوس عن أبيه رضي الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج يجامعون ماشاوا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاوا وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو انه قال الحن والانس عشرة اجزاء فتسمى اجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس وقل مكحول الارض

مسيرة مائة عام ثمانون منها يا جوح و ما جوح و هي امانة كل امة اربعة امة
لا يشه الا امة الاخرى و بعد ابي الشيخ عن ابي امامة الدنيا سبعة اقاليم يا جوح
و ما جوح ستة و الباقي اقليم واحد و قال خالد الاشبح ان نبي آدم و نبي ايليس ثلاثة
اثرات ثلثان نوا ايليس و ثلث نوا آدم و نوا آدم ثلاثة اثرات ثلثان يا جوح
و ما جوح و ثلث سائر الناس و الناس و بذلك ثلاثة اثرات ثلث الا بدلس و ثلث الحبشة
و ثلث سائر الناس العرب و الهام و عند الخاكم و عند الرقاق من قول ابن عمر
رضي الله عنهما ان الله تعالى حرا الملائكة و الحن و الانس عشرة اجراء تسعة منهم
الكروبيون و الدب يسبحون الليل و النهار لا يقترون و حر الاس و الحسن عشرة
اجراء تسعة من الحر لا يولد من الاس و ولد الاولد من الحسن تسعة و حر الانس
عشرة تسعة منه يا جوح و ما جوح الحديث

و تنة في سبب حروهم و افسادهم و اهلاكم ايج

اعلم اولاً ان الاسكندر بنى الردم الذي سده به على يا جوح و ما جوح
ذكر الله تعالى ذلك في محكم الدكر في قوله سبحانه (قالوا يا ابا القريبن ان يا جوح
و ما جوح و فسدوى الارض ا ما قتل و التحويف و اهلاك الررع و فسل الخيد
(هل نجمل لك حرجا) اى جملا نخرجه لك من اموالنا و قرأ حمزة و الكاسي و حله
(خرجا) بهنح الرا و اى بدها و هو المال المصروب على الارض بوذى في كل
عام (على ان يجعل بدا و بينهم سدا) اى حازرا فلا يحصلون البنا (قال) ذو القربى
(ما مكى في ربى) من القوة و العلم و طاب ثوابه و المال و نفوذ المقال (خير) اى افسد
ما تعطونى انتم (فأعيوني قوة) اى آلة اتقوى بها و قل منكم (احمل) و منكم و من
(ردما) هو اكبر و اعظم من السد و حاروه بذلك فحفر ما بين الصديقين يعني الحاجبين
من الحلبس لانها يتصادفان اى يتقاملان حتى ملعوا الماء ثم قال (آتوني ربر الحديد
اى القطع التي اعد لها ذلك فحمل الاساس من الصخر و المعاس المدا و النية
من زبر الحديد بعضها فوق بعض و جعل بينهما الخطب و الفحم (حتى اذا سارى
الصدف قال افخوا) فنخوا النار (حتى اذا جعله) اى الحديد (مارا) اى كالنار (قال)
آتوني افرغ عليه قملرا) اى اصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تاكل المطبق

وتصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطول الجباين اللذين بني بينهما مائة فرسخ (فما استطاعوا ان يظهروه) ثم يعلوه من فوقه للملاسته ورفقته (وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا لصلابته وسمكه ثم قال (هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا. وكان وعد ربي حقا) وقد روى البزار من حديث يوسف بن مریم الحنفي قال بينا أنا قاعد مع أبي بكرة رضي الله عنه اذ جاء رجل فلم عليه فقال أما تعرفني فقال له أبو بكرة أنت هو قال نعم فقال اجلس حدثنا فقال انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت بينا فاستقيت على ظهري وجعلت رجلي على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم اسمع مثله فرعبت فقال لي رب البيت لا تدعرن فان هذا لا يضرك هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسرك ان تراه قلت نعم قال فعدوت فاذا لبته من حديد كل واحدة مثل الصخرة واذا كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره ان ينظر الى رجل قد أتى الردم فلينظر الى هذا» قال أبو بكرة صدقت وذكرا أهل التاريخ ان الاسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد والنحاس وكان مكان السد جبالا منقلا ان امساك كالحائط يزلق عنهما كل شيء لا يرتقي فيهما لعلوها وملاستهما فأمر الاسكندر الصناع فحضروا ابن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف وسمكها شبر وقد ذكر سلام الترجمان قال بعثني الواثق العباسي الى السد وضم الي خمسة رجال وأعطانا ما لا فائز لنا ننقل في البلاد وثبت الملوك معنا الادلة الى ان صرنا الى أرض سوداء متنة الريح فصرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا الى معدن خراب فصرنا فيها سبعة وعشرين يوما وهي التي كانت يأجوج ومأجوج بطرقونها ثم صرنا الى حصون بالتراب من السد وفيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن فسألونا من أين أقبلتم قلنا نحن رسل أمير المؤمنين قالوا ماسعنا بهذا قط ثم صرنا الى جبل أملس وفيه السد وهناك باب حديد مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين في ثخن خمسة أذرع وقائماتها في دواة على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع

القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعاً وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وقفيز وعلى العاق مفتاح معاق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار وعتبة الباب عشرة أذرع ورثبس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشر فوارس مع كل فارس مربعة من حديد فيضربون القفل بتلك المزوبات مرات ليسموا بالصوت فيعلموا ان هناك حفظة

وقد أخرج الامام أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان يا جوج ومأجوج ليخرفن السد كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فنخرقونه غدا فيعيد الله أشدهما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على اناس قال الذي عليهم ارجعوا فخرقونه غدا ان شاء الله تعالى واستثنى قال فبرجعون فبجدوته كيثه حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس» قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح قال ابن العربي في هذا الحديث ثلاث آيات الاولى ان الله تعالى منهم ان يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً الثانية منهم ان يحتالوا للرقى على السد بنحو السلم والآلة فلم يلبهم ذلك ولا علمهم اياه مع انه ورد ان لهم أشجاراً وزروعاً الثالثة ان صدمهم ان يقولوا ان شاء الله حتى يحجى الوقت المحدود، قلت وأخل بالآية الرابعة وهي أعظاها وهي عود السد بعد الحفر حتى اذا كادوا ان يروا شعاع الشمس الى أشدهما كان الى ان يبلغ الكتاب أجله وقد يقال ان فيهم من يعرف الله تعالى ويقر بقدرته ومشيئته ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت على لسان ذلك الوالي من غير ان يعرف معناها فيحصل المقصود به ركنها ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق كعب الاحبار نحو حديث أبي هريرة وفيه فاذا جاء الامر أني الله على بعض ألسنتهم تأتي غدا ان شاء الله فيفرغ منه وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه يقدون فيحيئون عليه فيفتح الحديث وسنده ضعيف والحاصل انه يحتمل ان تلقى كلمة المشيئة على لسان أحد وهو أقوى ويحتمل ان يسلم واحد منهم بالهام من الله فيقول ان شاء الله تعالى

وفي صحيح مسلم من حديث الثوراس بن سعيان رضي الله عنه مرفوعا بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال ثم يأتيه يعني عيسى قوم وقد عصاهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدهم بدرحاتهم في الجنة فيبتاهم كذلك اذ أوحى الله الى عيسى ان قد أخرجت عباداً لي لا يدان لاحد بقناهم فخرز عبادي الى الطور وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون الحديث وفي رواية لمسلم ثم يسرون حتى بنهوا الى جبل الحُر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض حلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النصف بفتح النون والسين المعجمة ففاه وفي رواية دودا كالنصف في أعناقهم وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم الواحدة نفقة عن الاصمعي وعن أبي عبيدة هو الدود الابيض يكون في النوى وما سوى ذلك من الدود فلاس بنفخ وقبل هو دود طوال سود وخضر وشبر يقطع الحوت في بطن الارض فيصبحون موتى كوت نفس واحدة معناه قتلى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون الارجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه قد وطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين الا أبشروا ان الله عز وجل قد كفأكم عدوكم فيخرجون من مداينهم وخصوماتهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم امر على الاخوان منهم فتشكرهم بفتح الكاف أي تسمن أحسن ما شكرت عن شي حتى ان دواب البحر تسمن وتشكر شكرام لحومهم ودماهم ويهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم وتنهم أي ربحهم من الجيف فيؤذون الناس بنفثهم أشد من حياتهم فيستغيثون بالله فيبعث الله ويحيى بمائنة غيرا فتصبر على الناس غما ودخانا ويقع عليهم الزكوة وبكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الارض جيفهم في البحر وانفط صحيح مسلم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طائرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن معه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة

ثم جال للارض أنبت ثمرك ووردي بركتك فيومئذ تأكل المعصاة من الرماة
وبسنة لون بقعتها وبارك في الرسل بمعنى اللبن حتى أن الفحة من الابل لشكفي
الغنام من الناس أي الجماعة منهم والفحة من الابل لشكفي القبيلة من الناس والفحة
من الغنم لشكفي الفخذ من الناس الحديث وفي رواية فبرسل ملبرا كاعتناق البخت
فحملهم فترمهم الى البحر وفي رواية في النار وبوقد المسلمون من قسي بأجوج
ومأجوج ونسأبهم وأرستهم سبع سنين - قوله في الحديث كأللفة يروى بالفاء
وبالقاف قال القاضي عياض في مشارق الأنوار ضبطناه بالوجهين عن متقي شيوخنا
وبها ذكره أهل اللغة وقسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالمرأة وقاله ثعلب وأبو
زيد وقال بعضهم هو بالفاء الاجانة الحضراء وقيل الصحنه وتفسير ابن عباس
رضي الله عنهما أظهر والله التوفيق قل الواس بن سمان رضي الله عنه كما في
صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فينأى عيسى بن مريم
وأصحابه كذلك أي في ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوم اذ بعث الله تعالى
ربما طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتبص روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار
الناس ينهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة والله أعلم

العلامة الخامسة

من العلامات العظيمة هدم الكعبة المشرقة والقبلة المعظمة والباها أشار بقوله
(ك) ما أن أمر بأجوج ومأجوج حتى ثابت يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب
اعتقاده وقوع (هدم الكعبة) المعظمة والقبلة المكرمة وسلب حليها وإخراج كنزها
لما أخرج البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال «بخرب الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة وفي لفظ ذوالسويقتين من
الحبشة بخرب بيت الله» وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه
وزاد «وبسلبها حليها وبجردها من كسوتها فلكني انظر اليه أصليع أفدع بضرب
عليها بمسحانه أو موله» وأخرج الارزقي عنه «بمبش البحر عن فئة من السودان ثم
يسيلون سيل الزمل حتى ينتهي الى الكعبة فيخربونها والذي نفسي بيده اني لكان
انظر الى صفته في كتاب الله تعالى افيج أصليع أفدع قائما يهدمها بمسحانه

أو معوله» وفي الصحيحين كأنه به أسود أفحج يهدمها حجرا حجرا أي ويتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث حذيفة مرفوعا «كأنني انظر إلى حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له ينفضونها حجرا حجرا ويتداولونها حتى يطرحوها في البحر» الحديث قوله ذو السويقتين أي صاحبيها وهما تصغير ساقين أي دقيق الساقين وقوله أصبلع تصغير الأصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه والإقذع تصغير أقدع وهو من في يده أعوجاج وفي القاموس القذع محركة أعوجاج الرسع من البد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم أو هو المشي على ظهر القدم أو ارتفاع أخمص القدم حتى لو وطئ الأفدع عصفوزا ما آذاه أو هو عوج في المفاصل لأنها قد زالت عن موضعها وأكثر ما يكون في الأرساغ خلقة وجاءني بعض روايات الحديث أصبل أي صغير الرأس وفي بعضها أصبع أي صغير الأذنين وقيل كبير الأذن والإفحج تصغير أفحج المتباعد الفخذين وأخرج لإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يابيع الرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة لغرب ثم يجيئ الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزهم رواه بهذا اللفظ أيضا الأزرقي في تاريخ مكة والمالك وصححه

فإن قلت قد ورد وتقدم أن المهدي هو الذي يخرج كنز الكعبة وفي هذا الحديث أن ذو السويقتين هو الذي يخرج كنزها ولعمري أنه لسؤال وارد واستشكل مضاد ولم أر من تقدمني من تقب عن هذا السؤال وفيه خاض ولأن أجاب هذا السؤال ولأن تعرض لهذا الاعتراض ولعل الجواب أن المهدي يستخرج الكنز المذكور ثم بعد ذلك يجتمع في خزانة الكعبة في مدة المهدي ومدة سيدنا عيسى إلى أن يخرجها ذو السويقتين مال كثير سيما مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن أو يكون المهدي كشفه وظهر عليه وأخذ منه عوزة وترك باقيه والله أعلم

فإن قلت تسلط هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله المعظم ينافي قوله تعالى

(أولم يروا أنا جعلنا محرماتنا) الآية (ومن يرد فيه بالحاد بظلم الآية وقد حرم سبحانه من أصحاب الفيل وجيرانه حينئذ كفار مشركون فكيف يساط عليه الحبشة وهو قلة المسلمين ومجيرانه) (فالجواب) ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهو أن يقال قد أشار النبي صلى الله عليه وسلم للجواب في الحديث بقوله ولن يستحل هذا البيت إلا أهله في زمن الفيل ما كانوا قد استحلوه فنعمة منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه إلا بعد استحلال أهله له مرارا وقد استحله جيش يزيد بن معاوية بأمره ثم الحجاج زمن عبد الملك بن مروان بأمره فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى وقلموا الحجر وتقلوه لبلادهم فلما وقع استحلاله من أهله مرارا مكن غيبرهم من ذلك عقوبة لهم على أنه ليس في الآية استمرار الأمن المذكور فيه انتهى ملخصا (قلت) والذي يظهر لي أن هذا العالم مشعر بالاستحلال وكما ورد الشرع بالأمن ورد باستحلال هذا العالم ودماره فاشعر أن الأمن مفيا إلى غاية أشار الشارع إليها فوجب تصديق الأمرين كل واحد زمنه حسبما هو مقتضى الشرع وبالله التوفيق

فإن قلت هل هدم الكعبة من ذي السوفيتين المذكور زمن سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول الله (فالجواب) أن هذا مما اختلف فيه العلماء فمن كعب الإخبار أنه زمن عيسى عليه السلام وقيل زمنه وعد هلاك يأحوج وأجوج فيخرج الناس ويعتبرون كآبث ذلك وإن عيسى عليه السلام يحجج أو يعتبر أو يجمع بينهما كما تقدم فالظاهر أن هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التي يموت بها من في قلبه ذرة من إيمان وذكر الحافظ ابن حجر أنه وجد في كتاب التيجان لابن هشام أن عمر بن عامر كان ملكا متوحا وكان كاهنا معمرًا وأنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزنيقا لما حضرته الوفاة إن بلادكم ستخرب وإن الله في أهل اليمن سخطين ورحبتين فالسخط الأول هدم سد مأرب وخراب البلاد بسببه والثانية غلبة الحبشة على اليمن والرحمة الأولى بعثة نبي من نهمته اسمه محمد يرسل بالرحمة ويقلب أهل الشرك والثانية إذا خرب بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه

ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا إيمان الا بأرض اليمن قال الحافظ ابن حجر ان ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه وانترضة البرزنجي في الاشاعة بأن ليس فيما ذكر ما يقتضي ان ذلك هو القحطاني ولم لا يجوز ان يكون شعيب بن صالح هو النبي القادم بالرايات السود الى المهدي وأنه يرسل عيسى عليه السلام اليه حين يأتيه الصريح ويؤيده كونه لقبه المنصور وبتقدير ان يكون هو إياه فحائز ان يكون قبل خلافه ويكون في من أرسله عيسى عليه السلام أميراً عليهم فإنه ورد أن الصريح يأتي عيسى بذلك فيبعث اليه طائفة ما بين اثمانية الى التسعة فيكون هو أميرهم وليس في كونه رحمة لاهل اليمن ما يقتضي انه منهم وبكفي من كونه رحمة لهم انه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى إيمان الا في أرض اليمن ثم ان الحجاز من اليمن ولذا يقال الكعبة بمانه ولعل زمن اختصاص اليمن ببقاء الایمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح ولا ينافي ما ذكر حديث « آخر ما يوجد الايمان في المدينة » لأنها من اليمن والله أعلم

وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى في الارض من يقول الله ويؤيد هذا ان زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير وهذا أليق بكرم الله والذي تقتضيه الحكمة فان البيت قبله الاسلام والحج اليه أحد أركان الدين ومبانيه فالحكمة تقتضي بقاءه بقاء الدين فاذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته جاء عن الثقات الحفاظ يمكث الناس ما شاء الله تعالى في الحصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وظلوع الشمس وخروج الدابة قل ثم يخرج الحبشة وعليهم ذوالسويقين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبدا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر قال ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعبادة . فيمن ان هدم الكعبة بعد الآيات كلها وان كان لا يخلو من تأمل والله أعلم

﴿فوائد﴾

(أحدها) تقدم ان عمران بيت المقدس خراب يثرب رواه أبو داود من حديث مماث مرفوعا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال «سيلغ البناء سلعا ثم يأتي على المدينة زمان يمر السمر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وغنى الأثر» وأخرج الامام أحمد نحوه بإسناد حسن وفي الصحيحين «لنترك المدينة على خبر ما كانت مذلة ثمارها لا يغشاها الا العواقي الطير والسباع» الحديث وسبب خرابها والله أعلم ان خيار أهلها يخرجون مع المهدي الى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمناقبتها وترميهم الى الدجال ولم يبق الا المؤمنون المخلصون فيها جرون الى بيت المقدس عند امامهم وقد ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ ألزهم مهاجر ابراهيم ومن بقي منهم تقبض روحه الريح الطيبة وقد روى المرحاني في أخبار المدينة عن جابر مرفوعا «ليمردن هذا الأمر الى المدينة كابدأ منها حتى لا يكون ايمان الابهاء» وأخرج السائي من حديث أبي هريرة مرفوعا «آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة» رواه الترمذي بنحوه وقال حسن غريب ورواه ابن حبان بافظ «آخر قرية في الاسلام خرابا المدينة» وصح «ان الدين ليأرز الى المدينة كما نارز الحية الى حجرها» فظاهر هذه الاخبار التعارض ووجه الجمع ان الدين تم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدي ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين أي ينحشر ويدخل الى المدينة حينئذ لانهم المؤمنون الكاملون التابوا للخليفة الحق ثم انها تنفي خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الايمان الخالص بخلاف غيرها من بيت المقدس وغيرها من البلدان فيبقى فيها أهل ذمة ومناقرون لانهم انما يؤمنون بهد نزول عيسى عليه السلام وكذلك مكة تنقذ بمناقبتها الى الدجال أيضا وقد قيل ان الريح الطيبة تأتي من الشام فيكون أهل الشام يقبضون قبل ان تصل المدينة أو من اليمن وكذلك أو من كليهما كما جمع به والامر ظاهر فيصدق انه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبي هريرة فمجرد موثقتهم نخرب المدينة لانه ليس فيها سوى المؤمنين بخلاف غيرها فانها تبقى عامرة بشرار الناس كما أشار اليه في الاشاعة وهو حسن وبالله التوفيق

﴿ الثانية ﴾

(في ذكر خروج القحطاني والجيهاد والهيثم والمقعد وهو لاء بعد موت المهدي)
أخرج أبو الشيخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «بذل عيسى بن
مريم عليه السلام فيقتل الدجال ويموت فيستخلفون يعني بعد وفاة سيدنا عيسى
عليه السلام بأمره رجلا من بني تميم يقال له المقعد فإذا مات المقعد لم يأت على
الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ويبدأ النقص ليوافق
ما بآتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام» والظاهر والله أعلم
أن هذا التميمي الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح أحد الأمراء والوزراء للمهدي
بل هو أحد المهديين والظاهر أنه بقي أميراً في نواحي الشرق ثم استدعيه عيسى
عليه السلام بعد وفاة المهدي عند خروج ذي السوفتين على مكة ونواحيها فيقتلهم
ويسيئهم حتى يباع الحبشي بالعبادة ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصي له بالامر لما يرى
فيه من الكفاءة لذلك والقيام بأعباء الدين ولم أر هذا التحرير لغبري فإن لم يكن هو
شعيب بن صالح والافو أحد الأمراء الذين كان يلقي عليهم أعباء الامر أو الذي
يلي إمارة الشرق من بعد شعيب أن كان هو قد مات ويكون هذا يلقب بالمقعد
وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «لا تذهب الايام
والليالي حتى يملك الناس رجل يقال له الجيهاد» وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما
عنه مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه» وأخرج
الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس ابن جابر
عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ستكون من بعدي خلفاء ومن
بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبارة ثم يخرج من أهل بيبي المهدي
بملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو
دونه» وأخرج نعيم بن حماد عن سلمان بن عيسى قال بلغني أن المهدي يملك أربعة
عشر سنة يبيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور
يعني القحطاني يملك بيت المقدس إحدى وعشرين سنة قلت هذا لا يلتم أن يكون هو
شعيب بن صالح التميمي لأن بني تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وإن وافقه

في تلقيه بالمتصور ثم يقتل هذا التحطاني ثم يملك المولى يعني الجاهل ويملك ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وهذا المهدي غير الأول وكله لقب بذلك لحسن سيرته وصفاء سريرته والحاصل ان الواجب اعتقاده من ذلك ما دلّت عليه الاخبار الصحيحة والآثار العريقة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وسيدنا عيسى بن مريم في زمنه ويصلي عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث أطلق المهدي وأما المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيء والدين من بعده فأمراء صالحون لكن ليسوا مثله هو آخرهم في الوجود وإمامهم وخبرهم وأفضالهم في الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام فإنه رسول كريم من أولى المزم وهو آية وعلامة وحده فيحب الإيمان بزوله ويجب الإتيان أيضا بخروج الدجال المبين وإن سيدنا عيسى عليه السلام يقتله باب لد عند بئر الزئبق ويجب الإتيان أيضا بخروج يأجوج ومأجوج وبأن الكعبة يهدمها ذو السوء يقتين في آخر الزمان والله تعالى المستعان

في الثالثة

جاء في الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وسلم قال «حجوا قبل أن لا تحجوا فالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين مكانه بالأمس» وقد روى الحاكم والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا حجوا قبل أن لا تحجوا فكانني أنظر إلى حبشي أصم أفدع يده معول يهدمها حجرا حجرا قوله أفدع هو بقاء ودال مهملة بوزن أفعل بحشي على ظهور قدميه وتقدم أن الأصم بالصاد المهملة صغير الأذن وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «حجوا قبل أن لا تحجوا تفقد أعرابها على أذنان أوديتها فلا يصل إلى الحج أحد» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «استمتعوا بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» رواه البزار والطبراني في الكبير وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال صحيح الإسناد قال ابن خزيمة قوله يرفع في الثالثة يريد بعد الثالثة وروى

أبو القاسم الاصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً «تعجلوا إلى الحج - يعني الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» والله تعالى اعلم

﴿العلامة السادسة﴾

من علامات الساعة واشراطها المعظمى ما اشار اليه بقوله

﴿وان منها آية الدخان﴾

﴿وان منها﴾ أي من اشراط الساعة التي ورد النص بها وانها حق بموجب الايمان به ﴿آية﴾ أي علامة وأصلها أوبة بفتح الواو وموضع العين واو والنسبة اليه أووي وقيل أصلها افاعة فذهبت منها اللام والعين تخفيفاً ولوجاءت تامة لكانت آية ومعنى الآي من كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً وأما في غيره ففي العلامة أي من اشراط الساعة علامة ﴿الدخان﴾ كزمان وغراب لفتان والجمع أدخنة وداخن ودواخين قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم والحسن وزيد بن علي رحمهم الله تعالى هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في اسراع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كهيئة أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت وأما السنة فاخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد رضي الله عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننذاكر فقال «ما نذاكرون» قالوا الساعة يا رسول الله قال «أما إن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» فذكر منها الدخان ورواه الترمذي وابن ماجه وأنه يمكن في الارض أربعين يوماً وفي حديث حذيفة بن الجبان رضي الله عنه أن من اشراط الساعة دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب يحك في الارض أربعين يوماً أما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره رواه الطبراني ورواه البغوي ولفظه قال حذيفة بن الجبان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أول الآيات الدخان وتزلزل عيسى بن مريم ونار

تخرج من قمر عدن أين تسوق الباس إلى المحشر تقبل معهم إذا قالوا «قال حذيفة
 يأمر رسول الله وما الدخان؟ لا هذه الآية يوم يأتي السماء بدخان مبين» يملأ ما بين
 المشرق والمغرب الحديث وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالآتئال ستة طلوع الشمس من
 مغربها والدخان والدجال والدابة أو خاتمة أحدكم (١) أو امر العامة» وفي رواية وأمر
 العامة وخو بصة أحدكم

وقيل أن الدخان مر وانه الجوع الذي كان حال بين أبصار قریش وبين
 السماء في الصحيحين والترمذي عن مسروق قال كما جلوسا عند عبد الله بن
 مسعود وهو مضطجع يبتا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن إن قاصا عند
 أبواب كندة يقتل ويرغم أن آية الدخان تحيى فتأخذ بأنفاس الكفار وتأخذ
 المؤمن منها كهية الركام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان بأبيها الناس اتقوا الله
 من علم منكم شيئا فيقتل بما يعلم ومن لا يعلم وليقل الله أعلم فانه أعلم لا أحدكم إن
 يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله تعالى قل لبيد صلى الله عليه وسلم (قل لا أسألكم
 عليه من أجر وما أنا من النكاذبين) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من
 الناس ادبارا قال «اللهم سبع كسيع يوسف» وفي رواية لما دعا قریشا كذبوه
 واستصروا عليه فقال اللهم أعني عليهم سبع كسيع يوسف فأنفذهم سنة حصت
 كل شيء حتى أكاوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم إلى السماء فيرى
 كهية الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد أمك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم
 وإن قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي
 السماء بدخان مبين) إلى قوله (إنكم عائدون) قال عبد الله أفيكشف عذاب الآخرة
 (يوم ننشئ البطشة الكبرى) أما متقون) فالبطشة يوم بدر وفي رواية قال قال عبد
 الله إنما كان هذا لأن قریشا لما استمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم سنين
 كني يوسف فضا بهم حط وحده حتى أكاوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء
 فيرى ما بينه وبينها كهية الدخان من المهد فترى الله عز وجل (فارتقب يوم تأتي

(١) قوله أو خاتمة أحدكم أي موته كما في الطالع اه مؤلف

الساء بدخان مبین ۛ يغشى الناس هذا عذاب أليم قال فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل بارسل الله استسقى لمضر فانها قد هلكت قال لمضر انك لجرى واستسقى لهم فيقوا فنزلت (انكم عائدون) فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله تعالى (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) يعني يوم بدر وفي رواية قليل له انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فنقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله (فارتبب يوم تأتي الساء بدخان مبین) الى قوله (انا منتقمون) وفي رواية الترمذي كقولهم بنا كشف عنا العذاب فهل يكشف عذاب الآخرة قد مضى البطشة والازام والدخان والازام يوم بدر وفي البخاري ومسلم قال عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه خمس قدمضين الدخان والازام والروم والبطشة والقمر قال في النهاية في حديث اشراط الساعة ذكر الازام وفسر بأنه يوم بدر أنتهى وكذا البطشة يوم بدر والروم اشارة الى قوله غلبت الروم والقمر اشارة الى قوله اقربت الساعة وانشق القمر قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته كغيره كلام ابن مسعود رضي الله عنه موافق لظاهر الآية فلا دلائل فيها لما ذهب الجمهور وانما دلائلهم السنة وكان ذلك لم يبلغ ابن مسعود رضي الله عنه حين أنكر ذلك مع انه ورد عنه أيضا انه كان يقول هادخانان مضى واحد والذي بقي يملأ ما بين السماء والارض ولا يجد المؤمن منه الا كالزكاة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس والذي أنكره ابن مسعود وقد جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينفد وقد أخرج الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ان ربكم انذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكاة الحديث وورد ذلك من عدة طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتضافر هذه الأحاديث يدل على ان لذلك أصلا وقد قيل ان القاص الذي أنكر عليه ابن مسعود هو حذيفة بن

البان رضي الله عنه وهذا ليس بشيء فلا ينظر اليه ولا يقول عليه وبالله التوفيق

﴿ العلامة السابعة ﴾

من علامات الساعة واشراطها رفع القرآن العظيم والله كره الحكيم من الصدور
ومن السطور واليه الاشارة بقوله

﴿ وانه يذهب بالقرآن ﴾

﴿ وانه ﴾ أي الشأن والأمر ﴿ يذهب ﴾ بضم التحتية مبنيًا لما لم يسم فاعله أي
يذهب الله تعالى ﴿ بالقرآن ﴾ العظيم وكلام الله المنزل على النبي الكريم من
المصاحف والصدور وهي من أشد معضلات الأمور فأخرج الديلمي من حديث
أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما مرفوعا « يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح
الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف الانسخت » قال سفيان البهجة قرر
الائمة انه برفع أولا من المصاحف وذلك أنهم يبيتون فيصبحون وليس فيها
حرف مكتوب ثم برفع من الصدور عقب ذلك لا عجل زمن حتى لا يكون شيء
منه محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت احفظ شيئا نبت
لا أدري ما هو وفي الحديث « أكنزوا من الطواف بالبيت قبل ان يرفع وينسى الناس
مكانه وأكنزوا تلاوة القرآن من قبل ان يرفع » قيل وكيف يرفع ما في صدور
الرجال قل « يسرى عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا آية الا الله »
وعند الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن
من حيث جاء له دوري حول العرش كدوي الحبل فيقول الله عز وجل مالك
فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى فلا يصل بي. وتقدم في مسألة الكلام
على الكلام ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن السلف من
أن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وإن معنى واليه يعود
ما جاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا
في القلوب منه آية وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا
يدرس الاسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نكاح ولا صدقة وبسرى على
كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية الحديث وأخرج السجزي عن

ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن وأخرج ابن ماجه بسند قوى والحاكم والبيهقي والضياع عن حذيفة رضي الله عنه قال يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ والمعجوز يقولون أدركنا أباناً على هذه الكلمة لا إله الا الله فنحن نفولها والله أعلم

﴿ العلامة الثامنة ﴾

من علامات الساعة واشراطها طلوع الشمس من مغربها وأشار اليها بقوله

﴿ طلوع شمس الافق من دبور ﴾

ومنها ﴿ طلوع الشمس الافق ﴾ قال الله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وقال (وجعل الشمس سراجاً) وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش وأخرج أبو الشيخ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خلق الله الشمس من نور عرشه وكتب في وجهها اني أنا الله لا إله الا أنا رضائي كلام وغضبي كلام ورحمتي كلام وعذابي كلام وخلق القمر من نور حجابي الذي يليه وكتب في وجهه اني أنا الله لا إله الا أنا صنعت القمر وخفت الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى أي أضل من شئت وأهدي من شئت وكتب في بطنه اني أنا الله لا إله الا خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي ابتلي بهما من شئت من خلقي وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث والقمر على قدر الدنيا وأخرج من وجه آخر بلفظ سعة الارض بدل قدر الدنيا في الموضعين وزعم أهل الهندسة ان الشمس أضاعاف الارض مائة وستون مرة أو مائتين والافق بالضم ويضمين الناحية والجمع آفاق والافق أيضاً مآظر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله ﴿ من دبور ﴾ يفتح الدال المهملة وضم الموحدة مخففة فراء بعد الواو جهة المغرب لانها تدابر باب الكعبة وتسمى الريح

التي منها من جهة المغرب ديور' قال النبي صلى الله عليه وسلم «نصرت بالصبا وهلك
عاد بالدور» رواه الامام أحمد والشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
وفي التماموس الريح تمحلت ديورا وهو ربح ينال الصبا قال الامام النووي الصبا
بفتح الصاد المعجمة مقصور' هي الريح الشرقية قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع
الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والاخبار الصريحة بل وبالكتاب
المأثور على النبي المرسل قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا) الآية اجمع المفسرون او جمهورهم على
انها طلوع الشمس من مغربها وقد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة ولبط ولم
يهتد لمقصودها الذي عليه المحط وحاصل ذلك المنصود من الآية الكريمة
ان من لم يكن ايمانه متحققا اذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان
ولم ينفعه فعل بر من جميع الاعمال لانه فقد الايمان الذي هو الاساس لما عده من
تلك الاعمال فلا ينفعه ايمانه الحائث حينئذ ولا ما صدر منه قبل ذلك من الاحسان
وعمل البر من صلة الارحام واعناق الرقاب وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو
من مكارم الاخلاق لانها على غير اساس قل تعالى (والذين كفروا اعمالهم
كرماد اشتدت به الريح) الآية والايمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولا
حتى يكون من باب اسلم على ماسلف من الخير فهو لاه لا ينفعهم لا بانضمام الافعال
اللاحقة ولا بانضمام اعمالهم السابقة لقد الاساس الذي هو الايمان وامان تحقوا
انصافه بالايمان الشرعي من قبل ذلك الوقت واستمر ايمانه الى طلوع الشمس
من مغربها فهو لا يخلو ايمان يكون مؤمنا مقبلا على المعاصي لم يكسب في ايمانه خير
او مؤمنا مغلطا او مؤمنا تابعا للمعاصي كاسب في ايمانه خيرا ما استطاع (فالاول
ينفعه الايمان السابق المجرد عن الاعمال لاصل النجاة فلا يخلد في النار وان دخل
بذنوبه فالايان السابق ينفعه وينفعه الايمان برمته ايضا لانه نور على نور ولكل
لانفعه التوبة عن المعاصي ولا يقبل منه حصة بعملها بعد ذلك (والثاني) ينفعه ايمانه
السابق لاصل نجاته وينفعه ما قدمه من الحسنات لدرجته وينفعه ايمان برمته ايضا
لما لم يكن لانفعه توبة حينئذ من التخليط ولا حسنة يعملها بعد ذلك ما لم يكن

علمها من قبل واستمر على علمها من محو صلاة وقراءة وذكر كان يصعله (والثالث) ينفعه إيمانه السابق لاجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه إيمانه ذلك اليوم أيضا وينفعه ما يصعله بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه أمثالها وهذا التفصيل مما دللت عليه الآية الكريمة وبينته الأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) من ذلك ما أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها» الآية وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال «بعباد الله توبوا إلى الله — مرات — فإنكم توتكون أن تروا الشمس من المغرب فإذا فعت ذلك حبست التوبة وطوي العمل وختم الإيمان» الحديث وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله (أو كسبت في إيمانها خيرا) يقول كسبت في تصديقها عملا هو لا أهل القبلة وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فصلت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها وإن عملت قبل الآية خيرا قبل منها ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق مالك بن يخامر السككي عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الهجرة خصلتان أحدهما أن تهجر السيئات والآخرى أن تهجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل» وأخرج الإمام أحمد وعبد الرحمن بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الأرض وخويصة أحدكم وأمر العامة» قال قتادة خويصة أحدكم الموت وأمر العامة الساعة وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما من فوعا «خات الله بابا للتوبة — وفيه — فذلك الباب مفتوح منذ

خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عد طلوع الشمس والقمر من مغربها الى ان قال -
 فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبده بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك
 الا ما كانت قبل ذلك فانه تجري لهم ونيلهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك
 فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك - الى قوله خيرا - الحديث بطوله وهذا
 الحديث وان كان مستندها كما قاله بعض الحفاظ لكن له شواهد من الأحاديث
 الصحاح ويوضحه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام في «في اللبيب عن ابن عطية
 وابن الحارث ان الآية من حذف المعلوم أي لا ينفع نفسا إيمانها وكسبها
 لم تكن أمت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا والآية من التفرقة والنشر ومفهومه
 أنها اذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للساق وهو المطلوب

فيتلخص من مجموع الأحاديث المذكورة وما في معناها ما هو مسطر في الدر المنثور
 للحافظ حلال الدين السيوطي ان الشمس اذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان المحدث في
 ذلك اليوم لمن كان كافرا أو مشركا ولا التوبة المحدثه فيه لمن كان غافلا ولا أعمال البر
 المحدثه فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم وما من كان قبل ذلك اليوم ومناقض الايمان
 المجرى عن الاعمال الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لاجل نجاته وإيمانه المتجدد
 يومئذ ينفعه أيضا لانه نور على نور وان لم تقبل توبته عن سيئاته وان الايمان السابق مع
 التخليط ينفعه مع ما تقدم له من الاعمال الصالحة التي كان يعملها وانما الممنوع قبول توبته
 عن تخطئه وقبول ما لم يكن متصفا به من الايمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم والضابط
 ان كل بر يحدث يكون السبب في احداثه رؤية الآية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع
 سواء كان من الاصول أو الفروع وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملا به
 قبل رؤية الآية ينفع وهذا التحقيق نبه على مثله الامام المحقق العلامة ابن مفلح
 في الآداب الكبرى قال في قوله صلى الله عليه وسلم «اذا طلعت الشمس من مغربها
 طبع الله عز وجل على كل قلب بما فيه وكفى الناس العدل» ليس المراد بهذا الخبر
 ترك ما كان يعمل من الفرائض أي وكذا من الواقل قبل طلوع الشمس من
 المغرب فيجب الايمان بما كان يعمل من الفرائض قبل ذلك وينفعه ما يأتي به
 من الايمان الذي كان يأتي به قبل ذلك وقوله وكفى الناس العدل أي عملا

يكونوا يفعلونه قال وقد ذكر ابن حامد ان المذهب لا يتقاع التكليف خلافا
لامثلة وحكى ابن الجوزي عن انضحاك ان من أدركه بعض الآيات وهو على
عمل صالح مع ايمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية قال ابن مفلح فالعمل الصالح
الذي سببه ظهور الآية لا ينفع لان الآية اضطرت اليه واما ما كان يعمل فظهور
الآية لا تأثير لها فيه فبقي الحكم كقبل الآية ونبه على مثله السيد محمد البرزنجي في
كتابه الاشاعة في اشراط الساعة وشيخ مشايخنا العلامة ابراهيم الكوراني في
شرح منظومة الشيخ محمد المقدسي القشاشي وأشار اليه سابقا الحافظ ابن حجر
في فتح الباري والحافظ السيوطي في الدر المنثور وغيرهم من المحققين فهو المعمول عليه
دون ما زعمه بعض المنحذلقين وبالله التوفيق

اذ اهتمت ذلك فاعلم انه قد ورد في طالع الشمس من مغربها عدة أحاديث منها ما أخرجه
مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال حفظت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروج طالع الشمس من مغربها وخروج الدابة على
الناس ضحى وأيتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا منها وفيه أيضا من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من
مغربها أمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو
كسبت في ايمانها خيرا ورواه البخاري أيضا وفيه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها
الناس آمن من عليها الحديث وأخرج مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما «أتدرون اين تذهب هذه الشمس» قالوا الله ورسوله
أعلم «قال ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فيخرج ساجدة فلا
نزال كذلك حتى يقال لها ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجري
لا يستكر الناس منها شيئا حتى تنتهي الى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها
ارجعي ارتقي أصبحي طالعة من غربك فتصبح طالعة من مغربها - فقال عليه السلام -
أتدرون متى ذلكم ؟ حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل» الآية وأخرج
الامام أحمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والستة غير الترمذي وابن المنذر وأبو
الشيخ وابن مردويه والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا علمت
 ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا يبق نفس إيمانها ثم قرأ الآية وتقدم
 قريبا وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال «طول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين»
 وهو ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا قدر ثلاث ليال وعند البيهقي
 من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا «قدر ليلتين أو ثلاث
 فيسقط الدين يحشون بهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرون الا قد قامت النجوم
 مكاثا ثم يرقدون ثم يقومون ثم يعفون صلاتهم والليل كأنه لم ينقص فيضلع جمعون
 حتى اذا استيقظوا والليل مكاث حتى يتناول عليهم الليل فاذا رأوا ذلك خافوا
 ان يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فيزع الناس وهاج بعضهم في بعض قتالوا
 ما هذا فيزععون الى المساجد فاذا أصبحوا طالع عليهم طلوع الشمس فيسأله
 ينظرون طلوعها من المشرق اذ هي طالعة عليهم من مغربها فيوضع الناس ضجة
 واحدة حتى اذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها» وأخرج ابن
 مردويه وغيره من حديث أس رضي الله عنه مرفوعا «صبيحة تطلع الشمس من
 مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخازير تطوى الدواوين وتحجف الاقلام لا يزال
 في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينعق نسا إيمانها لم تكن آمنت من قل أو كبت
 في إيمانها خيرا» وعند البيهقي «فيذهب الناس فيصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل
 منهم ويقال لو كان بالأمس» وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي
 الله عنهما مرفوعا «لا تزال الشمس تحري من مشرقها الى مغربها حتى يأتي
 الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده فتسأذن الشمس من أين تطالع وتبدأذن
 القمر من أين يطلع فلا يردن لما فيحسان مقدرا ثلاث ليال للشمس وليلتين
 للقمر فلا يعرف مقدار حسنها الا قليل من الناس وهم بقية أهل الأرض وحلة
 القرآن يقرء كل رجل منهم ورده في تلك الليلة حتى اذا فرغ منه نظر فاذا ليته
 على حالها فيعود ويقرأ ورده فاذا فرغ نظر فاذا ليته على حالها فلا يعرف ذلك
 الا حلة القرآن فينادي بعضهم بعضا فيجتمعون في مساجدهم بالتفريع والبكاء»

والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فبكي الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فيبينا الناس كذلك يتضرعون الى الله والعاقلون في غفلاتهم اذ نادى مناد ألا ان باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر طلعا من مغربهما فظار الناس فاذا بهما اسودتا كالعكبن لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) قوله كالعكبن تشية عكم بالكسر وهو الغرارة أي كالغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل العكام وفي حديث أم زرع «عكوما رداح» يعني غرائرها التي تكون فيها الامتعة وغيرها فيرتفعان أسية الشمس والقمر مثل البعيرين المتروين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والابرار فينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب لهم عبادة واما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ يكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها اجاءها جبريل فأخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فلا يفر بهما في مغربهما أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يفر بهما في مغربهما اللذين في باب التوبة فإن الله تعالى خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والحوهر ما بين المصراع الى المصراع مسبرة أربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله فيغير بهما جبريل في ذلك ثم يرد المصراعين فليتم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان يجري لها قبل ذلك فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك) الآية فقال أبي بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس

والدنيا قول ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم بطلان على الناس ويقر بان
كما كما قبل ذلك وأما الناس فانهم حيث رأوا مارأوا من تلك الآيات وعظمها يلحون على
الدنيا فيعمرونها ويحرون فيها الأتوار ويفرسون فيها الأشجار وينتفون فيها البنيان
وأما الدنيا فلو أمتج رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس
من مغربها الى يوم ينفخ في الصور وقد ذكر نحو ذلك القمطي في تذكرته عن الثعلبي
وغيره من المفسرين عن أبي هريرة

من تنبيهات

(الاول) قد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما يكثر الناس بعد طلوع الشمس
من مغربها عشرين ومائة سنة وروى عبد بن حميد عنه يبقى شراو الناس بعد
طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وأخرج نعيم عن ابن عمر ولا تقوم
الساعة حتى تعبد العرب ما كان يبعد آبارها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى
بن مريم وبعد الدجال وروى عبد بن حميد من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يأتي الشيطان
الكبيران فيقول أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها
وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه الآيات كلها
في ثمانية أشهر وعن أبي العالية في ست أشهر وما لو أن رجلا تتج مهرا لم يركبه حتى
ينفخ في الصور وجمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري وتبعه البخاري في القاعة
والبرزنجي في الاشاعة بما حاصله ان المدة كما في الروايات الاولى عشرون ومائة
سنة لكنها تمر مرارا سريعا كقندار عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي
هريرة مرفوعا «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر» الحديث وفيه اليوم كالساعة
وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتقصير الايام مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع
يركه الأرض وحلول الايام الى حالها ثم تنقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام
الى أن تصبر في آخر الزمان الى ما ذكر قلت واحسن من هذا ما ذكره الطبري أن الآيات
على قسمين قسم يدل على قرب الساعة وقسم يدل على حصولها وان من الاول
الدجال ونزول عيسى عليه السلام وحروج يأجوج ومأجوج والحسوف ومن الثاني

اندخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التي تخرج من قعر عدن
 تحشر الناس فبكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الاول والتقصيرة باعتبار الثاني لكن
 يعكسها بأن الخبر نطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس من مغربها
 ولهذا مال الكوراني الى الاول أو ان خبر عشرين ومائة سنة خبر صحيح واستدل
 لعدم صحته ذلك مع ما مر بقول السخاوي ثبت ان الآيات العظام مثل السلك
 اذا انقطع نأثر الخرز سرعة وفي مرسل لابي العافية ان بين أول الآيات وأخرها
 سنة أشهر يتناهن كتاب الخرزات في النظام وتقدم قريبا بشهد انوا لها خرزات
 منظومات في سلك اذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا وفي رواية بين يدي الساعة
 عشر آيات كالنظم في الخيط اذا سقط منها واحدة تالت

﴿ الثاني ﴾

في حديث مسلم ان أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وقد استشكل
 بانه لو كان كذلك لم ينفع الكفار ايمانهم بعد نزول عيسى عليه السلام ولا انفاق
 توهم لا تغلق باب التوبة وقد جاء النص بأنه ينفعهم ذلك جزما والامصار
 الدين واحدا ولا كان في نزوله كبير فائدة وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين
 والمفسرين في الجواب عن ذلك والجمع بين الأحاديث وحاصل ذلك انه أجيب
 بجوابين أحدهما للحافظ البيهقي قال ان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس
 سابق احتمل ان يكون المراد في قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من
 مغربها فاذا انقضوا وتناول الزم وعاد بعضهم الى الكفر عاد تكليف
 الايمان بالغيب قال وان كان في علم الله تعالى ان طلوع الشمس بعد نزول عيسى
 احتمل ان يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخر غير الدجال ونزول
 عيسى يعني وخروج المهدي قال العلامة الشيخ مرعي عن الاخبار هو انهم لما هم
 من ان باب التوبة يغلق من حين طلوع الشمس من مغربها الى يوم القيامة

الجواب الثاني ان خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الأحوال
 العامة في معظم الارض وينتهي ذلك بموت سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع
 الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام العالم العلوي

و انتهى ذلك بقيام الساعة واما خروج الدابة فانه يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب قال الحاكم أبو عبد الله الذي يظهر ان طلوع الشمس يسبق خروج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه والحكمة في ذلك ان عند طلوع الشمس من المغرب يفتق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا لما تصود من اطلاق باب التوبة قل العلامة الشيخ مرعي وهذا كلام في غاية التحقيق قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال لا مردوا ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر) وان السحرة والمجسمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن أطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليري المكربين عظيم قدرته وياهر حكمته وان الشمس في ملكه ان شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أولا ولا وقال الحلبي من الشافعية أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها (قلت) والذي يظهر والله أعلم ان أول الآيات خروج المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع التران ثم طلوع الشمس من مغربها وبمقتضى ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريبا منها وهذا هو اللق الذي مشى عليه واختزنه والله أعلم واما خروج السفينة فانه وان كان قبل خروج المهدي الا انه لم يعد خروجه آية وإنما هو علامة لخروج المهدي والله أعلم

في التنبيه الثالث

قد ورد من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن مردويه وغيره ان الدواب تطوى والاقلام تجف ولا يزداد في حصة ولا ينقص من سيئة وفي كلام بعضهم وا يكتب عمل بعد ذلك وانهم اذا عملوا عملا فاجسامهم تشهد عليهم كما ورد عن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت أول الآيات تعني طلوع الشمس من المغرب طرحت الاقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال رواه عبد بن حميد والطبري بسند صحيح وعند نعيم بن حماد عن ابن عمر فينادي

منادى يا أيها الذين آمنوا قد قتل منكم ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب
التوبة وجفت الافلام وطويت الصحف وروي من طريق يزيد بن شريح
وكثير بن مرة اذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحافظة
وتؤمن الملائكة ان لا يكتبوا عملا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الآية التي
تختم الاعمال بها طلوع الشمس من مغربها . فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على
انه اذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص
ذلك بيوم طلوعها بل يمتد الى يوم القيامة خلافا لمن زعم من العلماء انه انما يتمتع
قبول الايمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب أي في تلك الحالة قالوا واما
من ناب بعد ذلك أو اسلم قبل ذلك منه قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري
ما ملخصه: الذي دللت عليه الاحاديث الثابتة الصحاح والحسان ان قبول التوبة مفيما
بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها انها بعد ذلك لا تقبل بل قد جاء في بعض
الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الامام أحمد والطبري والطبراني عن مالك
بن بخامر ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر ورفعه لا تزال التوبة
مقبولة حتى نطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى
الناس العمل وقد مر من الاخبار والآثار ما يفيد ذلك افادة صريحة لا تحتمل
التأويل وبؤيد ذلك ما يأتي من أن ابليس يخر ساجدا ولن الدابة ثقله فانه لا يموت
الا عند الفراغ من العمل والله التوفيق

﴿ العلامة التاسعة ﴾

خروج دابة الارض واليها اشار بقوله

﴿ كذات أجياد على المشهور ﴾

﴿ كذات ﴾ أي صاحبة ﴿ أجياد ﴾ وأجياد كما في القاموس اسم أرض بمكة
أوجبل بها قال سمي بذلك لكونه موضع خيل تبع انتهى قلت وفيه نظر فان
تسميته بأجياد متقدمة على تبع وخيله ففي تفسير القرطبي ورواه الحسكيم الترمذي
عن ابن عباس رضي الله عنهما لما أذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت

قال الله تبارك اسمه آتي معيكم كنزاً ادخرته لكم ثم أوحى إلى اسماعيل أن
 اخرج إلى أجساد فادع بآنتك الكنز فخرج إلى أجساد ولا يدري ما الدعاء ولا
 الكنز فلهه الله الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس إلا جاءته وأمكنه من
 ناصبتها وذللها له وفي حياة الحيوان لا يدري أول من ركب الخيل اسماعيل عليه
 السلام ولذلك سميت العرب وكانت قبل ذلك وحشاً كسائر الوحوش فلما أذن
 الله تعالى إلى إبراهيم واسماعيل عليهما السلام يرفع القواعد من البيت قال الله
 عز وجل إني معيكم كنزاً ادخرته لكم ثم أوحى الله عز وجل إلى اسماعيل الحديث
 وفيه ولذلك قال نينا صلى الله عليه وسلم «اركبوا الخيل فإنها ميراث أيكم اسماعيل»
 قلت ولعل نسبة الخيل المذكورة لمحيي الخيل الحياض إليه بحجة سيدنا اسماعيل عليه
 السلام وينال له أجساداً أيضاً بنبر ألف قبل الحبيب وقوله (على) القول (المشهور)
 من أضافتم إلى أجساد لكونها تخرج منه فني حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً
 «تخرج دابة الأرض من أجساد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بدوهمي
 دابة ذات قوائم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أنه أواه النبي صلى الله عليه
 وسلم المكان الذي تخرج منه الدابة وعن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال «نفس الشعب شعب أجساد» قالها مرتين أو ثلاثاً قلوها وما ذلك
 إلا رسول الله قال «تخرج منه الدابة فنصرح ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين»
 ورواه الطبراني في الأوسط وفي حديث يزيد رضي الله عنه قال ذهب بي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا بأرض يابسة حولها
 ومل فقال صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة من هذا الموضع» والحاصل أن في الخيل
 الذي تخرج منه الدابة أقوالاً من أشهرها أجساد كما أشرنا إليه قل الحافظ السخاوي
 في القساعة وخروجه في آخر الزمان من مكة أمام صدع الصفاوية جرم غير واحد ومن
 المروة أو من شعب أجساد أو من بعض أودية نهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لؤي
 انتهى وقبل بل أول خروجها من أقصى اليمن وهذا أخرجه الحاكم في المستدرک
 عن أبي الطيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يكون للدابة ثلاث
 خرجات في الدهر تخرج في أول خروجه في أقصى اليمن منتشراً ذكرها بالبادية ولا

يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم نمكث زمانا طويلا ثم نخرج خروجه أخرى دون تلك فبعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ثم ينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله - يعني المسجد الحرام - لم يبرعهم الا وهي في ناحية المسجد من الركن الاسود وباب بني مخزوم فبرفض الناس عنها وثبت عصاة من المسلمين عرفوا انهم ان يعجزوا الله ما قنعض عن رأسها الثراب فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب اللرية الحديث

وقد جمع بعضهم بين الروايات بأن للدابة ثلاث خرجات ففي بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط وبصدق عليها انها من أقصى البادية وفي بعضها تخرج من بعض أودية نهماء ويصدق عليها انها من وراء مكة وانها من البن لان الحجاز بمانية ومن ثم قيل الكعبة بمانية والمرة الثالثة تخرج من مكة وهي من كبرها وعظم جنتها وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة واجياد فانها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها انها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياذ ومن المسجد ومن البادية التي بقرب مكة كما في حديث بر بدة . وجمع بعضهم أيضا بوجه آخر وهو انها تخرج من جميع تلك الاماكن في آن واحد خرقا للعادة في صور متباينة على انه وود في رواية كما في حبة الحيوان أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو ميثوث نوعها في الارض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس وذ كر الكوراني انه حبث ورد في المرفوع لها ثلاث خرجات من ثلاث محلات ومن المذكور في الاصول ان العدد لا مفهوم له ومن ثم قال أهل الاصول والنخصبص بالعدد لا يدل على الزائد والتاقص فجاز أن يكون لها أكثر من ثلاث خرجات كل خروجه من محل فيصح خروجها من كل محل ذكره وكذلك الاختلاف في طولها وغيره فان الاقل لا يتاني الاكثر بناء على ان العدد لا مفهوم له انتهى وورد ان خروجها ليلة جمع والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه وقبل نخرج من الحجر وفيل من أرض الطائف ومعها عصي موسى وخاتم سليمان عليها السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب.

اذا علمت ذلك فخرج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة إمام الكتاب

قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وأما السمة فكثيرة منها ما في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «دابة الأرض طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب» وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج دابة الأرض من أجناد فيبلغ صدرها الركن الثاني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم» وفي حديث حذيفة يرفعه «أول ما يبدو منها رأسها معلة ذات عور وریش» وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الاثلثا وروي فلا يخرج الا رأسها فيبلغ عان السماء وتبلغ السحاب وقال أبو هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وقال وهب: رجها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير وقال ابن جرير رأسها رأس الثور وعينها عين خنزير واذنها أذن فیل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر امد ولونها لون نمر وخاصرتها خاسرة هر وذنبها ذنب تيس وقوائمها قوائم بعر بين كل مفصلين اثني عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام وقال كعب صوتها صوت حمار وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلبو وجه المؤمن بالعصى وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجمعون فيقول هذا يامؤمن وبقول هذا يا كافر» وأخرج الامام أحمد أيضاً من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعبرون فيكم ثم يشترى الرجل الدابة فيقول ممن استربت فيقول من الرجل لحطيم» وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان لها عنقاً مشرفاً يطلو بلا يراها من بالشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه الانسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر ورغب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ذات زغب وریش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيمة وسماها من هذه الأمة انها تكلم الناس بلسان عربي مبين وتكلمهم بكلامهم (قوله) ذات زغب أي عليها زغب وهو صفار الریش أول ما يطلع كما في النهاية والایل يفتح الهمزة وكسر التحتية مشددة بضم وفتح الوعل يفتح العين ويهونيس الجبل والسيمة العلامة

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قيل له ان ناسا يزعمون انك دابة الارض فقال والله ان لدابة الارض ريشا وزغباً ومالي ريش ولا زغب وان لها حافرا وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها وفي الميزان للعافى الذهبي عن جابر الجعفي انه كان يقول دابة الارض علي بن أبي طالب قال الذهبي وكان جابر الجعفي شيعيا يرى الرجعة أي ان عليا يرجع الى الدنيا قال الامام أبو حنيفة ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفي ولا افضل من عطاء بن رباح وقال الشافعي أخبرني سفيان بن عيينة قال كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء فترنا خوفا ان يقع علينا السقف ومع ذلك روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه ومات سنة ست وستين ومائة عن الله عنه وقال ابن الاثير في جامع الاصول جابر بن يزيد الجعفي ويقال أبو محمد من أهل الكوفة مشهور وكان من اصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول ان علي بن أبي طالب يرجع الى الدنيا وذكر ما قاله أبو حنيفة رضي الله عنه فيه قال ومات سنة ثمان وعشرين ومائة وقال الحافظ المنذري في آخر كتابه الترغيب والترهيب جابر بن يزيد الجعفي الكوفي عالم الشيعة ترك يحيى القطان حديثه وقال النسائي وغيره متروك ووثقه شعبة وسفيان الثوري وقال وكيع ما شككت في شيء فلا تشكوا جابراً الجعفي ثقة والله أعلم

قال العلماء رحمهم الله تعالى كمافي الأحاديث ان مع الدابة عصي موسى وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادي بأعلاصوتها أن الناس كانوا يا تاتنا لا يوقنون وتسم الناس المؤمن والكافر فأما للمؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنتك بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر فلا يبقى مؤمن الا نكتت في مسجده بعض موسى نكتة يضاء فتنشئ تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتنشئ تلك النكتة حتى يسود لها وجهه وفي رواية فتاتي المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه وفي أخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصى وتخطم انف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقولون لهذا يامؤمن ولهذا ياكافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي

يقبل عليها نفسه في وجهه ثم تطلق ويترك الناس في الاموال ويصلحون في الامصار يدرف المؤمن الكافر وبالعكس حتى ان المؤمن يقول لا كافر يا كافر اقض حتى وتستقل المشرق فنصرخ صرخة ننفذها ثم تستقبل الشام فنصرخ صرخة ننفذها ثم المشرق واليمن كذلك وأخرج نصير بر حماد في الفتن والحكام في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا يلبثون بعني الناس بعد بأجوج وما أجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الافلام وطويت الصحف ولا يقبل لاحد توذو بخير ابليس ساجدا ينادي آلهي مرني اسجد لمن شئت وتجمع الي الشياطين تقول يا سبدنا الى من نزع فيقول انما سألت ربي ان ينظرني الى يوم البعث فاسلني الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم ونصير الشياطين ظامرة في الارض حتى يقول الرجل هذا قريني الذي كان يوقيني فالحمد لله الذي أنجزه ولا يزال ابليس ساجدا باكيأخى يخرج للعبادة فتقتله وهو ساجد. قال العلماء في سؤال ابليس انت ينظر ليوم البعث مكره وخداع وحيل برب العالمين فانه انما حاول ان لا يدرك الموت لان يوم البعث ليس بيوم موت وانما هو يوم ميث ونشور واحياء وبهرة لمن في القبور فاذا كان الامر كذلك فكيف يقبض اذذاك ابليس أو غيره وانما ذلك يوم الجزاء فأجابه المعلم الحكيم بانه منظر الى يوم الوقت المعلوم وهذا أصح من قول كعب الاحبار بان ابليس انما يدرك الموت يوم الحشر كما ذكره الكسائي في العرائر والله التوفيق

في فائدة

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان الدابة هي الجساسة المذكورة في قصة نعيم الداري رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها الثعبان الذي كان في نهر الكمية فاخطفته العقاب حين ارادت قرش بنا البيت الحرام وان الطائر حين احتفظها ألقاها بالحجون وفي التهيد لابن عبد البر عن عمرو بن دينار انه رأى بها في احياء فالتفتها الارض فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفاء وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انها أي الجساسة دابة الارض المذكورة في القرآن قال دهي مجزوة

بحر القلزم والله أعلم

﴿العلامة العاشرة﴾

خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم واليها أشار بقوله

﴿وآخر الآيات حشر النار كما أنى في محكم الاخبار﴾

﴿وآخر الآيات﴾ العظام والعلامات الجسام ﴿حشر النار﴾ للناس من المشرق الى المغرب ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو أرض الشام ﴿كما أنى﴾ ذلك مصرحاً به ﴿في محكم الاخبار﴾ وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك فان قلت في قولك وآخر الآيات مصادمة للحديث الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر وخلاصة العالم وأصدق من أخبر وصفوة بني آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه والنسائي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اما أول اشراط الساعة فان تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب» الحديث قلت تقدم في حديث حذيفة بن اسيد الغفاري انه صلى الله عليه وسلم قال لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدةابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف بالخسوف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب قال وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفي لفظ ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات فعدّها وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس قال شعبة وأحسبه قال ننزل معهم اذا نزلوا وتقبل معهم حيث قالوا رواه مسلم في صحيحه بعدة طرق ورواه الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وقد جمع بعض العلماء بينهما بأن أخريه (١) خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليبتها (١) بأنها من أول الآيات التي لاشيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً بل يقع بانتهائها التفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى بعد كل آية منها أشياء

(١) كذا في الاصل في الموضعين ولولاء ذلك لكانت صحيحة مثله لتصرفنا فيه تصرفاً غير قليل

من أمور الدنيا ذكره الحافظ السخاوي وذكر غيره من العلماء بأن النار ناران
إحداهما تحترق الناس من المشرق إلى المغرب والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس
إلى المحشر الذي هو أرض الشام قلل إحدى النارين في أول الآيات والأخرى
في آخرها وحينئذ فلا حاجة إلى الجمع الذي ذكره الحافظ السخاوي وإن لم يكن في
علم الله الآثار واحدة فجمع السخاوي موجه وعليه فالجمع بين حديث نار تخرج
قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس وفي لفظ تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس
إلى المحشر وحديث نار تحترق الناس من المشرق إلى المغرب فبان يقال إن الشام الذي هو
المحشر مغرب بالنسبة إلى المشرق فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فإذا خرجت
انتشرت إلى المشرق فتحترق أهلها إلى المغرب الذي هو الشام وهو المحشر ولقلة بين
بوزن آخر اسم الملك الذي بناها وفي نهاية ابن الأثير عدل أبين مدينة مروقة
باليمن أضيفت إلى أبين بوزن أبيض وهو رجل من حمير عدن بها أي أقام انتهى
وفي القاموس عدن أبين محركة جزيرة باليمن أقام بها عدن لاعتقابه بقره وأخرج
الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ستكون هجرة بعد هجرة خيبر أهل
الأرض الزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام ويبقى في الأرض شرار أهلها لنفطهم
أرضهم ولنقدتهم نفس الله وتحترق النار مع القردة والدار يرتبت معهم إذا بارأوا
وتقبل معهم إذا قالوا وتاكل من تخلف وراءه أبو داود والحاكم وأبو نعيم (قوله)
لقد رهم نفس الله هو من المشابهة والإيمان به واجب كما أخبر لا كما يتوهمه البشر
وأخرج الامام أحمد أيضا والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر أن بضارني
الله عنهما مرفوعا ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت قبل يوم القيامة
تحترق الناس قالوا يا رسول الله فنامرنا قال عليكم بالشام يعني وهو المراد بمهاجر
إبراهيم وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عن مرفوعا
لتقصدكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشي الناس فيها عذاب
أليم تاكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والصعاب
حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولما بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد
القاصف هي من رموس الخلائق أدنى من العرش قيل يا رسول الله أسلية يؤمنه

على المؤمنين والمؤمنات قال واين المؤمنون والمؤمنات يومئذ شر من الحر ينسافدون كما تنسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول معه وأخرج البغوي والبارودي وابن قانع وابن حبان يوشك ان تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الابل تسير بالنهار وتقيم بالليل تغدو وتروح يقال غدت النار ايها الناس فاغدوا قالت ايها الناس فقلوا راحت النار ايها الناس فروحوا من أدركته أكلته

فاذا قيل ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قمر عدن ومن برهوت ومن حبس نيل فالجواب انها تخرج أولا من برهوت ويقال له وادي النار وهو في قمر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارة ماؤها واحد وتمر بحبس سيل أيضا والخطاب لاهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فرصول النار اليه يكون قبل وصولها الى المدينة فصيح ان يقال لهم تخرج نار من حبس سيل فان قيل ما وجه الجمع بين كونها تطير طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية أيام وبين كونها تسير سير بطيئة الابل فالجواب ان لها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا وان ثبت تعدد النار زال أصل الاستشكال والله أعلم

(تسعة) ثبت بالسنة الصحيحة ان أهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجىء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الارض أحدا في قلبه مثقال ذرة من ايمان إلا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل في كبجد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقولون ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور . فان قلت أليس قد ذكرت ان الدابة تقتل ابليس فالجواب انه ليس في الحديث ان الذي يظهر لهم ابليس بل يجوز ان يكون شيطانا آخر غير ابليس من ذريته وأخرج الامام أحمد ومسلم أيضا والترمذي من حديث الزوام بن سميان فينبأهم كذلك اذ بعث الله رجلا طيبة فتأخذهم تحت آبابهم فتقيض روح كل مؤمن وكل مسلم

ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار فليهم
تقوم الساعة وفي حديث أبي هريرة مرفوعا عند الحاكم إن الله يبعث ريحا من
اليمين ألين من الحرير ولا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من إيمان الا قبضته وقد
جاءت رواية بأن الريح تأتي من قبل الشام وهنا أنها من قبل اليمين والجواب
أنها ريحان شامية وبمانية وأخرج الامام أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله
عنه مرفوعا لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله الا الله ورواه مسلم بلفظ
حتى لا يقال في الأرض الله الله فإن قيل كيف هذا مع ما صح عنه صلى الله عليه
وسلم من قوله ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة حتى يأتي
أمر الله (فالجواب) هذا غير مصادم للحديث لأن معناه أنهم لا يزالون على الحق
حتى تأتيهم هذه الريح الية قرب القيامة وعند تظاهر اشراطها فاطلق فيه بقاءهم
الى قيام الساعة مریدا اشراطها وذوها المتأخر في القرب ومثله قول بعضهم أمر
الله هو هبوب تلك الريح الآتي بعد وقوع الآيات العظام التي بعضها (١) قيام الساعة
ولا يتخلف عنها الا شيئا يسيرا وليس فيهم يعني من بقي بعد هبوب الريح مؤمن (٢)
وعليهم تقوم الساعة وعلى هذا دأخر الآيات المؤددة بقيام الساعة هبوب تلك
الريح كافي القناعة للحافظ السخاوي وفي المستدرک بسند صحيح عن عائشة رضي
الله عنها مرفوعا لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله ريحا
طلية فتوفي من كلف في قلبه مثقال حبة خردل من خير فيبقى من لا خير فيه
فبرزجون على دين آبائهم وفي مرفوع ابن عمر رضي الله عنهما لا تقوم الساعة حتى
يبعث الله ريحا لا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من خير الا قبضته ويلحق كل
قوم بما كان بعد آبائهم في الماهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرؤن بمعروف
ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق فاذا كان ذلك اشتد غضب الله على
أهل الأرض فأقام الساعة وفي مستدرک الحاكم من مرفوع أبي هريرة رضى وتخذ
المرأة جهارا نهارا تسكح وسط الطريق لا يكر ذلك أحد وفي لفظ حتى ينكح أحدكم
أمة فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لو تمحيثنا عن الطريق قليلا فذلك فيهم مثل

أبي بكر وعمر فبكم قال القرطبي في تذكرته عن بعض العلماء اذا أراد الله اقتراض الدنيا وتمايم ليا لها وقربت ان تنفخ خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى الحشر تبيت معهم وتقبل حتى يجتمع الخلق بالحشر الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل ذي روح ثم ذكر النفخة

﴿ فكلها صحت بها. الاخبار وسطرت آثارها الاخبار ﴾

﴿ فكلها ﴾ أي اشراط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة ﴿ صحت بها الاخبار ﴾ عن النبي المختار وأصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار ﴿ و ﴾ كلها قد ﴿ سطرت ﴾ أي كتبت واصل السطر الصف من الشيء والكتاب والشجر وغيره والجمع أسطر وسطور واسطار وجمع الجمع أساطير ويطلق السطر أيضا على الخط والكتابة ويحرك في الكل كما في القاموس ﴿ آثارها ﴾ مفعول سطرت أي الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها وبحيثها في أوقاتها وعلاماتها المشيرة الى اقترابها ﴿ الاخبار ﴾ فاعل سطرت وإنما أنث الفعل لان الجمع مؤنث في المعنى اذ معناه الجماعة وهو جمع خبر وخبر ككيس والمؤنث خيرة ويجمع خبر أيضا على خيار من غير ألف قبل الحاء المعجمة وقيل ان التحففة مختصة بما في الجبال والميسم والمشددة في الدين والصلاح والخبر ضد الشر والاخبار ضد الاشرار والمراد بهم هنا علماء الامة من التابعين وتابعيهم وأئمة السلف ومقلديهم وقد روى أبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والقضاعي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال خيار أمسي علموا وخيار علمائها رحماؤها ألا وإن الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا ألا وإن العالم الرحيم يحيى يوم القيامة وإن نوره قد أضاء بمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدرري واستاده ضعيف وقد عزونا كل قول لقائلة وكل حديث لناقله غالبا لنخرج من تبعته وليعلم من أنعم النظر وأمن الفكر في ماحروته أنه زبدة ما خضه المتقدمون ثمرة ما غرسه المحررون وبالله التوفيق

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) ذكر القرطبي في تذكرته ان الحشر أربع حشران في الدنيا وحشران

في الآخرة فإلذان في الدنيا المذكور في سورة الحشر وهو حشر اليهود إلى الشام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض الحشر ثم أجل آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب والحشر الثاني المذكور في اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب كما في حديث أنس وعبد الله بن سلام وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الحاكم مرفوعا تبث على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب تبث معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا ويكون لما مسقط منهم وتخاب وتسوقهم سوق الحمل قال الحافظ ابن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب لأن ابتداء خروجها من عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق قال القرطبي وأما الإذان في الآخرة فحشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وحشرهم إلى الجنة والنار قال الحافظ ابن حجر عن الأول المذكور في أول سورة الحشر ليس حشرا مستقلا لأنه إنما وقع لفرقة مستقلة مخصوصة وهذا وقع لكثرتهم كما وقع لبي أمية حين أخرجهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من المدينة إلى حجة الشام والحواب عن ذلك أن المراد ماسي حشرا على لسان الشارع وقد سمي الله ذلك حشرا

في الثاني

اختلف العلماء في حشر الناس من المشرق إلى المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله فقال القرطبي والخطابي وصوبه القاضي عياض أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة وأما الحشر من القصور فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا كما في الصحيحين وغيرهما أنكم تحشرون حفاة عراة غرلا وقال الحكيم الترمذي وأبو حامد الغزالي هو يوم القيامة ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما مرفوعا يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنتان على سببر وثلاثة وعشرة على سببر وتحشر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتبث معهم حيث باتوا وتنصح معهم حيث أصبحوا وتعميهم معهم حيث

أَمْسُوا قَالَ أَمَلُ هَذَا الْقَوْلُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ كَالْتَفْسِيرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ وَالْبَيْهَقِيِّ حَدِيثِي الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ أَنَّ النَّاسَ يَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ فَوْجٌ بِمَحْشُورٍ طَاعِمِينَ كَاسِينَ رَاكِبِينَ وَفَوْجٌ تَسْجِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْحَدِيثُ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا يَبَيِّنُ حَدِيثَ أَبِي ذَرٍّ (وَالْجَمْعُ) أَنَّ الْحَشْرَ يَعْبُرُ بِهِ عَنِ النَّشْرِ أَيْضًا لِإِنِّصَالِهِ بِهِ وَهُوَ أَيْ النَّشْرُ اخْرَاجَ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ كَمَا يَأْتِي فَيُخْرِجُونَ حِفَاةَ عَرَاةٍ بِسَافُونَ وَيَجْمَعُونَ إِلَى الْوَقْفِ لِلْحِسَابِ ثُمَّ يَحْشَرُ الْمُتَمَوِّنُونَ رُكْبَانًا عَلَى الْأَبْلِ وَالْمُجْرِمُونَ عَلَى رُجُومِهِمْ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْقُبُورِ عَلَى مَا سَفَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْحَشْرَ إِذَا أُطْلِقَ بِرَادٍ بِهِ شَرَعَا الْحَشْرَ مِنَ الْقُبُورِ مَا لَمْ يَخْصُصْهُ دَلِيلٌ (وَأَيْضًا) التَّفْسِيمُ الْمَذْكُورُ فِي الْخَبَرِ لَا يَسْتَقِيمُ فِي الْحَشْرِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ لِأَنَّ الْمُهَاجِرَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا أَوْ جَامِعًا بَيْنَ الصَّفَيْنِ (وَأَيْضًا) حَشْرُ بَنِيهِ النَّاسِ وَالْجَاءَ النَّارُ لَهُمْ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ وَمَلَازِمَتَهَا حَتَّى لَا تَفَارِقَهُمْ قَوْلُ لَمْ يَرِدْ بِهِ التَّوْقِيفُ وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَحْكُمَ بِتَسْلِيطِ النَّارِ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِ الشُّقْرَةِ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيفٍ (وَأَيْضًا) الْحَدِيثُ يَنْسَرُ بِبَعْضِهِ بَعْضًا وَقَدْ وَقَعَ فِي طَرِيقِ الْحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ ثَلَاثًا عَلَى الدُّوَابِّ وَثَلَاثًا يَنْسَلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وَثَلَاثًا عَلَى وُجُوهِهِمْ قَالَ وَنَرَى هَذَا التَّفْسِيمَ ظَاهِرَ التَّفْسِيمِ الَّذِي فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) فَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ يَرِيدُ عَمُومَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِطِينَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرِ سَيِّئًا وَهُمْ أَصْحَابُ الْمِثْمَةِ وَقَوْلُهُ اثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ الْخَبَرُ يَرِيدُ السَّابِقِينَ وَهُمْ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ رُكْبَانًا وَقَوْلُهُ وَنَحْشَرُ بَيْنَهُمُ النَّارَ يَرِيدُ أَصْحَابَ الْمَشَاةِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْبَعِيرَ يَحْمِلُ الْعَشْرَةَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْ بَدِيعِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقْوَى عَلَى مَا يَقْوَى عَلَيْهِ عَشْرَةُ أَبْعَدَ مِنْ بَعْرَانِ الدُّنْيَا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَتَعَاقَبُوهُ أَنْتَهَى مُلَخَّصًا وَاتَّقَصَرَ الْفَاضِلُ عَبَّاسٌ لِقَوْلِ الْخَطَّابِيِّ وَالْفَرَطِيِّ أَنَّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ ثَقِيلٌ مَعَهُمْ وَتَبَيَّتْ وَتَصَحَّحَ وَتَمَسَّى بِرَبْدَانِ الْحَشْرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مُخْتَصَّةً بِالدُّنْيَا وَقَوْلُهُ اثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ إِلَى عَشْرَةِ بَرْدٍ أَنَّهُمْ يَتَعَقَّبُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ يَرْكَبُ بَعْضُ وَبِمَشْيِ بَعْضٍ وَذَلِكَ لِقَوْلِ الظَّاهِرِ كَأَنِّي بَعْضُ الْأَحَادِيثِ أَنْتَهَى مُلَخَّصًا وَرَجَّحَ هَذَا الطَّبِيبِيُّ وَنَعَقَبَ

ذلك اليقين وأنجاب عما استدل به بما يطول (ثم قال العاظمي) بعد ما انتصر فخطابي
واتممتي وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله ثم وأبت في صحيح البخاري في باب
الحشر يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق فقلت من ذلك أن الذي ذهب إليه
التورثي من أن ذلك في الآخرة هو الحق الذي لا عجب عنه انتهى قال الجافظ
ابن حجر في فتح الباري بعد نقله ما تقدم عن الطبري قلت لم أقف في شيء من طرق
الحديث الذي خرج به البخاري على لفظ يوم القيامة في صحيحه ولا في غيره وكذا
هو عند مسلم والاسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة ثم اختار هو أنه يتعين كون
ذلك في الدنيا لما وقع فيه أن الظاهر يقل لما يلقى عليه من الآفة وإن الرجل يشترى
الشارب الواحد بالخدمة المذمومة فإن ذلك ظاهر جداً في أنه من أحوال الدنيا قال
في الإشاعة ثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة قلت وهو كما قال وبالله التوفيق

فصل في أسرار المعاد

اعلم أن المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادق دل عليه العقل الصحيح
ولم يحسم العقل فوجب الإيمان به والتصديق بموجبه لأنه جاء في السماع الصحيح
المفبول ودل عليه عند الجمهور صريح العقول وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من
القبور فإن يجمع أجرائهم الأصلية ويميد الأرواح إليها فتدله تعالى (قل يحييها الذي
أثأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) إلى غير ذلك منصوص القرآن القطعية
والأحاديث الساطعة البينة وقد أنكروا الطائفتان والدةرية والملحدة وبه تكذيب
للقل الصريح والهمم الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة وأكثرت
الغلاة المعاد الجسماني بما على امتناع إعادة المعدوم بعينه ووافق المعتزلة أهل
الحق على المعاد الجسماني ما منهم على أن المعدوم عندهم شيء فلو لم يقولوا به
لأحاراه لأن المعدوم قل الوجود عندهم قابل للوجود فكذلك إذا تقدم بعد
الوجود وعد أهل السنة المعدوم في محض وهم مع ذلك قائلون بمجاوز إعادة
والمستكملين في جوار إعادة الأعراس قولاً جوار أعادتها وهو الحق لأنه تعالى
على كل شيء قدير والثاني قول الفلاسفة ومن وافقهم من المعتزلة كأي الحشر

البصري والحوارزمي والكرامية قال

﴿ واجزم بأمر البعث والنشور والحشر جزما بعد نفخ الصور ﴾
 ﴿ واجزم ﴾ جزم ايقان واذعان واعتقاد وعرفان ﴿ بأمر البعث ﴾ بعد الموت
 ﴿ والنشور ﴾ من القبور ﴿ والحشر ﴾ لاجل الجزاء وفصل القضاء ﴿ جزما ﴾ مصدر
 مؤكّد لقوله واجزم وذلك كله واقع ﴿ بعد نفخ الصور ﴾ المراد نفخة البعث
 وحاصل ما ذكر في هذا البيت أربعة أشياء البعث والنشور والحشر والنفخ سببه
 الصور اما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فانه المتبادر عند الاطلاق اذ هو الذي
 يحجب اعتقاده ويكفر منكره قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح كشيخه
 وغيرهما معاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى وقال الجلال
 الدواني هو باجماع اهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التأويل
 كقوله تعالى (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) وضرب
 لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول
 مرة وهو بكل خلق عليم) وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم والاسماعيلي
 في معجمه والحافظ الضياء في المختارة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن
 عباس رضي الله عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعظم حائل فنته يده فقال يا محمد يحيي الله هذا بعد ما أرم قال نعم يبعث الله هذا
 ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فزلت الآيات من آخر بس (أولم ير
 الانسان) الى آخر السورة وهذا نص صريح في الحشر الجسماني بقلع عرق التأويل
 بالكلية ولهذا قال الامام الرازي الانصاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء
 به النبي صلى الله عليه وسلم وبين نفي الحشر الجسماني فإنه قد ورد في عدة مواضع
 من القرآن المجيد النصر ببح به بحيث لا يقبل التأويل أصلا انتهى وكذلك لا يمكن الجمع
 بين القول بقدم العالم على ما يقول الفلاسفة وبين الحشر الجسماني لان النفوس الناطقة على
 هذا التقدير غير متناهية فتستدعي جميعا أبدانا غير متناهية وأمكنة غير متناهية وقد
 ثبت تناهي الابعاد بالبرهان وباعترافيهم والله تعالى أعلم و « ثم » في الحديث في قوله
 صلى الله عليه وسلم « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك » للترتيب الاخباري لا للترتيب

الحكى كقولهم بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي أخبرك أن
ما صنعت أمس أشعب

واما الشور فهو برادف البعث في المعنى يقال نشر الميت ينشر نشور اذا
عاش بعد الموت وأشره الله أي أحياه ومنه قولهم يرم البعث والنشور واما الحشر
فهو في الامة الجمع تقول حشرت الناس اذا جمعتهم والمراد به جمع اجزاء الاسان
بعد التفرقة ثم إحياء الابدان بعد موتها

واعلم انه يجب المرم شرعاً ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويميدهم بعد إيجادهم بجميع
احزائهم الاصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ويسوقهم الى عشرهم
لفصل القضاء فان هذا حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الامة مع كونه من
المحكمات التي أخبر بها الشارع وكل ما هو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق
والاصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الامكان كما يقوله الحكماء
والمنكلمون من ان كل ما قرع سمك من العرائب قدره في حيز الابدان ما لم يردك
عنه قائم البرهان فمن زعم عدم اعادة المعلوم ازم بالمبدأ فان المعاد مثل المبدأ بل هو
عنه أو أيسر كما لا يخفى وتقدم ان الانبياء تأتي بما تدركه العقول أو تتجبر في
ولا تأتي بما تحيله العقول أبدا فتأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول وامكان
المعاد لانه اما إيجاد ما انعدم أو جمع ما تفرق أو حيي بعد ما أميت وهذه كلها ممكنة
لا احالة في شيء من ذلك أصلا مع ما نوار من أخبار الانبياء والكتب السماوية
ولا سيما في القرآن العظيم والذكر الحكيم ما لا مزيد عليه مثل (واقسموا بالله جدد
ابنائهم لا يبعث الله من يموت قل بلى وربي لتبعثن ثم اتاكم يوم القيامة تبعثون
وادام من الاجداث الى ربهم ينسلون) فيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
أول مرة- أيجب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بانه
يوم نشقق الارض عنهم- مراعا ذلك حشر علينا بسير- كما بدأكم- تعودون- كما بدأنا
أول خلق عبده وعدا علينا- أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق
مثلهم- ويجي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون) والآيات في ذلك كثيرة جدا
وأما الاحاديث فكثيرة جدا ففي البخاري ومسلم وغيرها عن ابن عباس رضي الله

عنها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول «انكم ملائكة الله حفاة عراة غرلا» زاد في رواية - مشاة - وفي رواية فيهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال «يا أيها الناس انكم محشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين» الحديث الغرل بضم الغين المعجمة واسكان الراء جمع اغرل وهو الاكلف ومثله في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت فقلت فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر «أشد من أن يهيم ذلك» وروى نحوه من حديث أم سلمة أخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح وفيه فقالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضهم الى بعض فقال: شغل الناس: قلت ما شغلهم قال «نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل» وروى من حديث أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها أيضا ولفظه «يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد أجمهم العرق وباغ شحوم الاذان» قالت فقلت ييصر بعضنا بعضا فقال: شغل الناس (لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) رواه الطبراني ورواه ثقة

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق أو ايجاد معدوم قال عكرمة رحمه الله ان الذين يفرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان ولا يبقى منهم شيء الا العظام فتلقها الامواج الى الساحل فتتكث حينا ثم نصير نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم نسير الابل فنبر ثم يجبي قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فبوقدونه ثم تحمد تلك النار فتحيء الريح فتلقي ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء قال العلامة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى قال العلماء ان الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وخيوانات الماء ويطن الارض وما أصاب السيران منها بالحرق والمياه بالفرق وما أباته الشمس وذره الرياح فاذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون والحاصل ان اعادة الاجسام

حق يجب الايمان به ثم هذه الاعادة هل هي للعدم المحض أو التفريق المحض
والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه إيجاد يد عدم ونص عليه علماء السنة وكذا
المعتزلة وهو مذهب المحققين وبالله التوفيق

في الثاني

اختلف في إعادة الاعراض التي كانت قائمة بالاجسام في الدنيا فنذهب
الاكثرين انها تعاد بأشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليه ميل أبي
الحسن الاشعري من غير فرق فيها بين الاعراض التي يطول بقاء نوعها كالبياض
وبين غيرها كالاصوات وسواء كان مقدوراً للعبد كالقرب أو لا كالعلم والجهل
لان نسبتها الى قدرته تعالى كنسبة الاعيان وقد قام الدليل على اعادتها فكذا
اعراضها وما قيل يلزم عليه قيام العرض يعني الاعادة بالعرض للمعاد وهو محال
فباطل لا يمكن تعلق الاعادة بالاعيان أولاً وبالذات وبلاعرض ثانياً وبالعرض
هذا كله ان لو قلنا باستحالة قيام العرض بالعرض فكيف ونحن بمعزل عن ذلك
وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض بالمحسوس وغيره كابل حاله وحركة بطيئة
واحرقان وغير ذلك وقيل تمنع إعادة الاعراض مطلقاً كما ذهب اليه بعض
الاشاعرة وذهب أكثر المعتزلة الى امتناع إعادة الاعراض التي لا تبقى كالاصوات
والارادات لاختصاصها عندهم بالاوقات وقسموا الباقية الى ما يكون مقدوراً للعبد
فنوعوا اعادتها الى ما لا يكون مقدوراً لا بد فجزوا اعادتها وقد قال ابن العربي
في سراج المريدين والقرطبي في تذكرة الذي عند أهل السنة ان تلك الاجساد
الدنيوية تعاد بأعيانها وباعراضها بلا خلاف يلزم مع ان الخلاف منقول عند
متكلمي الاشعرية كالسعد واليضاوي وغيرهما قلت وقد نقل الاجماع غير
واحد من العلماء من آخرهم الشيخ مرعي وغيره عن أهل السنة ان الاجساد
الدنيوية تعاد بأعيانها واعراضها والله أعلم

واما الفخ في الصور فالمراد به نخة البعث والتشور واعلم ان الفخ في
الصور ثلاث نفحات نفخة الفزع وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهي المثار

اليها في قوله تعالى (وما ينظروا الا صيحة واحدة ما لها من فواق) أي من رجوع ومرد وقوله تعالى (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) فسر الزمخشري في كتابه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملاك الموت وقيل غير ذلك وانما يحصل الفزع لشدة ما يتم من هول تلك النفخة فقد اخرج ابن جرير في تفسيره والطبراني في المطولات وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في البعث وأبو موسى المديني في المطولات وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان وعبد بن حميد وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا يبصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت» يا رسول الله وما الصور قال القرن قلت أي شيء هو قال «عظيم ان عظم دائرة فيه كمرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله فيأمره فيبدها ويطيلها ولا ينفذ وهي التي يقول الله تعالى (وما ينظروا الا صيحة واحدة ما لها من فواق) فيسبر الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرايا وترتج الارض بأهلها رجاء فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج وكالقصدير المعلق بالعرش ترجحه الأرواح وهي التي يقول الله (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) فتنبيل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتعلمر الشباطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتلتقاها الملائكة فتضرب وجوها فترجع وبولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى (يوم الناد) يوم نولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم) فيبيناهم على ذلك اذ تصدعت الارض فانصدعت من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هي كاللؤلؤ ثم انثشت فانتشرت نجومها وانخفضت شمسها وقرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلت يا رسول الله من

استثنى الله تعالى في قوله (الامن شاء الله) قال أولئك الشهداء وانما تبصل الفزع الى
الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب
يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله (يا أيها الناس انتفوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء
عظيم يوم نرونها نذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها
ونرى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فيمكنون في ذلك
ما شاء الله الحديث وفي البغوي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال ست آيات
قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك
اذ نارت التجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت
واضطربت ونزعت الجن الى الانس والانس الى الحن واختلفت الدواب والطير
والوحش وماح بعضهم في بعض فذلك قوله (واذا الوحوش حشرت) اختلفت (واذا
المشاعر طلت) أهلت (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس رضي الله عنهما اوقدت
فصارت نارا تضرع قال أبي قالت الحن للانس نحن نأتيكم بالخير فانطلقوا الى البحر
فاذا هوفار ناجيح فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض
السابعة السفلى واشتقت السماء انشقاقا واحدة الى السماء السابعة العليا فبينما هم
كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتهم انتهى

(الفحة الثانية) نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء قل تعالى (ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله) وقد فسر الصعق بالموت
وفي الحديث المتقدم الذي رواه ابن جرير وماعطى عليه من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة
الصعق فيصعق أهل السموات والارض الامن شاء الله فيقول ملك الموت قد مات
أهل السموات والارض الامن شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقي فيقول أي رب
بقيت أنت الحي القوم الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل
وقيت أنا فبقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل فيوتان ثم يأتي ملك الموت الى
الجبال فيقول قد مات جبريل وميكائيل فبقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيوتون
ويأمر الله العرش ان يقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت

ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو أعلم فمن بسقي فيقول بقيت أنت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول أنت خلق من خلقتي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والارض كطي السجل للكتب وقال «أنا الجبار ابن الملك اليوم» ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه «الله الواحد القهار» وتبدل الارض غير الارض والسموات فيسطها ويسطحها ويمد هامد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» الحديث وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال هو «لا الاربعة أملاك جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم هم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا

قال أبو عبد الله القرطبي والصور قرن من نور يجعل فيه أرواح الخلائق وقال مجاهد كالبرق ذكره البخاري وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جاء اعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه قال الترمذي حديث حسن وأخرج الترمذي أيضا وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كيف أنتم وصاحب الصور قد انقضى القرن واستمع الإذن مني يوم من النفخ» فكان ذلك ثقل على رسول أصحاب الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وأخرج الامام عبد الله بن المبارك وموئل بن اسمعيل وعلي بن معبد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديثا مرفوعا فيه «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى خلق في السموات والارض الا مات الامن شاربك» الحديث وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أين الملوك» وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يطوي الله السموات يرم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» وسيأتي ان من لم يخلق للفناء لم يقن كالجنة وما فيها من الحور العين والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب

والحران والله أعلم

(الدمعة الثالثة) نفحة البعث والنشور وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأحاديث تشير إليها كقوله تعالى (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) وقوله (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) فإذا تقر في المأثور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال الكلبي وغيره هي نفحة البعث والنفخ ناعول من القبر وقوله تعالى (واستمع يوم ينادي الماد من مكان قريب) يوم يسمعون الصيحة بالحق) الآية قال المفسرون المادي هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور ويأمر بني البشر بالمعصية والبالية والافعال المنقطعة واللاحوم المنفردة والشعور المنفردة ان الله يأمر كي ان نحتصر لفصل القضاء وقيل ينفخ اسرافيل ويأمر جبريل والميكائيل القريب صخرة بيت المقدس قاله جماعة من المفسرين ويس المعصية أو يعون عاما قال بعض العلماء انتقلت الروايات على ذلك وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما بين الفختين أو يعون قالوا يا أبا هريرة أو يعون يوما قال أييت قولوا أو يعون شهرا قال أييت قولوا أو يعون عاما قال أييت الحديث وقول أبي هريرة رضي الله عنه أييت فيه ثلاث تأويلات أولها امتعت من بيان ذلك لكم وقيل أييت أسأل الله على وسلم عن ذلك وقيل نسبت وقيل ان مر ذلك لا يعلمه الا الله تعالى لانه من أسرار الربوبية وفي حديث ان بين المعصية أو يعون عاما وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير سورة الزمر مرفوعا «ان الله يرسل مطرا على الارض فينزل عليها أو يعون يوما حتى يكون فوقهم اثني عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد أن تبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أحسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصور فيصه على فيه ثم يدعو الارواح فيوثق بها تتوهج ارواح المؤمنين نوراً والآخرى ظلمة فيقتصمها جميعا ثم يلتقيها في الصور ثم يأمر ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كلها كأنها الدحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزائي وحلالي لهرجمن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح من الجحائم

ثم تمشي مشي السم في السديع ثم تشق الأرض عنهم سراعاً فانا أول من تنشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تسفلون» وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين الفختين أربعون» قيل أربعون يوماً أبو هريرة أبيت قال أربعون شهراً قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت ينزل من السماء ماء فيقتبون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية لمسلم أن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب الخلق يوم القيامة قالوا أي عظم هو يا رسول الله قال عجب الذنب ورواه الإمام مالك وأبو داود والنسائي باختصار قال كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب قال الحافظ المنذري كبره عجب الذنب بفتح العين المهملّة واسكن الجهم بعدها باء موحدة أو ميم وهو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب وأصل الذنب من ذوات الأربع وقد روى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه» قيل وما هو يا رسول الله قال «مثل حبة خردل منه تنبتون» وفي الثعلبي في تفسير سورة الأعراف وتفسير ابن عطية عن أبي هريرة رضي الله عنهم إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى يعني نفخة الصمق أمطر عليهم أربعين عاماً كفي الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يأتي عليهم نومة فينامون في قبورهم فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجد النائم إذا استيقظ من نومه فعند ذلك هزلون يا ويلتنا من بعثتنا من مرقدنا وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» وفي صحيح البخاري - أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة فإذا همس عليه السلام متعلق بالعرش فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة - وفي بعض ألفاظ البخاري - فإذا أنا همس أخذ بقائمة من

قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور وه أخرجه الحكم
والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وبمينة على
أبي بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث
أنس رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله قال الله تعالى (الذين يحشرون على
وجوههم إلى جهنم) يحشرون الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يحشيه على وجهه وقال قتادة
حين بلغه بلى وعزة ربنا وروى الترمذي وحسنه عن عمرو بن شبيب عن
أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشرون يوم القيامة أمثال
الذر في صور الرجال بفشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال
له بولس تعلمهم نار الأنبار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال وروى الزبارة
من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر
يعطوهم اللباس بأقدامهم فيقال ما هؤلاء في صور الذر فيقال هؤلاء المشكرون في
الدنيا وروى الامام أحمد في الزهد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «يجاء
بالبهارين والمشكبين يوم القيامة رجال في صورة الذر تلوهم اللباس من هوائهم على
الله حتى يقتضى بين الناس قال ثم يذهب بهم إلى نار الأنبار» قيل يا رسول الله وما نار
الأنبار قال عصارة أهل النار وروى عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه لما حضره
الموت دعا بتياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وروى
إسناده يحيى ابن أيوب وهو النافقي المصري احتج به البخاري ومسلم وغيرهما
وله ما كبر قال أبو حاتم لا يحتج به وقال الامام أحمد سيء الحفظ وقال الترمذي
ليس بالتموي وقد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة ان المراد في ثيابه
التي قبض فيها أي في أعماله قال المروزي وهذا كحديثه الآخر يبعث العبد على
ما مات عليه قال وليس قول من ذهب إلى الاكفان بشيء لان الميت إنما يكفن
بعد الموت انتهى قل الحافظ المذري وفعل أبي سعيد راوي الحديث يدل على إجماعه
على ظاهره وان الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها وفي الصحاح وغيرها أن اللباس

يعثون عراة قاله أعلم وحمل كثير من العلماء الحديث على الشهداء الذين أسر ان بدفوا في ثيابهم التي قتلوا فيها وان أبا سعيد سمع الحديث في الشهداء فحمله على العموم قال البيهقي يجمع بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التي مانوا فيها ثم تنثر عزمهم عند ابتداء الحشر وقد روى محمد بن نصر المروزي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة وفسره بعضهم بقبض شماله يمينه والانحناء هكذا وبإسناده عن أبي صالح السمان قال يبعث الناس يوم القيامة هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى نقله الحافظ ابن رجب في كتابه الذكر والانكار والله أعلم

﴿ كذا وقوف الخلق للحساب والصحف والميزان للثواب ﴾

﴿ كذا ﴾ أي كما يجب الجزم بالبعث والمنشور والحشر بعد الدعاء في الصور يجب ان تجزم جزما بانا بأمر ﴿ وقوف الخلق ﴾ من الانس والجن والدواب والطيور وغيرهم قال تعالى (وحشرناهم فم نقادر منهم أحدا - وقال - ليجء منكم الى يوم القيامة لا رب فيه - وقال - يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) أي زمرا زمرا قال أبو هريرة رضي الله عنه ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطيائر وانسان وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وهذا الوحوش حشرت) يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر والخاصل ان الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام وفي تفسير مكِّي يحشر الناس يوم القيمة على أرض قدمها الله تعالى مد الاديم المكاظمي فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سوام اجتمعت في كنانتها فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاما قل وأكثر الاقدام يومئذ بعضها على بعض وقد ذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال اذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العصاة دما

واعلم ان ليوم الوقوف أهوالا عظيمة وشدائد جسيمة تذيب الاكباد وتذهل المراضع وتذيب الاولاد وهو حتى ثابت ورد به الكتاب والسنة وانه قد عليه الاجماع وهو يوم القيامة وقد اختلف في تسمية ذلك اليوم بيوم القيامة قبل

لكون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا)
 وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه وقيل لقيام الناس لرب العالمين
 كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (يوم يقوم الناس لرب
 العالمين) قال يقوم الناس أحدهم في رشحه الى نصف آذنيه قال ابن عمر رضي الله
 عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب بن يقطين ثلاثمائة سنة وروى أبو يعلى
 بإسناد صحيح رابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) مقدار نصف يوم من خمسين
 ألف فيؤخذ ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب الى ان تغرب وروى الامام
 أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال (بما كذا مقدار خمسين ألف سنة) فقل ما أطول
 هذا اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن
 حتى يكون عليه أحف من صلاة مكتوبة » وروى ابن أبي الدنيا والطبراني من
 طرق أحدهما صحيح والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضي
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قل « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم
 معلوم قياماً أربعين سنة شاحصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » الحديث وعن
 أبي هريرة يقومون سبعين سنة وقيل مقداره ألف سنة رواه الطبراني من حديث
 ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ولعمدة إمام تمام الناس بين يدي رب العالمين ألف
 سنة لا يروذلهم » وأخرج البيهقي عنه بمشون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يتكلمون
 وقبل الخامس يوم القيامة لقيام الملائكة والروح فيه صفاً قال تعالى (يوم يقوم
 الروح والملائكة صفاً) قال القرطبي القيامة قیامتاً صغری وکبری فالصغرى
 ما تقوم على كل انسان في خاصته من خروج روجه وانقطاع سمعه وحصوله على عمله
 والكبرى هي التي تتم الناس وتأخذهم أخذة واحدة والدليل على ان كل من مات
 قامت قيامته قول النبي صلى الله عليه وسلم تقوم من الاعراب سألوه عن الساعة
 فنظر الى أحدث انسان منهم فقال ان يمش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم
 ساعتكم رواه مسلم وغيره وقال الشاعر

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أتت الحامون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصبروا خروجي وتمجيلي إليه كرامتي
(لطيفة) سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم
من الآخرة قال صدر ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة
وقد أخرج الامام أحمد عن محمد بن أبي عميرة وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
والطبراني عن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا لوان رجلا بخر على وجهه من يوم ولد
الى يوم يموت هرما في مرضة الله تعالى لمقره يوم القيامة وأخرج ابن المبارك عن كعب قال
لوان رجلا كأن له مثل عمل سبعين نبيا لحشي أن لا ينجم من ذلك اليوم وأخرج الشيخان
عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا «يعرق اداس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في
الارض سبعين ذراعا ويلبهم حتى يلبغ آذانهم» وفي بعض ألفاظ الصحيح «سبعين
باعا» وأخرج مسلم عن المقداد رضي الله عنه قل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول «إذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قد رميت أو ميلين
قال - فتصهرم الشمس فيكونن في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبه
ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه إجماما» وفي رواية لا تدنى الشمس يوم القيامة
من الخلق حتى تكون كقدر ميل قال سليم بن عامر ما أدري ما يعني بالميل مسافة
الارض أو الميل الذي تكمل به العين قال «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق
فمنهم من يكون الى كعبه ومنهم من يكون الى ركبته ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم
من يلجمه العرق إجماما» وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه وأخرج الامام
أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه من حديث عتبة بن عامر رضي
الله عنه مرفوعا نحوه وزاد بعد قوله «ومنهم من يبلغ وسط فيه» وأشار بيده أجمها
فاه وقال أرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا ومنهم من يغطيه عرقه
وضرب بيده وأشار ومريده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس دور راحته
يمينا وشمالا وقال ابن مسعود رضي الله عنه الارض كلها نار يوم القيامة واللجنة
من ورائها كواهباناً كوابها والذي نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى
يسبخ في الارض قامته ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وماسه الجباب قالوا م ذلك

بأبى عبد الرحمن قل مما يرى الناس رواه الطبراني باسناد جيد قوي وروى
الطبراني أيضاً باسناد جيد عن ابن مسعود أيضاً رضي الله عنه مرفوعاً «ان الرجل
يلججه العرق يوم القيامة فيقول يا رب أرخني ولو إلى النار» ورواه أبو يعلى وابن حبان
بسط أن الكافر يلججه العرق الحديث وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضي الله عن
مرفوعاً أن العرق ليرم المرء في الموقف حتى يقول يا رب أرسلك بي إلى النار أهون
علي مما أجده وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب

(فائدة) قال الخطاط قد صرح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء
بخمسةائة سنة فيكونون قد سئلوا من تلك الأحوال ونجوا من ذلك السكل والوبال
ففي مسند الامام أحمد عن اسامة بن زبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال «قت على باب الجنة فاذا غامه من يدخلها الفقراء الا أن أصحاب الجسد أي
الخطوة والثروة والمال يحبرسون الا أن أهل الدار من أمرهم إلى الدار» الحديث متفق
عليه وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال «ان فقراء المهجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً»
وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يدخل فقراء المؤمنين
الجنة قبل أغنيائهم بخمسةائة سنة»

وحاصل ذلك ان الخلق يتفنون المتفرد الذي مر وتدنو الشمس من
رؤس الخلائق مقدار ميل ويصيبهم من العرق من شدة الهول وعظم حر الشمس
يومئذ أمر عظيم قال بعض السلف لو طاعت الشمس على الارض كبيتها يوم القيامة
لا حرق الأرض واذا ابت الجوامد ونشفت الأنهار

وهذا الوقوف مع ما مر (الحساب) الثابت بالسنة والكتاب واجماع أهل الحق
بلا ريب قال تعالى (فوق ذلك لهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقال في حق أعدائه
(أولئك لهم سوء الحساب) قالوا يا ويلتنا ما هذا الكتاب لا يفاد صيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا ينظرون إلا يوماً من يوم من ثقلهم بذنوبهم
ومن عمل مثقال ذرة شراً بره قال الثعلبي الحساب تعريف الله عز وجل الخلائق بمقادير
الجهنم على أعمالهم وتذكيرهم بما قد يسوه من ذلك يدل على هذا قوله تعالى (يوم)

يعلمهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) وقال بعضهم معنى كونه محاسبا خلقته أنه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم والحساب مصدر حاسب وحسب الشيء يحسبه بالضم إذا عده ساءا وهو معنى قول من قال الحساب له العدة واصطلاحا توقيف الله عبادته قبل الانصراف من المحتر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن إلا من استغنى منهم وقد اختلف في معنى محاسبته تعالى عبادته على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه يعلمهم ما لهم وعليهم كما تقدم قال بعض العلماء بأن يخلق الله في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب (الثاني) ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوقف الله تعالى عبادته بين يديه يومئذ يسميهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعتها لكم (الثالث) أن يكلم الله عبادته في شأن أعمالهم وكيفية ما لما من الثواب وما عليها من العقاب وفي هذا من صحيح الاخبار وصريح الآثار ما يطلع شروشا من في قلبه نوع اختلاجات أصل كل شبهة وبدعة فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تزول قدماء عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيم أفاه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه وعن جسده فيما أبلاه» قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه البزار والطبراني بإسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ولفظه «لن تزول قدماء عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فيم أفاه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه» وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب عذب» قلت أليس يقول الله (واما من أوتي كتابه يمينه فسوف يمحاسبه حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا) فقال «إنما ذلك العرض وليس أحد بمحاسب يوم القيامة الا هلك ورواه أبو داود والترمذي وغيرها ورواه البزار والطبراني في الكبير بإسناد صحيح من حديث ابن الزبير رضي الله عنهما ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب هلك» وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لنؤدب»

المحتوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد لثاة الملحأ من الثاة القرناء ورواه الامام أحمد وأحمد ولطه « يقتضى الحلق بعضهم من بعض حتى للحما من القرناء وحتى للذرة من الدرة » ورواه رواة الصحيح الملحأ والجلاء التي لا قرن لها واخرج الامام أحمد أيضا عن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليختص من كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيم انتطحا » واسناده حسن ورواه الامام أحمد أيضا وأبو يعلى من حديث أبي سعيد وفي حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « بحشر الله العباد يوم القيامة - أو قال - الناس عراة غرلا بهما - قال قلنا وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يادبهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا والديان انا الملك لا ينبغي لاحد من أهل النار ان يدخل النار وله عد أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى الأملة » قال قلنا كيف وانما تأتي عراة غرلا بهما قال « الحسنات والسيئات » رواه الامام أحمد باسناد حسن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المقدس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وأني وقدمت هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فئت حساته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » وفي هذا أحاديث كثيرة وبالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) انما قدم الحساب بعد الحشر والوقوف على أخذ الصحف مع انه مؤخر عن أخذ الصحف في الوقوع لان الحساب من المتقاض وأخذ الصحف من الوسائل فتقدمت المقاصد على الوسائل مع مراعاة قافية العلم والله أعلم

﴿ الثاني ﴾

كفيات الحساب مختلفة وأحواله متباينة فنه المسير ومنه اليسير ومنه العدل

والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيك ومنه الفضل والصفح ومتولي ذلك
أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين

﴿الثالث﴾

أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الأموال والسعة وأول ما يحاسب
عليه العبد الصلاة كما أخرج الامام عبدالله بن المبارك وأبو داود والترمذي وحسنه
والحاكم وصححه والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة بقول الله
تعالى ملائكتكم انظروا لصلاة عبدي أيها أم تقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان
نقص منها شيئا قال الله انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال أمموا العبد
فريضة من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك» وأخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يحاسب عليه العبد صلاته وأول ما يقضى
بين الناس سيف الدماء فإن قيل قد ورد في التنزيل ان الناس لا يستلون قال تعالى
(فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان) فالجواب أنه معارض بقوله تعالى (فوربك
لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وبجواب عن الآية الكريمة بأنهم لا يستلون
سؤال استفهام لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يستلون سؤال تقرير فيقال لهم
فعلتم كذا قال في البهجة كغيره قال الحسن وقادة لا يستلون عن ذنوبهم لأن
الله تعالى حفظها عليهم وكتبها الملائكة وقبيل يستلون في موطن دون موطن
رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ونظير هذا قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وفي الآية الأخرى (ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم
مختصمون) فلأناس يوم القيامة حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات ومن
ثم قال الامام أحمد في أجوبة القرآنية أول ما تبث الخلاق على مقدار سنتين
سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون ثم يؤذن لهم في الكلام
فينكلمون فذلك قوله تعالى (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا فعمل صالحا) الآية فإذا
أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى (ثم أنكم يوم القيامة
عند ربكم مختصمون) عند الحساب واعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك

(لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد) يعني في الدنيا فان المذاب مع هذا القول كائن انتهى

الرابع

اختلف عن المسؤل عنه والمسؤل قتال ابن عباس رضي الله عنهما عن لا اله الا الله وقال الضحاك عن خطابهم وقال القرطبي عن جميع أقوالهم وأفعالهم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشعولا - فوريك لسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال الفخر الرازي ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر والابتن بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل والصبر في قوله تعالى لسألهم عائد على جميع المكلفين الامبياء وغيرهم ويدل على سؤالهم صريحاً قوله تعالى (فلنسلن الذين أرسل اليهم ولنسلن المرسلين) فهذه الآية تدل على انه يحاسب كل عباده لا منهم لا يخرجون عن ان يكونوا مرسلين أو مرسل اليهم ويدل قول من زعم انه لا حساب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار انتهى والحراب انه لا حساب على الانبياء عليهم السلام على سبيل المناقشة والقرع قول السفي في بحر الكلام الانبياء لا حساب عليهم وكذلك أطال ماؤه من وكذلك العشرة المبشرين بالجنة هذا حساب المماثلة وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة ينبر حساب ولذا قل عمارنا في عنايتهم ويحاسب المسلمون المكافون الا من شاء الله ان يدخل الجنة فير حساب وكل مكلف مسؤل يسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل قال شيخ مشايخنا البدر البلباني في عقيدته قال الكفار لا يحاسبون بمعنى ان صحائف أعمالهم لا توزن وان فعل كافر قربة من نحو عتق أرسلة أو ظلمه مسلم وجوابه ان يخفف عنه العذاب انتهى ولعل مراده غير عذاب الكفر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية يحاسب الله تعالى الخلق ويحاسب بعده المؤمن ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة قال وأما الكفار فلا يحاسبون معاسبة من تورن حسنه وسيئانه فأهمهم لاحساناتهم ولكن تصد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقروون بها انهم وعن عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه ما من عبد يخطو خطوة الا ويستل عنها ما اراد بها وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « ان اول ما يستل عنه يوم القيامة ان يقال له ألم أصحح جسمك وأرويتك الماء البارد والذي نفسي بيده من النعم الذي تستلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب وماء بارد » أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم والبغوي وأخرج الامام أحمد والبيهقي وأبو نعيم عن الحسن مرفوعا « ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى به عورته » وأخرج البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شاء الله اذا كان حلالا الصائم والمتسحر والمرابط في سبيل الله » وأخرج البزار أيضا وأبو نعيم بسند حسن عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما فوق الأزار وجف الخبز وظل الخائط وجزا ماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة أو يستل عنه » وأخرج الامام أحمد عن جليل عن أبي عبيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار ومعه أبو بكر وعمر فجاء صاحب الحائط بهدق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » فقليل يا رسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال « نعم الا من ثلاث خرقه يكف بها عورته وكسرة يسد بها جوعته وجحر يدخل فيه من الحر والقر » وأخرج الطبراني والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه حسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي قال - تعطي من حرمك وتصل من قطعك ونعفو عن من ظلمك » وفي ترغيب الأصبهاني عن أنس مرفوعا « ان استطعت ان تمسي وتصبح وليس في قلبك غش لاحد فافعل فانه أهون عليك في الحساب » وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال اعرابي يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة قال الله قال نجيونا ورب الكعبة قال وكيف يا أعرابي قال لان الكريم اذا قدر عفا وما أحسن ما قيل من الحسك المدونة الكريم اذا قدر غفروا اذا زالت معه ستر ومنها ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام

﴿ثالثة﴾

ذكر القرطبي كعبه ان الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من سيرة رحمان
اكراما لهم ولا يكلم الكافرين بل يحاسبهم الملائكة اياه لهم وتبيرا لأهل
الكرامة وأخرج السيحان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال «ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يرثيهم ولهم عذاب أليم رجل
على فصل ماء بالطريق يجمع معه ابن السبيل ورجل بايع اماما ما يبايعه الا لدنيا
فان أعطاه ما يريد وفى له والا لم يبق له ورجل بايع رجلا بعد المصر تخلف بالله
لقد أعطي كذا وكذا فصدقه ولم يمت بها»

﴿الخامس﴾

ثبت في عدة أحبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم ما ذكر الليل على الدهاران
طائفة من هذه الأمة لا ذريات يدخلون الجنة ميرحساب ويدخلون حات العم
قل وضع الموارس وأحد الصحف بالشمال واليمين وقد أخرج الشيخون وعبرها
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فقال «عرضت علي الأم عمر الذي معه الرجل والذي معه الرجلان والذي ليس معه
أحد والذي معه الرجل فرأيت سوادا كثيرا فرحوت ان تكون أمي فقبل لي
هذا موسى وقومه ثم قبل لي ابلر رأيت سوادا كثيرا قد سب الاق قتل
هكذا وهكذا رأيت سوادا كثيرا فقبل لي هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون
ألفا يدخلون الجنة ميرحساب» فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم مداكر ذلك أصحابه فقالوا اما نحن «ولدا في الشرك ولكن قد آما بالله
ورسوله هؤلاء أداونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هم الذين لا يسرقون
ولا يكتبون ولا يطايرون وعلى رءسهم يتوكلون» فقام سكاكة بن محص فقال أما
هم وفى لفظ ادع الله ان أكون منهم يا رسول الله قال نعم ثم قام آخر فقال أما
مهم فقال «سقتك بها عكاكة» قال الامام لمحقق ان التهم في كتابه (الدوا والدوا)
قوله صلى الله عليه وسلم سقتك بها سكاكة لم يردان عكاكة وحده أحق بذلك من

عداه من الصحابة ولكن لودعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساء اولى وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «وعندي ربي ان يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حشيات من حشيات ربي» ويروي حننات بالفتح وهو الغرف مل اليدين وقبل الحية باليد والحفنة باليدين وأخرج الامام أحمد والطبراني عن أبي أيوب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال «ان ربي خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيثة عنده لأمي» فقال له بعض أصحابه أينبأ ذلك ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال «ان ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيثة عنده» فقبل يا أبا أيوب وما نظن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكله الناس بأفواههم فقالوا ما أنت وخبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو أيوب دعوه أخبركم عن خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خبيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول رب من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسول مصدقا لسانه قلبه فأدخله الجنة الخبيثة بخاء ممجمة فوحدة وهمزة بوزن خطيئة وأخرج البيهقي سن حديث أبي هريرة مرفوعا «سألت ربي فوعدي ان يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر فاستردته فزادني مع كل ألف سبعين ألفا فقلت أي رب أرايت ان لم يكن هؤلاء مهاجري أمي قال اذا أكلهم لك من الاعراب» وأخرج الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الانصاري رضي الله عنه قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان يوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال «لم يحدث الاخيرا ان ربي وعندي ان يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيدي فوجدت ربي ماجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت يا رب وتبلغ أمي هذا

قال أكل لك الدمد من الاعراب» (١) وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقبورهم على قلب رجل واحد واستزدت وبني فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً قال أبو بكر فرأيت أن ذلك يأتي على أهل القرى وبنيب من حافات البوادي وأخرج الامام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أن ربي أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» فقال عمر يا رسول الله فهل استزدته قال «قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً قال عمر فهل استزدته قال «قد استزدته فأعطاني هكذا ومرج بين يديه وسط باعیه وحشاً قال هشام هذا من الله ما يدري ما عدده وأخرج الرازي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا فقال عمر يا أبا بكر إن شاء الله أدخلهم الجنة بمئة واحدة وأخرج الامام أحمد بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أن ربي استشارني في أمتي ماذا أعمل بهم قتل ما شئت ياربهم خلفك وعبادك فقال لا محريكني أمتك وأخبرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب» وأخرج هذا عن أسماء بنت بريد رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسعهم الداعي وينغذهم البصر فيقوم ماد ينادي أين الدين كانوا يحمدون الله على السراء والضراء فيقومون وهم قائل يدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي أين الدين كانت تنجاني جنوهم عن المضاجع فيقومون وهم قائل يدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي ليعم الدين كانوا لا نالهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قائل يدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون» ورواه ابن أبي الدنيا وغيره وذكره الخافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف فقال قد روي أن المهديين يدخلون الجنة بغير حساب

(١) هكذا ورد الحديث المصنف فيه ما ترى مما لا يوافق القواعد ولا يصح

وذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق سبعم الخلائق اليوم من أولي بالكرم فذكر الحديث قال الحافظ ابن رجب وروى أيضا عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله وروى نحوه من حديث ابن اسحق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا وروى نحوه أيضا عن عبادة بن الصامت وربيعة الجرشي والحسن وكعب من قولهم قال الحافظ قال بعض السلف قيام الليل بهون طول قيام يوم القيامة قال وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب والله أعلم

ولما انتهينا الكلام على الحساب بحسب ما يليق بهذا الكتاب ثابنا العطف على شرح الصحف والميزان المشار إلى ذلك في قوله ﴿و﴾ كذا وقوف الخلف لاخذ (الصحف) جمع صحيفة وهي الكتب كتبها الملائكة وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية وقيل هي صحف نكتبها العباد في قبورها قال تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الثعلبي أي النبي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب وإنما يؤتى بالصحف الزاما للعباد ورفعا للجدل والعدا وقال تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا) قال العلماء معسنى طائره عمله وقال مقاتل والسكبي خبره وشره معه لا يفارقه وهو معسنى الاول وقال تعالى (وإما من أوتي كتابا يمينه فدوف يحاسب حسبا يسيرا) وفي الآية الاخرى (فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا) والقتيل هو القشر الذي في شق النواة وهذا يضرب مثلا للشيء الحقير وذكر مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالفتيل الوسخ الذي يظهر بفنل الإنسان إهماله بسببته قال العلامة الشيخ مرعي وإنما خص القراءة بمن أوتي كتابه يمينه دون من أوتيه بشماله لأن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الملوكات العظيمة والقبائح الكاملة فيتولى الخوف والدهش

على قلوبهم وبثقل لسانهم فيمحزون عن القراءة الكاملة بخلاف أصحاب
اليقين فابهم إذا طالعوا صحف حسانهم وجدوها على الكمال فيقرونها كتابهم
على أحسن الاحوال . أمما ثم لم يقنع أحد بقراءته حتى يقول لأهل المحشر هاؤم
اقروا كتابه . كما قاله المحر وغيره وقال تعالى (وأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا) وبقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء
ظهره فسوف يدعو ثورا ويصلى سعيرا

والحاصل ان بشر الصحب وأخذها باليمن والشمال مما يحب الايمان به وعقد العلب
بانه حق لثبوته بالكتاب والسنة والاحماع فقد أخرج العقيلي عن أنس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله
ويجاء طيرها بالابان والشمال» أول خطيبه (اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك
حسبا) قال قتادة سيقرا يومئذ من لم يكن قانونا في الدنيا وأخرج الديلمي عن أبي
هريرة رضي الله عنه مرادعا «وان كتاب المؤمن يوم القيامة محسن ثناء الناس
عليه» وقاله ابن مسعود رضي الله عنه وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات
فاما عرضتان فجدال وما ذير فمد ذلك تعابر الصحف في الايدي فأخذ يمينه
وأخذ شماله» ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ولفظه
واما الثالثة فتطار الصحف في الايدي فأخذ يمينه وأخذ شماله: وأخرجه البيهقي
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه: واما العرضة الثالثة فتطار الكتب في
الايمان والشمال: قال الحكيم الترمذي الجدال للاعداء يجادلون لانهم لا يعرفوا
رهم فيطون انهم اذا جادلوه نمحوا أو قامت حجتهم والمماذير لله يعتذر الى آد
والى أسبابه ويقيم حجة عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم الى النار والعرضة الثالثة
لله ومبين وهو العرض الاكبر يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات
حتى يذوق وبال الحياة والخل ثم يعفر لهم وبرضى عنهم وأخرج ابن المبارك
عن أبي عثمان الهدي قال ان المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ شيئا
منه فيرجع الى لونه ثم يقرأ حسنة فيرجع الى لونه ثم ينظر فاذا سبأته قد بدلت حسنة

شماله وقال يوسف بن عمر من المالكية اختلف في عصاة الموحدين قبل يأخذون كتبهم بأيمانهم وقيل شمانهم وعلى القول بأهم يأخذونها بأيمانهم قبل يأخذونهم قبل المسحول في النار فكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها وإن أعلم

(الثاني) ورد أن أول من يأخذ كتابه يسبته أبو سلمة ابن عبد الأسد واسمه عبد الله وهو أول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيا صلى الله عليه وسلم وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة وقال بعض علماء المالكية أول من يعطى كتابه يسبته وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبسطة أبو سلمة أتهم وروي أن أول من يأخذ كتابه بشأله أخو أبي سامة بن عبد الأسد الأسدي وروى أنه بعد بدء يأخذه يسبته فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشأله من وراء ظهره وذلك لأنه كان خلق يد سلمة لما أراد أن يهاجر ففزع بنو المنيرة أم سلمة أن تسير مع أبي سلمة ونزعوا خطام البعير من يده فأخذوها منه فغضب وخطأ سلمة وهم بنو عبد الأسد فاحتدوا ابنه سلمة المذكور من أمه حيث أخذوها ولم يدعوها تسير مع أبي سلمة فخلعوا يد الملام الفصة فجوزي الأسدي يده فالحزاء من جنس العمل قال القرطبي في تذكرته إذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤمر بعد البعث حوسبوا بها وأخرج ابن المبارك عن رجل بني أسد قال قال عمر رضي الله عنه لكعب حدثنا من حديث الآخرة أني سألت أبا عبد الله المومنين إذا كان يوم القيامة رفع الألواح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق وهو يسطر إلى عمله ثم يرمى بالصحف التي فيها أعمال العباد فنشر حول العر ثم بدى المؤمن فيعطى كتابه يمينه فينظر فيه

(د) كذا وقوف الخلق لأجل (الميزان) أعلم أن مراتب المعاد البعث والنشور المعسر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال السؤال والحساب ثم الميزان (للتواب) أي ثواب الأعمال الصالحة وعن البيه القاضية قل علما وما كعبهم نوم من ميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال قال ابن عباس رضي الله عنهما

الحسنات في أحسن صورة والسيئات في أقبح صورة قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته الصحيح ان المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم وقال القرطبي في تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأما هاهوية * وما أدريك ما هيبة * نارحامية)

والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والاجماع فالكتاب ما ذكرناه وقوله تعالى (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الى غير ذلك من الآيات وروي ان دارد عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه فلما أفاق قال الهسي من ذا الذي يقدر بملا كفة حسنائه فقال اذا رضيت عن عبيدي ملائمتها بتمرة ذكره الرازي والعللي وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه ان ميزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احدهما لوسعتين وجبريل أخذ بعوده ينظر الى لسانه قال في البهجة في هذا ان أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الانس وهو كذلك ارتضاء الائمة قال القرطبي في تذكرته المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة وصغارهم في الكفة الاخرى فلا يعمل الله لتلك الصغار وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترفع وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية قال واما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة وان كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الاخرى فلا تقاومها اظهاراً لفضل المتقين وذل الكافرين والحق ان الكفار لا يقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) ومن قال توزن أعمالهم لو روده في ظواهر علوم الآيات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا كما في قوله (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي كالهباء في عدم نفعه وحصول فائدته

والحق ان مؤمني الجن كالانس في الوزن وكافهم ككافهم وأخرج الحاكم وصححه
من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يوضع
الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعن فتقول الملائكة يا رب
لمن وزن هذا فيقول لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبادناك
حق عبادتك » وأخرجه الامام عبد الله بن المبارك في الزهد والآجري في الشريعة
عن سلمان موقوفا وأخرج البرار والبيهقي في البعث عن أنس بن مالك رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يوتي با بن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي
الميزان ويؤكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد
فلان بن فلان سماعة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت
يسمع الخلائق ألا شقي فلان شقاوة لا يسد بعدها أبدا » وذكر الثعلبي وغيره وابن
جرير في تفسيره وابن أبي الدنيا عن حذيفة رضي الله عنه انه قال صاحب الميزان
يوم القيامة جبريل عليه السلام وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وهو يد
جبريل عليه السلام وأخرج أبو الشيخ بن حبان في تفسيره من طريق الكافي عن
أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الميزان له لسان وكفتان فقد دلت
الآثار على انه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن
البصري وصرح بذلك علماءنا والاشعرية وغيرهم وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر
وانتقد اجماع أهل الحق من المسلمين عليه وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال بحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته
بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار
قال وان الميزان تخف بمشغال حبة وترجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من
أصحاب الاعراف فوقنرا على الصراط وأخرج الامام أحمد في الزهد من طريق
ربيع بن زيد عن أبي الجراح عن رجل يقال له حازم ان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل عليه جبريل وعنده رجل يكي فقال « من هذا قال فلان قال جبريل انما وزن
أعمال بني آدم كلها الا البكاء فان الله يظني بالدمعة يمحوها من نيران جهنم » وأخرج
البيهقي عن مسلم بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أغروقت

عين بمائها الاحرم الله ذلك الجسد على النار ولا سالت قطرة على خدها فبرحق ذلك الوجه قنر ولا ذلة ولو ان با كبا بكى في أمة من الامم لرحموا وما من شيء الا له مقدار وميزان الا الدمعة فانها يطفأ بها بحار من النار» وأخرج الترمذي وحسنه من حديث أنس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال «انا فاعل ان شاء الله» قلت ابن أطلبك قال «أول ما نطلبني على الصراط» قلت فان لم ألقك على الصراط قال «فاطلبني عند الميزان» قلت فان لم ألقك عند الميزان قال «فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطي هذه الثلاث مواطن» ورواه البيهقي في البعث وغيره

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر فالاشهر انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفته كطباق السموات والارض كما مر وقيل انه لكل أمة ميزان وقال الحسن البصري لكل واحد من المكلفين ميزان قال بعضهم الاظهر اثبات موازن يوم القيامة لاميزان واحد قوله تعالى (ونضع الموازين) وقوله فمن ثقلت موازينه قال وعلى هذا فلا يعد ان يكون لأفعال القلوب ميزان ولا لأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول بميزان أورد هذا ابن عطية وقال الناس على خلافه وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد وقال بعضهم إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم وهو حسن

﴿ الثاني ﴾

اختلف في الموزون قيل يوزن العبد مع عمله وقبل توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه ونصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعبد الله سبحانه كما جاء به الحديث فامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات غير ملتفت اليه كما لا يخفى وقيل ان الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك الاعمال من غير

قلب لها والحق ما قدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما وصوبه الشيخ مرعي في بهجته وذهب اليه جمهور من المفسرين وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة فقال «الصحف» ذكره الفخر الرازي وغيره وحكاه ابن عطية عن ابن أبي المعالي ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم على شرط مسلم عن عبد الله بن الماحض رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتتكرم من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أظلمك عذر أو حسنة فيقول لا يارب فيقول الله بلى ان لك عدنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا آله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وركب فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فإليك لانظام ونوض السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا ينفذ مع اسم الله شيء» قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته ثبت بهذا الحديث الصحيح ان الموزون صحائف الاعمال وهو الحق ون قيل قد اخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «انه ليأني الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقد صرح بأن الموزون نفس بدن الانسان فإجابا ان هذا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثالا للذي يفتر بعض الاجسام وهو كساية عن عدم كثرات الله بالاجسام فان الله لا ينظر للمصور وانما ينظر للاعمال والقلوب فكيف من جسم وميم وهو عند الله من أصحاب الحميم وهذا محل الحديث الصحيح والله أعلم

﴿ الثالث ﴾

قال السفي في بحر الكلام ان الايمان لا يوزن لانه ليس له ضد بوضع في كفة الميزان الاخرى لان صده الكفر والايمان والكفر لا يكونان في الانسان الواحد قلت يرد هذا وزن كلمة الاحلاص وهي أس الايمان وانصر القرطبي

للفنسي كالحكيم النرمذي وأجاب عن كلمة الأخلاص بأنها إنما تكون إيماناً أولاً مرة وبعد ذلك تكون من حسناته قال ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: بلى إن لك عندنا حسنة: ولم يقل إن لك عندنا إيماناً وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن لا إله إلا الله من الحسنات هي فقال من أعظم الحسنات رواه البيهقي وغيره قلت وفيه نظر لا يخفى (فإن قيل) ما الحكمة في الوزن مع أن الله عالم بكل شيء فيعلم خائفة الالعين وما تخفى الصدور (أجاب) الثعلبي بأن الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر وقال العلامة الشيخ مرعي بل الحكمة فيه اظهار العدل وبيان الفضل حيث أنه يزن مثاقيل الدر من خير أو شر (وإن تك حسنة يضاعفها وبوت من لدنه أجراً عظيماً)

﴿الرابع﴾

ظواهر الآثار وأقوال العلماء أن كيفية الوزن في الآخرة خفة وثقلا مثل كيفية في الدنيا ماثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين وماخف طاش إلى أعلا ثم نزل إلى سجين وبه صرح جموع منهم القرطبي وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة وإن عمل المؤمن إذا رجح صعد وسقطت سيئاته والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات ثم تلا قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) وذكر بعضهم في صفة الوزن أن نجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة الحسنات في كفة النور وهي عن يمين العرش جهة الجنة والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار ويخلق الله لكل إنسان علماً ضرورياً يدرك به خفة أعماله وثقلها وقيل بل علامة الرجحان عمود نور يقوم من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل أحد وبالله التوفيق

والا انتهى الكلام على الوقوف والحساب وتظاير الصحف والميزان للشواب أعقب ذلك بذكر الصراط فقال

﴿كذا الصراط ثم حوض المصطفى﴾ فيأهنا لمن به نال الشفا

{ كذا } اجزم بثبوت { الصراط } فانه حق ثابت بلا شطاط وهو في الامة الطريق الواضح ومنه قول جرير
 أمير المؤمنين علي صراط اذا اعوج الموارد مستقيم
 وقول الآخر

• وصد عن نهج الطريق الواضع • والصراط باصا صا والسبيل المهملتين وبالرأي
 على نزاع في اخلاصها ومضارعتها بين الصاد والزاي من مرطت الشيء بكسر
 الراء اذا ابتلته لانه يتلغ المارة كما أن الطريق كذلك أي يغيبهم وفي الشرع جسر
 ممدود على من جهنم يرده الألوان والآخرون فوق قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق
 من حين خلقت جهنم قال القرطبي في تذكرته أعلم رحمتك الله تعالى ان في الآخرة صراطين
 أحدهما مجاز لا هل المحشر كلهم ثقلهم وخفيهم الا من دخل الجنة بغير حساب
 والامن ياتقطه عنق من النار فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذي
 ذكرناه ولا يخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستغفد
 حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع الى النار من هؤلاء أحد ان شاء
 الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على من جهنم التي يسقط فيها
 من أوبقته ذنوبه ورواد على الحساب جرمه وعيوبه فقد أخرج البخاري والاسماعيلي
 في مشجته واللفظ له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 في هذه الآية { ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين } قال يخلص
 المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض
 مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي
 بعس محمد بيده لاحد من اهدى بتزله في الجنة منه بمزله في الدنيا قال قتادة كان يقال
 ما يشبه بهم الا أهل الجمعة انصرفوا من جمعهم قال القرطبي هذا في حق من
 يدخل النار من عصاة المؤمنين اما من دخلها ثم أخرج فانهم لا يحسبون بل اذا
 خرجوا شوا على أنهار الجنة وقال الحافظ ابن حجر قوله يخلص المؤمنون من النار
 أي ينحون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط فيها قال واختلف في القنطرة المذكورة
 فقبل أنها من تنمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقيل انها صراط آخر وبها

جزم القرطبي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة في علوم الآخرة والاول يعني انه طرف الصراط الذي يلي الجنة هو المختار الذي دلت عليه احاديث القناطر والحساب على الصراط انتهى

قال العلماء الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحى من الجمرة فقد أخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرحف مدحضة أي مزلفة أي لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يثبت الله تعالى عليه كالإيب من نار تخطف أهلها فتمسك بهودايا ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذاك الذي لا ينشب ان ينجو ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كرم الرجل ثم كشي الرجل وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له سل ونمن فاذا فرغ قال لك ما سألت ومثله معه وأخرج ابن منيع في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الصراط كحد السيف دحض منزلة ذا حسك ٧ وكالإيب وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لجهنم جسر ادق من الشعر وأحد من السيف عليه كالإيب وحسك تأخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكالجاو يد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم سلم فجاج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه » وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال بلغني ان الجسر ارق من الشعر واحد من السيف وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد أيضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك السعدان ثم يستجيز الناس فجاج مسلم ومخدوش به ثم ناج ومجتبس به ومنكوس فيها » وأخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كالجزء الخيل والرابعة كالجود البيائم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان

جبريل لاخذ بحزني واني لا قول يارب سام سلم قال زالون والزالات يومئذ كثير
وأخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال بلغنا ان الصراط مسيرة
خمسة عشر ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوى
أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الاضمار بهزول
من خشية الله تعالى وفي بعض الآثار ان طول الصراط مسيرة ثلاثة آلاف سنة
ألف منها صعود وألف منها هبوط وألف منها استواء وفي بعض الروايات أن جبريل
في أوله وميكائيل في وسطه يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم في
ما أبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به وفي بعض الآثار ان فيه سبع قناطر يسئل كل
عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف (قلت) وقد ذكر القرطبي في تذكرة
عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل على سبع قناطر فأما
القنطرة الأولى فببئسئل عن الإيمان بالله وهي شهادة لا إله الا الله فان جاء بها مخلصا
والاخلاص قول وعمل جاز ثم يسئل على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها
تامة جاز ثم يسئل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل في
الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان
جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فببئسئل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما
تامين جاز الى السابعة وليس في القناطر أعرب منها فببئسئل فيها عن ظلمات الناس
وتبعات الحاق وجاء في الحديث الشريف انه اذا صار الناس على طرف الصراط
نادى ملك من تحت العرش يا فطره الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل
عاص منكم وظالم وأخرج الحاكم وصححه الطبراني عن أم الدرداء قالت قلت
لابي الدرداء ألا ابتغى لاضيا فك ما ابتغى الرجال لاضيا فهم فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول «ان امامكم عقبة كؤدا لا يجوزها المقتولون فأحب أن انحفف لذلك
العقبة» قوله كؤد هي فتحة الكاف وهزمة مضومة الصمبة وأخرج البيهقي بلفظ
«ان بين أيديكم عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل خفف» وأخرج الطبراني عن أنس
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا يصعد بها
الا الخفون» فقال رجل يا رسول الله أمن الخفين أمنا أم من المتخفين قال «عندك

طعام يوم - قال نعم - وطعام غد - قال لا - قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم عهد الي ان دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة وانا ان تأتي عليه وفي احتمالنا اقتدار واصطبار أخرى ان ننجو من ان تأتي عليه ونحن موافق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) انفقت النكاهة على اثبات الصراط في الجملة لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحسد من السيف وأدق من الشعر وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي وكثير من اتباعه زعما منهم أنه لا يمكن عبوره وان أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وانما المراد طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى (سيهديهم ويصلح بالهم) وطريق النار المشار اليه بقوله تعالى (فاهدوهم الى صراط الجحيم) ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والاعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها وكل هذا باطل وخرافات لوجود رد النصوص على حقاقتها وليس العبور على الصراط بأعجب من المثني على الماء أو الطبرات في الهواء أو الوقوف فيه وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك وأنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام والحق أن الصراط وردت به الاخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى الا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف هذا ان ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للاحاديث الاخر من قيام الملائكة على جنبتيه وكون الكلايب والحسك فيه واعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه قال القرافي والصحيح انه عريض وقيل طريقان بمنى وبسرى (٢ ش عقيدة السفاريني - ٢٤)

أهل السعادة يسلك بهم ذات البين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طافات كل طافة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم . وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى (وان منكم الا وازدها) على أحد الأقوال ثم قال القراني تبعا للحافظ البيهقي كون الصراط أدق من الشعر واحد من السيف لم أحده في الروايات الصحيحة وإنما يروى عن بعض الصحابة فيقول بأن أمره أدق من الشعر فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى وقد جرت العادة بصرب دفة الشعر مثلا للعامض الخفي وضرب حد السيف لاسراع الملائكة في المعصي لامثال أمر الله واحارة الناس عليه ورد هذا الامام القرطبي وغيره من أئمة الآثار وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن ابن سعيده بلاغا وليست مما للرأي والاجتهاد فيه نجال فهي مرووعة وقد مر من الاخبار ما يوجب الايمان بذلك ثم ان القادر على امساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويحبره وبمشبه على أنه أحرح الامام عبدالله بن المبارك وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال بانما أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة

(الثاني) تقدم ان الصراط مخلوق الآن وقتل في كثر الاسرار عن بعض أهل العلم أنه يجوز ان يخلقه الله تعالى حين يصرب على من جهنم ويجوز ان يكون خلقه حين خلق جهنم ونحوه في كلام القاضي عياض قال الحلبي من الشافعية لم يثبت أنه يبقى الى خروج عصاة الموحدين من النار فيحوزونها عليه الى الجنة ويحتمل أنه يزال ثم يعاد لهم أولا بعد أو تصعد به الملائكة الى السور التي في الاعراف قال البدر الزركشي ومن الحكمة في الصراط ورفعه ان يظهر الله ومبين من عظيم فضل الله تعالى العزة من النار ولتصبر الجنة أسر لقلوبهم بعد ولينحسر الكافر بنفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور

(الثالث) من حُرَافَات الباردة زعم من زعم ان ماهبة الصراط شعرة من شعر جنون مالك خازن النار فهو كلام تنبؤ عنه السامع ويكذبه كل سامع وان نقله الحافظ برهان الدين الحلبي فلا ينبغي ان يلتفت اليه ولا يعمل عليه والله تعالى أعلم

﴿ثم﴾ اجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور بثبوت ﴿حوض﴾ النبي ﴿المصطفى﴾ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع أهل الحق وقال تعالى (انا أعطيناك الكوثر) قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحداً واحداً والله أعلم

قال القرطبي ذهب صاحب القوت الى أن الحوض بعد الصراط قال والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالي ذهب بعض السلف الى أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبي والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء قال «أي والذي نفسي بيده ان فيه ماء وان أولياء الله ليردون الى حياض الانبياء عليهم السلام» ورجح القاضي عياض ان الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار وقال ابن حمدان في عقيدته يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط انتهى وقال الحافظ ابن حجر ظاهر الاحاديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر فيه قال واماما أورد عليه من ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان يروه ويذهب بهم الى النار فجوابه أنهم يقر بوقوع الحوض بحيث يرونه وبرون ٧ فيدفعون في النار قبل ان يخلصوا من بقية الصراط وقال القرطبي في التذكرة ن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة

وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلام العرب الخير الكثير قال الجلال السيوطي
وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم وغيره بأن الحوض بعد الصراة
فإن قيل إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجوا إلى الشراب منه فالجواب
بل يحتاجون إلى ذلك لأنهم محبسون هناك لأجل المطالم فكان الشرب سيف
موقف القصاص ويحتسب الخلع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوله
وتأخيره بعده لاخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والاوزار حتى يهذبوا منه
على الصراط ولعل هذا أقوى انتهى قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته وهذا في
غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق انتهى قال القرطبي في التذكرة ولا يخطئ
يياك أو يذهب وهمك إلى أن هذا الحوض يكون على وجه هذه الأرض وأما
يكون وجوده على الأرض المبذلة على مسافات هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون
بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض وهي أوض يضاء كالمنصة لم يسفك عليها دم
ولم يظلم على ظهرها أحد قط. أخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حوضي مسيرة شهر
ماؤه أبيض من اللبن وربحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لا يبطأ أمداء» وفي رواية «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض
من الورق» وهي عندهما أيضاً وأخرج الامام أحمد بسند صحيح وابن حبان
في صحيحه واللفظ للامام أحمد عن أبي امامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال «إن الله وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب» فقال
يزيد بن الاخنس والله ما أولئك في أمتك الا كالدباب الاصب في الدباب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفه
وزادني ثلاث حثيات» قال فما سعة حوضك يا رسول الله قال «كما بين عدن إلى
عمان وأوسع وأوسع» بشهر يده قال فيه شعبان نضم الميم والعين المهملة بينهما مثله
وأخره موحدة هو مسيل الماء من ذهب وفضة قال فما حوضك يا نبي الله قال «أشأ
بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب وأنحة من المسك من شرب منه شرب
لم يظأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أمداء» ومن ثم قال (فيا هنا) قال في القاموس هنا

والمنأ ما أتاك بلا مشقة وفدهني وهنو هنا وهنأني ولي الطعام هنا وبهني وبهنو
 هنأ وهنأ وهنأ وهنأ نبيه العافيه وهو هني سائغ كأنه يقول أيها الشراب السائغ
 الهني الآتي بلا مشقة أقبل ﴿لمن﴾ أي على شخص من ذكر أو أنثى ﴿به﴾ أي
 بسبب الشرب منه ﴿نال﴾ أي أعطي يقال ناله بنوله إذا أعطاه قال في القاموس النوال
 والنائل العطاء ونلت له وبه أنوله وبه نلته وأنلته إياه ونولته ونولت عليه وله أعطيته فيه
 متعلق بنال ﴿الشفاء﴾ من ظأ ذلك اليوم والشفاء هو الدواء والجمع أشفيه وجمع الجمع
 أشاف يقال شفاه يشفيه براه وطلب له الشفاء كأشفاه كما في القاموس ففي حديث أبي
 ابن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل له ما الحوض قال «والذي
 نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن وأحلا من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا
 من المسك وأنيته أكثر عددًا من النجوم لا يشرب منه إنسان فيظأ أبدًا ولا يصرف
 عنه إنسان فيروى أبدًا» رواه ابن أبي عاصم وغيره ففي هذا الحديث أن من لم يشرب
 من حوضه صلى الله عليه وسلم من أمته لا يزال متصفًا بداء الظأ أبدًا وروى نحوه
 البزار والطبراني من حديث أنس مرفوعا وفيه من شرب منه شربة لم يظأ أبدًا
 ومن لم يشرب منه لم يرو أبدًا وأخرج الطبراني أيضًا نحوه في الأوسط من حديث
 أبي سعيد الخدري مرفوعا وفي ذلك عدة أحاديث

﴿عنه﴾ يذاود المفترى كما ورد ومن نحاسل السلامة لم يرد ﴿

﴿عنه﴾ أي عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم وعن الشرب منه ﴿يذاود﴾ بضم التحتية
 وفتح الذال المعجمة فذال مهلة قبلها ألف مبني لما لم يسم فاعله أي يطرد ويساق ويدفع
 بدفع أعنفا قال في القاموس الذود السوق والطرود والدفع كالذي يذاود ﴿المفترى﴾ نائب الفاعل
 من الفرية بكسر الفاء الكذب يقال فرى فرى فربا وفرى فرى افتري افترا إذا كذب وهو
 افتعال منه ومنه (ولا يأتين بيتهان يفر بنه) وفي الحديث «من أفرى الفري أن يري
 الرجل عينه ما لم يربا» فالفرى جمع فرية وهي الكذبة وأفرى أفعّل منه للتفضيل أي
 أ كذب الكذبات أن يقول رأيت في النوم كذا ولم يكن رأى شيئا لأنه كذب
 على الله لأنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليربه المنام والحاصل أن من الذين
 يذاودون عن الحوض جنس المفترين على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم

من المحدثين في الدين من الروافض والخوارج وسائر أصحاب الأهواء والبسوع
 المضلة وكذلك المسرقون من العائمة المفرطون في الظلم والخور وطمس الحق كذلك
 المتهمون في ارتكاب المعاصي والمعلون في اقرار المعاصي فقد أخرج مسلم في
 صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفارة
 ثم رفع رأسه متسماً فقال «انه أنزلت علي آتفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم
 انا اعطياك الكوثر) حتى ختمها قال «هل تدرون ما الكوثر - قالوا الله ورسوله أعلم
 قال - هو نهر اعطانيه ربي في الحجة عليه خير كثير ترد عليه أمي يوم القيامة آتية عدد
 الكواكب يخرج العبد منهم فأقول يارب انه من أمي فيقال انك لا تدري ما أحدث
 بك» وأخرج الطبراني عنه مرفوعاً أعطيت الكوثر قالت يا رسول الله وما الكوثر
 قال نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظأ
 ولا يتوضأ منه أحد فيه مثل لا يشربه من اخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي» وأخرج
 مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال «ليردن علي الحوض أقوام فيختلفون دوني فأقول رب أصحابي رب
 أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بك» وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن
 ربحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين الحسن بن علي رضوان الله عليهما انه
 قال لما وية أنت السباب لعل اما والله ليردن عليه الحوض وما أراك ترده فتجده
 مشمر الارار على ساق يزود عنه لا ياتي المناقون ذود غريبة الابل قول الصادق
 المصدوق وقد حاب من اقترى وأخرج الطبراني وابن حبان والحاكم وصححه عن
 حباب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «سيكون امرأ من بعدي
 ولا تصدقهم بكذبهم ولا تعينهم على ظلمهم من فعل ان يرد علي الحوض» وأخرج
 البحاري ومسلم وغيرهما من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي
 رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «انا فرطكم على الحوض
 من ورد شرب ومن شرب لم يظأ أبدا وليردن علي أقوام أعرفهم وبعرفوني ثم بحال
 يبي وبينهم» قال أبو حازم فسمع التيمان بن أبي عياش وأنا أحدث هذا الحديث
 فقال هكذا سمعت سهلاً يقول قالت نعم فقال وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري

سمعتهم يزيد «إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما علموا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل
بعدي» وأخرج الإمام أحمد والطبراني والبرار عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أنا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح وبجاء
بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب بعدك مرتدين على أعقابهم»
وأخرج الحكيم في نوادر الأصول عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال «يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي فمات
قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة» وأخرج الزمذني
والحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
عليهم وقال «إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم
على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس يوارى علي الحوض ومن لم يدخل عليهم
ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض»
وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال «ليرفعن لي رجال من أصحابي إذا رأيتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقال
إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فهذا معنى قوله ﴿كما ورد﴾ ذلك في الأحاديث
النبوية مما ذكرنا وما لم نذكر وقد أخرج البخاري ومسلم حديث ابن مسعود
رضي الله عنه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن
لي رجال منكم إذا هويت إليهم لا تأولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي
فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفيها من حديث أنس رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنني حتى إذا
رفعوا لي اختلجوا دوني فلا قولن أي رب أصحابي فليقالن لي إنك
لا تدري ما أحدثوا فأقول سحقاً لمن بدل بعدي» وفي الصحيحين من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي
أو قال من أمتي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول أنه لا علم لك
بما أحدثوا بعدك أنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري» وفي رواية فيجلون قال في جامع
الإصول اختلجوا إذا استلبوا وأخذوا بسرعة وقوله فيجلون يعني مبنيًا للمجهول أي

يدفون عن الماء ويطردون عن وروده إذا كن بالحاء المهملة ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو الذي عن الوطن وهو واجع الى الطرد وفي رواية عبد البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يتأنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفهم أخرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قتل الى أين قال الى النار والله قتلت ما شأنهم فقال أنهم قد ارتدوا على أديارهم القهقري ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قتل الى أين قال الى النار والله قتلت ما شأنهم قال أنهم ارتدوا على أديارهم فلا أراه يخلص منهم الا مثل هبل العم» وفي رواية لمسلم «وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك» وعند مسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال «فوالله لينتلعن درني رجال فلا قولن أي رب مني ومن أمي فيقول لك لا تدري ما أحدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم» وفي الصحيحين من حديث أمماء بنت الصديق رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أني على الحوض انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس درني فأقول يارب مني ومن أمي - وفي رواية - فأقول أصحابي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك فوالله ما يرحوا يرجعون على أعقابهم» وفي ذلك أحاديث كثيرة جدا قال القرطبي قال علماؤنا كل من اوقف عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم ف هؤلاء كلهم مبدلون وكذا الظلة المسرفون في الحور والظلم وطمس الحق واذلال أهله والمعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزبع والبدع ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بعد المعصية ان كان التبديل في الاعمال ولم يكن في العقائد قال وقد يقال ان أهل الكبائر يردون ويشربون وإذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالمعصية انتهى فأهل البدع مطرودون عن حوض النبي صلى الله عليه وسلم ومردودون عن الشرب منه (ومن) أي وأي شخص من هذه الامة من ذكرنا في (نحنا) أي قصد يقال نحاه ينحوه وينحاه قصد من كاتبعه (سبل) نصم السبل المهمة ككتب جيم سبيل وهو الطريق وما وضع

منه وجمعه مع أن الطريق الحق واحد باعتبار خصاله وشعبه المتوصل منه إليها ﴿السلامة﴾ من الكلمات الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة قال في القاموس السلامة البراءة من العيوب يعني أن من منهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من البدع وكبائر الذنوب فإنه يرد على حوض النبي صلى الله عليه وسلم ويشرب منه ولم يرد عن الشرب منه ولم يطرد عن الورد عليه كما يفهم من الأحاديث المارة وبالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) اختلفت الروايات في تحديد الحوض وتقديره اختلافا كثيرا في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه مسيرة شهر وزواياه سواء وفي رواية عند الامام أحمد أن الحوض كما بين عدن وعمان وفي رواية في الصحيحين ما بين صنعاء والمدينة وفي رواية لها أيضا ما بين المدينة وعمان وفي رواية ما بين أيلة ومكة وعند ابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس وفي رواية ما بين جرباء وأذرح وفي رواية ما بين أيلة وصنعاء اليمن وهو في الصحيحين قال في جامع الاصول عن كون حوضه صلى الله عليه وسلم ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح رواه البخاري ومسلم وأبو داود وقال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وفي لفظ ثلاثة أيام قال في القاموس وجرباء قرية بجانب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وإنما الوهم من رواية الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح انتهى وفي مسلم والترمذي مثل ما بين عدن الى عمان البناء قال بعض العلماء وهذا الاختلاف والاضطراب لا يرجب الضعف لانه من اختلاف التقدير والتحديد لا من الاختلاف في الرواية لان ذلك لم يقع في حديث واحد فبعد اضطرابا وانما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة وقد سمعوه في مواطن متعددة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم المتكلم ويفهم السائل وبحسب ما يسنح له صلى الله عليه وسلم من العبارة ويحدد الحوض بحسب ما يفهم المخاضرون من الإشارة قال الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد

تارة على ثلاثين يوما وبتقص الى ثلاثة أيام لا يصالح أن يكون من ضرب المثل في التقدير لأنه إنما يكون بما يتقارب. ورد عليه بأن رواية ثلاثة أيام اعترف هو نفسه بأنها غلط فلا يتوجه الاعتراض بها وقال النووي ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وقال بعضهم يحمل القصير على العرض والطويل على الطول قلت ويرد هذا زواياه سواء وأوضح من هذا ما في رواية طوله وعرضه سواء وقال بعضهم بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعة السير وعدمها فقد عهد في الناس من يقطع مسافة عشرة أيام في ثلاثة أيام وعكسه وأكثر من ذلك وأقل والله أعلم

(الثاني) خالفت المترلة فلم تقل بآيات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف في إثباته فهو مبتدع وأما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح وأما قوله تعالى (أما أعطياك الكوثر) فيه اختلاف هل هو الحوض أو الخبر الكثير أو النهر الذي في الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فنكره زائغ عن الصواب مستحق للطرده والعذاب ويكفيه من الحزني والسكال أنه يذاد عنه ويطرد ويمنع من الشرب منه ويرد وقد أخرج أبو داود عن أبي طلوت قال شهدت أبا برزة رضي الله عنه دخل على عبد الله بن زياد فحدثني فلان سمع مسلم وكان في الساطع لما رآه قال أن محمد يك هذا الدحداح فقهها الشيخ فقال ما كنت أحسب أني أنقى في قوم يعيرونني بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عبيد الله أن صحبة محمد لكم زين غير شين ثم قال إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا قال أبو برزة رضي الله عنه لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا ولا أربعاً ولا خمساً فمن كذب به فلا سقاء الله منه ثم خرج مفضيا

(الثالث) جاء في الأخبار أن لكل نبي حوضا فأخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا زوده أمته وأنهم يتباهون بهم أكثر وأردة واني أوجو أن أكون أكثرهم وأردة» وورد في بعض الأخبار أن لكل نبي حوضا إلا صالحا عليه السلام فإن حوضه

ضرع ناقته والله أعلم

﴿فمكن مطيعا واقفا أهل الطاعة في الخوض والكوثر والشفاعة﴾
 ﴿فمكن﴾ أيها الناظر لغلامي السامع لكلامي ﴿مطيعا﴾ لما جاءت به الاخبار
 وصحت بمقتضاه الآثار من صريح المقول وصحيح المعقول ﴿واقفا﴾ أمر من
 قنوته قفوا وقفوا تبعته كتنقيته واقفيته أي اتبع في اعتقادك واقصد في نهجك
 وارتيادك ﴿أهل الطاعة﴾ من فرقة أهل السنة والجماعة فإنها الفرقة الناجية
 والعصاة التي لكل فوز راجية والطاعة اسم من أطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له
 يطوع ويطاع فهو طائع أي اذعن وانقاد والاسم الطاعة وقيل طاع اذا انقاد
 وأطاع اذا اتبع الامر ولم يخالفه ﴿في﴾ في اعتقاد اثبات ﴿الخوض﴾ الذي تقدم
 ذكره بالأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وتقدم دعاء الصحابي على من
 كذب به ان الله لا يسقيه منه ومر في الأحاديث ان من أحدث في هذا الدين
 لا يسقى منه وكفى بانكار السنة الصحيحة الصريحة حدثا وبدعة ﴿واقفا﴾ أهل
 السنة والجماعة في اثبات ﴿الكوثر﴾ وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه
 الخبر الكثير قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد مثل ما الكوثر «ذاك نهر أعطانيه الله
 عز وجل - يعني في الجنة - أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل فيه طير أعناقها كالعناق
 الجزر» قال عمر رضي الله عنه ان هذه لائحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكتها
 أنعم منها» رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي صحيح البخاري عن أنس رضي
 الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بيننا انا وأسير في الجنة اذا أنا بنهر حافاه
 قباب اللؤلؤ المجوف فملت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك
 قال فضرب الملك يده فاذا طينه مسك أذفر» وفي صحيح مسلم من حديث المختار
 ابن فلعل عن أنس أيضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الكوثر
 نهر في الجنة وعدني به ربي عز وجل» وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر في الجنة حافاه من ذهب
 ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلا من العسل وأبيض
 من الثلج» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قال الامام المحقق ابن القيم في

كتابه (حادي الارواح الى منازل الافراح) عن مجاهد في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قال الخبر الكثير قال وقال أنس بن مالك رضي الله عنه مهر في الحنة وقالت عائشة رضي الله عنها مهر في الحنة ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه الا سمع خبر ذلك الهر قال الامام ابن القيم وهذا معناه والله أعلم ان خبر ذلك الهر شبه الحرير الذي يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه انه في حواء في التفسير ان الكوثر القرآن والنبوة والكوثر في غير هذا الرجل الكثير المعطاء كما في النهاية

(ر) افب أهل الطاعة واتبع أهل السنة والجماعة في (الشفاعة) وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سوال الخبر للتعبير كذا عرفها بعضهم والحق انها مشقة من الشفع الذي هو صد الوتر فكأن الشافع ضم سؤاله الى سوال المشفوع له من شفع يشفع منحه العين المهمة شفاعته فهو شافع وتشفيع والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعته والمشفع الذي تقبل شفاعته

واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم شفاعات (الاولى) الشفاعات العظمى التي يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بهم بعد ان يتدافعها الانبياء اصحاب الشرائع آدم الى نوح و ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهي المقام المعهود وقد وردت من حديث الصديق الاعظم وأنس وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعتبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وسلمان الفارسي هؤلاء ورد امر الشفاعات في أحاديثهم مطولا وورد مختصرا من حديث أبي بن كعب وعادة بن الصامت وحارث بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضي الله عنهم فأخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيامون لذلك اليوم فيقولون لو استشفعنا ربا حتى يريحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله يده واسجد لك ملائكته وعلقت اسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لاهل آدم لست هاكم وبذكر ذنبه الذي أصاب فيستحي ربه من ذلك ويقول ولكن اتنوا نوحا فانه أول رسول بعث الله الى الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم وبذكر خطيئته سؤاله ربه ما ليس له به ظلم فيستحي ربه من ذلك ولكن

انتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول لست هنا كم ولكن انتوا موسى عبدا
كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هنا كم وينذركم لهمس النفس
الذي قتل بغير حق فيستحيي ربه من ذلك ولكن انتوا عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن انتوا محمدا عبدا غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونني فأقوم فأمشي بين ساططين من المؤمنين حتى
استأذن على ربي فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال
ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه
ثم أشفع» الحديث وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال «اني لقائم انتظر مني يعبر الصراط اذ جاءني عيسى
فقال هذه الانبياء قد جاءك يا محمد يسألونك ويدعون الله ان يفرق بين جميع
الامم الى حيث يشاء الله الى غير ما هم فيه فالخلق ما يجدون بالعرف فأما المؤمن
فهو عليه كالزكاة وأما الكافر فينشأه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب
نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقني ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي
مرسل فأوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك تسل تعطه
واشفع تشفع» الحديث وأخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا أنصتوا
وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا ومبشرهم اذا أيسوا لواء الكرم بيدي
ومفاتيح الجنة بومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر بطوف على
ألف خادم كأنهم الأوّل المكنون» وروى الامام أحمد والبيهقي وأبو بعل وابن حبان
في صحيحه من حديث الصديق الاعظم رضي الله عنه نحو حديث أنس في
مراجعتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال اسحق بن ابراهيم يعني الامام ابن
راهويه هذا أشرف الحديث وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال «اناسيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك بجمع الله الاولين
والآخرين في صعد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ

الناس من احم والكرب ما لا يستطيعون ولا يحتملون فيقول الناس ألا نرون الى ما أنتم فيه
 ان ما قد سلمكم الأنسطرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض
 ابركم آدم بأورنه فيقولون يا آدم أنت أمير البشر خفتك الله سيده وفتح فيك من
 روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسلمك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى
 ما نحن فيه وما لنا ما يقول ان ربي غفب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
 بعده مثله وانما هي عن اشجرة امتصبت نفسي فسي اذهبوا الى غيبي اذهبوا الى نوح
 فيجيبهم على ابرهه وايراهيم غي موسى وموسى على عيسى ونيسى يقول اذهبوا الى
 غي اذهبوا الى محمد فيأوتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد
 غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن
 فيه ونشاق في تحت العرش فذفع ساحداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن
 انشاء عليه شيئاً لم يشفع لي أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل الله واشفع
 نشفع وارفع رأسي فأقول آمين يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمثك من لا حساب
 عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
 من الابواب ثم قل والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة
 كما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصري وأخرج الامام أحمد وأبو يئى من
 حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً نحوه وفيه أنهم يأنون عيسى بعد آدم
 ونوح وايراهيم وموسى عليهم السلام فيقولون لعيسى عليه السلام اشفع لنا الى
 ربك فليقبض يسأله فيقول اني لست هناك اني اتخذت الحما من دون الله واني
 لا يهدي اليوم الا نفسي ولكن ان كل متاع في وراء ختموم عليه أكلت بقدر على
 ما في حرفة حتى بعض الخاتم فيقولون لا فيقول ان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم
 النبيين قد حصر اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يا توتي فيقولون يا محمد اشفع لنا الى ربك فليقبض ييتا فيقول
 أما لما حتى يأتني الله لمن يشاء ويرضى فاذا أراد الله ان يصدع بين خلقه نادى
 مناد ابن آدم وأنت فحق الآخرون الاولون نحن آخر الامم وأول من يعاسب
 فنفرج لنا الامم عن طريقنا فنعصي غرا محجلين من أنظر الظهور فنقول الامم كادت

هذه الأمة ان تكون أنبياء كلها فتأتي باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فيقول أنا محمد الحديث وفيه يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الناس يصبرون يوم القيامة حتى كل أمة تتبع نبيا يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعث الله مقاما محمودا

﴿ فوائد ﴾

(الاولى) هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء هي المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهذه الشفاعة لأهل الموقف ائما هي لأجل حسابهم ويراحوا من الموقف كما قاله القرطبي في تذكرته قال وقوله في حديث أبي هريرة يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمة فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمة وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس غلط ثم يلهمون. وذكر ابن برجان في الارشاد ان الذي يدلهم على ذلك رؤوس المحشر وهم رؤساء اتباع الرسل قال الحافظ السيوطي وحديث لكل نبي دعوة النخ متواتر ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان ومن حديث أنس وجابر رضي الله عنهما أخرجهما مسلم وعبد الله بن عمرو وعبد بن الصامت وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أخرجهما الإمام أحمد وعبد الرحمن بن أبي عتيق رضي الله عنه أخرجه البزار والبيهقي وحكمة إلهام الناس التردد إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجيء إليه من أول وهلة لاظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم وأما ما ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة ان بين اتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة وكذا بين كل نبي ونبي فقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري لم أقف لذلك على أصل قال وقد أكثر في هذا الكتاب من ايراد أحاديث لأصل لها فلا يغتر بشيء منها انتهى

(اثانية) شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى تجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر اذ هي للاراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقعهم ذلك ولو الى النار

(الثالثة) سئل القاضي جلال الدين البلقيني عن حكم سجود اليه صلى الله عليه وسلم من حيث الوضوء فأجاب بأنه باق على طهارة غسل الموت ويحتمل وهو الاصح بأن أمور الآخرة ليست كاحكام الدنيا اذ الآخرة ليست بدار تكليف فلا يتوقف السجود بها على وضوء والله أعلم

﴿فاتها﴾ ثابتة للمصطفى كغيره من كل أرباب الوفاة

﴿من عالم كالرسل والابرار﴾ سوى التي خصت بذ الانوار

﴿فاتها﴾ أي الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الآتي ذكرها
 ﴿ثابتة﴾ بالنقل الصحيح بل المتواتر ﴿ا﴾ لمبي ﴿المصطفى﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ك﴾ ما أنها ثابتة ﴿ميره﴾ أي غير نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم
 ﴿من كل أرباب﴾ أي أصحاب ﴿الوفاة﴾ بامثال الامار والاتباء عن الزواجر ثم أخذ في بيان ما أجل من أرباب الوفاة بقوله ﴿من عالم﴾ عامل بعلمه معلم لميره وهم الربانيون وهؤلاء ورثة الانبياء فبؤلا كما نفعوا الناس في الدنيا بالدلالة والتعاليم كذلك يفعولهم بالشفاعة لهم عند المولى الجواد الكريم فيقبل شفاعاتهم ويعل درجاتهم ﴿كالرسل﴾ جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع من بني آدم وأمر بتبليغه وكذا الانبياء وهم يعني الرسل والانبياء خواص الخلق من بني آدم ﴿والابرار﴾ جمع بار وهم الاتقياء الاخيار

والحاصل أنه يجب ان يعتقد ان غير النبي صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون ويقدر جواهرهم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الاخبار

بذلك وترادف الآثار على ذلك وهو أمر جائز غير مستحيل فيجب نصديقه
والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال صلى الله عليه وسلم «أنا أول شافع وأول مشفع»
روى هذا اللفظ أبو هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم وجابر بن عبد الله رضي
الله عنهما أخرجه البيهقي وعبد الله بن سلام رضي الله عنه أخرجه البيهقي أيضا وأما
حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البيهقي قال يشفع نيكم رابع أربعة جبريل
ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نيكم لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نيكم
ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء قال البخاري كذا قال أبو الزعراء
عن ابن مسعود ولا يتابع عليه والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أول شافع وكذا
قال غير البخاري من أئمة الحفاظ والله أعلم

وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وأخرجه البزار
وفي آخره ثم المؤذنون وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد
عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي من
حديث حذيفة بن حمره وأخرج الطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف
ألف وعشرة آلاف ألف» وأخرج ابن أبي عاصم والاصمائي عن أبي امامة رضي
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل
الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس» وأخرج البيهقي من حديث جابر مثله
وزاد في آخره بما أحسن أدبهم وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر رضي الله
عنهما مرفوعا يقال للعالم اشفع في نلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء وأخرج أبو
داود وابن حبان عن أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهيد
يشفع في سبعين من أهل بيته» وأخرج الامام أحمد والطبراني مثله من حديث عبادة
بن الصامت والترمذي وابن ماجه مثله من حديث مقلد بن معدي كرب وأخرج
البزار والبيهقي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان الرجل «ليشفع في امرئ الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة» وأخرج الترمذي والحاكم وصحاحه والبيهقي عن عبد الله بن أبي الجعداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لبدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثرت من بني تميم» قالوا سواك يا رسول الله قال سواي قال العرياني يقال انه عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخرجه البيهقي عن الحسن مرفوعا «لبدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر» والحاكم وصحاحه والبيهقي عن الحارث بن قيس مرفوعا «أن من أمي من بدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر وإن من أمي من سيعظم النار حتى يكون أحد زواياها» وأخرج الامام أحمد مثله من حديث أبي برزة وهناد مثله من حديث أبي هريرة وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن أبي امامة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «لبدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر» وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن من أمي رجلا يشفع الرجل منهم في القنم من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته وبشفعة الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته وبشفعة الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته» وأخرج الذهري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى أن إبليس الابليس ليتناول لها رجاء أن تصيبه» وأخرج البزار عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته»

والحاصل أن للناس شفاعات بقدر أعمالهم وعلو مراتبهم وقرابتهم من الله تعالى والقرآن يشفع لأهله والاسلام يشفع لأهله والحجر الأسود يشفع لمستلمه ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون من ذا الذي يتفع عنده الا باذنه وبالله التوفيق ﴿سورة الشفاعات﴾ التي خصمت بذى ﴿أي بصاحب﴾ (الانوار) نبينا المختار صلى الله عليه وسلم مادوات الادوار وتعاقب الليل والنهار فلا يشاركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صدوق ولا شهيد لانها مختصة بجنابه الرفيع وقدره المجيد والشفاعات المحتصة به صلى الله عليه وسلم عدة (أولها) وهي

أعظمها وأعما شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين الوري بعد التردد إلى الأنبياء وتدافعها بين أخيار الملائكة إلى أن تصل لصاحب الخوض المورد وهي المقام المحمود وقد عم العالمز زيادة الفلق وتضاعف العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الأكباد وينسي الأولاد وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد (ثانيها) يشفع عند رب في ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فإن هذه خاصة به أيضا صلى الله عليه وسلم كما قاله القاضي عياض والامام النووي وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فإن الاختصاص إنما يثبت بالدليل ولا دليل عليه وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم في صحيحه وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي في أنموذج اللبيب (ثالثها) شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوله استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم وتردد النووي في ذلك قال السبكي لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه وجزم في الأنموذج بأنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم (رابعها) في رفع درجات ناس في الجنة وهذه لا تنكرها المعتزلة كالأولى إلا أن النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم في كتاب الاتقاد له باختصاصها به قال في الأنموذج جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به ووردت الأحاديث في التي قبل وصرح به القاضي عياض وابن دحية (خامسها) الشفاعة في اخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره السبكي وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى

﴿ تنبيهات ﴾

(الأول) الشفاعة التي تنكرها المعتزلة ونجدها هي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها وفيمن دخلها منهم أن يخرج منها فكذبت بها المبتدعة ونفنها مع ثبوت أدلتها وتضافر حججها مما يتعسر احصاؤه ويتعذر استقصاؤه فأخرج البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالذبال ويكذبون بطلوع

الشمس من مفرها ويكذبون بمذاب القبر ويكذبون بالشفاعه ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا» وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد عن أنس رضي الله عنه قال «من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحديث فليس له فيه نصيب» وأخرج البيهقي عنه انه قيل له ان قوما يكذبون بالشفاعة قال لانجاسوا أولئك وأخرج أيضا عنه قال يخرج قوم من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء وأخرج أيضا عن شبيب بن أبي فضالة المكي قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعه فقال رجل يا أبا نعيم انكم لتحدثوننا أحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران وقال للرجل اقرأ القرآن قال نعم قال فهل وجدت صلاة المشاء أو ما وصلاة المغرب ثلاثا والنفاه ركعتين والظهر أربعاً والمصر أربعاً قال لا قال فمعن أخذتم هذا السهم عنا أخذتموه وأخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي كل أربعين درهما درهم وفي كل كذا شاة وفي كل كذا بعير أوجدتم في القرآن هذا قال لا قال ووجدتم في القرآن (وليظرفوا بالبيت العتيق) أوجدتم طوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام أوجدتم هذا في القرآن عن أخذتموه السهم أخذتموه عما وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا إلى قال أوجدتم في القرآن لاجلب ولا خب ولا شغاف في الاسلام قالوا لا قال فان الله تعالى قال في كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وانا قد أخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أشياء لم يكن لكم بها علم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم (رب انهن اضلان كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وقول عيسى (ان تعذبهم فاعذبهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال آمي آمي ثم بكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك : وأخرج البرار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم بسند حسن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أشفع لأمي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى أَرْضِيت يا محمد فأقول أي يارب رصيت» وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه

وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف بن مالك الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان ربي خيرني بين ان يدخل نصف أمتي الجنة وفي لفظ- بين ان يدخل ثلثي أمتي بغير حساب ولا عذاب وبين الشفاعة لأمتي فاخترت الشفاعة قال وهي لكل مسلم» وروى نحوه الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند جيد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وفيه وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا وأخرج الطبراني مثله عن أنس وأخرج الامام أحمد والطبراني أيضا والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم واكفى أثرونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين» وأخرج الامام أحمد والبيهقي والطبراني في الاوسط عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اني أشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الارض من شجر ومدر» وأخرجه الطبراني في الاوسط عن أنيس الانصاري ولفظه أكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وأخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمىون الجهنميين وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة» وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي وصححه عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وأخرج الطبراني عن عبد بن بسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعتي في أمتي المذنبين المثقلين» وأخرج الطبراني أيضا وأبو نعيم عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «نعم الرجل انا لشرار أمتي» قيل كيف يا رسول الله قال «أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم» وأخرج أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» قال ابن عباس السابق بالحيرات يدخل الجنة بغير حساب والمائة تصد يدخل

للجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأهل الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم روى أوسط الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «إني أذخرت شفاعة لاهل الكفار من أمي» وفي الكبير عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعني ولا تسكني فإن شفاعة لاهل الكين من أمي» وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعة لاهل الكفار من أمي» قال جابر رضي الله عنه من زادت حسنة على ميتانه فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسنة وميتانه فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أرق نفسه وأعلق ظهري وأخرج عن أس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله لمن تشفع قال «لاهل الكفار من أمي وأهل المغالمة وأهل الدماء» وأخرج عن كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعاً «شفاعة لاهل الكفار من أمي» وأخرج طائوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفاعة لاهل الكفار من أمي» قال البيهقي هذا مرسل حسن يشهد لكون هذه اللفظة شائعة وأخرج ابن أبي عاصم عن أس رضي الله عنه مرفوعاً «ما رأت أشفع إلى ربي ويشفعني وأشفع ويشفعني حتى أقول أي رب شفعي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول : هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد هذا لي، وعزني وجلالي ورحمتي لا أدع في النار أحداً يقول لا إله إلا الله :»

(الثاني) في ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله عليه وسلم أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال «طنت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه» وأخرج أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت عموماً الوسيلة والفضيلة وأبعتهم موقداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» وأخرج مسلم نحوه من حديث ابن عمر وفي سنن سعيد بن منصور من طريق أبي

السرخياني عن فقيه من فقهاء الكوفة قال ما من مسلم يسمع النداء فيقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة المفترضة أعط محمدًا سؤلَه يوم القيامة الا أدخله الله في شفاعته وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يثبت أحد على لاء المدينة وجدها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة» وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم والطبراني من حديث زيد بن ثابت وأبي أيوب والبخاري من حديث عمر وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن يموت بها» وأخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين» وأخرج الطبراني بسند جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة» والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» وابن أبي عاصم في السنة والبخاري والطبراني بسند حسن عن رويغ بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي» وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن زياد بن أبي ز. زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم ألك حاجة حتى كان ذات يوم قال يا رسول الله حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة قال فأعني بكثرة السجود وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وأخرجه الطبراني لفظ «من جاءني زائرا لاتعده حاجة الا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة» والبيهقي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا «من زارني كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة»

(الثالث) في من لا تدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لاتصافهم

بالبدع وسوء البصاعة فأخرج أبو تميم عن أنس من مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صنان من أمي لا تنالها شفاعتي يوم القيامة المرجنة والفدرية» وأخرج البيهقي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من غش العرب لم يدخل في شفاعتي قال في النهاية العرب اسم لهذا الحيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء قام بالبادية أو المدين انتهى والمراد بهم هنا نواصم عيل وأخرج البيهقي والطبراني بسند جيد عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رجلان لا نالهما شفاعتي يوم القيامة امام طلوم غشوم عوف وآخر غال في دين الله مارق منه» وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء وغيره من الصحابة رضى الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذروا المراء فان الماري لا شفيع له يوم القيامة»

(الراجع) مما احتجت المعترلة لمذهبهم في نفي الشعاعة بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعنة - وقوله - مالم يظلمين من حميم ولا شفيع يطاع) يدعوا ان من دخل جهنم يخلد فيها لانه اما كافر او صاحب كبرة مات بلا توبة هذا رأيهم ومن وافقهم وهو رأي فاسد ومذهب باطل تروى الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة واجماع اهل الحق ابدى الله تعالى وأحباوا عن الآية الكريمة أن المراد بقوله تعالى (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) الكفار للآيات الواردة الثانية في الشعاعة قال القاضي البضاوي تمسكت المعترلة بهذه الآية على نفي الشعاعة لاهل الكبائر وأجيب بانها مخصوصة بالكفار وبزيد هذا أن مساق الخطاب معهم والآية نزلت رد لما كانت اليهود تزعم ان أباهم تشفع لهم انتهى وعن قوله تعالى (مالم يظلمين من حميم ولا شفيع يطاع) المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الإطلاق هو الكافر وقالت المعترلة في قوله تعالى (انك من تدخل النار فقد أضر به) ولا يشعرون الا لمن ارضى - وكم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن أخزاه الله لا يرتضيه ومن ارضاه لا يحزبه قال تعالى (يوم لا يجزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) الآية والجواب عن الآية الاولى ما قال سيدنا أنس بن

مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى (من ندخل النار) من
تخلد وقال قتادة تدخل مقلوب تخلد ولا تقول كما قالت أهل حروراء يعني
الخوارج فعلى هذا قوله (قد أخزيت) على بابه من الهلاك أي أهلكته وأبعدته ومقته
ولهذا قال سعيد بن المسيب الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله
قوله في آخر الآية (وما الظالمين من أنصار) أي الكفار وإن سلم أن الآية في عصاة
الموحدين فالمراد بالخزي الحياء يقال خزي يخزي خزيا إذا استحي فهو زيان وامرأة
خزيا فخزي المؤمنون يومئذ استحيوا ثم من دخول النار ودار البوار مع أهل الشرك
والكفار ثم يخرجون بشفاعته النبي الكريم ورحمة الرؤف الرحيم ونفي النصرة
لا يستلزم نفي الشفاعة لأنها طلب مع خضوع والنصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة
والاستعلاء على أنا نقول لا يسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي مطلقا بل هو
مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح وإن كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان
وإن كان مكاب القبايح بخلاف الكافر فإنه ليس بمرضي مطلقا لعدم الأساس الذي تبنى عليه
الحسنات والاعتداد بالكمالات وهو الإيمان. والحاصل أن الإيمان بالشفاعة واجب وقد
قدمنا من النصوص ما علمه يتلوع شروش الاختلاج من خواطر من أذعن لها وخلع
من عنقور بقة تقليد أهل الزيف والاعوجاج كيف والنصوص متواترة والآثار
متوافرة والعقل الصحيح لا يحيل ذلك والتقل الصريح ناطق بما هنالك فدع
عنك نحلة فلانة وفلان وأعتقد قلبك على ما صبح عن سيد ولد عدنان وأصحابه
والتابعين لهم بأحسن فإنه الحق الذي لا عقل يحيله ولا تقل يزيله والله
تعالى الموفق

﴿ فصل في الكلام على الجنة والنار ﴾

ولما انتهى الكلام على الشفاعة وأقسامها وتفصيلها وأحكامها بحسب ما يليق
بالمقام أعقب ذلك بذكر العظيمين دار القرار للاختيار ودار البوار للكفار وهما
الجنة والنار فقال

﴿ وكل إنسان وكل جنة في دار تار أو نعيم جنة ﴾

(٢ ش عقيدة السفاريني - ٢٧)

﴿ها مصير الخلق من كل الوری قالنار دار من تعدی وافتری﴾
 ﴿و من عصی بدنبه لم یخلد وان دخاها یابوار المعتدی﴾
 ﴿وكل انسان﴾ من نبي آدم والانس والانسان من البشر والواحد أنس
 وأنسي والجمع اناسي والمرأة انسان وبالماء عامية كما في القاموس قال ومسمع في
 شعر كأنه مولد

لقد كسني في الهوى ملابس الصب الغزل ابانة فتانة
 بدر اللجا منها خجل اذا زنت عيني بها فبالدموع تغسل

﴿وكل حنة﴾ بكسر الجيم وتشديد الون مفتوحة طائفة الجن والجان اسم
 للجن أي كل واحد من الثقلين الذين هما الانس والجن لابد ان يكون ﴿في﴾ أحدى
 الدارين اما في ﴿دار نار﴾ وهي دار البوار ومقر الكفار وهي جسم لطيف محرق
 يطلب الموت ذكر وتوث وألفها مقلبة عن واو بدليل تصغيره على نوبة وتجمع
 جمع قلة على نيرة وأورد وجمع كثرة على نيران ونور والورضوها وضوها كل نير
 وهو ضد الظلمة والار سبع طباق أعلاها جهنم قلبي ثم الحطمة ثم السمير ثم سقر
 ثم الجحيم ثم المادية وباب كل واحدة منها من داخل الاخرى على الاستواء
 كما قاله ابن عطية وغيره ﴿أو﴾ في دار ﴿نعم﴾ مقيم في ﴿جنة﴾ المولى الكريم
 الرؤف الرحيم فكل واحدة من الجنة والار حق ثابتة بالكتاب والسنة واجماع
 الامم وكل ما هو كذلك فالإيمان به واجب واعتقاد وجوده حق لازب
 والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب ﴿ها﴾ أي الجنة والنار ﴿مصير﴾
 الخلق ﴿من﴾ الانس والجن أي لابد لكل واحد ﴿من﴾ كل الوری ﴿كفى﴾ الخلق
 من الانس والجن بل ومن الملائكة فانهم يكونون في الجنة كما يأتي ان يصيراما
 الى الجنة واما الى النار واما أهل الاعراف فان مصيرهم الى الجنة كما يأتي ﴿قالنار﴾
 التي هي دار الهوان والبوار فهي ﴿دار من﴾ أي كل شخص من أنس وجن ﴿تعدى﴾
 طوره وخالف مولاه فكفر به أو مأخذ من رسله أو بكتاب من كتبه أو شرع شرعه
 على لسان نبي بعثه ولم ينسحه ﴿وافترى﴾ فيما عبيد واجترأ بما قصد قلبه قف عند

الحدود ولم يف بالعهد المهود فكل من حكم الشرع بكفره من كافر أصلي من أهل الشرك وعبدة الأوثان والكواكب والنيران وأهل الشرائع المنسوخة بعد النسخ والتبديل من أهل التوراة والإنجيل فهم خالدون مخلدون في النار ودار الخزي والبوار ﴿ومن﴾ أي وكل عبد مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعا لم يحكم الشرع بكفره ﴿عصى﴾ بمخالفة ربه وتعمد حدوده ﴿فذنبيه﴾ ولو كان ذنبه من أكبر الكبائر كالقتل والزنا وأكل الربا ومات على الإيمان ولو لم يتب ﴿لم يمتد﴾ في النار ﴿وان دخلها﴾ ليتطهر من الأوزار فإنه يخرج منها إما بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين كما تقدم ﴿يا بوار﴾ أي يا هلاك ﴿المعتدي﴾ إشارة إلى تقبيح ما ذهبت إليه المعتزلة من زعمهم أن من دخل النار فهو خالد فيها لأنها ما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة إذا المعصوم والثائب وصاحب الصغيرة إذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار على ما سبق من أصولهم والكافر يمتد بالاجماع بخلاف العاصي وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية وإن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب في مشيئة الله أن شاء عفا عنه ولم يعذبه وإن شاء عذبه ثم يخرج به وأما خلود المؤمن المصير فهو مذهب الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على خلافه وهو الحق الذي لا مرية فيه والله تعالى أعلم

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) قال الجوهري الجان أبو الجن قال الامام أبو الوفاء ابن عقيل انما سمي الجن جننا لاجتنانهم واستتارهم عن العيون قال والشياطين عصاة الجن وهم من ولد ابليس والمردة أعتاهم وأغواهم وقال ابن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب فاذا ذكروا الجن خالصا قالوا جني فان أرادوا أنه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عار فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح فان خبت وتعرض قالوا شيطان فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه لم يخالف أحدا من طوائف المسلمين في وجود الجن وكذا جمهور الكفار لأن وجودهم تواتر به أخبار الأنبياء تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة قال ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم وقال القاضي أبو بكر الباقلاني كثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما وينفون

وجودهم الآن ومنهم من يتر بوجودهم ويضعهم أنهم لا يرون لرفعة أجسامهم وفرد
الشعاع فيها ومنهم من زعم أنهم لا يرون لأنهم لا ألوان لهم وقد ذكر اسحق
بن بشر في المبدأ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما خلق الجن قبل
آدم بألفي سنة وقال اسحق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله
تعالى سوماً أبو الجن ٧ وهو الذي خلق من مارج من نار قال له تعالى عن قال أنتمي
ان نرى ولا نرى وان نقيب في الثرى وبصير كلما شابا فاعطى ذلك فهم يرون
ولا يرون واذا ماوا غيوا في الثرى ولا يحب كلهم حتى يعود شابا يعني مثل الصبي
يرد الى أرذل العمر وأخرج مسلم عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من
مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وأخرج الفريابي وعبد بن حبيب عن
مجاهد في قوله (وخلق الجن من مارج من نار) قال الهمب الأصفر والأخضر الذي
يعلم النار اذا أوقدت وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلقت الجن الذين ذكروا
في القرآن من مارج من نار وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار قال خلق
الجن والشياطين من نار الشمس انتهى

وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون سأل سائل عن الجن فقال أخبر الله عنهم أنهم من
نار وأخبر أن الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار قال والجواب أن الله تعالى
أضاف الشياطين والحان الى النار حسبا أضاف الانسان الى النار والعطين والفحار
والمراد به في حق الانسان أصله الطين وليس الآدمي طبيا حقيقة ولكنه كان طبيا
كذلك الحان كان ماري الاصل قال القاضي عبد الجبار المعتزلي المدلل على أن أصل
الجن النار السمع دون العقل وقال الامام القاضي أبو يعلى بن العراء الجن أجسام مؤلفة
وأشخاص ممتلئة وبحوز أن تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافا للمتزلة في قولهم
أنهم أحسام رقيقة ولزقتها لازما قال القاضي أبو يعلى ولا قدرة للشياطين على
تغيير خلقهم والانتقال في الصور وانما يجوز أن يعلمهم الله كلمات ضربا من ضرب
الأفعال اذا فعله ونكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على
التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله وفعله نقله الله عن صورته الى

صورة أخرى لجري المادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة. اما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها قال والقول في تشكيل الملائكة مثل ذلك والذي روي ان ابليس تصور في صورة سراقه وان جبريل تمثل في صورة دحية محمول على ماذكرنا وهو انه قدره الله على قول قاله فنقله الله عن صورة الى صورة اخرى

قال القاضي الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما يفعل الانس وظاهر العمومات ان جميع الجن كذلك وهو رأي قوم ثم اختلفوا فزعم بعضهم ان اكلهم وشربهم تشتم واسيرواح لا مضغ وبلع وهذا لا دليل عليه وقال الاكثر انهم يأكلون بمضغ وبلع وزعم قوم ان جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا ساقط وقيل ان صنفاً منهم يأكلون ويشربون وصنف لا يأكلون ولا يشربون وسئل وهب بن منبه عن الجن هل يأكلون ويشربون وهل يموتون ويتناكحون فقال هم أجناس فاما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون ويموتون قال وهي هذه التي منها السعالي والغول وأشباه ذلك أخرجه ابن جرير وحدث علقمة عن ابن مسعود عند الامام أحمد ومسلم والترمذي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم داع من الجنة فذهب معه فقرأ عليهم القرآن وانه صلى الله عليه وسلم انطلق بأصحابه فأراهم آثارهم وآثار نيرانهم يدل على انهم كانوا كالانس في الجملة وفيه انهم سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظ الترمذي لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أو فرما كان لحماً وكل بكرة علف لدوابكم قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن» وقد جمع بعض العلماء بين رواية الترمذي لم يذكر اسم الله عليه وبين رواية الامام أحمد ومسلم بان ما في المسند وصحيح مسلم في حق المسلم من الجن وما في رواية الترمذي في حق غير المؤمنين منهم وصححه السهيلي وقال هذا يعضد الاحاديث وقد استدلوا على مناكحتهم بقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوتي وهم لكم عدو) وبقوله

تعالى (لم يلمنهن اس قبلم ولا جان) وهذا يدل على انه يتأتى منهم الجماع وفي الحديث ان الجن يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددا رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة

(الثاني) في ذكر تكليف الجن ولواحق ذلك قال العلامة شمس الدين محمد بن مفلح في كتابه الفروع الحن مكلفون في الجملة اجماعا يدخل كافرهم النار اجماعا ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لما لك والشافعي رضي الله عنهما لا أنهم يصيرون تراجعا كالبهايم وان ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا لابي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما قال وظاهر الاول يعني قول الامام أحمد ومالك والشافعي رضي الله عنهم أنهم في الجنة كغيرهم قدر ثوابهم خلافا لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كحماهد اوانهم في رضى أي حول الجنة كمر بن عبد العزيز وقال ابن حامد في كتابه الحن كالاس في التكليف والعبادات انتهى كلام الفروع وقال ابن عبد البر الحن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى (يامعشر الحن والاس) وكفوله (بأي آلاء ربكما تكذبان) قال الفخر الرازي أطلق الكل على ان الحن كاهم مكلفون قال الفاضلي عبد الجبار المعتزلي لا أعلم بخلافا بين أهل الطر ان الجن مكلفون

(الثالث) قال ابن مفلح في فروعه ولم يمت اليهم يعني الجن نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال وليس منهم رسول ذكره الفاضلي أبو يملى وابن عقيل وغيرهما وأجابوا عن قوله تعالى (يامعشر الجن والاس ألم بأتكم رسل منكم) أنها كفوله تعالى (يخرج منهما الاول والمرجان) وانما يخرج من أحدهما (١) وكفوله (وجعل القمر فين نورا) وانما هو في سماء واحدة قال والمفسرين قولان والقول بأن منهم رسلا قول الصحاك وغيره قال الامام الحافظ ابن الحوزي وهو ظاهر الكلام وقال الحافظ السيوطي في (لتط المرجان) جمهور العلماء سلفا دخلنا على انه لم يكن من الحن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والكاسبي

(١) حذارم المفسرين الذين أخرجوا القرآن عن ظاهره لجهلهم بأن الاول والمرجان

يخرجان من النهار وهو ثابت لا ريب فيه ام محمد رشيد

وأبي عبيد وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى (يا معشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلُكُمْ) قال ليس في الجن رسل إنما الرسل في الانس والندارة في الجن وقرأ (فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله رسل منكم قال رسل الرسل وقرأ الآية قال ابن جريج وأما الذين قالوا بقول الضحاك فاحتجوا بأن الله أخبر أن من الجن رسلاً أرسلوا اليهم وقالوا لو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى رسل الانس لجاز أن يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن وفي فساد هذا المعنى ما يدل على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم انهم رسل الله لانه المعروف في الخطاب دون غيره وقال أبو محمد بن حزم لم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم الانس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة» قال وبالقيين ندري انهم قد أُنذروا وأفصح انهم كان لهم أنبياء منهم في قوله (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلُكُمْ) انتهى وتناول الجمهور كل ما ورد من ذلك ولا يخفى أن ظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك والا كثرون على خلافه وتحقيق ذلك والبحث فيه مما لا فائدة فيه لعدم ترتب شيء عليه غير أنا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الانس لقوله تعالى (اناسمنا كتاباً أنزل من بعد موسى) وظاهر هذا انهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام وظاهر أن الشياطين الذين سخرهم الله لسايمان كانوا يأتمرون في الشرائع بقوله وهو كان من أنبياء بني اسرائيل وهل كان على شرع مستقل أو على شرع لموسى قالت الظاهر كما يفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح وغيره انه كان على شرع موسى لان شريعة التوراة استمرت من عهد موسى الى ان بعث عيسى فتسخ بعضها وأمر باتباع بعض وهذا ظاهر في انه كان على شريعة موسى بل صريح والله أعلم

(الرابع) قال في الفروع قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ليس الجن كالانس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساوياً لما على الانس في الحد والحقيقة لكنهم مشاركون في جنس التكليف

بالامن والتهي والتعابل والتحريم بلا نزاع أعلمه بين العلماء فقد يدل ذلك على منا كحتهم وغيرها قال في الفروع وقد يقتضيه اطلاق أصحابنا وفي المغني وغيره ان الوصية لا تنصح لحنى لانه لا يملك بالتملك كالملة قال في الفروع فيتوجه من انتفاء التملك منا منع الوطء لانه في مقابلة مال قال الله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) وقال (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) قال وقد حمل أصحابنا هذا المعنى في شروط الكفارة فهنا أولى قال ومع منه عبر واحد من متأخري الحنفية وبعض الشافعية وحوزه منهم أبو بونس في شرح الوجيز قال في مسائل حرب باب منا كحة الحن ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم واسحق كراهتها وروى من رواية ابن لهيعة عن بونس عن الزهري أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح الحن وعن زيد العمى اللهم ارزقني جنبه أنزجها نصاحبني حيث ما كنت قال في الفروع ولم يذكر حرب عن الامام أحمد شيئا وعن مالك لا بأس به في الدين ولكنني أكره اذا وجدت امرأة حامل فقبل من زوجها قالت من الحن فبكثر الفساد انتهى وذكر الحافظ السيوطي آثارا وأخبارا عن السلف والعلماء تدل على وقوع النكاح بين الجن والانس وقد حدثني بوقوعه جماعة معهم أنفسهم والله أعلم بصحة ذلك وان ظهر غفائيل ثبوته فانا على شك منه والله الموفق

﴿ وجنة النعيم للابرار مصونة عن سائر الكفار ﴾

﴿ وحسة النعيم ﴾ اعلم ان للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها ومساها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه وهكذا أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار فالاسم العام الجنة المناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة العين وأصل اشتقاقها من الستر والمعطية ومنه الحبين لاستتاره في البطن والحان لاستتارهم عن العيون والحن لسره ووقايت وجهه والمجنون لاستتار عقله وتواريه والجان وهي الحية الصغيرة الدقيقة ومنه تسمية البستان جنة لانه يستر داخله بالأشجار ويغطيه فلا يستحق هذا الاسم

الاموضع كثير الشجر مختلف الانوع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره
ومنه قوله تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة) ينزفون بها من انكار المؤمنين عليهم ومن
الجنة بالكسر وهم الجن كما تقدم ومنه قوله تعالى (من الجنة والناس)
وذهبت طائفة من المفسرين الى ان الملائكة يسبون جنة واحنوا بقوله تعالى (وجعلوا
بينه وبين الجنة نسباً) وقالوا هذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوه بوجهين
أحدهما ان النسب الذي جعلوه انما زعموا انه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه
الثاني قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي علمت الملائكة ان الذين
قالوا هذا القول محضرون العذاب قال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم في كتابه
(حادي الارواح الى منازل الافراح) والصحيح ان الجنة هم الجن أنفسهم كما قال
تعالى (من الجنة والناس) وعلى هذا في الآية الكريمة قولان أحدهما قول مجاهد
قال قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه
فن أمهاتهم قالوا سرورات الجن وقال الكاظمي تزوج من الجن فخرج من بينهما
الملائكة وقال قتادة قالوا صاهر الجن والقول الثاني قول الحسن قالوا اشركوا
الشياطين في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قال ابن القيم والصحيح قوله
مجاهد واما قوله تعالى (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) فالضمير يرجع الى الجنة أي
قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أي لو كان بينه وبينهم نسب
لم يحضرهم الحساب كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحبوه
فل لم يعذبكم بذنوبكم) فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلا
لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير في الآية ابلغ في ابطال قولهم من التقدير الاول
انتهى ومن أساء الجنة جنات النعيم قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم) قال في حادي الارواح وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما
تضمنته من الانواع التي ينعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور
والرائحة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعم الظاهر والباطن
وقوله في النظم (للابرار) إشارة الى ان هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق
فلا يدخلها ويسكنها غيرهم والابرار جمع بار وهو كثير البر والبر اسم جامع للخير

وقيل في قوله تعالى (لن تتأولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أن البر الجنة وفي القاموس
البر الصلة والحسنة والخير والصدق والطاعة كالتمرير وضد العقوق كالمبرة والبر بالفتح
من أسماء الله الحسنى والصادق والكثير البر ويجمع البار أيضا على بررة وقد ذكر
الله في كتابه عدة آيات يخص الجنة بأهل الإيمان والتقوى كقوله تعالى في الجنة
(أعدت للمتقين) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن
الجنة هي المأوى) وقال تعالى (وشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات
تجري من تحتها الأنهار) وقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
لهم ما يشاءون عذرهم ذلك هو الفضل الكبير - أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات النعيم) وهذا في القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد إيمان وتقوى وعمل
خالص لله عز وجل على موافقة السنة فأهل هذه الثلاثة هم الأبرار وهم أهل
البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعلى هذه الثلاثة أشياء ٧٠ دارت بشارات
القرآن والسنة جميعا وهي تجمع في أصليين إخلاص في طاعة الله واحسان الى خلقه
وترحم الى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تعالى في محابته ولا طريق الى ذلك
الا بتحقيق القدوة فلهذا واطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التي
هي تفاصيل هذا الأصل فهي بصفة وسبعة من شعبة أعلاها قول لا إله الا الله
وأدناها إمارة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي يرجعها
الى تصديق الرسول في كل ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به إيجابا واستجابا
واجتناب ما نهى عنه تحريما وكراهة وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا إن شئتم (فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) » رواه البخاري ومسلم وفي غيرها وفي حديث أبي
هريرة أيضا رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حجت النار بالشهوات
وحجت الجنة بالمكاره » أخرجه البخاري ومسلم ورواية لمسلم حفت بدل حجت
وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » رواه مسلم والترمذي وقد ثبت أن مفتاح الجنة

كلمة الاخلاص وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقد أخرج الامام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «مفتاح الجنة شهادة لا اله الا الله» قال الحافظ ابن رجب في كتابه التوحيد في سنده انقطاع وفي صحيح البخاري عن وهب بن منبه انه قيل له أليس بمفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس بمفتاح الاوله أسنان فان أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح وفي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثالا فقالوا مثله مثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث داعيا فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة فقالوا أولوها يفتحها فقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان الدار الجنة والداعي محمد فن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس . ورواه الترمذي عنه بلفظ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت في المنام كأن جبريل على رأسي وميكائيل عند رجلي فذكر نحو ما تقدم وفيه قاله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول فن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة وأكل مما فيها «مصونة» أي جنة النعيم محفوظة ومحمية «عن سائر» أي جميع «الكفار» سواء كان كفروهم بالشرك أو الجحود أو انكار النبوات أو انكار احد من الانبياء أو استحلال ما علم تحريمه أو تحريم ما علم حله من الدين بالضرورة أو جحود ما علم بحجي النبي صلى الله عليه وسلم به بالضرورة أو انكار المعاد الجسماني أو جحود الكتاب المنزل أو شيئا منه أو ملكا من الملائكة أو انقاص ملك أو تبي ونحو ذلك فالجنة لا ندخلها الا نفس مؤمنة باجماع اهل الحق وأما اهل الكفر والجحود فهم في نار جهنم كل مامر عليهم زمن أولد لهم الخلود فلا يقر عنهم العذاب ولا ينقطع ولا ان بكا احدهم واستغاث ينفع فغذا بهم متواصل في دار الهوان بما كانوا يكفرون كما قال تعالى (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) لا يقر عنهم وهم فيه مبلسون وقال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال

(لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) والآيات في مثل هذا كثيرة وسأل الحسن البصري أبا برزة عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (قد وقوا قلن نريدكم الاغذا) فقال «هالك القوم بما حصيهم الله عز وجل» أخرجه ابن أبي حاتم وفيه ضعف وكذا البيهقي وقال لم أعرفه وفي القرآن العظيم «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» الى قوله تعالى «فذلك هو الفوز العظيم» ناسحت الآية الكريمة بخنجر النفس الانسانية وعظم مفادها عذريتها فان السلعة اذا خفي عليك قدرها فانظر المشتري لها من هو وانظر الى الثمن المبذول فيها ما هو وانظر الى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله تعالى المشتري لها والتمن جارات العبيد والسفير في هذا المقدخ خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سامة الله الجنة» قال الترمذي حديث حسن غريب وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بلالا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وفي لفظ مؤمنة وفي مسلم عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وذكروا الحديث وفيه «يا ابن الخطاب اذهب فاد في الناس انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون» وفي البخاري معاه وفي كتاب صفة الجنة لابي نعيم من حديث أبان عن أنس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما من الجنة قال لا آله الا الله قال الامام المحقق ابن القيم في كناه (حادي الارواح) وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلي على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال «تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه فلما ولي قال صلى الله عليه وسلم «من مره ان ينظر الى رجل من أهل الجنة فلي نظر الى هذا» وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه قال اني النعمان بن قوقل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت

إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحلت الحلال ادخل الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني آت من ربي فأخبرني أوقال فبشرني أنه من مات من أمتك لا يترك بالله شيئا دخل الجنة قلت وانزني وانسرق قل وانزني وانسرق» وفي الصحيحين أيضا عن عتبان بن مالك الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وفي هذا عدة أحاديث تزيد على حد التواتر

﴿ واجزم بأن النار كالجنة في وجودها وانها لم تطفئ ﴾

﴿ واجزم ﴾ جزم إيقان وعرفان وتصديق وإذعان ﴿ بأن النار ﴾ وما فيها من أنواع العذاب والهوان والبوار والزبانية والاضلال والمقارب كالغالب ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن ﴿ ﴾ ما ان ﴿ الجنة ﴾ وما فيها من الولدان والحدود والنعيم والحبور والحلل والتيجان والغواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن وقبل الآن عالت النار ﴿ في وجودها ﴾ الآن كالجنة فهما موجودتان قال الامام المحقق في كتابه (حادي الارواح) لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستدين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فانهم دعوا الامم اليها وأخبروا بها الى ان نبعت نابعة من القدريّة والمعتزلة فانكرت ان تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة وقالوا بل الله ينشئها يوم المعاد وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شرعية فيما يفعله الله وأنه ينبغي له ان يفعل كذا ولا ينبغي له ان يفعل كذا

وقاسوه سبحانه على خلقه في أفعاله فهم مشبهة في الأفعال ودخل التحميم
فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة والنار قبل الحزاء عبت
فأشها يصيران معملتين مددا متعالة ليس فلهما سكنتهما قلاوا ومن المعلوم ان
ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها الآلات والألمعة والآلات والمصالح وعطلاها من
الناس ولم يملكهم من دخولها قروناً متعالة لم يكن مافله واقعا على وجه الحكمة
ووجد العتلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه فنجروا على الرب تعالى بقولهم الفاسدة
وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من الذنوص ماخالف هذه الشريعة
الباطلة التي وضعوها وحرفوها عن مواضعها وضعوها وضلوا كل من خالف
بدعتهم هذه القبيحة وبدعوا من انصرف عن شرعتهم هذه الفضيحة والتزموا
لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العتلاء وقبح عليهم رأيهم بسببها النبلاء ولهذا صار
السلف الصالح ومن نحا نحوم يذكرون في عقائدهم ان الجنة والنار مخلوقتان
وبذلك من صنف في المقالات ان هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون
فيها منهم الامام أبو الحسن الأشعري امام كل أشعري في كتابه (مقالات الاسلاميين
واختلاف المصانين) وفيه وان الجنة والنار مخلوقتان وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم
سدارة المستنير ورأى عندها الجنة كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في صفة
الاراء وفي آخره ثم انطلق بي جبريل حتى أتني سدارة المتهمة فغشيها ألوان ما أدرى
ما هي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جبابذة اللؤلؤ واذا ترابها المسك وفي الصحيحين أيضاً
من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان
أحدكم اذ مات عرض عليه مقعده بالعادة والمشي ان كان من أهل الجنة فن أهل
الجنة وان كان من أهل النار فن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»
وقد رأى صلى الله عليه وسلم الجنة في صلاة الكسوف حتى هم أن يتناول عنقوداً من عنبها
ورأى النار فلم ير منظراً افطع من ذلك وهذا في الصحيحين أيضاً وفي مسند الامام
أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة ذلك وفيه
« لقد أدنيت الجنة (مني) حتى لو سطت يدي لعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت
النار مني حتى ان قد جعلت اتقيها خشية ان تمسككم» الحديث وفي صحيح مسلم من حديث

أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «لورأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» قلوا وما رأيتم يا رسول الله قال «رأيت الجنة والنار» وفي مسند الامام أحمد وصحيح مسلم والسنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال اذهب فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها فرجع وقال بعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فأمر بالجنة فحفت بالمكاره فقال فارجع فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها أحد ثم أرسله الى النار فنظر اليها يركب بعضها بعضها فقال لا يدخلها أحد فلما حفت بالشهوات قال وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو منها أحد الا دخلها» قال الترمذي حديث حسن صحيح ودخوله صلى الله عليه وسلم درويته نهر المكوثر وقصور الجنة وحورها وثمارها ودرها وقصة آدم وخروجه منها واضعاف أضعاف ما ذكرناه من الأدلة القطعية التي يفوت عدوها يتعسر حدها وبعد المنصف ان العدول عن مضمونها مكابرة وردل الاخبار المتواترة والله تعالى أعلم ﴿و﴾ اجزم أيضا بـ ﴿انها﴾ أي النار ﴿لم تلتف﴾ أي لم تهلك وتبيد قل في القاموس تلف كفتح هلك وتلفه افناه والتلف كالمقعد المهلك يعني ان النار لا تنقضي ولا يفنى ما فيها كالجنة وما فيها قال الامام المحقق في حادي الأرواح اما ابدية الجنة وأنها لا تنقضي ولا تبعد فما يعلم بالاضطرار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر به قال الله تعالى (واما الذين ساعدوا في الجنة خالدون فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غير مجدوذ) أي غير مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله (الاماشاء ربك) نعم اختلف السلف في هذا الاستثناء فقال الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه أنهم خالدون في الجنة مادامت السموات والارض الامدة مكشهم في النار (وقالت فرقة) العزينة وقعت لهم من الله بالخلود الدائم الا ان يشاء الله خلاف ذلك اعلاما لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله وهذا كما قال لنبيه ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) وقوله (فان يشأ الله ينحسم على قلبك) وقوله (قل لو شاء الله ماتلونه عليكم) ونظائر ذلك مما ينجز به عياده ان الامور كلها بمشيئته ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن

(وقالت فرقة أخرى) المراد مدة دوام السموات والارض في هذا العالم فلنخبر سبحانه
انهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والارض الا ما شاء الله أن يزيدهم عليه
وكان هذا قول من قال أن الا يعني سوى وهذا قول ابن قتيبة فإنه قال المعنى
خالدون فيها مدة العالم سوى ما شاء الله تعالى أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم
(وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والارض سماوات الجنة وأرضها وما باقيتان أبدا
وقبل غير ذلك وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة
والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيعلمون مشفقين ويقال يا أهل النار فيعلمون فرحين
فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ويقال
يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت فيها ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم (وأذرعهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)
وأشار بيده الى الدنيا وفي لفظ للبخاري وهم في غفلة وهو لا في غفلة أهل الدنيا
وهم لا يؤمنون أخرجه في التفسير وفي الصحيحين في هذا الحديث فإذا قيل لهم هل
تعرفون هذا فيشرئبون وبطارون ويقولون نعم هذا الموت فيومر بلذبحه فيذبح
قوله فيشرئبون هو يفتح أوله وسكون الشين الممحة وفتح الراء بعدها نحية
مهموزة ثم موحدة مشددة أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤسهم للنظر وسيفي
الصحيحين أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يدخل
أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لا موت ويا أهل
أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه» رواية عنه عندهما فيزداد أهل الجنة فرحا
الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم وفي هذا عدة أحاديث عن أبي
هريرة عن الخاتم وابن ماجه وعن أنس عند أبي يعلى والبخاري والطبراني وفيه
فيذبح كما تذبح الشاة فيأمن هؤلاء ويقطع رجاؤ هؤلاء فثبت بما ذكرنا من
الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين مخلودا مؤبدا كل بما
هو فيه من نعيم وعذاب أليم وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة فاجمعوا أن
عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب

والسنة وزعمت الجمعية ان الجنة والنار يتبيان وقال هذا امامهم جهم بن صفوان امام المعتزلة وليس له في ذلك سلف قط لامن الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة نعم حكى بعض العلماء في أبدية النار قولين

وحاصل ذلك كله سبعة أقوال (أولها) قول الخوارج والمعتزلة إن من دخل النار لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها يخلد فيها أبدا الآباد (والثاني) قول من يقول أن أهلها يعذبون مدة فيها ثم تغلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم وهذا قول ابن عربي الطائي في كتاب فصوص الحكم وغيره من كتبه (الثالث) قول من يقول أن أهل النار يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلطهم فيها قوم آخرون وهذا يقول حكاك اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى أيضا في قوله (وقالوا ان تمسنا النار الاياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فان يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمونه بلى من كذب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فهذا القول إنما هو قول اعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابهم والقائلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين على فساد (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً بهاها ليس فيها أحد يذهب ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية عن بعض أهل الفرق قال والقرآن والسنة يردان هذا القول (الخامس) قول من يقول تنفى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد ان لم تكن وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه وأبدية وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تنفى حياتهم وحرارتهم وبصيرتهم جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل الملاف أحد أئمة المعتزلة طردا لا تتاع حوادث لانهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول ان الله تعالى ينفبها لانها بها وخالاتها لانه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها امدا تنتهي اليه ثم تنفى ويزول عذابها قال شيخ الاسلام وقد قل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين والشيخ

الاسلام وتأييده الامام المحقق ميل الى هذا القول وذ كر ذلي تأييده بضعاً وعشرين
وجهاً ثم قال وما ذ كرماء في هذه المسئلة من صواب فن الله وهو المان به وما كان
من خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله مريثان منه والله عند اسان كل قائل
وقصده والله أعلم انتهى وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الكرمي المنجلي رسالة سماها
توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين

﴿ تنبيه ﴾

ذهب جمع الى أن الموت عرض ومعنى والاعراض لا ينقلب أجساماً بل زعم
بعضهم ان الموت عدم محض وبه قل الرخشري وأجابوا عن قوله تعالى (خلق
الموت والحياة) بأن الخلق في هذه الآية التندير فإن قيل فعلى هذا كيف يأتي الموت
في صورة كبش فيذبح فالحولب تقول الحكم الترمذي ان مذهب السلف في
هذا الحديث الوقوف عن المحض في معناه فتؤمن به ونكل عليه لى الله وأجاب
بعض أهل العلم ان لعل هذا الكبش صورة ملائكة من الملائكة الذين يقبضون
أرواح الملائكة ولا الموت في نفسه عدم محض راجع الى سلب الحياة أو هو
استمارة وكتابة عن الخلود الدائم فضرب المثل بالموت ولا موت هناك حقيقة
انتهى وذهب جماعة الى ان الموت جسم لا عرض وأنه مخلوق في صورة كبش والحياة
في صورة فرس قل الامام أبو حسن الاتمري الموت أمر وجودي لقوله تعالى
(خلق الموت والحياة) والعدم لا يخلق كل هذا ما يخص من كلام الشيخ مرعي رحمه
الله تعالى وقول الودوي في شرح مسلم بأول الحديث على ان الله تعالى يخلق
هذا الجسم ثم يذبح مثلاً لان الموت لا يطرأ على أهل الآخرة قبلت وهذا غير
مرضي ولا معمول عابه والدليل على ان الموت جسم في صورة كبش ما أخرج ابن
أبي حاتم في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى (خلق الموت والحياة) قال الحياة فرس
جبريل والموت كبش أبلح وقال مقاتل والكلابي خلق الموت في صورة كبش
لا يمر على أحد الامات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء إلا حيي
وأخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الغظة عن وهب بن منبه قال خلق الله
الموت كشاً أبلح مستترا سواد ويأضله أربعة أجنحة جناح تحت العرش

وجنّاح في النري وجنّاح في المغرب وجنّاح في المشرق قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبرز لعزرائيل قلت الذي نذهب اليه ان الموت أمر وجودي وانه جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش ألامح وآت الحياة في صورة فرس كما صحت بذلك الاخبار عن النبي المختار وقلها الائمة الايرار ودونها المهابذة الاخيار على أن كثيرا من العلماء أشار الى أن جميع المعاني المعقولة عندنا صورة عند الله تعالى بصور الاجسام وشخصة بهيئة الاشخاص وان كنا لانحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية فاطنة بذلك شاهدة له فانه قدورد عدة أخبار أن الاعمال تعرض في صورة أشخاص الاسلام والصلاة والصيام والمعروف والذكور فهذا كله يدل على ما ذكرنا وبالله التوفيق

(نائدة) ذكر في البدور السافرة ان عبد اسماعيل بن زباد الشامي في تفسيره أن الذي يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل يحيى بن زكريا عليهما السلام والله أعلم

(تمة في ذكر مكان الجنة والنار وأين هما على مقتضى الآثار)

اعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وستفها عرش الرحمن كما قال جل شأنه في محكم القرآن (ولقد آتاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وسميت بذلك لانها يتهيأ اليها ما ينزل من عند الله فيه قبض منها وقال تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قال ابن أبي نجيب عن مجاهد هو الجنة وتلقاه الالباس عنه وذكر ابن المنذر في تفسيره عن مجاهد قال هو الجنة والنار وقد أخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قال أكرم خليفة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن الجنة في السماء وروى أبو نعيم أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنة في السماء السابعة ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة وجهنم في الارض السابعة وروى ابن منده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الجنة في السماء الرابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء والنار في الارض السابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء وقال مجاهد قلت لابن عباس رضي الله عنهما أين الجنة قال فوق السموات قلت فأين

النار قال تحت سعة آخر مائة رواة ابن مده روت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال «الجنة مائة درجة ما من كل درجتين كما بين السماء والأرض» وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع ثم لفظ لهذا الحديث «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعسدها الله للمجاهدين في سبيله» وشيخ الإسلام ابن تيمية رجع هذا اللفظ وهو لا يبي أن تكون درجة الجنة أكثر من ذلك كما في قوله صلى الله عليه وسلم «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» أي من جملة أسمائه هذا العدد فكون الكلام حسنة واحدة في الموضعين ويدل على هذا أن منزله نبيا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة يالها آحاد أمته بالمجاهد وقال في (حادي الأرواح) والجنة مقسمة أعلاها أوسها ووسطها وهو الفردوس وسفحه العرش كما قاله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «إذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأسفل الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أبواب الجنة» قال في حادي الأرواح قال شيخنا أبو الطحاح المري الحافظ والصواب رواية من رواه فوقه نعم الغاب على أنه اسم الطرف أي وسفحه عرش الرحمن فاب قسفل فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فاب الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكرم منه فالحواب لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دوره من الخان بحيث لا حدة فوقه دون العرش كان سقفه له دون ما تحته من الخان لعظم سعة محله وساية ارتفاعها يكون الصعود من أدنى إلى أعلى بالدرج شفا شفا درجة فوق درجة كما يقال لقارىء امرأ أن اقرأ وارق فإن مررتك عند آخر آية مرأها وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزله عند آخر حافته وأن يكون عند آخر الآخرة المحفوظة والله أعلم

وأخرج أبو يعقوب في تاريخ أصحابنا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حرم نخيلة النديان والجنة قور» فلهذا كان الصراط على حرم طريقا إلى الجنة وأخرج حماد بن عيسى عن معمر بن عمار رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين يمضون يوم القيامة قال «يخاضونها من الأرض الساعة لها سبعون ألف رماح معلق كل رماح سبعون ألف ملك تصيب إلى أهلي إلى أهلي

فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جئا على ركبته يقول رب نفسي نفسي» وأخرج الامام أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات عن يعلى بن أمية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «البحر هو جهنم» وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن سعيد بن أبي الحسين قال البحر طابق جهنم وأخرج أبو الشيخ في العظمة والبيهقي من طريق سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ما رأيت يهوديا أصدق من فلان زعم ان نار الله الكبرى هي البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله في الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسرته وأخرج أبو الشيخ عن كعب في قوله تعالى (والبحر المدجور) قال البحر يسجر فيصير جهنم وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن وهب انه قال اذا قامت القيامة أمر بالتناق فيكشف عن سقر وهو غطاءؤها فيخرج منه نار فاذا وصلت الى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرفة المين وهو حاجز بين جهنم والارضين السبع فاذا نشف اشتعلت في الارضين السبع فندعها بحرة واحدة وقيل ان النار في السماء كالجنة لما روى الامام أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أتيت بالبراق فلم تر اياه طرفة عين انا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت النار ابواب السماء ورأيت الجنة والنار» أخرج أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء فترأت هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فكأنني لم أفرأها» وليس في هذا ونحوه حجة على أن النار في السماء لجواز ان يراه في الارض وهو في السماء وهذا الميت يرى وهو في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الارض وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآها وهو في صلاة الكسوف وهو في الارض قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة ان ثبت وفيه أنه رأى الجنة والنار في السماء فالسما ظرف للروية لانه في وفي حديث ضعيف جدا أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والبار فوق السموات فلو صح حمل على ما ذكرنا. والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسفها العرش وان النار في الارض السابعة على الصحيح المعتمد والله التوفيق

(*) كذا في الاصل وفي كنز العمال «فلا تزايل ظهره انا وجبريل» - مصنفه

ولما انتهى الكلام على الجنة والنار وصح وجودها الآن وقامها أبداً بلا نهاية
ولا حسان وبرهن على ذلك وعلى مكانها اعتقب ذلك بقوله

﴿فَسأَلِ اللَّهَ الْعَلِيمَ﴾ والنظر لربنا من غير ماشين غير

﴿فَسأَلِ اللَّهَ﴾ العليم رب العرش العظيم ﴿العليم﴾ المقيم في جنات العيم بأنواع
ملاذه ومبته مع كواعبها وحورها في خيامها وقصورها وعمراتها ودورها وبنا
لا ين رأت ولاذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿و﴾ تسئل الله العظيم الخليم
الجواد الكريم ﴿لنظر﴾ وجهه ﴿ربنا﴾ وخالفنا وهادينا الكريم مع أهل الطاعة
والاستقامة والفوز والنجاة يوم القيامة ﴿من غيرما﴾ زائدة أزيد الذي أي من غير
﴿شئين﴾ أي عذاب ومناقشة حساب وتوبيخ وعتاب والشين ضد الزين فون من
جعل له شيء مما ذكر يذهب زينه ويحلفه تبينه والماشين الممايب ﴿غير﴾ بفتح الهمزة
المعجمة وإباء الموحدة أي ذهب والمراد سبق يعني من غير سابق عذاب
ومناقشة حساب يقال عبر عبوراً مكث وذهب ضد وفي الحديث أنه صلى الله عليه
وسلم كان يحذر بما غير من السورة أي يسرع في قراءتها قال في النهاية قال
الازهري يحتمل العابرهما الوجوبين يعني الماضي والباقي فإنه من الاختداد قال
وقل عبر واحد من الأئمة أنه يكون بمعنى الماضي والحاصل أنه سأل الله تعالى أن
يمن عليه بالعيم والتعيم النظر الى وجهه لذكرهم من غير سابقة عذاب ولا مناقشة
حساب وقد تقدم بعض ما تضمنه من ذكر العيم المقيم وأما النظر الى مولانا
الكريم فهو من أصول أهل الحق خلافاً لأهل الضلال والحق ومن ثم قال
﴿فانه ينظر بالابصار﴾ كما أتى في النص والاختبار

﴿فانه﴾ سبحانه وتعالى ﴿ينظر بالابصار﴾ في دار المقامة والفرار بانفاق أئمة
الدين الأبرار وسلب الأئمة الاختيار ﴿كما أتى﴾ أي جاء ﴿في النص﴾ القسراتي
والنزل الرحماي أصل النص أقصى الشيء وغايته وفي حديث كعب يقول
الجار أحذروني فاني لأمانس عبداً لا عذبة أي لا استقصي عليه شيء
السؤال والحساب وروى الخطابي عن عوف بن عبد الله مثله ومه قول الفقهاء

نص القرآن ونص السنة أي مادل ظاهر لفظهما عليه من الاحكام وفي كلام عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسد ﴿و﴾ كما أنى في ﴿الاعخبار﴾ النبوية والآثار السلفية وأجمع عليه أهل الحق وسلف الأمة وأهل الصدق وأعلام الأئمة وروية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعم الجنة قدرا وأعلاه وأغلاه خطرا وأمرها وهي الغاية القصوى والنهاية العظمى التي شمر اليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الانبياء والمرسلون والصحاب والتابعون وأئمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا انكار وإنما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال قال الله تعالى في محكم الذكر (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (لذنب أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال في حق أهل الكفر والفجور كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال تعالى (ولدينا مزيد) وأخرج مسلم والنسائي وابن ماجه عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قل «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تر يدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية (لذنب أحسنوا الحسنى وزيادة) يعني أنه برفع الموانع عن الأدواك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعت العظمة والجلال فذكر الحجاب إنما هو حق الخلق لا الخالق كذا قال الفرطبي في تذكرته وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله يبعث يوم القيامة متادبا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم يا أهل الجنة إن الله وعدكم الحسنى وزيادة الجنة الحسنى والزيادة النظر إلى وجه الرحمن» وأخرج ابن جرير وابن مردويه أيضا واللالكائي في السنة عن كعب بن عجرة مرفوعا مثله وأخرجوا أيضا وابن أبي حاتم مثله عنه مرفوعا وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله وابن مردويه أيضا وأبو الشيخ واللالكائي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الحسنى والزيادة كالذي قبله سواء ومن حديث أبي هريرة كذلك رواه أبو الشيخ وعن الصدوق رضي الله عنه موقوفا مثله رواه ابن جرير وابن مردويه وابن

المندرج وأبو الشيخ واللالكائي والآخرى وابن مردويه عن علي رضي الله عنه رواه
ابن مردويه وعن حذيفة رضي الله عنه رواه من جرير وابن المنذر وأبو الشيخ
واللالكائي والآخرى وكذا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومثله عن ابن
عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ومثله عن سعيد بن المسيب
والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعيد البجلي وأبي إسحق
السبيعي وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقادة وغيرهم من التابعين قل
الامام الحافظ البيهقي في كتاب الرواية هذا تفسير قد استغاض واشتهر فبا بن
الصحابة والتابعين ومثله لا يقال الا شريطة ففسروا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة) قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنها (١) الى ربها ناظرة قال فطرت
الى الخالق وقال عكرمة ناضرة من النعم الى ربها ناظرة قال تنظر الى الله ظراً
وقل الحسن الناضرة الحسن الى ربها ناظرة فطرت الى ربها فضرت بذوره وقال
كعب القرظي نضر الله تلك الوجوه وحسناها فانظر اليه ومثله عن مجاهد وأخر
ابن أبي حاتم واللالكائي عن الحسن في قوله (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)
قال اذا كان يوم القيامة يزد ساراك وتعالى فيراه الخالق ويحجبها كنهه فلا يرويه
وروى اللالكائي عن أشهب قال سأل رجل مالكا هل يرى المؤمنون ربهم يوم
القيامة فقال مالكا لو لم يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعب الكفار بالحجاب
فقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل فذن قوما يزعمون أن الله لا يرى فقال
مالك السيف السيف وأخرج اللالكائي عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في
قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيها دلالة على أن أولياء الله يرون
ربهم يوم القيامة وقل ذلك عن الامام الشافعي رضي الله عنه من عدة وجوه وقال العبداني
قال علي بن أبي طالب وأمر من مالكا رضي الله عنهما في قوله تعالى (لهم ما يشاؤون فيه)
ولذلك ما لا يدركه العلم الى حده الله عز وجل قاله من التابعين في مدني وهب وغيره كما

(١) لعله حسنه لانه تفسيرنا صرة وعدا الذي قاله المصنف رواه البخاري
عن الحسن الا انه قال حسنة بدل حسنها كما صححا، وتنظر الى الخالق عز وجل
بدل فطرت الى الخالق، ورواه عنه ابن جرير ولم يذكر عن ابن عباس شيئا فيها

في حادي الارواح فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بانته مبلغ التواتر عند أئمة الحديث

واما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في الرؤية فأخرج اللالكائي في السنة من طريق مفضل بن عسال قال سمعت مجي بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح وقد ورد ذلك من حديث الصديق وأنس وجابر وجبريل البجلي وحذيفة بن اليان وزيد بن ثابت وصهيب وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن مسعود ولقيط بن عامر وأبي بن رزين وعلي بن أبي طالب وعدي بن حاتم وعمار بن ياسر وفضالة بن عبيد وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وبريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنهم أجمعين ففي البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل تضارون في رؤبة القمر ليلة البدر» قالوا لا يا رسول الله قال «تضارون في رؤبة الشمس ليس دونها حجاب» قالوا لا قال «فأنكم ترونه كذلك» الحديث وفي الصحيحين وغيرهما عن جبريل البجلي قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ففطر الى القمر ليلة أوبسة عشر فقال «أنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤبته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» ثم قرأ (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقد عدد في حادي الارواح رواية من روى رؤبة الباري عز وجل فزادوا عن الحد قال العلماء كأن التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي لا المرئي والمعنى ترون ربكم رؤبة ينزاح معها الشك وتنفي معها الريبة كرويتكم القمر لا ترتابون ولا تمترون وفي لفظ لاتضامون وروي بتخفيف الميم وضم أوله من الضم أي لا يلحقكم في رؤبته ضم ولا مشقة وتشديدها والفتح على حذف إحدى التائين والاصل لاتضامون أي لا يضام بعضكم بعضا كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل ادراكه فيتزاحون عند ذلك ينظرون الى جهة بضام بعضهم بعضا يريد أنكم ترونه وكل واحد في مكانه وفي الصحيحين وغيرهما أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

قالوا يا رسول الله هل نرى وما يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«نعم قبل تضارون في رؤية الشمس بالطهيرة صحوا ليس معها سحب وهل تضارون
في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها اصحاب» قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون
في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما الحديث
وأخرج الترمذي عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة قتال أبو هريرة أسأل
الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الحنة قال سعيد انيها سوق قال نعم أخبرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم
ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الحنة من أيام الدنيا فيزورون بهم ويبرز لهم عرش
ويقبدي لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر
من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما
فيهم من ذي على كئيب المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكرامى بأفضل
منهم مجلسا قلت يا رسول الله هل نرى وما قال «نعم هل تضارون في رؤية الشمس
والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تضارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك
المجلس رجل الا حاصره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان من فلان
أتذكر يوم فعلت كذا وكذا اذ ذكره يعرض عذراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم
تغفر لي فيقول بلى بسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه» الحديث والاحاديث في ذلك
كثيرة جدا في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها وقد قبل لابن عباس رضي الله عنهما
من دخل الجنة يرى الله عز وجل قال نعم وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه يحشر الناس يوم
القيامة في صعيد واحد فينادي ابن المتقون فيقومون في كنف الرحمن لا يحتاج الله
منهم ولا يسترقبيل له من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله
العادة فيمرون الى الجنة ولهذا الاختيار اشار بقوله

﴿لانه سبحانه لم يحجب الا عن الكافر والمكذب﴾

﴿لانه﴾ أي الرب ﴿سبحانه﴾ وتعالى ﴿لم يحجب﴾ تضم التحية وسكون الحاء المهمل
وفتح الهمزة مبنيا للم اسم فاعله أي لم يتمتع سبحانه من أن يمكن عباده من رؤيته في دار
القرار ﴿الا عن الكافر﴾ بالله تعالى ومكمل مكفر انتصفه فمكمل من حكم الشرع بكفره

فهو محجوب عن رؤية ربه قال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال ما حجب الله عز وجل أحدا عنه الا عذبه ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون قال الرواية فقلت له يا أبا عبد الله ان عندنا قوم من المعتزلة يشكرون هذه الاحاديث ان الله ينزل الى سماء الدنيا وان أهل الجنة يرون ربهم فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عن من أخذوا وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوما فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كانه مغضب وقال حدثنا سفيان ابن سعيد ومنذر الثوري وزهير ابن معاوية وحدثنا حسن بن صالح وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي وهو لاء أبناء المهاجرين يحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى ان يهوديا صباغا يرغم ان الله لا يرى يعني بشر المرسي وقال عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون لم يزل يملئ لهم يعني المبتدعة من الجهمية أو اضربهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجددوا والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه الكريم ونضرت يومئذ في مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والأرض ليجمعن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضرب بها وجوههم دون المجرمين وبفالج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ محجوبون لا يرونه كما زعموا انه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب ألیم ولذا قلنا ﴿ و ﴾ يحجب أيضا عن ﴿ المكذب ﴾ برؤيته وبتكليمه لعباده المتقين وكما أشار اليه الامام عبد الله بن المبارك في قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون قال بالرواية كما ذكره بن أبي الدنيا وقال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه من لم يقل بالرواية فهو جهلي وقال وقد بلغه عن رجل قال ان الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبا شديدا وقال من قال ان الله لا يرى في الآخرة فهو كافر او فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائنا من كان من الناس أليس

يقول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال - (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود سمعت الامام أحمد يقول من قال ان الله لا يرى في الآخرة فهو كافر وقال أبو بكر المروزي قيل لابي عبد الله رضي الله عنه تعرف عن يزيد بن هرون عن أبي العطف عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان استقر الحبل فسوف تراني وان لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة فغضب أبو عبد الله عصباً شديداً حتى تبين في وجهه وكان قاعداً والباس حوله فأخذ نعله واتملم وقال احزى الله هذا لا ينبغي ان يكتب عن هذا ودفع عن يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا حرمي كافر مخالف لما قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) بخزي الله هذا الحديث وقال الامام أحمد أيضاً من كذب بالرواية فهو زنديق قال رضي الله عنه تؤمن بها أي الرواية وأحاديثها وسلم انها حق فتؤمن بأن الله يرى نرى ربنا يوم القيامة لا شك به ولا نرتاب وقال من رعم ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستجاب فان تاب والاقبل وقال في رواية حبل وسأله عن أحاديث الرواية فقال هذه أحاديث صحاح تؤمن بها وتقر بها وكل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أو رتابه وقال أبو عبد الله اذا لم نر بها (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه رددنا على الله أمره قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)

(فوائده)

(الاولى) قال العلامة من احذ ان في كتابه نهاية المتبين كسائر علماء السنة ونحزم بأن المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيامة مالا يبرأ ويكلمهم على ما يليق به فيها ولا يراه الكفار ولا يكلمهم قال ومن أنكر الرواية كفر نص عليه الامام أحمد انتهى وفي حادي الارواح الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قوله تعالى (لا تدركه

(١) كتب الناسخ في هامس مسحتان نسخة المصنف هكذا وامل المحذوف « جاء »

الابصار وهو يدرك الابصار) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تدركه الابصار ولا تحيط به الابصار وقال قتادة هو اعظم من ان تدركه الابصار وقال عطية ينظرون الى الله ولا تحيط ابصارهم به من عظمته وبصره تعالى يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قالوا منون يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم عيانا ولا تدركه ابصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذا كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلامه من شاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه فتقوله تعالى (لا تدركه الابصار) من ادل شيء على انه يرى ولا يدرك فهو لعظمته يتعالى عن أن تدركه الابصار ولا تحيط به والطفه وخبرته يدرك الابصار فلا يخفى عليه شيء فهو عظيم في لطفه اللطيف في عظمته العالي في قربه القريب في علوه الذي (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير — لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) انتهى ملخصا

(الثانية) ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين بن كثير الى ان النساء يرين الله تبارك وتعالى في الآخرة وذهب جماعة أيضا منهم العز بن عبد السلام وتبعه صاحب آكام المرجان وابن جماعة الى أن الملائكة لا يرون الله أيضا تبارك وتعالى في الجنة وهذا خلاف التحقيق فان النص الصريح والخبر الصحيح يرد هذا ويبيده ويبطاله ويدحضه وبطرده فعند الدارقطني مرفوعا «اذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدا بالنظر اليه في كل جمعة قال وبراها المؤمنات يوم الفطر ويوم الاضحى» أي في مثل يوم الفطر ويوم الاضحى وعموم الاحاديث الصحيحة شاملة للنساء من غير توقف وأخرج الآجري عن عكرمة قال قيل لابن عباس رضي الله عنهما كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى قال نعم وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (رب أرني انظر اليك) قال يا موسى انه لن يراني أحد الا مات ولا يأس الا تدهده ولا رطب الا فرق وانما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم وبظاهر حديث الدارقطني أخذ ابن كثير فاختار ان النساء يرين ربهن في الاعياد دون الجمع وبه جزم الحافظ السيوطي

لكنه يحتاج الى دليل خاص أقوى من حديث الدارقطني واستثنى الحافظ السيوطي
 روایات الانبياء عليهم السلام وبناتهم فينبغي أن تكونا من المستنبات وكذا نحوها كأم موسى
 وعمر بريانة تعالى أزيد من غيرها من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام قلت ومريم
 ابنة عمران وامرأة فرعون ينبغي أن تكونا من المستنبات وكذا نحوها كأم موسى
 وأخته والله أعلم وفي آخر البدور السافرة للحافظ السيوطي وقع في كلام بعض
 الأئمة أن رواية الله تعالى خاصة بمومني البشر وإن الملائكة لا يرونه واحتج له
 بقوله تعالى (لا ندركه الابصار) فإنه عام خص منه بالآية والاحاديث في المؤمنين
 فبقى على عمومهم في الملائكة قال السيوطي وقد نص البيهقي على خلافه فقال في
 كتاب الروبة ذكر ما جاء في رواية الملائكة ربههم فأخرج عن عبد الله بن العاص
 رضي الله عنها قال خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا وإن منهم الملائكة قياما
 صافين من يوم خلقهم الى يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم
 القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم تبارك وتعالى فاذا نظروا الى وجهه الكريم قالوا
 سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ثم أخرج من وجه آخر عن عدي بن ارطام عن
 رجل من الصحابة رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله ملائكة
 ترعد من انصهم من مخافته ما عندهم ملك ما تنظر دعة من عينه الا وقعت ملكا
 يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا
 يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربههم فينظرون اليه قالوا سبحانك
 ما عبدناك كما ينبغي لك انتهى والحق الذي لا مراءية فيه أنهم يرونه تعالى بل
 ومومني الجن يرونه اما في الموقف فحزما مع سائر المؤمنين وأما في الجنة ففي بعض
 الأوقات على ما يظهر بل الظاهر أنهم يرونه الا أنهم دون مومني الانس في
 الروية في كل جمعة

والحاصل ان رواية الرب حل جلاله في الموقف حاصلة حتى للانبياء والرسل
 والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف في
 غيرهم وقد جزم الحافظ ابن رجب في اللطائف بأن كل يوم عيد للمسلمين في الدنيا
 فإنه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على رفاة ربههم ويتحلى لهم فيه فينظرون اليه فإ

أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم من ذلك وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ويوم الجمعة في الجنة يدعى يوم المزيّد (١) وبوم الفطر والاضحى يجتمع أهل الجنة فيها قال الحافظ ابن رجب في اللطائف روى أنه يشارك النساء الرجال فيها كما كن يشهدن المبدّين مع الرجال دون الجمعة قال فهذا لعموم أهل الجنة فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون فيه ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا لان الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعياداً فصارت أيامهم في الآخرة كلها أعياداً قال الحسن رحمه الله تعالى كل يوم لا يمضى الله فيه فهو عيد فالיום الذي

(١) قال الفاسي في شرح دلائل الخيرات ويوم المزيّد هو اسم يوم الجمعة في الجنة وفيه تقع الروايات حسبا في الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم الا انه يؤذن بثبوت الايام في الجنة وهي لآليل فيها اذ لا ظلام فيها فلعلهم تخلق لهم تفرقة أخرى بين الايام بنير الظلام والله أعلم ولعلها بنور يزداد عند تمام اليوم ثم اما ان يقع للتفرقة وينقطع ثم يأتي اليوم بعده على النور المعتاد واما ان يبقى الى تمام اليوم فيكون هو مبدء اليوم ثم يأتي اليوم الذي بعده أنور منه وهكذا كل يوم أنور من الذي قبله فيكون نور الجنة في الترقى على الدوام وذلك الترقى هو الايام ومبدء كل ترقى هو مبدء كل يوم وهذا هو المناسب لحال الجنة كما انهم في جمال صورهم وحسن ثيابهم في الترقى على الدوام حسبا في الحديث والله أعلم ثم وجدت في البدور السافرة مما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن المبارك عن الضحاك في قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) انهم يؤتون رزقهم في الآخرة على مقدار ما يؤنون به في الدنيا من الليل والنهار وأخرج ابن المنذر عن بعض السلف سماء أنه سئل عن الآية فقال ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا لهم مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخاء الحجب وأخرج الحكيم الترمذي في النوادر عن الحسن وأبي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل فان الله يقول في كتابه (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال ليس هناك هو ضوء ونور يرد الغد على الروح والروح على الغد ويأتهم طرف الهدا بالمواقب الصلاة التي كانوا يصلون فيها ونسلم عليهم الملائكة انتهى بحروفه من هاش الاصل

يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذ كره وشكره فهو له عبد انتهى ملخصا وفي التذكرة للقرطبي ان الناس يرون ربهم في الموقف ثم يحبون الى أن لا يبقى في الدار من يدخل الجنة أحد فيؤذن لهم فيه وانه في الجنة ثم لا يحبون بعد ذلك أصلا ولا في حال تمنعهم وقد قيل الكفاؤ كالمنافقين برونه تعالى ثم يحبون عنه فتكون الحجة حسنة عليهم وخس النوي الخلاف بالمنافق واما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقا كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله تعالى أعلم

(الثالثة) اختلف العلماء في روية خاتم الانبياء ربه الله الارض والسما في ليلة المعراج التي هي في حقه صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر واسمى فائتها حبرا الامم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ورجحه النووي وقال والحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني وأسه ليلة الاسراء الحديث ابن عباس رضي الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والريبع بن سليمان وجماعة من المفسرين قال القرطبي قد ثبت ذلك يعني روية الباوي جل شأنه سمعا بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقين بالنسبة الى الموتى كذا قال وقال القاضي عياض روية الله تعالى جائزة عقلا وثبت الاخبار الصحيحة المشهورة وقوعها للمؤمنين في الآخرة واما في الدنيا فقال مالك إنما لم يبر سبحانه في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالناهي فاذا كان في الآخرة ورزقوا أنصارا باقية فأروا الباقي بالباقي قال القاضي عياض وليس في الكلام استحالة الروية الامن حيث القدرة فاذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه (واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) وأخرجه ابن خزيمة من حديث أبي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فان جازت الروية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من أثبتها لابي صلى الله عليه وسلم له أن يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كداني الفتح قال وقد اختلف السلف في روية النبي صلى الله عليه وسلم ربه فذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه وجزم ابن خزيمة عن عروة بن الزبير باثباتها وكان يشتد عليه اذا ذكر له إنكار عائشة وبه قال سائر

أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما وجزم به كعب الأخبار والزهري وصاحبه
معمر وآخرون وهو قول الأشعري وغالب أتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه
وعن الإمام أحمد رضي الله عنه كلقول ابن الحافظ ابن حجر في شرح البخاري
جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبار مطلقة وأخرى مقيدة قال فيجب حمل
مطلقة على مقيدة فمن ذلك ما أخرجه النسائي بسند صحيح وصححه الحاكم أيضا من
طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما اتمجبون أن تكون الخلعة لابراهيم
والكلام لموسى والروية لمحمد وأخرجه ابن خزيمة بانظر أن الله اصطفى ابراهيم
بالخلعة الحديث وأخرج ابن اسحق من طريق عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر
أرسل ابن عباس رضي الله عنهما هل رأى محمد ربه فأرسل إليه أن نعم ومنها
ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ما كذب
الفؤاد ما رأى) واقتدر أنه نزله أخرى قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال رآه بقلبه وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من
طريق عطاء عن ابن عباس أيضا قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رآه
بقلبه وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس رضي الله عنه قال رأى محمد ربه
وعند مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال «نوراني»
أراه وللإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «رأيت نورا» ولا ابن
خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراد أبي ذر رضي الله عنه بذكر
النور أي أن النور حال بين رؤيته له يبصره

والحاصل إن في هذه المسئلة ثلاثة أقوال أحدها ثبوت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
لربه وهو قول ابن عباس وأتباعه وهو ظاهر ما ذهب إليه الإمام أحمد رضي الله عنه فقد
روى الحلال في كتاب السنن عن أبي بكر المروزي قول لا أحد منهم يقولون أن عائشة
قالت من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية في أي شيء يدفع قوله قال بقول
النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت ربي» قول النبي صلى الله عليه وسلم كبر من قوله واجتنب ابن
خزيمة في كتاب النوحيد إلى ترجيح الآثبات والطب في الاستدلال له بما يطول ذكره
وحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله إنما رآه بقلبه على أن الرواية وقعت

مرتين مرة بين ومرة بقلبه

(الكافي) مع ذلك في الدنيا وهو قد قال عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله
عنها قالت رضي الله عنهم امر زعم ان محمدا رأى ربه بين رأسه قد أعظم الفرية على الله
وروى الترمذي عن الشعبي قال لقي ابن عباس رضي الله عنهما كما يعرفه فسأله عن شيء
فكبر حتى جاوز به الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم وزاد عبد الرزاق يقول
ان محمدا رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه زاد عبد الرزاق بين
موسى ومحمد فكلم موسى مرتين ودام محمد مرتين قال مسروق فدخلت على
عائشة فقلت هل رأى محمدا ربه قالت لقد قف شعري أي قام من الفزع للحصول
عندها من هبة الله واعتقدته من تنزيهه تعالى واستحالة وقوع ذلك ثم قالت له
أين أنت من ثلاث آيات من حديثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب وفي لفظ
من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قرأت (لا تدركه الاصار-
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ولكن رأى جبريل في
صورته مرتين وفي صحيح البخاري وسلم وسنن الترمذي أن مسروقاً قال قلت
لعائشة يا أمنا - أصله يا أم والماء - لكنت فأضيف إليها ألف الاستعانة فأبدلت ثاء
وزيدت هاء السكت بعد الألف - فقالت لقد قف شعري عما قلت أين أنت من ثلاث
من حديثك فقد كذب من حديثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت
الآيتين ومن حديثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا) ومن حديثك أنه كلم شيئا من كتاب الله فقد كذب
ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية ولكنه رأى جبريل
عليه السلام في صورته مرتين ورواه عائشة رضي الله عنها على ما ذهب إليه من
أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يره بيني رأسه جماعة من الصحابة منهم ابن
مسعود وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وه قال جمع من العلماء بل نقل الدارمي
الحافظ اجماع الصحابة على ذلك واعترض الامام الروي وتجره على من ذهب
الى مذهب عائشة بأنها رضي الله عنها لم تنف وقوع الرؤية بمحدث مرفوع ولو
كان معها لذكرته وانما اعتدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية

وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولاً وخلفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقاً والمراد بنفي الادراك في الآية الكريمة نفي الاحاطة وذلك لا ينافي الرؤية انتهى كما قدمنا ذلك موضحاً وجزمه بأن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع نبع فيه ابن خزيمة فانه قال في كتاب التوحيد من صحيحه النبي لا يوجب علماً قال ولم نحك عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها انه لم ير ربه وإنما تأولت الآية انتهى وهذا عجيب منهما في الصحيحين والترمذي وغيرهما أن مسروقاً قال كنت منكماً عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا عائشة ثلاث من نكلم بهن فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت منكماً فجاست قتلت يا أم المؤمنين أنظريتي ولا تعجلي ألم يقل الله (ولقد رآه بالافق المبين - ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الامة سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غيرها نين المرتين وأيته منهبطاً من السماء ساداً أعظم خلقه ما بين السماء الى الأرض ثم قالت أولم تسمع أن الله تعالى يقول (لاتدركه الابصار) وقرأت الآيتين وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى باسناد مسلم فقالت أنا أول من سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا قتلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال لا إنما رأيت جبريل منهبطاً نعم خلف ابن عباس عائشة رضي الله عنهم باحتجاجها بالآية الكريمة فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لاتدركه الابصار) قال وبجسك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نقل عن الامام أحمد رضي الله عنه من اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه إنما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حفي ولم يقل انه رآه بعين رأسه وقال شيخ الاسلام أيضاً ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه بقطة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصيبه موجدرة ليس فيها شيء من ذلك قال ولفظ الامام أحمد كلفظ ابن عباس قال وأهل السنة متفقون على أن الله تعالى لا يراه أحد بعينه

في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع الرابع الا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة
مع أن الأحاديث المروقة ليس في شيء منها «آراء» وآراءه روي ذلك بأسانيد موصولة
بأنفاق أهل الحديث انتهى

وإذا علم ما حرمناه فيه كن الجمع بين اثبات من جالس في غيبة رضي الله عنهم بأن
يحمل ثبوتها على رتبة البصر وثبوتها على رتبة القلب كما قاله الحافظ ابن حجر في شرح
البيهقي ثم المراتب رتبة البصر لا رتبة القلب لا عبرة بحصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم
كان عالما بآياته على الدوام بل مراد من أثبت له آراءه بقلبه أن الرواية التي حصلت له خلقت
في قلبه كاشتغال الرواية العينية له بالرواية لا بشرط طمأنينة مخصوص عقله ولو جرت
العادة بخلافه في العين وقد مر عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل صلى الله عليه وسلم هل رأيت
ربك قال «نوراني آراء» ورواه الترمذي أيضا بهذا اللفظ ورواه الامام أحمد عنه قال
«رأيت نورا» ولا بن خزيمية عنه قول «آراء» بقلبه ولم يره بعبته قال الحافظان حجر وهذا
تبيين مراد أبي ذر بذلك الزراري أن النور حال بين ورثته له بصره وقال الامام الحق
ابن القيم في عدة مواضع من كتبه كإسلام الموقعين والجبيرش وغيرهما سمعت شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول معناه كان ثم نور وحال دون رويته نوراني
آراء ويدل عليه ابن تيمية في بعض المقامات الصحيح هل رأيت ربك فقال الحديث رأيت
نورا قال الحق ابن القيم وقد اعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى
صح عنه بعضهم فقال نوراني آراء على أنها نهاية السبب والكامة واحدة وهذا خطأ
لفظا ومعنى وإنما أوجب لهم هذا الفهم أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى ربه وكان قوله أنى آراءه كالأفكار للرواية حاوروا في الحديث وبعضهم
رده باضطراب لفظه وكل هذا عدول عن موجب الدليل قال الحق ابن القيم ويدل
على ما قلنا شيخنا قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور فهذا النور وأنه أعلم
هو النور المذكور في حديث أبي ذر انتهى وقد ذكر ابن الأثير في حل الفاظ
جامع الأصول أن الامام أحمد رضي الله عنه سئل عن حديث أبي ذر هذا فقال
ما زلت منكرا لهذا الحديث وما أدري ما وجهه وقال ابن خزيمة في التلخيص من
صحة هذا الخبر شيء وقال بعض العلماء في هذا الحديث قد أجمعوا على أنه تعالى

ليس بنور وخطأنا المجوس في قولهم هو نور والانوار أجسام والباري سبحانه وتعالى ليس بجسم والمراد بهذا الحديث ان حجاب سبجانه النور وكذلك روي في حديث أبي موسى رضي الله عنه فالمنى كيف أراه وحجابه النور والله أعلم

(الثالث) الوقف عن القطع بالنفي أو الاثبات في هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم الفرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم فانه قال الوقف في هذه المسئلة أرجح وعزاء لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدلل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وايمست المسئلة من العمليات فيمكن فيها بالدلة الغائية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها الا بالدليل القطعي ومن استنار قلبه لاقتفاء الآثار وخلع ربة التقليد التي هي منشار التغير في وجوه الاخبار علم ان السلامة في التسليم وفوق كل ذي علم عليم وبالله التوفيق

سبجج الباب الخامس

(في ذكر النبوة وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل أصحابه وأئمة صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وعظم وكرم)

اعلم ان حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبشعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية لا ينفظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا بال الا بذلك فهم أشد احتياجا الى ذلك من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لا بد لهم منه كما في مفتاح دار السعادة للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى واحالة السنية ارسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن أرسله ولا طريق اليه الا الخبر واعلا أنواعه المتواتر وهو لا يفيد عندهم علما فلعل القائل له أرسلك الى قول كذا شيطان مثلا وزعمت البراهمة وهم طائفة من المجوس ان ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لا غناء العقل عن الرسل لان ما جاء به الرسول ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يأت به وان

كان مخالفا له فبيحا فابن احتاج اليه فعمله والاثر كونه وقالت المنزلة برحوب ذلك
على الله تعالى بالطريق ذاته والحق انه جائز عتلا في حق تعالى واجب سماء
وشرعا والى ذلك أشار بقوله

﴿ ومن عظيم منة السلام ولطفه بساتر الانام ﴾

﴿ ان أرشد الخلق الى الوصول مينا للحق بالرسول ﴾

﴿ ومن عظيم منة ﴾ الرب ﴿ السلام ﴾ المنة مأخوذة من المن وهو الاحسان
الى من لا يستحقه ولا يطلب الجزاء عليه ومن أسماء الله تعالى المنان وهو المنعم
المعطي من المن وهو العطاء وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئا الامته واعتد
به على من أعطاه وهو مذكور لان المنة تفيد الصنعة اذا كانت من غير الياري
حل وعلا والسلام من أسمائه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقص
فيكون من أسماء التبريزه وقيل معناه مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى
معنى القادر وقيل ذو السلام على المؤمنين في الجنان فبرجسم الى الكلام القديم
الارلي قال تعالى (سلام قولا من رب رحيم) والفرق بين القدوس والسلام ان
القدوس فيه اشارة الى انه بريء من جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر
والسلام فيه اشارة الى انه لا يضرأ عليه شيء من ذلك في المستقبل ﴿ ومن عظيم
﴿ لطفه ﴾ تعالى أي رفته ﴿ بساتر ﴾ أي جميع ﴿ الانام ﴾ كسحاب والآن نام بالمد
والأنيم كأمر الخلق أو لاس والجن وجميع ما على وجه الارض أي من رفته
تعالى بهم في العمل والعلم بدقائق الصالح وإيصالها الى من قدرها له من خلقه
يقال لطف به وله بالفتح يالطف لعلنا اذا رفق به واما لطف بالضم يالطف فمعناه
حضر ودفق ومن أسماء الله تعالى اللطيف وهو الذي اجتمع له الرقة في الفعل والعلم
وإنما عدل عن قوله منة المنان ولطفه بساتر الانسان لعدم شمول نحو الجن فيسبب
عموم الامام على الانسان عدل اليه لان الانسان كالانس البشر والمنة بالمرسال
الرسال شاملة للجنين بل لكل الخلق والله أعلم

﴿ ان ﴾ بفتح الهمزة وسكون الون حرف مصدري نسبك مع ما بعدها بمصدر

﴿ أرشد ﴾ أي هدى ودل ودنا سبحانه وتعالى يقال رشد كضمر وفرج رشدا

ورشدا ورشادا هدي واسترشد طالب الرشد والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والرشد من أسماء الله تعالى الهادي الى سواء الصراط والذبي حسن تقديره فيما قدر وان وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ والخبر قوله في البيت قبله ومن عظيم الخ والتقدير رشد الخلق الى الوصول كائن من عظيم منه السلام ﴿الخلق﴾ من الثقلين الانس والجن ﴿الى الوصول﴾ الى معرفة الله تعالى وعبادته واقيام بما شرعه من التكليف الذي ثمرته الفوز بالسلامة الابدية والسعادة السرمدية والنعيم النقيم في جنات النعيم رضى الرب الرحمن الرحيم والظر اليه في دار القرار مع الاتقياء الاخيار والاولياء الابرار حال كونه تعالى ﴿مبيناً﴾ أي مظهرا وموضعا ﴿ل﴾ نهج الحق ﴿هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل ومن أسمائه تعالى الحق أو من صفاته واما الصدق فقد شاع في الاقوال ويقابله الكذب وبفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع والصدق من جانب الحكم فعلى هذا معنى صدق الحكم مطابقتة الواقع ومعنى حقيقة مطابقة الواقع اياد والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع ﴿بالرسول﴾ متعلق بمبين والرسول انسان أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه فان لم يؤمر بتبليغه فبني فقط وتقدم في صدر الكتاب وسئل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية وأربعة عشر والاولى عدم حصرهم في عدد معين لان الحديث ضعيف وربما خالف قوله تعالى ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ فلا يؤمن من دخول من ليس منهم فيهم وخروج بعضهم عنهم وأولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) في قوله ومن عظم منه السلام الى آخر البيتين اشارة الى ان ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع منه من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك وانما هو على سبيل لاطف بالخلق والفضل عليهم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم الى

محمد صلى الله عليه وسلم (وعليهم) أجمعين إلى المكافئين لطفاً من الله بهم ليعلمهم عنه
 سبحانه أمره ونهيه ووعده ووعيدته ويدينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون إليه من
 أمور المعاش والمعاد مما جاؤا به من شرائعهم وأحكامهم التي أنزلها الله تعالى في
 كتبه عليهم اختصاصاً كالقرآن العظيم واشتراكاً كالنوراة لموسى وهارون ويوشع
 ومن بعدهم إلى عيسى عليه وعليهم السلام حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات ويقطع
 عنهم سائر التعللات كما قال تعالى (ولو أنا أهلكتهم بعد ما بعثناهم من قبله لفلاناً ربنا لولا
 أرسلنا إليك رسولا فتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وقوله تعالى (وما كنا
 معذبين حتى نبعث رسولا) وقوله (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على
 الله حجة بعد الرسل) فلولا اعتذاره تعالى إليهم ثلثي السنة الرسل وإقامة الحجة
 عليهم بعثه أهل خبرته من ذوي الثبوت والفضل لتوهوا أن لهم حجة سائفة ومذرة
 بالغة لوحوده (أحده) أن يقولوا إنما خلقنا ربنا لعبادته وما بين لنا العبادة التي يريدنا
 ساما هي ولا كم هي ولا كيف هي (ثانيها) أن يقولوا قد ربنا ربنا في هذا كل
 وأحسام تقبل السم والسملة وسلفنا الشيطان والشهوة والهمى فكان ينبغي أن يؤيدنا
 بما إذا سمعنا فانبهنا وذا مال بالهوى ردنا وذا وسوس البنا الشيطان منعنا بما يرشدنا إليه من
 الأذكار وغيرها (ثالثها) أن يقولوا هب إننا لم بقولنا حسن الإيمان وقبح الكفر
 والعصيان لكننا لم يصل إدراكنا قولنا إلى أن من فعل الفبيح عذب مع أننا نحن أن لنا في
 معاملة القبيح لذة وليس على الباري فيه مضرة ولم نعلم أن من آمن وعمل صالحاً
 استحق الثواب مع إدراكنا بقولنا عدم المود بمنفعة له تعالى فلا جرم تقاضينا
 الشهوات وأفدنا على ما فيه لنا الذات فارسل الرسل لما مضى العقل أمر جاز
 في حقه وواجب وقوعه وسمايز يده هذا وضوح (التيه الثاني) أن الرسالة ضرورية للعباد
 لا غنى لهم عنها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء فإن الرسالة روح العالم
 ونوره وحياهه فأبى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مغفلة ملعونة
 كلها إلا ما ظلمت عليه شمس الرسالة وكذلك المبدع ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة
 وتاله حيايتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات قال الله تعالى (أومن كان ميتاً
 فأحييناه وجعلنا له نورا بمشيئنا في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)

فهذا وصف المؤمن كأن ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة وبنور
 الايمان وحمل له نوراً يمشي به في الناس وأما في الكافر فميت القلب في الظلمات
 ومضى الله تعالى رسالته روحاً والروح اذا عدم فارقت الحياة قال تعالى (وكذلك
 أوحينا اليك روحاً من أمرنا) الآية فالروح الحياة والنور لا ضاة لازمة له لذلّة فالكافر
 في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي وان كان فيه حياة بهيمية لكنه عادم
 الحياة الروحانية العلوية الناشئة عن الايمان وبها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح
 في الدنيا والآخرة فان الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين
 عبادته في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكليف ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم فبعثوا
 جميعاً بالدعوة إلى الله تعالى وتعريف الطريق الموصل إليه وبيان حالهم بعد الوصول إليه
 فأرشدوهم إلى توحيدهم إلى الله تعالى وإثبات صفاته وإثبات القدر وذكر أيام الله تعالى في أوليائه
 وأعدائه وهي القصص التي قصها على العباد والأمثال التي ضربها لهم وأرشدوهم إلى العلم
 بتفصيل الشرائع والأمر والنهي والاباحة وبيان ما يحبه لله ويكرهه وكذلك بينوا
 لهم وجوب الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب وعلى هذه الثلاثة
 أصول مدار الخلق والأمر والسعادة والعلاج وموقوفة عليها ولا سبيل إلى معرفتها
 إلا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان
 قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى
 الطب ومن يداويه ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض ونزول الدواء عليه وحاجة
 العبد إلى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطبيب فان آخر ما يعذب بهدم
 الطبيب موت الأبدان وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياها مات قلبه وموت
 لا ترجى الحياة معه أبداً وشقي شقاؤهُ لا سعادة معها أبداً فلا فلاح إلا باتباع الرسول
 فان الله تعالى خص بالفلاح اتباعه المؤمنين به وانصاره كما قال تعالى (فالذين
 آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) أي
 لا مفلح إلا هم فالهدي والفلاح دائر حول روح الرسالة وجوداً وعدماً قال شيخ
 الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في قاعدة وجوب الاعتصام بالرسالة وهذا
 مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء وبعثت به جميع الرسل المرسلين وقال الرسالة

ضرورة في صلاح المبد في معاشه ومعاده فكما انه لاصلاح في آخرته الا بانباع
 الرسالة فكذلك لاصلاح له في معاشه ودينه الا بانواع الرسالة فالانسان مضطر
 الى الشرع فانه بين حركتين حركة يحلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره
 والشرع في النور الذي بين ما ينفعه وما يضره فهو نور الله في أرضه وعدله بين
 عباده وحسنه الذي من دخله كانت آمنة وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار
 بالحس فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فأن الحمار والحمل يفرق ويميز بين الشمبر
 والثراب بل التمييز بين الافعال التي تضر فاعلمها في معاشه ومعاده والافعال التي
 تنفعه في معاشه ومعاده كتنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان
 والامانة والنفقة والشجاعة والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة
 الارحام وبر الوالدين والاحسان الى الخيران والممالك واداء الحقوق واخلاص العمل
 والتوكل على الله والاستعانة به والرضا بمواقف اقداره والتسليم لحكمه والتوكل عليه
 وتصديق رسوله في كل ما أخبر به ومطاعتهم في كل ما أمر به وغير ذلك مما هو نفع
 وصلاح للعبد في دينه وآخرته وفي ضد ذلك شقاؤه ومضرته في دينه وآخرته ولولا
 الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش والمعاد فمن أعظم نعم
 الله على عباده وأشرف منه عليهم ان أرسل اليهم رسوله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم
 الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الالهام وشر حالا منها فمن قبل رسالة الله
 واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوء حالا
 من الكاب والخنزير وأحق من كل حقير فالحمد لله الذي أرسل الينا رسولا من
 أنفسنا يتلو علينا آياته وبزكيا وعلما الكتاب والحكمة وان كنا من قبل لنفي ضلال
 ميين ولا بقاء لاهل الارض الا مادامت آثار الرسالة موجودة فيهم فاذا درست
 آثار الرسل من الارض وانمحت معالم هدايتهم أخبر الله العالم العلوي والسفلي
 وأقام القيامة ولبست حاجة أهل الارض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر
 والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوئها والجسم
 الى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويختار بالبال
 فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في امره ونهيهم

السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين يقول يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة وقال تعالى في حق (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال شيخ الإسلام في قاعدة وجوب الاعتصام بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسول فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه الله رحمة للعالمين ومحبة للساكنين وحبّة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتعزيزه والقيام بأداء حقوقه وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لاحد إلا من طريقه وأخذ العمود والمواثيق بالإيمان به واتباعه على جميع الانبياء والمرسلين وأمرهم أن يأخذوها على ما تبهمهم من المؤمنين أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا فخم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برساته أعينا عباده وأذنا صا وقلوبا غلغا فاشترقت برساته الأرض بعد غلغلتها وتألقت بها القلوب بمدشئاتها فأقام به الملة العوجاء وأوضح به المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره أرسله صلى الله عليه وسلم على حين فرة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم إلى ظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهواهم النادة فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطرائق وأخرج الناس يمين الظلمات إلى النور وميز به بين نهج أهل الفلاح وأهل الفجور فمن اهتدى بهداه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى فصلى الله وسلم عليه وسائر الرسل والأنبياء مالا ح نجمة وبدأ وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اقتدى

﴿التنبيه الثالث﴾

اعلم أن الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفى الله أنبي البشر آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليه وعابهم الصلاة والسلام فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين

وتصدقهم في كل ما أخبروا به من الغيب وطلعهم في كل ما أمروا به وهم را
 عنه ولهذا أوجب سبحانه الإيمان بكل ما أنزل به ولم يوجب بما أنزل به غيرهم
 قال تعالى (قلوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق
 ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي البشرون من ربه لا تفرق
 بين أحد منهم ونحن له مسلمون) فانفق علماء الأمة على كفر من كذب نبيا معلوم السوء
 وكذا من سب نبيا أو اتهمه ويجب قتله لأن الإيمان واجب بجميع الأنبياء
 وإن لا تفرق بين أحد منهم وتصدقهم فيما أخبروا به وتبائعهم على جميع ما جاءوا
 به فهو حق وصدق قال الله تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا
 بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين
 ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) وتقدم أن
 جميع الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مائة ألف
 وأربعة وعشرون ألفا وإن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففي صحيح ابن حبان
 من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم جالس وحده قد ذكر حديثا طويلا وفيه قلت يا رسول الله كم الأنبياء
 قال مائة ألف وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة
 وثلاثة عشر جبا غفيرا قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم عليه السلام قلت
 يا رسول الله أنبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده وفتح فيه من روجه وكلمه قبلا
 ثم قال يا أبا در أربعة سريانيون آدم وشيث وأخنوخ وهود ودريس وهارون
 خط بالفلم ونوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد صلى الله
 عليه وسلم وعليهم أجمعين قالت يا رسول الله كم كُتبا أنزل الله قال مائة كتاب
 وأربعة كتب أنزل على شيث وخسون صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة
 وأنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف
 وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان الحديث وقد تكلم عليه الولي العربي
 ورد على ابن حبان جماعة من الحفاظ لادخاله هذا الحديث في الصحيح وفي كتاب
 شرح الإيمان والإسلام للشيخ الإسلام ابن تيمية روح الله في قول الإمام

أحمد رضي الله عنه في الرسل وعددهم وأنه يجب الايمان بهم وبصح الافرار بهم في الجملة مع الكذب عن عددهم وكثرت ذلك محمد بن نصر المروزي وغيرهما من أئمة السلف قال وهذا يبين أنهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وإن حديث أبي ذر في ذلك لم يثبت عندهم انتهى والامام أحمد رضي الله عنه ذكر ذلك الزاماً لمن لم يقل بزيادة الايمان من أجل أنهم لا يهتدون ما يزيادونه وإنما غير محدودة فقال ما تقولون في أنبياء الله وكتبه ورسله هل تقولون بهم في الجملة وتزعمون أنه من الايمان فإذا قالوا نعم قيل لهم هل نحدوهم ونعرفون عددهم أم لا تصبرون في ذلك إلى الافرار بهم في الجملة ثم تكفون عن عددهم وهذا ظاهر سببه عدم معرفة عدد الانبياء والرسل والكتب وقد ذكر أهل العقائد في عقائدهم هذا العدد معتدين على حديث أبي ذر على ما فيه وقد روي أن الانبياء ألف ومائة ألف والمشهور في الكتب أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وتقدم أن الواجب الايمان بهم جملة لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فالواجب الايمان بجميعهم اجمالاً وتفصيلاً فيمن ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح أن بني اسرائيل كانوا أكثر الامم أنبياء بثمان مائة وموسى بن عمران عليه السلام بشريعة التوراة وبعث اليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل أنهم ألف نبي كلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئاً إلى أن جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شريعة التوراة بأمر الله عز وجل

﴿وشروط من أكرم بالنبوة حرية ذكورة كقوة﴾

﴿وشروط مبتدأ﴾ (من) أي كل انسان ﴿أكرم﴾ بضم الهمزة مبنياً ما لم يسم فاعله أي أكرمه الله تعالى ﴿بالنبوة﴾ بضم النون والباء الموحدة وتشديد الواو ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه يقال نبأوا نبأ وأنبياء فإن قيل روى النسائي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تنبئ بأسعي فأنما أنا نبي الله فالجواب ما حكاه الجوهري أنه يقال نبأت على القوم إذا طلعت عليهم ونبأت من أرض إلى أرض إذا خرجت من هذه إلى هذه وهذا المعنى أراد

الاعرابي بقوله يانبي الله لانه خرج من مكة الى المدينة فأنكر عليه الهرز لانه ليس من لغة قريش . والماصل ان النبي اما مشتق من النبا أي الخبر لانه ينبي عن الله تعالى أي يخبر قال سيويه ليس أحد من العرب الا ويقول تنبا مسبلنا بالهرز غير انهم تركوا الهرز في النبي كما تركوه في القرية والبرية والحبية الا أهل مكة فانهم يهزون هذه الاحرف الثلاثة ولا يهزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك . واما مشتق من البوة وهي الشيء المرتفع لان النبي مرتفع الرتبة على سائر الخلق قال في القاموس والنبي المخبر عن الله وترك الهرز المختار والجمع أنبياء وأنباء والبيون والاسم النبوة ذكره في باب الهمزة وقال في باب المعتل والنبوة ما ارتفع من الاوض كالنبوة والنبي انتهى

(حرية) خبر المبتدا الذي هو شرط من أكرم النخ وذلك لان الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة والنبي يكون داعيا للناس آنا . الليل وأطراف النهار والريق لا يتسر له ذلك وأيضاً الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما لهم وقدره وهي اثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك وشرط من أكرمه الله بالنبوة أيضاً (ذكورة) أي ان يتصف بالذكورية لقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) فأثبت الرسالة للرجال الموحى اليهم وأشعر نفي ذلك عن غيرهم فلا تكون أنثى نبيه خلافاً لاهل التوراة والزاعمين بنبوة مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام وقد خالف في اشتراط الذكورة أبو الحسن الأشعري ثم القرطبي وتبعهما على ذلك أناس من العلماء والحق اعتبار الذكورية لان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة والابوة تقتضي التسر وتناهي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التامع وقد حكى العلامة ابن الملقن في شرحه على عمدة الاحكام خلافاً في نبوة مريم وآسية وصاره وهاجر وأم موسى عليه السلام واسمها بخابذ بنت لاوي بن يعقوب كما قاله شيخ السنة البغوي والحافظ ابن الجوزي في تبصرته قال الحافظ يرهان الدين الحاجي قد هذا الاسم على شيخنا الحافظ ابن ناصر الدين حال قراءة التبصرة عليه بمشاة تحية مضومة فوار ساكنة فحاء معجمة مفتوحة فألف مقصورة فباء

موحدة مفتوحة فذال معجزة وهو غير مصروف للمعجزة والتأنيث أي مع العلمية قلت في كتب أهل الكتاب ورأيت في التوراة يوكابد بكاف بدل الخاء وبدال مهملة بدل المعجزة والنطق بالكاف منعما ومعناه بالعريضة جليلة ورأيت الحافظ جلال الدين السيوطي ضبطه بحاء مهملة بدل الخاء المعجزة وبنون بدل الباء الموحدة كما هو في تاريخ الانبياء له وكتوبه ﴿كقوة﴾ أي كما يعتبر فبين أكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكون قويا بأعباء ما حمل من ثقل النبوة والقوة الطاقية والجمع قوى بالضم وبالكسر قال في انقائوس القوة بالضم ضد الضعف يقال قوي كرضي فهو قوي والقوى والضم العقل وطاقات الجبل ذاعقل صحيح وفهم رجيح وعلم بالامور الدينية حسن الخلق والخلق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطتهم وتعليمهم لامور الديانة فان الانبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن والهو والغو وسائر الاخلاق الذميمة كما انهم مبرءون من لوم التمسب وشراء القلب وحرص النفس على الدنيا ولهذا لم يبعث الله نبيا الا في أشرف منسب أمته فلم يبعث نبيا من ذمي نسب مبذول كما لم يبعث نبيا عبدا ولا ثيما ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الانوثة مع طلب عدم الاشتغال من النساء المطلوب للدعوة ولكون النفوس مائلة للنساء في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن والحاصل اختصاص النبوة بأشرف افراد النوع الانساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ولو في الصبي كعيسى ويحيى عليهما السلام والسلامة من كل مانفر عن الانباع كدناءة الآباء وعمر الامهات والنظافة والمنظافة والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام والامور المحسلة بالمرورة كالاكل على الطريق والحرف الدينية كالحجامة وكل ما يخل بحكمة البغثة ونحو ذلك وبالله التوفيق

ولما ذكر ما أشعر بانفراد كل النوع الانساني بالنبوة واختصاص الذكور الاحرار المنزهين عن النقائص بها خشي ان يتوهم متوهم بأن ذلك يدرك بالرياضة والتهديب والجد والاجتهاد والتأديب فنفي ذلك بقوله

﴿ولا تنال رتبة النبوة بالكسب والتهديب والفتوة﴾

هكذا: بفضل من المولى الاجل ان يشا من خلقه الى الاجل

(ولا تنال) بضم التاء المشاة فرق مبنيا لما لم يسم فاعله أي لم تعط (رتبة) بالرفع نائب الفاعل يقال ناله ينوله اذا أعطاه قال في القاموس الدوال والنايل العلماء ولكه ولت له وبه أنوله وأنقله إياه ونولته أعطيته والرتبة بالضم والمرتبة المنزلة (البوة) بالجر لاقادتها الى الرتبة وهي عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التي هي مطلوبات الله من عباده وأحكامه التي يكافهم بها انكشافا يناسب انكشاف البارلادهن بروية الدخان وانكشاف رائحة المسك بمجذب النفس الى الانف والمراد بها ما يعم الرسالة كما لا يخفى (بالكسب) متعلق بلاتال (و) لانزال رتبة النبوة ودرجة الرسالة أيضا (النهذب) أي تقية البدن ومحفية الاخلاق وخلوص البنية من الاخلاق الرذيلة وتقية الاوصاف الجالبة والنهوت الجالبة (و) لانزال رتبة البوة أيضا (الفتوة) أي كرم النفس ونجليصها من الاوصاف المدمومة الى الاوصاف المدوحة قال في القاموس الفتوة الكرم وقد يفتي وتغنى يعني تعاطى اوصاف الفتوة وتغنى بها وأراض بنفسه حتى صار من ذريها وفتوتهم اذا غلبتهم فيها فذهب أهل الحق ان النبوة لاتال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد وتكاف أنواع العبادات واقتحام أتق الطاعات وتداب في تهذيب نفسه ونقية خوارطه وتطهير أخلاقه ورياضة نفسه وبهذه وتهذيب ذلك (لكنها) أي النبوة والرسالة (ففضل من المولى الاجل) سبحانه وتعالى يرضيه من يشا ممن سبق ظله وارادته الازليان باصطفائه لما قاله أعلم حيث يجعل رسالته وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزمعهم ان من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الملال وأخلاء نفسه من الشواغل العائنة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرأة باطنه وفتحت بصيرة له وتبها لما لا يتبها له غيره من اتحلي بالبوة لان النبوة عندم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص في الانسان احداها الاطلاع على الغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات الدالية من غير سابقة كسب ولا تعلم ولا تعلم (الثانية) ظهور خوارق العادات بحيث تعلية الميرولي العنصرية القابلة للصور المغارقة

إلى بدن (الثالثة) مشاهدة الملائكة على صور متخيلة ويسمع كلام الله تعالى هذا
محصل مذهبهم الفاسد وملخص مسلكتهم الباطل فيجعلون كلام الله ما يفيض على
نفس النبي من غير أن يثبتوا لله كلاما خارجا عما في نفس النبي وعند التحقيق فلا
فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس إلا من جهة كونها أصفى
وأكمل وعندهم أن القرآن كلام النبي وهذا من أعظم الكفر قال شيخ الإسلام
ابن تيمية وهو لا عندهم النبوة مكتسبة وكان جماعة من زنادقة الإسلام يطلبون
أن يصيروا أنبياء والحاصل أن النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة من الله تعالى
يمن بها سبحانه ويعطيها ﴿ لمن يشاء ﴾ أن يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ولا
يستحقها بكسبه ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يختص بها من يشاء ﴿ من خلفه ﴾
ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لأنه يقتضي كلامه واعتقاده أن
لا تنقطع وهو مخالف للنص القرآني والاحاديث المتواترة بأن نبينا صلى الله عليه
وسلم خاتم النبيين عليهم السلام ولهذا قال ﴿ إلى الأجل ﴾ يعني أن النبوة فضل من
الله ونعمة بمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء وبريد أكرامه بها
وكان ذلك ممتدا من عهد الأب الأول الصفي آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن
بعث الخاتم النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال

﴿ ولم تزل فيما مضى الأبناء . من فضله تأتي لمن يشاء ﴾

﴿ حتى أتى بالخاتم الذي ختم به وأعلنا على كل الأمم ﴾

﴿ ولم تزل فيما ﴾ أي في الزمن الذي ﴿ مضى ﴾ أي في سائر الأزمان الماضية
﴿ الأنبا ﴾ يجمع نبي كالأنبيا والنبين ﴿ من فضله ﴾ أي من فضل الله سبحانه وتعالى
ورأفته ولطفه لا من حيث أنه واجب عليه تعالى كما تقدم بيانه ﴿ تأتي ﴾ بابلاغ الشرائع
وبيان الحق وإيضاح السبيل ﴿ لمن ﴾ أي لكل أهل زمن من الأمم الماضية والقرون
الحالية ﴿ يشاء ﴾ الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما يشاء على السنة من شاء من أنبيائه
لمن شاء من مكاني عباده فلم تخل الأرض من داع يدعو إلى الله تعالى من لدن
آدم عليه السلام إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيجب الإيمان بجميع الأنبياء

والرسل وانهم صادقون في ما أخبروا به عن الله تعالى اجمالا في من لم يعينوا كجذل
على ذلك قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله) فدللت الآية الكريمة على الاكتفاء بذلك في الايمان
بهم من غير تفصيل الا من ثبتت تسميته فيجب الايمان به على التمعين وكانت
محبي الرسل والانبياء في القرون الماضية والازمان الحالية معروفا مستمرا من لدن
الاب الاول الصفي عليه السلام (حتى) أي الى ان (أنى) النبي (الخاتم)
والرسول القائم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أي الى ان أرسله بخير كتاب وأنم
شربعة وأفضل ملة وأكمل دين (الذي ختم) الله (به) البين والمرسلين
وأكمل بدينه كل دين قال الله تعالى في محكم الذكر المين (ما كان محمدا بأحد
من وجالكم ولكن رسول الله وخاتم البين) أي الذي ختمهم وختموا به فلا نبي
بعده وأخرج الامام أحمد من حديث الرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عند الله في أم الكتاب لخاتم البين وان
آدم لم يحدل في طينته » الحديث وأخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروى معناه
من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه أخر مرسله وفي الصحيحين
وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
« مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل
الناس يدخلون ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة - زاد مسلم - فجئت
فختمت الانبياء » وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه معناه وفيه
فجعل الباس بطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم البين » وفي
صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان بنكة يهودي يتجر فيها فلما
كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل
ولد فيكم الليلة مولود فتناولوا لانمله فقال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين
كتفيه علامة لها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى
أدخلوه على أمه فقالوا اخرجي لنا ابنك فأخرجوه وكشفوا عن ظهره فرأى تلك
الشامة فوق اليهودي منسبا عليه فلما أفاق قالوا ويا لك مالكا قال ذهب والله

النبوة من بني اسرائيل وهذا الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد بخاتم النبوة بين كتفيه وخاتم النبوة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كان يعرف بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها وقد روي ان هرقل ملك الروم من البصارى أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من ينظر له خاتم النبوة وفي نبوة شعيا ان سلطانه يعني النبي صلى الله عليه وسلم على كتفه يريد علامة نبوته وفي الجواب الصحيح لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه مانصه قال أشعيا النبي عليه السلام ونص على خاتم النبوة: ولد لنا غلام يكون عجبا وبشرا والشامة على كتفه أركون السلام وسلطانه سلطان السلام يجلس على كرسي داود: فالأركون هو المعظم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون فشهد أشعيا بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخص علاماته وأوضحها وهي شامته فلمعري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ووصفه بأنه يجلس على كرسي داود يعني انه سيرث من بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ويسبغهم رباستهم . قال العلماء رحمهم الله في حكمة وجود الخاتم بين كتفيه أو على تقص كتفه الايسر هو على جهة الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم لما ملي قلبه من الايمان والانوار وجمع له اجزاء النبوة وحواشيا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا فلم يجد نفسه ولا عدوه سبيلا اليه من أجل ذلك الختم لان الشيء المختوم محروس كما بين لنا اذا وجدنا الشيء بختمه زال الشك واقطع الخصام فيما بين الاميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن له القلب التي النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كيبضة الحجلة كما أشار اليه أبو القاسم السويدي رحمه الله تعالى

وقوله ﴿واعلنا﴾ معشراة هذا النبي الكريم والرسول الرؤف الرحيم الرب الرحيم والاله الحكيم به صلى الله عليه وسلم ﴿على كل الامم﴾ بالماضية والمثلل الحالية بشاهد قوله تعالى ﴿كنتم خيرة امة اخرجت للناس﴾ وكذلك جعلناكم امة وسطا ﴿وروي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله﴾ ﴿كنتم خيرة امة اخرجت للناس﴾ قال خير الناس للناس بأنون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وفي الصحيحين وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا يزال أناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون، وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وروى هذا من حديث سعد بن زهراء مسلم ومن حديث معاوية روى البخاري ومسلم ومن حديث عمران بن حصين روى أبو داود ومن حديث غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وروى الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل أمي مثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله» وقال حديث حسن غريب وروى النسائي من حديث ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عصابتان من أمي أحرزها الله من النار عصيبة تنزوا الهند وعصبة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام، وأخرج أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الفتن والزلازل والقتل» ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک والبيهقي في الشعب وسفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوأول الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم - وفي رواية لمسلم - نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة - وفي رواية في الصحيحين نحن الآخرون السابقون يوم القيامة - أنهم أوأول الكتاب من قبلنا - وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما ترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرتم قل أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قال فكبرتم قال إني لا أرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم بعين ذلك ما المملون في الكفار إلا كشرة يضاء في نور أسود أو كشرة سوداء في نور أبيض» هذا لفظ مسلم وعد البخاري وكشرة سوداء بغير ألف يعني قبل الواو وروى الامام أحمد والترمذي بإسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن

الحصيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفًا» ورواه الطبراني في معجمه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وروى نحوه من حديث ابن مسعود رواه الطبراني وروى عبد الله بن الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم ربع أهل الجنة أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة» قال الطبراني تفرد برفعه عبد الله بن المبارك عن الثوري وروى أيضا من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفًا رواه بخيشة بن سلمان القرشي قال المحقق ابن القيم وهذه الاحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها فلا تنافي بينها وبين حديث الشطر لانه عليه السلام رجا أولا ان يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاؤه وزاده عليه شيئا آخر وقد أخرج الامام أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أرجوان يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال فكبرنا قال فارجوان يكونوا الشطر واسناده على شرط مسلم وروى الدارقطني من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الجنة حُرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحُرمت على الامم حتى تدخلها أمتي» قال المحقق ابن القيم في كتابه حادي الارواح فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم الى أعلا مكان في الموقف وأسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى الفصل والقضاء بينهم وأسبقهم الى الجواز على الصراط وأسبقهم الى دخول الجنة فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الامم حتى تدخلها أمته وأول من يدخل الجنة من هذه الامة من بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق كما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وروى الامام أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «انكم تتمون—وفي لفظ—

أنكم توفون سبعين أمة أحسن خيرا وأكرمها على الله تعالى» وأخرج الترمذي من حديث أبي امامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله فضلي على الأنبياء أو قل أمتي على الأمم وأحل لنا العنايم» وقال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه رفعه «يبيي يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى» وقد روى معنى هذا الحديث عن أبي موسى أيضا الطبراني والحاكم وصححه وكذا ابن ماجه والطبراني وروى أيضا من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه والديلمي وأخرجه مسلم عن أبي موسى من وجه آخر بلفظ «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فدائك من النار» قال العلامة القرطبي قال علماؤنا هذه الأحاديث ليست على عمومها إنما هي في أناس مذنبين تخفف الله عليهم برحمته فاعطى كل واحد منهم فككا من النار وقال معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى أنه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر حرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد كما قال تعالى (ولا تنزل وزرة وزر أخرى) وله تعالى أن يضاعف على من يشاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشيئته ويقال في الرواية الأخرى ومعنى قوله لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه يهوديا أو نصرانيا النار معناه أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا في النار بسبب ذنوبه ومعنى الله عنه بجمه ورحمته بقي مكانه خاليا معه أضاف ذلك المكان إلى يهودية أو نصرانية ليُعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذي يستحقه بحسب كفره وقد حاثت أحاديث دالة على أن لكل مسلم من هذه الأمة مذنبيا كان أولا منزله منزلا في الجنة ومنزلا في النار وكذا الكافر وذلك معنى قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) أي يرث المؤمنون منازل الكفار ومن الجنة والكفار منازل المؤمنين في النار إلا أن هذه الوراثة تختلف فبعضهم من يرث بلا حساب ومنهم من يرث بحساب ومناقشة وقال الإمام البيهقي بخلاف أن يكون العدا في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم أو في من أخرج من النار يقال لهم ذلك عند الخروج وقال بعضهم بل بمنزل إن

يكون الفداء مجازا عن روية المنزلة التي تقدمت الاشارة اليها ورجحه النووي وغيره وقيل المراد بالذنوب التي توضع على الكفار ذنوب كان الكفار سببا فيها بأن سنوها فلما غفرت سيئات المؤمنين بقيت سيئات الذي سن تلك البدعة السيئة باقية على أربابها الكفرة لان الكفار لا يغفر لهم فيكون الوضع كناية عن ابقاء الذنب الذي لحق المكافر بما سنه من عمله السي الذي عمل به المؤمن وقواه الحافظ ابن حجر والله التوفيق

وقد روي ان لكل واحد من مؤمني هذه الامة نورين كالانبياء السالفة روى أبو نعيم وابن الجوزي في (الوفي) عن كعب الأخبار رحمه الله تعالى أنه سمع رجلا يقول رأيت في المنام كان الناس جمعوا للحساب فدعي الانبياء فجاء مع كل نبي أمته ورأى لكل نبي نورين ولكل من اتبعه نورا يمشي به فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شجرة في رأسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما فقال كعب وهو لا يشعر أنها رؤيا من حدثك هذا قال انا والله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في المنام فقال بالله الذي لا اله الا هو لقد رأيت هذا في منامك قال نعم قال والذي نفس كعب بيده أو قال والذي نفس محمد بيده انها الصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمه وصفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأممها في كتاب الله كأنما قرأه من التوراة. وروى الحافظ أبو نعيم والحافظ ابن الجوزي في (الوفي) عن كعب الاخبار أيضا أنه رأى جبرائيل من أخبار اليهوديكي فقال له ما يبكيك قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله لن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجدني. كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد خيرا أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر وبقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال قال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قل هم أمة أحمد يا موسى قال الخبر نعم الحديث وفيه فقال موسى عليه السلام ليتني من أمة أو من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فأوحي الله تعالى اليه (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) الحديث وروى ابن حبان في (الوفى) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يا رب اني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقة المشفوع لهم فاجعلها أمي قال تلك أمة أحمد الحديث وفيه قال يا رب فاجعلني من أمة أحمد فاعطني عند ذلك خصلتين فقال (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما أتيتهك وكن من الشاكرين) قال رضيت يا رب وذكره الامام المحقق ابن القيم في كتابه جلاء الافهام وذكر الحافظ ابن الجوزي في تبصرته في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) اني كنتم قولان أحدهما كن وصفكم في البشارة قبل وجودكم قال الحسن الثاني كنتم في سابق علم الله تعالى وحكمه أو في الألواح المحفوظة وقاله ابن الانباري أي ما زلتهم وقيل ان معنى كنتم أي أنتم مثل قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما قال ابن قتيبة قدياني الفعل على بنية الماضي وهو ذاهب أو مستقبل كقوله كنتم ومعه أنتم ومثله واذا قال الله أي واذا يقول الله ومثله أني أمر الله وظاهره والله أعلم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى

واعلم أن فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وإن كان ذلك باختيار الحق لها اياها الا أنه سبحانه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جملوه فكذلك جعل لتقديم هذه الامة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس فاعتبر حالهم بمن قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق في شق البحر ثم قالوا اجعل لنا الهامم مال كثير منهم إلى عبادة العجل وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا ولم يقبلوا التوراة حتى تنق عليهم الجبل ولما اخبر موسى سبعين منهم وقع في نفوسهم ما أوجب تنزيل الجبل بهم ولهذا لما صعد نبينا صلى الله عليه وسلم على جبل حرا في جماعة من أصحابه تنزيل فقال اسكن فما عليك الانبي اوصديق أو شهيد فكانه أشار الى أنه ليس عليك من يشك كقوم موسى ومن تأمل حال بني اسرائيل وآدم قد أمروا بقول حطة فقالوا حنطة وقبل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوه زحفا وآذوا نبيهم فقالوا آذر ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من أعظم التغليل لان الجسم مؤلف ولا بد

للمؤانف من مؤانف ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان الله تعالى جوهر والجواهر
تقابل ولا مثل للخالق ثم مقلانهم في عيسى وثانيهم ودعواهم فيه الالهية وانه
ابن الله تعالى تفشع منه الابدان وتغفر منه النفوس ونحوه المستول ولبس القوم
فهوم وايضا قال بعض فضلاء امتنا انهم عار على بني آدم من بين سائر الامم . هذا
قد علم يقين هذه الامة وبذلهم أنفسهم في الحروب وطاعة الرسول صلى الله
عليه وسلم وحفظهم لكتاب الله فلهذا ونظائره كانوا يوفون سبعين أمة ثم خيرها
وأكرمها على الله تعالى وكل هذا انما هو بسبب كرامة نبينا على الله وجزيل فضله
عند الله وقربه من الله ولحمد الله على ما أنعم وفضل وكرم والله أعلم

فصل في

﴿ في بعض خصائص النبي الكريم والرسول السيد السند العظيم نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التي اختصه الحق بها جل شأنه
على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأشار الى اولها بقوله ﴾

﴿ وخصه بذلك كالتمام وبه لسائر الأنام ﴾

﴿ ومعجز القرآن والمعراج حقا بلامين ولا اعوجاج ﴾

﴿ وخصه ﴾ أي خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم دون
سائر الأنبياء ﴿ بذلك ﴾ أي بكونه ختم به النبوة والرسالة فلان نبى بعده لقوله تعالى
(وخاتم النبيين) بذلك يستلزم ختم المرسلين لان ختم الاعم يستلزم ختم الاخص
بلا عكس ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبدأ نبوة ولا
تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا
بنبوة الله فلا ينافي ذلك على ان عيسى عليه السلام اذا نزل انه بعد بشرية
نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة لانها منسوخة فلا تعبد الا بهذه
الشريعة أصلاً وفروعاً فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكماً من أحكام
ملكه بين أمة بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله وبظنه في كتاب الله الذي

هو القرآن وستة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقتصر عن رتبة الاجتهاد
 المؤدي الى استنباط ما يحتاج اليه أيام مكثه في الارض من الاحكام وكسر
 الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبيلها مما علم من شريعنا لا يقل هذا
 نسخ لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا محمد صلى
 الله عليه وسلم مغيب الى نزل عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال
 صلى الله عليه وسلم «نزل عيسى بن مريم حكما عدلا» فنزوله غاية لا قرار الكفار
 يذل تلك الاموال ثم لا يقبل الا الاسلام فلا نسخ لها وقد قدمنا ذلك قريبا
 (والثانية) ما أشار اليه بقوله (ك) ما خصه الله سبحانه وتعالى بالمقام
 المحمود وهو الشفاعة المعطى كما تقدم الكلام على ذلك وروى الترمذي باسناد
 صحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه قل يجمع الناس في صعيد واحد فأول
 مدعو محمد فيقول ليك وسعديك والخير في بديك والشر ليس اليك المهدية
 من هديت عبدك وابن عبدك وبك واليك ولا ملجأ ولا منجى منك الا اليك
 تباركت ولما لبث فهذا قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وصححه الحاكم
 قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر
 رضي الله عنهما الذي في صحيح البخاري ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيامة
 جثا كل أمة تتبع نبيا يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي
 الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعث الله مقاما محمودا وأخرج
 البخاري أيضا عنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 «ان الشمس تندوحى بانح العرق نصف الاذن فيعائم كذلك استعانوا بآدم فيقول
 لست بصاحب ذلك ثم يمومي فيقول كذلك ثم يحمده فيشفع فيقضي الله بين
 الخلق فيمشي حتى يأخذ بمخلة باب الجنة فومئذ يبعث الله مقاما محمودا يحمده
 أهل الجحيم كلهم وذلك لان ما رواه السائي من حديث حذيفة رضي الله عنه كان
 مقدمة الشفاعة قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وروى ابن أبي حاتم من
 طريق سعيد بن أبي هلال انه ما نه ان المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى ان
 النبي صلى الله عليه وسلم يكون يوم اقامة بين الجبار وبين جبريل فيقبضه لمقامه

ذلك أهل الجمع ورجاله ثقة لكنه مرسل قال الحافظ ابن حجر في شرح تفسير سورة الاسراء من صحيح البخاري وقيل لئلا يتراد بالمرسل المحمود أخذه بخلفه باب الجنة وقبل اعطائه لواء الحمد وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد وقبل شفاعته رابع أربعة انتهى ونقدم في الشفاعة ما فيه كفاية والله تعالى أعلم

﴿و﴾ الثالثة أنه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بـ ﴿بعثته﴾ نبيا ورسولا ﴿لسائر﴾ أي جميع ﴿الانام﴾ كصحاب الخلق من الانس والجن بالاجماع واختلف في ارساله الى الملائكة على قولين أحدهما أنه لم يكن مرسلا اليهم وبهذا جزم جمع محققون وهو ظاهر كلام علاننا قال ابن حنبل في نهاية المبتدين ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن كافة قال القاضي أبو بعلى وأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وأفضلهم نص عليه الامام أحمد انتهى ونقل الاجماع على ذلك غير واحد والقول الثاني بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة أيضا ورجحه الجلال السيوطي في الخصائص والسبكي قبله وزاد أنه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم ان قوله صلى الله عليه وسلم بعثت للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة ورجح هذا القول البارزي وزاد أنه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له أيضا بذلك قال الحافظ السيوطي وأزيد الى ذلك أنه مرسل الى نفسه ونقدم كلام صاحب الفروع وغيره في التنبيهات الملحقة تحت قوله

وكل انسان وكل جنة في دار نار أو نعيم جنة

فماودة فان قلت قد علم بيقيننا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع أهل الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عمومها أمر اتفاقي اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه في السفينة فالعموم صار ثانيا وبالعرض على أنه لم يبعث للجن والحاصل ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع ورسالته مطبقة لجميع الاكران ولا ينهات لزعم بعض ملجدي أهل الكتاب

من خصوص رساله لمرب لان هذا مكثيرة بامالة ومنه لئلا عاملة لوجهه ببنية
البرهان منه ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد أمرنا عليه في تحكيم القرآن
قل (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما أرسلناك الا كلمة لا اس) ثم مقالته
لاهل الكتاب وسبي ذرارهم باستباحة دماءهم وضرب الجز ياتعذيبهم أمر معلوم
بالتواتر والضرورة فالمنطق بهذا هذا والله تعالى الموفق

(و) (الرباعية المشار اليها بقوله وخضعه : (معجز القرآن) الذي اذعن لاجزائه
الثقلان وأحجم عن معارضته مصاقيع الانس والجان واعترف بالمعجز عن الانيان
بأقصر سورة من مثله أهل النصيحة وببلاغة من سائر الاديان كما تقدم الكلام
على ذلك مستوفيا في مبحث القرآن من الباب الاول فراجعه تظافرا بمقتضودك
والله أعلم

(الحامسة) من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما أشار اليها بقوله (ك) ما
اختصه الله سبحانه وتعالى : (المراج) الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى
مستوى سبع فيه صريف الاقلام فكان كتاب قوسين أو أدنى قال الواقدي
عن رجاله كان المسري والمراج في ليلة السبت سبع عشرة ليلة خلت من رمضان
في السنة الثمانية عشرة من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا وروى أبضا عن
أشياخ له قالوا اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع
الاول قبل الهجرة بسنة وادعى أبو محمد بن حزم فيه الاجماع وهذا قول ابن عباس
وعائنه رضي الله عنهم قل الحافظ ابن الجوزي في الوفي سمعت شيخنا أبا الفضل
يقول قال قوم كان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقال آخرون كان الاسراء قبل
الهجرة بثمانية أشهر وقال آخرون بسنة أشهر فن قال بسنة فيكون ذلك في ربيع
الاول ومن قال بثمانية أشهر فيكون ذلك في رجب ومن قال بسنة أشهر فيكون
ذلك في رمضان قال ابن الجوزي وقد قل أنه ليلة سبعة وعشرين من شهر
.وجب قلت واختر هذا القول الحافظ عبد القوي المقدسي الحنبلي وعليه عمل
الناس وكان المراج الى السماء بمجده الشريف وروحه المقدسة كلاسراء من
بمكة المشرقة الى المسجد الأقصى ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء حق

هذا (حنا) ثابتا وأجزم به جزما باتا (بلا مين) أي بلا امتراء ولا كذب ولا ريب يقال ما من بين كذب فهو مائن وميين (ولا اعرجاج) أي الاءوج اعرجاجا اذا كان غير مستقيما قل في النهاية قد تكررت ذكر الاءوج في الحديث اسما وفعل ومصدرا وفاعلا ومفعولا وهو بفتح العين المنبالة مختص بكل شخص مرئي كالاجسام وبالكسر فبا ليس مرئي كالرعي والقول وقيل الكسر فيه ما مما والاول أكثر ومنه الحديث حتى يقيم به الالة العرجاء يعني الالة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها

واعلم ان الاسرى لا خلاف فيه اذ هو نص القرآن العظيم على سبيل الاجال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله وشرح اعاجيبه فورد عن عدة من الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضي الله عنهم اجمعين وأما ليلة المعراج فختلف فيها فقبل ليلة الجمعة : وقبل السبت كما تقدم عن الواقدي وقال ابن دحية تسفر تلك الليلة عن يوم الاثنين ان شاء الله تعالى لتوافق المولد والمبعث والوفاة فانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ومث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين وقد أخرج الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه أن مالك بن صعصعة رضي الله عنه حدثه أنه رآه في حديث الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قول النبي ﷺ في الحطيم - وربما قل قتادة في الحجير - مضطجع اذ أتاني آت فجعل يقول صاحبه الاوسط بين الثلاثة قل فأتاني فقد وقال مرة فشق ما بين هذه الى هذه قال قتادة قتلت للجارود وهو الى جنبي ما بيني فقل من ثمرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصه الى شعرته قل فاستخرج قلبي فأتيت بطست من ذهب مملوءة ايماننا وحكمة فسل قلبي ثم حشي وفي لفظ فافرغه في صدره وملاه علما وحلما وقبنا واسلاما ثم أطبقه ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفرق الحمار أبيض قال قتال الجارود هو البراق يا أبا حمزة قل نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قل فحمت عليه ولما أراد صلى الله عليه وسلم العرج الى السماء بعد وصوله الى البيت المقدس وصلاته بالانبياء عليهم السلام أدنى بالمعراج التي تعرج عليهم ارواح الابقيا من نبي آدم فلم تر الحلائق أحسن

منه له مرقاة فضة ومرقاة من ذهب وهو من جنة الفردوس منفضدا لؤلؤ عن يمين
 ملائكة وعن يساره ملائكة فأرتقى عليه هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام .
 عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين المصخرة قال بعض أهل العلم انه
 يختلف انه عرج من ثم وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزي في الروي ان البراق رآه
 به أي النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ثم أتيت بداية دون النفل وفوق الخ
 يتم خلوه عند أقصى طرفه قل فخلت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي إلى
 الدنيا فاستفتح الحديث بطوله وهو في الصحيحين وغيرهما وقال بعضهم قد صح
 الأحاديث بأنه استمر على البراق إلى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فأرتقى فيه
 وطاهره أنه لم يركب البراق إلا من مكة إلى بيت المقدس وجمع بعضهم بأر
 الراوي اختصر فلم يذكر بيت المقدس وبعضهم أنه لما وصل في العروج إلى
 السماء الذي يركب البراق واخترق به السموات وما فرقها إلى ان وصل إلى سدر
 المنتهى ثم بعد سؤاله صلى الله عليه وسلم ربه ومراجعته له في التخفيف عن أمته
 حتى انتهى ذلك من الحمين إلى الحسن صلوات وسامع الداء من النبي الأعلى قد
 أمصبت فربضتي وثقت نبي وخففت عن عبادي من خمس صلوات كل يوم
 ولاية ومن خمسون في الآخر لان خمسة بشر أمثها وسمع قوله (ما يبدل القول
 لدي) ولا يسخ كتابي وكانت المراجعة ما بين الحق جل جلاله وبين الكليم علي
 أوصل الصلاة وأتم التسليم فإنه الذي حدث النبي الكريم على مراجعة الرب الرحيم
 سؤاله التخفيف عن هذا الخلق الضعيف ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في
 موسى عليه الصلاة والسلام ونعم الصاحب كان لكم أي معشر الأمة ثم قال له موسى
 عليه السلام اهبط باسم الله ولما دعا المصطفى من النبي الأعلى وحل في مستوى
 سمع فيه صريف الافلام وكلمة الجليل جل جلاله فقال له يا محمد قل ليك يا رب قال
 سل قال امك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيتك ملكا عظيما وكلمت موسى نكبا
 وأعابت داود ملكا عظيما وألت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان
 ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيتك ملكا
 لا يبغى لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وبعثت يهيا الأكم

والابرس و يحيى الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن
للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه وتعالى وقد اتخذتك حبيبا قال الراوي وهو
مكتوب في التوراة حبيب الله وأرسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك
صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا أذكرك إلا نذ كرمي وجعلت أمتك
خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون
وجعلت أمتك لا يتجاوز لهم خطية حتى يشهدوا الملك عبدي ورسولي وجعلت من أمتك
أقواما قلوبهم أناجيهم وجعلتك أول النبيين خلفا وآخرهم بمشا وأول من يقضى له وأعطيتك
سبعامن المثاني لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خوانيم سورة البقرة من كنز تحت العرش
لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسماء الاسلام والهجرة والجهاد
والصدقة والصلاة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأني يوم
خاتمت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة - كل هذا
الخطاب في حال قربه من رب العالمين ثم ان الله تعالى خفف عن عباده الفعل
من خمسين الى خمس وأتى لهم ثواب الخمسين تفضلا منه تعالى وتمكرا على نبيه
المصطفى وعلى أمته ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لما وصل الى مسطرة المنهى
غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى
وصل لمستوى سمع فيه صريف الاقلام فدنا من المظرة الآسية حتى كان
كقباب قوسين أو أدنى أي وأقرب أي بل أقرب من ذلك ثم انجلت عنه
السحابة فأخذ جبريل بيده فانصرف سريعا فرأى ابراهيم فلم يقل شيئا ثم أتى
على موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الصاحب كان لكم فقال ما صنعت
يا محمد ما فرض عليك ربك وعلى أمتك قال النبي صلى الله عليه وسلم فرض علي
وعلى أمتي خمسين صلاة كل يوم وليمة قل ارجع الى ربك فإله التخفيف لك
وعن أمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فأتى خذرت الناس قبلك وبلوت بني
اسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه فأمتك أضعف
أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا واسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل
فبشيره فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فرجع سريعا حتى انتهى الى الشجرة

ففيه السحابة وخر ساجدا وقال رب خفف عن أمي قلها أضعف الامم فوضعت عنكم خما وهكذا الى أن بقيت المجلس وعذا في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه والذي في المسند والصحيحين وغيرهما عن أنس عن مالك مضمونه رضي الله عنه أنه تعالى خط عنه عشرة ثم عاد فخط عنه عشرة ثم عاد فخط عنه عشرة وكذلك هو في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه وقال الألبان الحافظ ابن الحوزي في الوقت وهذا أصح لانفاق البخاري ومسلم عليه من حديث أنس عن مالك ومن حديث أنس نفسه أيضا وذكر المراجعة خمس مرات وقا عن رواية أنه خط خما خطا من الراوي انتهى وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري كون الخط كان خما خطا أصح ولعله قد حدثت رواية ثابت ان التخفيف كان خما خماسي زيادة معتدة يتعين حمل باقي الروايات عليها انتهى فله ولما قبلته وحده من أمور أحدها ان كون التخفيف عشرة عشرة أليق بك الكريم الثاني انفاق الصحيحين عليه من حديث أنس ومن حديث مالك مضمونه وأما كونه خما خطا من أفراد مسلم وما انفق عليه الصحيحان أصح اثنان كونه عشرة عشرة أقل مراجعة الرابع ان حديث أنس من كونه كان خما صادق بأن الخط في الخامسة خمس فيصدق عليه بأن الخط كان خما في الجمل والحاصل ان كون الخط كان عشرة عشرة أصح وبالله التوفيق

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) تقدم الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لدى الم والمجبروت والانعام واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ذلك ومما ينبغي العلم ان الخلاف المذكور اما هو في وقوعها لاني أمكنها وجوازها اذ هي جائزة وقلا أما المتل فواضح وأما القتل فذا كان كلام الرحمن ان يسأل المستحيل مما لا يقدر من عرف مصعب البيرة ففصل عن الرسول فضلا عن أحد أولي الأمر من الرسل ليت شعري من حبل الواجب والجائز والمستحيل على الله تعالى ما هذا مما لا يتصوره مؤمن بالله ورسوله يرى الحق ويتبعه أبدا ثم ان رؤية الباري جل شأنه واقعة للمؤمنين في الآخرة قطعا كما مر وأما من ادعاها في الدنيا بقه

لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف فهو ضال بل قال الكواشي في تفسيره في سورة النجم ومعتقد رؤية الله تعالى هنا يعني في الدنيا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم فرنديق فلو قال اني أرى الله عيانا في الدنيا ويكلمني شفاهها كفر انتهى ونقل عن المهدي المقتس أنه كفر مدعي الرؤية هنا وقد نقل جماعة الإجماع على أنها لا تحصل للأولياء في الدنيا قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة أنه لا يصدق مدعي الرؤية في الدنيا بقظة فإن شيثا منع منه موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام واختلف في حصوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لم يحصل لمقامها مما لا يتوقف فيه أنه لا يحصل لأحد الناس وقد اختلف في رؤية الله تعالى مناما والحق جوازها وبالله التوفيق

(الثاني) اختلف في المراد من قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أسية حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال أبو عبيدة قاب قوسين أي دار قوسين أو أدنى أو أقرب والقاب ما بين القبضة والسية من القوس قال الواحدي هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التي يرمي بها قال وقبل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشيء قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح فقد أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعين (١) ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التي يرمي بها لم يمثل بذلك ليجتاح إلى التثنية فكان يقال مثلا قاب رمح أو نحو ذلك وقد قيل أنه على القلب والمراد فكان قابي قوسين (٢) لأن القاب ما بين المقبض إلى السية فكل قوس قابان بالنسبة إلى حالته وقوامه أو أدنى أي أقرب قال الزجاج خاطب الله العرب بما الفوا والمعنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لا يتردد عنده وقيل أو بمعنى بل وتقدير بل هو أقرب من القدر المذكور وسية القوس هي الفرضة التي يوضع فيها الوتر والمراد به جبريل عليه السلام قال الحافظ ابن كثير هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضي الله عنهم وقد روى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها (ثم ذني فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)

(١) كذا في الاصل والظاهر الرفع (٢) كذا في الاصل والصواب قابي قوس

قالت ذاك جبريل قال المحقق ابن القيم لان جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول
 السورة الى قوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) هكذا فسرہ النبی صلی اللہ
 علیہ وسلم فی الحديث الصحيح لماثثة قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله
 صلی الله علیہ وسلم عن هذه الآية فقال ذلك جبريل لم أراه فی صورته التي خلق
 علیها الامرئين رواه مسلم قال ولفظ القرآن لا يدل علی غیر ذلك ثم ساق سبعة
 وجوه دالة علی ذلك قال واماما وقع فی البخاري من رواية شريك عن أنس وذن
 الجبار رب العزة قدلی حتی كان منه قاب قوسين أو أدنى فقد تكلم الناس فیہ
 وقالوا ان شريكاً غلط فیہ وذكركیہ أموراً منكراً لكن قال المحقق ان الدنو والتدلي
 الذي فی حديث شريك غیر هذا وحزم ابن كثير بان الدنو والتدلي فی حديث
 شريك غیر الذي فی الآية ولذا قال الرازي فی تفسيره فكان قاب قوسين أي فكان
 بين جبريل ومحمد صلی الله علیہ وسلم مقدار قوسين أو أقل وهذا علی استعمال العرب
 وعادتهم فان الاميرين منهم أو الكبارين اذا اصطالحا وتماقداً أخرجا بقوسيهما
 فجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه
 يكف صاحبه فيمدان باعيهما كذلك فسمي مبائة انتهى وقوله أو أدنى قال المحقق
 ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة فانها لا تزيد علی قوسين
 البتة كما قال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) تحقيقاً لهذا العدد وأنهم
 لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحداً ونظيره قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
 فهي كالحجارة أو أشد قسوة) أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد
 علی قسوة الحجارة لم تكن دونها قال وهذا المعنى أحسن والطف وأدق من قول
 من جعل أوفي هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الرازي
 ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمل انتهى

(الثالث سدرة المنتهى) السدر شجر النبق واحده سدرة وانما قيل لها سدرة

المنتهى لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليها ينتهى ما يرج من
 الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل غير ذلك قال
 ابن دحية واحتبرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم

لذبذ ورأى هذه ذكوة فكانت بمنزلة الابيان الذي بجميع القول والعمل والنية وقد وقع عند مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان السدرۃ في السماء السادسة وظاهر حديث أنس رضي الله عنه انها في السابعة قال القرطبي وهو تعارض لاشك فيه وحديث أنس قول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفاً بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب وبنرجح حديث أنس أيضاً بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر كذا قال يعني القرطبي ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض انها في السماء السادسة مادلت عليه الأخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان أصلها في السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الاصل سابقا قال ابن حجر والظاهر ان سدرۃ المنتهى مغروسة بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه الا على ما يفهم والباطن لا بد ان يكون سر يانه نحت شيء وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن وقال القاضي عياض دل الحديث على أن أصل شجرة المنتهى في الأرض لكونه قال ان النبل والفرات يجريان من أصلها وهما بالمشاهدة يجريان من الأرض فليزم منه ان يكون أصل السدرۃ في الأرض وتعقبه النووي بأن المراد بكونها يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض والحاصل أن أصلها من الجنة وهما يخرجان أولاً من أصل السدرۃ ثم يسيران الى أن يستقرا في الأرض ثم يتبعان وفي أصل القصة فاذا في أصلها أو بعبارة أخرى نهران باطنان ونهران ظاهران وقال جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فهريان في الجنة واما الظاهران فالنبل والفرات قال ابن أبي جرة هذا يدل على ان النبل والفرات ليسا من الجنة وسدرۃ المنتهى ليست في الجنة حتى يقال انها يخرجان منها بعد تبعهما من السدرۃ وهذا معارض لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً سبعان وجيحان والفرات والنبل كل من انهار الجنة والجحيم بينهما والله أعلم ان الفرات والنبل منبعهما من السدرۃ واذا أنزل الى الأرض يسلكان أولاً على الجنة فبدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الأرض انتهى قلت اذا قلنا سدرۃ المنتهى في السابعة تعين انها في الجنة لان الجنة ليس سقفها سوى عرش الرحمن والله أعلم

(الرابع) المستوى الذي سمع فيه صلى الله عليه وسلم صريف الاقلام هو المسموع وقبل المكان المستوي وصريف الاقلام بفتح الصاد المبهمة وكسر الراء وبالقائه هو صوت حركة الاقلام وهو جرياتها على المكتوب فيه من الاقضية الانسية والوحي وما يسخونه من الالوح المحفوظ أو ما شاء الله من ذلك ان يكتب ويرفع لما أرادته تعالى من أوامره وتدبيره وفيه حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمنادير في كتب الله من الالوح المحفوظ بالاقلام الذي هو تعالى يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة فكل ما جاء من ذلك فهو حق يقي على طاهره نعم كيفية ذلك وصورته وجنب مما لا يله الا الله تعالى ومن أطلعه الله تعالى على شيء من ذلك من الملائكة والرسل وما يتأول هذا أو يحمله الاصباف الايمان اذ جاءت به الشريعة والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو الغني الحميد والله تعالى أعلم

(الخامس) الصحيح المسموع ان الاسراء والمراجع كانا في ليلة واحدة هذا الذي اعتمدته أكثر أهل العلم وقيل كان الاسراء وحده في ليلة ثم كانت هو والمراجع في ليلة أخرى والاول هو الذي ذهب اليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والشكائين وانهما كانا يقضيان بالروح والجسد جميعا لاني التام من مكة الى المسجد الأقصى الذي هو في بيت المقدس الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله العلي الاعلا قال أهل الحق وهذا هو الحق من غير انراء وعليه يدل القرآن بصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاض استفاضة تكاد تبلغ التواتر أو بلغت ولا يعادل عن الطاهر في الأخبار الواردة في ذلك ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الاذهان من ألقاها الى التأويل الا عند الاستحالة وتعدر حمل اللفظ على حقيقته وليس ثم استحالة تؤذن بالتأويل فلا جرم وجب اعتقاده على طاهره مع تفويض علم مابق الى الحق والله التوفيق

(السادس) رعم بعض الصوابة ان المراجع وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة وقال بعضهم أربعة وثلاثين مرة واحدة منها بحجسه الشريف والباقي بروحه ورد المحقق تعدد ذلك مع مدد فرض الصلاة والمراجعة في الخط والتحفيف قال

الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وما أظن أحدا ممن قال بالتعدد يلتزم إعادة مثل ذلك والله تعالى أعلم

﴿ فكم حباه ربه وفضله وخصه سبحانه وخوله ﴾

﴿ فكم حباه ربه ﴾ سبحانه وتعالى بمكرمة ﴿ و ﴾ كم ﴿ فضله ﴾ على غيره بمزية من المزايا التي لا تخصى والمكرمات التي لا تستقصى فان كم هذه خبرية بمعنى كثير فهي نفيد كثرة ما حباه ربه به من المكرمات والمزايا والحباء بمعنى الاعطاء يقال حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا من أوعام والاسم الحباب ككتاب كما في القاموس ﴿ و ﴾ كم ﴿ خصه ﴾ الله ﴿ سبحانه ﴾ وتعالى بخصوصية يقال خصه خصا وخصوصا وخصوصية ويدتح وخصبص ويمد وخصه وتخصه فضله والخاص والخاصة ضد العامة ﴿ وخوله ﴾ بمعنى أعطاه قال في القاموس خوله الله المال أعطاه اياه مفضلا والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا جليلة غير ما ذكرنا حتى ان ابن سعد ذكر في كتابه شرف المصطفى أوصل الخصائص التي اختص الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بها عن سائر الانبياء والمرسلين الى سببين وبعض متأخري الحفاظ أوصلها الى ثلاث مائة وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها غير انه لم يتعرض في النظم الالبعض المهم منها على انها افردت بالتأليف فلا حاجة الى تعدادها هنا

فصل

﴿ في النبيه على بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة جدا ﴾

وتعريف المعجزة هي اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة وفي القاموس معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة انتهى وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين المعجزة هي ما خرق العادة من قول أو فعل اذا وافق دعوى الرسالة وفارمها وطابقتها على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر أحد عاينها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها وقال الفخر الرازي المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال العلامة التفقازاني انما قال أمر ليتناول الفعل

كانتجار الماء من بين أصابع الهي صلى الله عليه وسلم وبتناول عدمه أي عدم العمل كعدم أحراق البار ابراهيم عليه السلام واحترزوا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء والعلامات الالهائية التي تتقدم البعثة النبوية وعن ان يستدل الكاذب معجزة من مفضي من الانبياء أو ما تقدم له في السنين الماضية حجة لنفسه وبقيد عدم المعارضة عن السحر والتمنعة وقول ابن حمدان وطابقها لمخرج ما اذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فطلق بأنه كذاب منفر وكما تفل مسيلة في بئر مار ماؤها ومسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك اذا عرفت هذا فقد أشار الى التنبيه على ان معجزات نبيا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شبيهة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله

﴿ومعجزات خاتم الانبياء كثيرة تجعل عن احصائي﴾

﴿ومعجزات﴾ جمع معجزة وتقدم تعريفها آنفا ﴿خاتم الانبياء﴾ يعني نبيا محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء جمع نبي وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿كثيرة﴾ جدا ﴿تجعل﴾ أي تعظم وتكبر ﴿عن احصائي﴾ أي عن عدي وحفظي لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التي ماسقت لمنه من الانبياء ولم يبلغ أحد من الانبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبيا صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد الشرف والتكريم وشدة الاعناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته وأيضا لما كان نبيا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع أجمعين ناسب كثرة المعجزات وترادف الآيات والنباتات والمعجزات الباهرات قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه سيفه كتابه الجواب الصحيح الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبيا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الانبياء قال ويسمى بالظواهر معجزات ونسب دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك قال وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت أدل على المفصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب ولا في السنة وإنما فيه لفظ الآية والنبوة والبرهان وأهل الكلام لا يسمي

معجزا الا ما كان للانبياء فقط وامام ما ثبت للاولياء من خرق عادة يسمونها كرامة قال والسلف كالامام أحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الانبياء بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه ورعا سوا الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي فان الدليل يستلزم المدلول فيمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع ان يكون لغير النبي وقد يقال انهم سموها معجزات لان كرامات الاولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه اولاً لها تعجز غيرهم وهي آية على صحة طريقتهم انتهى قال بعض العلماء معجزات نبينا كثيرة لا تنحصر وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اعطي ثلاثة آلاف معجزة يعني غير القرآن فان فيه ستين اوسبعين ألف معجزة تقريبا ولهذا قال

﴿ منها كلام الله معجز الوري كذا انشقاق البدر في غير امتر ﴾

﴿ منها ﴾ أي من معجزات نبينا خاتم النبيين والمرسلين بل أعظمها وأجلها ﴿ كلام الله ﴾ المنزل على النبي المرسل ﴿ معجز الوري ﴾ كفى الخلق جميعهم انفسهم وجنهم وأولهم وآخرهم فهو معجز بنفسه ليس في وسع البشر الايمان بسورة من مثله كما تقدم ذلك موضعا و ﴿ كذا ﴾ من غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴿ انشقاق البدر ﴾ أي القمر قال في القاموس والبدر القمر الممتلئ انتهى وهو أحد الكواكب السيارة التي هي الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري وزحل فانشقاق القمر نصفين ثابت ﴿ من غير امتر ﴾ أي من غير شك ولا جدل مأخوذ من المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مارة ومراء وامترى فيه وتمارى شك كما في القاموس وفي النهاية المراء الجدال والتماري والمارة المجادلة على مذهب الشك والريبة انتهى وانما قال من غير امتر لثبوت ذلك وظهوره لكل أحد ظهورا تاما وثبوتا جازما وقصة ذلك كافي للصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق

القمر مرتين وفي حديث ابن مسعود عند البخاري وسلم وغيرها قال انشق القمر
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع
 المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر
 فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم فسأل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ان يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله
 صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة وقال مجاهد
 انشق القمر فبقت فرقة من وراء الجبل وقال ابن زيد لما انشق القمر كان يرى بجبل
 قمية مان الصمم وأبي قبيس الصنف الآخر قال في النهاية قميعةان جبل بمكة قيل سمي
 بذلك لان حرهما لما نجا برا كثرت قميعة السلاح هناك وجبل أبي قبيس مشهور
 معلوم بمكة وروى الامام أحمد من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق
 القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة
 على هذا الجبل فمالوا سحرنا محمد وقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس
 كما هم فاسألوا السفار فان شهدوا بما أبصروا فهو حق وليس هو سحرا فاسألوا من كان
 مسافرا عن مكة من أهلها ومن غيرهم فاخبروهم انهم رأوا ذلك فنادوا في كفرهم
 وعذوبهم ولم يؤمنوا وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هذا سحر سحركم ابن أبي كبشة
 فاسألوا السفار يقدمون عليكم فان كان مثل ما وأبتم فقد صدق والا فهو سحر فقدم
 السفار فاسألوهم فقالوا نعم قد رأينا قد انشق القمر وأخرج أبو داود عن ابن عمر
 رضي الله عنهما في قوله تعالى (اقترت الساعة وانشق القمر) قال انشق القمر على
 عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن
 العظيم وبالسنة الصحيحة الصحيحة عن الرسول الكريم وقد بلغت الاحاديث بذلك
 ملح التواتر وأجمع على ذلك أهل الحق وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص
 نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي اختص بها عن سائر النبيين والمرسلين صلوات
 الله وسلامه عليهم أجمعين فلم يشركه في ذلك غيره ولم يقع لاحد سواه وهو

من أمهات معجزاته التي لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدلها آية من آيات الانبياء عليهم السلام لظهور ذلك في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فهو آية ومعجزة جسيمة ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليهما من المعجزات لأن فيها كفاية عما سواهما والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنجس ودلائل نبوته لا تستقصى

﴿ تبيينات ﴾

(الاول) قد روي انشقاق القمر عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم رضي الله عنهم

(الثاني) الثابت من قصة انشقاق القمر ما ذكرناه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وأما ما قيل أن القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كفه فلا أصل له

(الثالث) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح آياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع (منها) ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسه السماء بالشهب الحراسه الثامه ومعراجة الى السماء قال وأما جعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه أقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون اجزاء الفلك لانه جسم مستدير فيظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورا لا يندارى فيه واذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك قال وفيه حكمتان عظيمتان احدهما كونه من آيات النبوة والثانية أن فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل واضح على ما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من انشقاق السموات خلافا للفلاسفة في زعمهم أن الفلك لا يقبل الحرق والالتئام والله أعلم (ومنها) ما هو في الجو كاستسقاءه واستصحائه صلى الله عليه وسلم وطاعة السحاب في حصولة وذهابه (ومنها) تصرفه في الحيوانات الانس والجن والبهائم (ومنها) تصرفه في الاشجار والحشب والاحجار (ومنها) تأييده ملائكة السماء (ومنها) كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس (ومنها) اجابة دعائه

صلى الله عليه وسلم (ومنها) اعلامه بالمعيات الماضية والمستقبلية (ومنها) تأثيره في تكثير الماء والشراب والطعام والثمار وغير ذلك من دلائل نبوته واعلام رسالته ومعجزاته الطاهرة وآياته الباهرة

(الرابع) أن نفس صورة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة الباهرة وهبت وطلعت الظاهرة وسنته ودله بدل الغلاء على صدقه ولهذا قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك في نبوته قال الحافظ ابن الجوزي وغيره من الحفاظ وثبت في عدة أخبار أنه صلى الله عليه وسلم كان في صغره يبرف بالامانة والصدق وجميل الاخلاق وقد قال هرقل في حديث أبي سفيان ما كان لترك الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الجواب الصحيح قال نفلوه في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) هو مثل ضميره الله تعالى لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لو لم تكن فيه آيات مينة كانت يدهته تأنيك بالهجر
وذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء وذكر من هذا القبيل طرفا صالحا
وبالله التوفيق

* (فصل) *

في ذكر فضيلة نبينا وأولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿وأفضل العالم من غير امترا نبينا المبعوث في أم القرى﴾

﴿وأفضل العالم﴾ العلوي والسفلي من ملك وبشر وجن في الدنيا والآخرة في سائر خلل الخبر وخصال الكمال ونعوت الكارم والجمال ﴿من غير امترا﴾ أي من غير شك ولا ريب قال في القاموس العالم الخالق كله أو ما حواه بطن التلك

(نبينا) خبر المبتدا الذي هو أفضل العالم محمد (المبعوث) رسولا لكافة الناس بل للثقلين الانس والجن قيل والملائكة وتقدم ذلك (في أم القرى) مكة المشرقة وبكة المعظمة قال تعالى (لتندرام القرى) يعني مكة قال الحافظ الجوزي في كتابه مثير القرام الساكن الى أشرف الاماكن (في تسميتها بذلك أربعة أقوال) (أحدها) لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن قتيبة لانها أقدمها (الثاني) لانها قبله يومها جميع الناس (الثالث) لانها أعظم اقمرى شأنا (الرابع) لان فيها بيت الله عز وجل ولما اطردت العادة بان بلد الملك وبيته هو المتقدم على الاماكن سمي أمّا لان الأم متقدمة وانما كان أفضل خلق الله تعالى لان الله تعالى أيدته بأبهر المعجزات وأظهر الدلالات وأشهر المكرمات فمعجزاته أشهر المعجزات وأبهرها وأتمته أزكى الامم وأطهرها وشريعته أتم الشرائع وأشهرها وصفاته أكمل الصفات وأشرفها وأخلاقه أحسن الاخلاق وأعرفها وأوسعها وشيمه أعلا الشيم وأنفعها

ومن أعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ان الله سبحانه وتعالى اقسم بحياته وفي شرعه انما تعتقد الايمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا بدون ذلك قال الامام الحافظ بن الجوزي في الوفاء اقسم الحق عز وجل بحياته وانما يقع القسم بالمعظم وبالحبيب قال تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) وأخرج الترمذي وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال «ما خلق الله وما ذرأ نفسا هي أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت أقسم بحياته أحد غيره فقال (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال الامام ابن عقيل رحمه الله تعالى وأعظم من قوله تعالى لموسى (واصطنعتك لنفسى) قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وبيان ذلك انه جعل الام في قوله واصطنعتك انفسى التي هي للملك أو الاختصاص بينه وبينه ولم يجعل بينه تعالى وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة بل قال (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله تعالى (لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) المعنى اقسم بك لا بالبلد فان أقسمت بالبلد فلانك فيه ثم قال ابن عقيل: يا موسى اخلع نفايك

ولا تنجي . الا ماشاء ، يا محمد اركب البراق ولا تنجي . الا راكبا : وأخرج الطبراني وصححه وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا أنا في جبريل فقال بقول لك ولك أنتدري كيف رفعت لك ذكرك قال الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي ، وأخرجه الشافعي وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من طريق مجاهد قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الاذان والاقامة والشهد والخطبة على المنابر قال ولوان عبدا عبدا لله وصدقه في كل شي . ولم يشهدان محمد رسول الله لم ينفع بشي . وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا ماص صلاة ولا أذان الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأشهدان محمد رسول الله وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أغر عليه للبوة خانم من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الآله اسم النبي الى اسمه اذا قال في المحس الماؤذن أشهد
وشق له من اسمه لجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزاياء على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه تعالى دعاهم بأسمائهم { يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة - واذا ذكر في الكتاب ادريس - يانوح اهبط بسلام منا - يا ابراهيم اعرض عن هذا - يا موسى اني اصطفيتك - يا داود انا جعلناك خليفة - يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي - بارك يا انا نبشرك - يا يحيى خذ الكتاب) ودعاني محمد صلى الله عليه وسلم بالنظيم والتعظيم فقال (يا أيها النبي - يا أيها الرسول) ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل - محمد رسول الله والذين معه - وآمنوا بما نزل على محمد - ما كان محمدا ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) ولما ذكر الحليل وسبنا رسول الله ذكر الحليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) وقال ابن الحوزي رحمه الله تعالى وكان الانبياء عليهم السلام يحادلون أنفسهم عن أنفسهم كقول قوم نوح (انا انراك في ضلالة) فقال دافعا عن نفسه (ليس بي ضلالة - وقال قوم هود انا انراك في سفاهة فقال ليس بي سفاهة - وقال فرعون اني لا أطعك يا موسى مسحورا - فقال موسى - اني لا أطعك يا فرعون مشهورا أي معصوما

عن الحق مطبوعا على قلبك واما نبينا صلى الله عليه وسلم فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالوا هذا شاعر قال قال تعالى (وما علمناه الشعر) ولما قالوا كاهن قال تعالى (وما هو بقول كاهن) وقالوا ضل فقال (ما ضل صاحبكم وما غوى) وقالوا يمجنون فقال (ما أنتم بتعمة ربك يمجنون) حتى قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال الواحدى أعلمهم الله فضل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البرية في مخاطبة وأمرهم أن يفتخروه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعون بعضهم بعضا بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله في لبن وتواضع وخفض وذكر ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الآية قال كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله تعالى عن ذلك اعظاما لنبية فقالوا يا نبي الله يا رسول الله وحكى عن الحسن نحوه رواه أبو نعيم وهذا بخلاف الأمم السالفة فانهم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم

وفضائلهم ومزاياه صلى الله عليه وسلم كثرة شهيرة فهو أفضل خلق الله تعالى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «أناس يد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» وفي الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أسوا، ولوا الحمد يدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» قال ابن النباري أراد لا أنبجح بهذه الاوصاف لكن أقولها شكرا ومنها على انعام ربي علي وفي حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما سمعه الا ان يتبعني» فان قبل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم وقال لا تخبروني على موسى وقال لا تفاضلوا بين الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى فالجواب انه صلى الله عليه وسلم اما ان يكون قال ذلك قبل ان يعلمه الله تعالى انه سيد الاولين والاخرين فلما أعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك أخبر به واما أنه قال ذلك تواضعا وتادبا واحتراما لخلق

إبراهيم عليه السلام وأما أنه أراد رتبة عمر إبراهيم وأن البهي إنما هو من
تغيبيل يؤدي إلى تنقيص الفضول يؤدي إلى الحصرمة والفتنة كما هو المشهور
في سبب ورود تلك الأحاديث أولان الهوى عن التفضيل في البرة نفسها وذلك
قد لا يتصور فيها بل في خصائصها وتوابعها والحق أنه ورد النص بتفضيل بعض
الرسل على بعض فقد قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والحاصل
أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الأنبياء والرسل
مع مراعاته لهم مراتبهم الباذخة وحللة ماصبهم الشامخة ثم أعلمه الله تعالى بأنه
سيد الأولين والآخرين وأفضل جميع الأنبياء والمرسلين وأمر بتبليغ ذلك قبله
كما أمر لأن اعتقاد ذلك حق لازم وفرض جائز مع مجانية التفضيل المؤدي إلى
تنقص الفضول ومراعاة علونك المراتب التي لا تندرك حكمة حقائقها أكثر
العقول فالنبي المصطفى أفضل الخلق جميعا بلا خفاء صلى الله عليه وسلم وعلى سائر
الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

وبنده الأفضل أهل العزم فالرسل ثم الأنبياء بالجزم ﴿

(وبنده) أي بعد النبي صلى الله عليه وسلم (الأفضل) من سائر الخلق
(أهل العزم) أي أهل الثبات والجد من الرسل وهم على المشهور إبراهيم الخليل
وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح النبي فيكونون خمسة بيننا محمد صلى الله عليه وسلم
وهم المذكورون في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) ومن نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى بن مريم) فانهم أصحاب الشرائع وقدم نينا صلى الله عليه وسلم ثم طهارة
وتكرما لشأنه وهو لاء الذين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقر بها وصبروا
على تحمل المشاق من قهرهم ومعاداة اللغاب فيها وقيل إنما كانوا هم أولي العزم
أصبرهم على البلاء من الله تعالى فذبح صبر على أذى قومه فانهم كانوا يضر بزه
حتى يشي عليه وإبراهيم صبر على النار وذبح ولده وقد قيل كل الرسل من أولي
العزم فمن التنبيه لا التبعض وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
(فصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) ذور الحرم وقال الضحاك ذور الجد والصبر
قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم

ورأي وكال عقل وإنما ادخلت من للتجنيس لا للتبعض كما يقال اشترت أ كسية
من الخز وأردبه من البر وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس عليه السلام
لعجلة كانت منه الانرى انه قبل لاجي صلى الله عليه وسلم (ولا تكن كصاحب الحوت)
وقال قوم أولوا العزم نبياء الرسل المذكورن في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله
نعالى بعد ذكركم (أولئك الذين هدى الله فبهم افسده) وقال ابن عباس رضي
الله عنهما وفنادة نوح وابراهيم الخ وهو المشهور كما قدمنا آتفا وأخرج البغوي في
تفسيره وأبو الشيخ ابن حبان عن مسروق قال قالت لي عائشة رضي الله عنها
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «باعائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد
باعائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهاها والصبر على محبوبها
فلم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وأناي
والله لا بد لي من طاعته والله لا صبرن كما صبروا واجهدن ولا قوة الا بالله»

وقد اختلف العلماء في من يلي النبي صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم والمشهور
واختاره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري انه ابراهيم خليل الرحمن لما ورد ان ابراهيم
عليه السلام خبر البرية خض منه محمد صلى الله عليه وسلم باجماع فيكون أفضل من
موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم أفضل من سائر الأنبياء
والمرسلين قال الحافظ ابن حجر ولم أقف على نقل أيهم أفضل والذي ينقدح في
النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام قال بعض العلماء لعل
تقديم موسى عليه السلام لانه كلمة الله ثم عيسى عليه السلام لانه كلمة الله وقال
بعض المحققين الواجب اعتقاده أفضلية الافضل على طبق ما ورد الحكم به
تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي ثم ان تعين لنا نص من الشارع على الوجه
الذي جعله سببا لافضليته فلنا به والا أمسكنا عنه لان التفضيل راجع لاخبار
الباري سبحانه وتعالى لالعله موجبة وجدت في الفاضل وفقدت من المفضول والله
نعالى ان بفضل من عبده من يشاء بما يشاء على من يشاء منهم وان كان كل واحد
منهم كاملا في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي تليق به من غير ان يحمله على ذلك
وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له سبحانه بحق ربوبية وسيادته ولا شك أن الافاضل

لا يجب ان يفضل بما لم يجعله الله سببا لتفضيله وأن المفضل لا يجب ان يجعل مفضولا
 لسب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضوليته وأن الله تعالى لا يجب ان يفاضل أحد بين
 احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتعين أن الصواب ما أشير اليه من الوقوف على
 المنقول بالنص القرآني والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه
 تفصيلا واجالا وبالله التوفيق ثم بعد أدلي العزم ﴿ ف ﴾ الواجب اعتقاده ان يليهم
 في الافضية سائر ﴿ الرسل ﴾ المكرمين بالرسالة فهم أفضل من الانبياء عليهم السلام
 غير الرسل وبه يعلم ان الرسالة أفضل من النبوة ولو في شخص واحد خلافا للزم
 ابن عبد السلام في قوله أن نبوة النبي أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى اذ
 هي الإبحاء بما يتعلق بالباري جل شأنه من غير ارتباط له بالخلق أما مع تعدد المحل
 فلا خلاف في أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على أن
 الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقا والله تعالى أعلم ﴿ ثم ﴾ الافضل بعد الرسل
 الكرام ﴿ الانبياء ﴾ عليهم أفضل الصلاة والسلام وهم متفارقون في الفضيلة فبعضهم
 أفضل من بعض كما قال تعالى (نلك الرسل فضلا بعضهم على بعض) فهذا واجب
 الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظني صحيح واجالا
 فيما علم منهم وعلم حكمه اجالا ولهذا قال ﴿ بالجزم ﴾ السديد والقطع المفيد للحكم
 المذكور من غير شك ولا تردد حسبا تقدم على النهج السديد الا قوم وعلم بما ذكر
 ولا سيما من قوله بالجزم ردرعهم من زعم ان الولي قد يبلغ درجة النبي كما يحكى عن الكرامة
 بل زعم بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة قالوا لانها تنبي عن القرب
 والكرامة كما هو شأن خواص الملك والمقرين منه والنبوة عن الانباء والتبليغ كما هو
 حال من أرسله الملك الى الرعايا لتبليغ الاحكام قالوا الا ان الولي لا يبلغ درجة
 النبي بخلاف العكس لان نبوة النبي لا تكون بدون الولاية وقد شنع شيخ الاسلام
 ابن نيمية على من يرمع ذلك في محلات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام
 او اليهود والصارى وقال في جواب المسائل الاسكتدرية بعد ما ذكر شنيع مقالهم
 وزيف ترهاتهم ولهذا يقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة
 وينشدون

مقام النبوة في برزخ فو بقى الرسول ودون الولي

وبقولون ان ولاية النبي أعظم من نبوته ونبرته أعظم من رسالته ثم قديدي أحدكم
أن ولايته وولاية سائر الاولياء نابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الانبياء والرسل
من حيث ولايتهم هي ٧ أعظم عندهم من نبوتهم ورسالتهم وإنما يستفيدون العلم بالله
الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء وشبهتهم في أصل ذلك
ان قالوا الولي يأخذ عن الله بغير واسطة والنبي والرسول يأخذ بواسطة ولهذا جعلوا
ما باقى في نفوسهم ويحملونه من باب مشاطبات الالهية والمكاشفات الربانية أعظم
من تكليم موسى بن عمران عليه السلام قال وهي في الحقيقة لمحات شيطانية ووساوس
فسانية (وإن الشياطين ليوسون الى أوليائهم) ولو هدوا لهدوا أن أفضل ما عند الولي
ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه وأن أفضل الاولياء الصديقه وأفضاهم
أبو بكر رضي الله عنه وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «قرآن قبلكم في الامم محدثون فإن
يكن في امتي أحد فعمر» وفي الترمذي «لولم أبعث فيكم لبث فيكم عمر» وقال «إن
الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه» ومع هذا فالصدق الذي تلقى من مشكاة
النبوة معلنا أفضل لان مأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس معصوما بل يقع
له الصواب والخطأ ولهذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة وقال أبو مجلز في
قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) قال ان يسأل منازل
الانبياء ثم تكلم على زعمهم مازعموا في خاتم الاولياء وأن هذه كلمة لا حقيقة لانها
ومزيفها وإنما تكلم أبو عبد الله الخشكيم الترمذي بشيء من ذلك غلطا
لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخره ومن يتقن يكون وليس
ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سائيتهم وأقر بهم الى الرسول
صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما كما يأتي اذا الاولياء يستفيدون
من الانبياء كما يأتي وقدرهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فإن الله تعالى
أرسله بالرسالة لم يشله على غيره فقياس مسمى أحمد فلا يقبل على الآخر في وجوب
كونه أفضل من أفسد القياس وقال شيخ الاسلام روح الله روحه في مكان آخر

في التكبيت على من جعل ختم الاولياء اصل من الرسل والانبياء وزعم هؤلاء أن الرسل جميعهم ولا نبياء يستفيدون سلم المعرفة بالله تعالى من مشكاة الذي جعله خاتم الاولياء وجهه اصل من خاتم الرسل من حجة الحقيقة والعلم به وأنه يأخذ عن الاصل من حيث أخذ انك الذي روي الى خاتم الرسل فدخل خاتم الرسل انما سيدق الشفاعة فيباده في هذا المقام الخاص لاسي العموم قال هؤلاء وليس هذا انما الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه أحد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعني نوة التشريع ورسالة ينقطعان والولاية لا تطلع أدا فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه يعني من الحقيقة والعلم بالله ومعرفة الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يندح في مقامه ولا ياتى ما ذهب اليه هؤلاء في ما يرونه قولا فاه من وجه يكون أنزل كما انه من وجه يكون أسلا و ذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الزهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وما قسم عليها ماقشة تامة ولا ينبغي على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحابة فالاولياء وان دخل بعضهم في بعض في الجملة والله تعالى الموفق

فصل في

فيما يجب للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم
قد تقدم في أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من المذكورة والحرية والقوة على اعباء ما حملوه ونحو ذلك وقد كرهه ما يجب عقده في حقهم

و ان كل واحد منهم سلم من كل نقص ومن كفر عصم
كذلك من افك ومن خياه لوصية لهم بالصدق والامانة
(و) هو ان يعرف كل مسلم (ان كل واحد منهم) أي من الانبياء الكرام والرسل

العظام ﴿سأ﴾ وتنزله ﴿من كل ما﴾ زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيدهم على ما منه
 وزهوا عنه ﴿نقص﴾ يؤدني الى زالة المشعة واستقاط المروءة وانقضت بفانها الا زرا
 والحسة كسرة لذة وتعطيف بحجة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدني الى
 الازراء والدناءة لان الله تعالى يقول ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ وقال
 ﴿فل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ومن المعلوم عموم ذلك وليس في شيء
 من فعل ما يزري ما يوجب حب الله ولا حسن اذا سي والافتداء في ذلك فوجب
 تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل ما يوجب الريب ﴿و﴾ ان كل
 واحد منهم ﴿من كفر﴾ بجميع أنواعه ﴿عصم﴾ قبل النبوة وبعدها والعصمة
 المنعة والعاصم المانع الحامي ولاختصاص الامتناع بذلك شيء افعال منه ومنه شعر
 أبي طالب « ثمال الينا عصمة للارامل » أي عندهم من الضمير والحاجة
 قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه الداس متفقون على ان الانبياء معصومون
 فيما يبلغونه عن الله تعالى فلا يستقر في ذلك خطأ بانفاق المسلمين وان كان هل
 يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما ياتي الشيطان ويحكم الله آياته هذا
 فيه قولان قال واثور عن السلف يوافق القول بذلك قال واما العصمة في غير
 ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللاس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع
 ومتنازعون في العصمة من الكبار والصغار أو من بعضها أو هل العصمة انما هو في
 الاقرار نالها لاني فملها وقيل لا يجب القول في العصمة الا بالتبليغ فقط قل وهل
 يجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا قال والذي عليه الجمهور الموافق
 للائثار اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا قال ووقوع الذنب اذا لم يقرب
 عليه لم يحصل منه تنفير ولا نقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها أكثر مما
 كان أولا وكذلك الناسي بهم انما هو فيما أقروا عليه بدليل التسخ ونحوه انتهى
 وقال ابن حمدان في نهاية المبتدئين وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى
 وليس معصومين في غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو والصغار في الاشهر لكن
 لا يقرون على ذلك وقال ابن عقيل في الارشاد انهم عليهم الصلاة والسلام لم
 يعتصموا في الافعال بل في نفس الاداء قال ولا يجوز عليهم الكذب في الاقوال

(كذلك) كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عهدهم (من أفك) أي من
كذب قال في النهاية الافك في الاصل الكذب قال في القاموس افك كضرب وعاء
افكا بالكسر والفتح أفوكا كاذب كاذك فهو افك وأفك وأفوك وفي حديث
عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افك قوم كذبوك وظاهرو
عليك أي صرفوا عن الحق ومنعوا عنه يقال افكه يافكه افكا اذا صرفه عن الشيء
والحاصل ان انبياء الله ورسوله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب (و)
معصومون (من خيانة) ولوقالت (ا) وجوب (وصفهم) عليهم الصلاة والسلام
(بالصدق) الذي هو ضد الكذب (و) وجوب وصفهم (الامانة) التي هي
ضد الخيانة والفساد لا يثبتان الا بالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا وهو مطابقا
أخبارهم للواقع إيجابا وسلبا اذ لو حاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع
لحار الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي
في كل ما بلغ عني وتصدق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب
على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد أجمعت الامة على ان ما كان طريقه
الابلاغ فلا نبيا والرسال معصومون فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف الواقع
لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا سلاطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقد
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المأثورة واجب على الخلق الاقرار
به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن
شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذه حقيقة الشهادة
بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال تعالى (ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لفظنا منه الودين) وهو عرق في القلب اذا انقطع
مات صاحبه وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره
وفي قصة هرقل مع أبي سفيان كفي الصحيح عند سواد هرقل عظيم الروم أبا سفيان
عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم قال هل كنتم تنهون به بالكذب أي على الناس

قال لا وإن كان يدعي نبيا بالامانة فقال لقد علمت انه لم يكن يدعي الكذب على الناس ثم ليكذب على الله تعالى فيشمر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحالة كذب الانبياء عليهم الصلاة والسلام

وقوله والامانة أي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى (انا عرضنا الامانة) أي الفرائض المفروضة والنية التي يعقدها نبي يظهره باللسان من الايمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لان الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لاحد من خلقه فيما أضمر من التوحيد مثل ما ظهر فقد أدى الامانة كما في القاء وس وقال في النهاية الامانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان والمراد بها في حق رسل الله تعالى وانبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بنهي عنه ولونهي كراهة عند بعض العلماء أي كونهم لا يتصور ان يكونوا الا كذلك اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه على قول لجاز ان يكون ذلك المسمى عنه من حيث انه منهي عنه ما مواربه لان الله تعالى أمرنا بتابعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية كنكاح ازيد من أربع فتختص بهم دون أممهم وفي الآية الكريمة (بأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله بروحه ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا فان كان ما أنزله الله تعالى اليه يناقض بموجب الرسالة كما ان الكذب يناقض بموجب الرسالة قال ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها والامانة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله تعالى وبين ما أزل اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر به

(تمة) ذكر أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا انه يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز على طريق لما ذكره والاعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيره ومطابقه

وبراقب حال يائه ولا يبهله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكره فاناسا عليه السلام من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والتمنيق على عدوه ومودة المدا لاني صلى الله عليه وسلم لو قدر نياه الصرة له لو أمكنه واذا أحذني أبواب الله ونكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام نحوى أحسن اللفظ وأدب العبار ما أمكن واجتنب بشع ذلك وهجر من تلك العبارة ما يفتيح كالمظلة للمل والكذب والمصبة فاذا تكلم في الاقول قال هل يجوز الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ونجنب لفظه الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الاما علم وهل يمكن ان لا يكون عدو علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يحفل لقبح لفظه وشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في مضي الامر والبواهي وموافقة بعض الخدم فهو أدب وأولى من قوله هل يجوز ان يهضي أو ان يذنب أو ان يفعل كذا وكذا من أنواع المماضي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واعظام قدره واماما يردده على جهة النفي وانتزيعه عنه فلا حرج في شرح العبارة وتعمير بعضها كقوله لا يجوز عليه السلام الكذب جملة ولا ايمان المكابر بوجهها ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كن السلف يظهر عليهم حالات شديدة عدم مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم انتهى ما خصا ومثله في ذلك جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد فهم مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم مما تضمنوا منه صلوات الله وسلامه عليهم وأشار الي الجائز في حقهم بقوله

وجائز في حق كل الرسل النوم والنكاح مثل الاكل

(وجائز) غلاد شرعا (في حق كل) الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان فهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل عليهم قلت ما لم يكن واجب اثبوت لهم ولا واجب النفي عنهم فوجوده وعدمه جائز في حقهم لكن به بما ذكره لا يوضح قسم الجائز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم (النوم)

وهو رحمة من الله تعالى على عباده لتسريح أبدانهم عند تعبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع لمعرفة الاشياء لكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله عليه وسلم كان أبدا مستيقظا متنبها لا يدرك ما يلقي اليه من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الجلوس والمشي والبكاء والضحك وكل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم في والنكاح والتسري وجماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات أو مطلقا على المعتمد ونحو ذلك في مثل الاكل والشرب للحلال وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما توافه الانفس ولا مما يؤدي الى التفرقة حتى انه لا يجوز عليهم الاحتلام والحاصل انهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات والتغيرات والاكلام والاسقام وتجبرع كس الحمام ما يجوز على البشر مما لا نقية فيه فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يمرض ويتألم ويتشكى وكان يصديه الحر والقر والجوع والعطش والغضب والضجر والنصب والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه ولا يوجب الانصاف به نوع نفرة عند كل نبيه والله تعالى أعلم

فصل في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم

﴿ في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴾

اعلم انه لما كان أفضل خلق الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم بقية أولي العزم ثم الرسل ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعد الانبياء أفضل البشر الصحابة رضي الله عنهم وبآتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم وبين الملائكة أعقب ذكر الانبياء بالصحابة حسب اصطلاح أصحابنا ومن وافقهم وبدأ بأفضلهم الامام علي التحقيق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصديق الصديق الأعظم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال

(٢) ش عقيدة السفاريني (٣٨)

وليس في الأمة بالتحقيق في الفضل والمعروف كالصديق (و) (وليس في الأمة) أي أمة الاسلام وهم أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم آل فيها للمهد الذهبي وتقدم آنها أفضل الأمم فيكون الصديق أفضل البشر بعد سائر الانبياء (بالتحقيق) اثبات المخصوص والتدقيق اليات المخصوص (في الفضل) بجميع أنواع الفضائل (و) بذل (المعروف) من مكارم الاخلاق ومعامن الشيم (كا) بي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة كما قاله ابن عبد البر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بأ (الصديق) قال ابن قتيبة ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم عتيقا لحال وجهه وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحلف بالله ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق فهو أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأم الصديق أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم أبيه ماتت هي وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو مسلمين رضوان الله عليهم فان الصديق رضي الله عنه جاء بأبيه يوم الفتح الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ونوفي بعد موت أبي بكر رضي الله عنهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول الناس إيمانا بالنبي صلى الله عليه وسلم على قول جمع من أهل العلم وفي سنن الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال أبو بكر رضي الله عنه ألت أول من أسلم ألت صاحب كذا ألت صاحب كذا الحديث وقبل بل أول من آمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه واستنكر هذا منه وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وادعى الثعلبي الاجماع فيه وأن الخلاف إنما هو في من بعدها وصوبه كثير واستظهره البراءة وغيره وقيل أولهم بلال بن حمزة وقيل خباب بن الارت حكاهما المسعودي وقيل خالد بن سعيد بن العاصي ونقل الماوردي في اعلام النبوة عن ابن قتيبة أن أول من آمن به أبو بكر بن أسعد الجبيري وقتل ابن سبع في الحصاص عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال كنت أولهم اسلا ما يروى عن أبي خنيفة الامام

رضي الله عنه أنه قال لا ادع ان يقال أول من أسلم من الرجال الا حرار أبو بكر
ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال وهذا من
أحسن ما قيل لجمعه الاقوال . وأسلم على يد الصدّيق عثمان بن عفان والزبير وطلحة
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص قال الحافظ ابن الجوزي في منتخب
المنتخب وهو أول من جمع القرآن وقامحرجا من الشبهات وأول من سعى القرآن
مصحفاً وأول من سعى خليفة وأخرج الامام أحمد عن ابن أبي مليكة قال قيل
لابي بكر يا خليفة الله فقال أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا راض به
وأول من ولي الخلافة وأبوه حي وأول خليفة مات وأبوه حي وأول من اتخذت
المال ومناقبه رضي الله عنه لأحفصى ومراياه وما أثره لاستقصى وهو أفضل الصحابة
وخيرهم باجماع أهل السنة فقد أجمع أهل السنة والجماعة على ان أفضل الصحابة
والناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم
سائر العشرة ثم باقي الصحابة هكذا اجماع أهل الحق فأبو بكر الصدّيق أفضل
هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك الا زائغ وقد أخرج الامام
أحمد وغيره عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه
الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر قال الحافظ الذهبي هذا متواتر عن علي رضي الله عنه
قلعن الله الرافضة ما جهلهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية قد
نقل عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجهاً خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما وذكر نحو ذلك لابن الحنفية كما في البخاري والرافضة
تكذبه فهم مع علي كائنصارى مع المسيح واليهود مع موسى عليها السلام وأخرج
الحاكم عن النزال بن ميسرة قال قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين
أخبرنا عن أبي بكر فقال ذلك امرؤ سمّاه الله الصدّيق على لسان جبريل وعلى لسان محمد
كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي له لدينا فرضيانه لدينا استاده جيد
وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي دحي قال لأحفصى كم سمعت علياً يقول على
المنبر إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صدّيقاً وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن
عكرمة بن سعد قال سمعت علياً يحلف بالله لا أنزل الله اسم أبي بكر من السماء

الصديق وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) هو أبو بكر فاخرج البزار وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه قال في تفسيرها إن الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به هو أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولما قرأه لم يأنهى وقيل أنه اتما سي صديقا لأنه أول من صدق بناء على أنه أول من آمن ولهذا قال أبو محسن الثقي فيه

وسميت صديقا وكل مهاجر موالك يسمى باسمه غير منك

سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليسا في العريش المشهر

وأول ما اشتهر أبو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الأسراء فقد أخرج الحاكم في المستدرک عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنهما قالت جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قال ذلك قالوا نعم وقال لقد صدق أبي لاصدقه فبعد من ذلك بنحو السماء غدوة وروحة ولذلك سمي أبو بكر الصديق: أسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة عند ابن عساكر ومن حديث أم هانئ أخرجه الطبراني وأخرج سعيد بن منصور في سننه ثنا أبو معشر عن ابن وهب مول أبي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان يذني طوى قال يا جبريل إن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق وأخرجه الطبراني في الأوسط موصولا عن ابن وهب عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد والطبراني في الكبير عن الشعبي قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما أي الناس كان أول إسلاما قال أبو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان

إذا نذرت شحوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خبر البرية ألقاها وأعد لها بعد النبي وأوفها بما جملا

والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران قلت علي أفضل أم أبو بكر وعمر قال فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال

ما كنت أظن أني أبقي الى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الاسلام قلت
 فأبو بكر كان أول اسلاما أم علي قال والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه
 وسلم زمن يحسبوا الراهب حين أمر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى نكحها
 اياه وذلك كله قبل ان يولد علي . واخرج ابن اسحق عن ميسرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع من يتاديه باحمد فاذا سمع الصوت انطلق
 هاربا فأسر ذلك الى أبي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وفي صحيح البخاري عن أبي
 الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل أنتم تاركون لي
 صاحبني اني قلت يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو
 بكر صدقت »

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الاسلام وانتمهم صحب أبو بكر
 رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى ان توفي لم يفارقه
 سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج أو غزو
 وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو رفيقه في الفار قال تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الفار اذ يقول
 لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وانفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 أجود الصحابة قال تعالى (وسبجنها الاتق الذي يؤتي ماله) الى آخر السورة قال
 الحافظ ابن الجوزي اجمعوا انها نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه
 وأخرج الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر الصديق » فبكى أبو بكر وقال
 هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله
 عنها مرفوعا مثله قال الحافظ ابن كثير رويناه أيضا من حديث علي وابن عباس
 وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم وأخرجهم الخطيب
 عن سعيد بن المسيب مرسلًا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينضي
 في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه وقد أخرج ابن عساكر من طرق عن
 عائشة وعروة بن الزبير ان أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون

ألف دينار فاعطاها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا إلا واحد من المسلمين وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم قال عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون عمر من رواية أنس وابن عباس رضي الله عنهم وأخرج ابن سعد عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المبين وقد طاف العدو به إذ صعد الجبل
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
فصحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجره ثم قال صدقت يا أحسان
هر كما قلت وقد أجمع المسلمون أن المراد بقوله تعالى (ثاني اثنين إذ هما في الغار) إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا أن صاحب المدكو هو أبو بكر وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما أهلك يا أما بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لأتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام» وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء بن عازب وكمث بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وأبي واقد الليثي وأبي العلاء وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم فهو من الأحاديث المتواترة وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر «أنت صاحبي على الخوض وصاحبي في الغار» وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبو بكر صاحبي ومونس في النار» وأخرج ابن مسعود عن طريق مجمع بن يعقوب الأصم عن أبيه قال كانت حلقة من

الله صلى الله عليه وسلم تشبك حتى نصير كالسوار وأن مجلس أبي بكر منها لفارغ ما بطمع فيه أحد من الناس فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى إليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي» وخرج مثله من حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «إنا نكلمهم بحاسبون إلا أبا بكر» والاحاديث في فضائله كثيرة شهيرة بعسر استقصاؤها وقد أشرفنا بقطرة من بحر لحي وبذرة من رمل عالج وقد أفردت بمنافه بالتصنيف فدرع المخادع والمعالج وبالله التوفيق

قال الامام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وهو من خريته كان أبو بكر رضي الله عنه أبيض نحيفاً خفيف الارضين احنالا يستسك ازاره بسنخه عن حقويه معروف الوجه غائر العينين تأتي الجبهة عاري الاشاجع وله من الولد عبد الله وأسماء وأمهما قبليلة وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان ومحمد وأمه أسماء بنت عيسى وأم كاثوم وأمه حبيبة بنت خارجة وهي التي قال في حقها لعائشة انما هو اخواك واخناك ونوفي الصدوق رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر الا عشر ليال وقيل وثلاثة أشهر وتسع ليال وغسلته زوجته أسماء بنت عيسى بوصية منه رضي الله عنها وصلى عليه عمر بن الخطاب وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين حديثاً منها في الصحيحين ثمانية عشر حديثاً المتفق عليه منها ستة وانفرد البخاري بأحد عشر ومسلم بحديث وسبب قلده وروايته رضي الله عنه أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماها وقد ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في قصة يعة الصدوق انه لم يترك شيئاً أنزل في الانصار الا ذكره ولا شيئاً ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم الا ذكره وهذا يدل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن وقد روى عنه من الصحابة عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان ويزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأبو هريرة وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس وأبو سعيد الخدري وعنبسة بن عامر الجهمي

وعمران بن حصين وأبو هريرة الأسلمي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة وأما رضي الله عنهم ومن التابعين خلائق ودفن رضي الله عنه في الحجرة الشريفة إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل في يوم بارد فغم خمسة عشر يوما ومات وقيل بسبب موته غير ذلك

وبعد الفاروق من غير اقتران وبعدة عثمان فترك المراء

وبعد أي بعد أبي بكر الصديق الأعظم أي يليه في الفضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (الفاروق) سماه بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسلم لأن الله فرق به بين الحق والباطل فهو عمر بن الخطاب بن فضيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء التحبة فناء مهلة بن عبد الله بن قرطضم العلاف وسكون الراء فطاء مهلة ابن رزاح بفتح الراء والواو ياء مهلة بعد الألف بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المدني وأمه حنيفة بنت الحاء المهله فون ساكنة فناء مشاة فوقية مفتوحة فم فاء نأبث بنت هشام بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقال ابن الأثير بنت هاشم قال وقال ريموف هاشم بندي الرمحين قال وقال الأمير ابن مالكولا ومن قال بنت هشام فقد أخطأ كذا قال وقد قال ابن الجوزي في منتخب المنتخب أنها بنت هشام وهي أخت أبي جهل عمرو بن هشام فأبو جهل خال عمر رضي الله عنه كنيته أبو حفص كاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما نهى عن قتل رجال بني هاشم فاتهم أنما خرجوا مكرهين فقال أبو حذيفة والله لئن لقيت العباس لأجته السيف فيلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال «بأبأ حفص يصرب وجه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف» فقال والله أنه لا أول يوم كنان في رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص رواه ابن الجوزي وغيره والحفص في اللغة ولد الأسد وسبب تسميته بالفاروق ما رواه الحافظ ابن الجوزي في سيرة العمرين عن ابن عباس رضي الله عنهم قال سألت عمر رضي الله عنه لأي شيء سميت بالفاروق فذكر حديث إسلامه وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سألت عمر لأي شيء سميت

الفاروق قال أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام وسبب اسلام حمزة ان أبا جهل أسرع الى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ويؤذيه فاخبر حمزة بذلك فأخذ قوسه ووجد المسجد الى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فانكى على قوسه مقابل أبي جهل فنظر اليه فعرف أبو جهل الشمر في وجهه فقال مالك يا أبا عمارة فرغ القوس وضربه به فشبجه فالت الدماء فأصلحت ذلك قريش بخافة الشمر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفى في دار الارقم الخزومي فانطلق حمزة فأسلم قال عمر رضي الله عنه وخرجت بعده بثلاثة أيام فاذا فلان الخزومي قتل أرغبت أنت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال ان فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً قلت ومن؟ قال أختك وخنتك فانطلقت فوجدت هينة فدخلت فقلت ماذا فإزال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختي فضربت وأدميته فقامت الي أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك وقد أدميت رأسها فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت (لا يمسه الا المطهرون) فقتت واغسلت فاخرجوا لي صحيفة فاذا فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) قلت اسماء طيبة طاهرة وفيها (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى - الى قوله تعالى - له الاسماء الحسنى) فعظمت في صدري وقلت من هذا نفرت قريش فاسلمت وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند أبي يعلى والخامس واليهي قال خرج عمر متقلدا سيفه فلقه رجل من بني زهرة فقال الى أين تعمد يا عمر فقال أريد ان أقتل محمداً قال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً قال ما أراك الا وقد صبوت قال أفلا أدلك على العجب ان خنتك واخنتك قد صبوا وتركوا دينك فشى عمر فأتاها وعندها خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل عمر فقال ما هذه الهينة وكأنا يقرءون طه قالوا ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال فلعلكم قد صبوتها فقال له خنته يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطأه وطأ شديداً فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفعها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبي وكان الحق في غير دينك اني أشهد ان لا إله الا الله وان محمداً عبده ورسوله فقال عمر اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فاقرأه وكان يقرأ الكتاب فقالت أخسه انك رجس

وانه لا يمس الا المطهرون نعم واغتسل أو تومأ أو ققام وتومأ ثم أخذ الكتاب قرأ
 (وله) حتى انتهى الى (اتى) أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكركي
 فقال عمر دلوني على محمد لما سمع خباب قول عمر خرج وقال أبشر يا عمر فاني
 أرجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس منهم أعز
 الاسلام عمر بن الخطاب أو بمرو بن هشام وكان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة
 ومطلحة وماس فقال حمزة هذا عمر ان برد الله به خيرا يسلم وان يكن غير ذلك
 يكن قتله عليا هيناً قال والنبي صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فخرج حتى أتى عمر
 فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال اما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من
 الحزني والتكال ما ارل ما لريد بن المبرة فقال عمر اشهد ان لا اله الا الله وانك عبد
 الله ورسوله وفي حديث البرار والطبراني وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل عن أسلم
 نحوه وفيه فكير المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة فجشت خالي أبا جبل بن
 هشام وكان شرباً ففرعت عليه الباب فقال من هذا قلت ابن الخطاب وقد صبوت
 قال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني وفي حديث ابن عباس عند أبي نعيم
 في الدلائل وابن عساكر فقلت يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت فقيم
 الاختفاء فخرجنا صفيين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فظفرت
 قريش الي والى حمزة فأصابهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال قلت
 لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق قالت النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج
 ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد
 لقد استنشر أهل السماء يا سلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انصف القوم اليوم منا وأنزل
 الله تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وأخرج البخاري وغيره
 عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وأخرج ابن سعد عنه
 أيضاً قال كان اسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصراً وكانت امامته رحمة ولقد

رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى اليث حتى أسلم عمر قاتلهم حتى تركوا سبيلنا وقال حذيفة لما أسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعداً وكان اسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلاً أو أربعين أو خمسة وأربعين واحدى عشرة امرأة ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه

وقد وردت الاحاديث الكثيرة والاعبار الشهيرة بفضائله في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقلبك الشيطان سالكا فجاءك الا سلك فجاء غير فبك» وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد كان في من كان قبلكم من الأمم محدثون فان يكن في أمتي أحد فإنه عمر» أي ملهمون وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد كان يكون في الأمم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب» ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال ابن عينة محدثون أي مفهمون وقال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال انزل القرآن على نحو ما قال عمر وأخرج الترمذي أيضاً عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان بعدي نبي لكان عمر» وأخرج من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اني لا أنظر الى شياطين الجن والانس فروا من عمر» وفي الصحيحين والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يئنا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليهم فقص فمنها ما يبلغ الشدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قبض بجمره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين» وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب نفسي
فقلت لمن هذا قالوا لعمر فذكرت غيرته فقلت مدبراً فبكى عمر رضي الله عنه
وقال عليك أغار يا رسول الله وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال «دخلت الجنة فإذا أما بقعر من ذهب فقلت لمن هذا قالوا
لشاب من قريش فقلت آتي أما هو قالوا عمر بن الخطاب » وقد قال أبو بكر
الصديق رضي الله عنه ما على وجه الأرض أحد أحب إلي من عمر أخرجه ابن
عساكر وقيل لابي بكر ماذا تقول لربك وقد وليت عمر قال أقول له وليت عليهم
خيرهم أخرجه ابن سعد وقال علي رضي الله عنه إذا ذكر الصالحون فخيّ هلا
بعمرو ما كما نعمدان السكية لا تنزل الا على لسان عمر أخرجه الطبراني في الاوسط
وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو ان علم عمر وضع سيفه كفة ووضع علم أجياب
الأرض في كفة لرحح علم عمر ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة أعشار العلم
أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم وقال حذيفة رضي الله عنه والله ما أعرف رجلاً
لا تأخذه في الله لومة لأثم الا عدو وعلى كل حال فأمر المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بعد الصديق الاعظام أفضل هذه الامة (من غير اقتران) أي من
غير كذب يقال فري يفرى فرياً وافترى يفتري افتراء أي كذب فهو افتعال منه
وفي الآية الكرمة (ولا يأتين يهتان بهترينه) وفي الحديث «من أفرى الفري أن بري
الرجل عنه مالم يبرأه فالفرى جمع فربة وهي الكذبة وافترى افعل منه لتغزيب وتقدم
الكلام على ذلك في الكلام على الحوض عند قوله «عنه ينادى المقترى كما ورد» ولما كان
الحكم بأفضلية أبي بكر ثم عمر الفاروق رضي الله عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله
من غير افتراء إشارة لرد قول الخطاية الراعبين بأن عمر رضي الله عنه أفضل الخلفاء
وهذا الرعم بالنسبة للصديق زور وافتراء وكذب وضلال من زاعميه نعم بالنسبة
إلى من بعد الصديق حق لا مصرية فيه وكذلك فيه إشارة إلى رد قول الراوندية
في زعمهم ان أفضل الصحابة العباس بن عبيد المطلب رضي الله عنه والرد على
الشيعة في زعمهم ان أفضلهم علي رضي الله عنه كما يأتي في الكلام عليه قريباً
وقد أخرج الحاكم في الكنى وابن عدي في الكامل والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة رضي

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أبو بكر وعمر خير الاولين والاخرين وخير أهل السموات وخير أهل الارض الا النبيين والمرسلين» وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر» وأخرج الامام أحمد والترمذي عن علي رضي الله عنه وابن ماجه عنه أيضا وعن ابن أبي جحيفة رضي الله عنه وأبو يعلى في مسنده والضياء في المختارة عن أنس والطبراني في الاوسط عن جابر وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والاخرين الا النبيين والمرسلين» يعني أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وهاجر عمر رضي الله عنه الى المدينة جهرا وذلك انه تقلد سيفه وأخذ بيده أسهما وأتى الكعبة وأشرف قريش بفنائها فطاف مبعثا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شامت الوجوه من أراد ان تشكله أمه وينم ولده وترمل زوجته فليقتني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد وشدة عمر وشجاعته لا تخفى حتى أنه وصف في التوراة بأنه قرن من حديد شهد المشاهد كلها وكان شديدا على الكفار والمنافقين ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد وافق ربه في عدة أحكام مأثورة ومواقفات في الآيات القرآنية غبورة

ولي الخلافة بعده من خليفة رسول الله الصديق الاكبر أبي بكر رضي الله عنه يوم توفي وذلك يوم الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ققام بالامر أتم قيام وكثرت الفتوحات في أيامه ففي سنة أربع عشرة فتحت دمشق بين الصلح والعنوة وحص و بعلبك صلحا وأيلة عنوة وفيها جمع الناس على صلاة الترابيع وفي الخامسة عشرة فتحت الاردن عنوة الأطلرية فاتها فتحت صلحا وفيها كانت وقعة البرموك والقادسية وفيها حاصر عمرو مصر وسعد الكوفة وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين واعطى المطايا وفي السادسة عشرة فتحت الاهواز والمدائن وأقام بها سعد الجملة في ابران كسرى وهي أول جمعة جمعت بالعراق وفيها كانت وقعة

جلولا وهرمز ويزدجرد بن كسرى وفتحته الى الراي وفيها فتحت تكريت وفيه
سار بنفسه رضي الله عنه ففتح بيت المقدس صلحا وخطب بالجالية خطبته المشهور
وفيها فتحت قنسرين عنوة وحلب واسلاكية ومنبج صلحا وفيها كتب التاريخ
في ربيع الاول من الهجرة بمشورة علي رضي الله عنه وفي السابعة عشرة زاد عمر
رضي الله عنه في المسجد النبوي وفيها كانت الفتح بالحجاز فسمي عام الرمادة
واستسقى عمر بالعباس فأخذ عمر رضي الله عنه بيد العباس رضي الله عنه ثم رفعها
فقال اللهم انا انتشفع اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ان تذهب عما الخلل وان
تسقي العيث فلم يدرحوا حتى سقوا فاطبقت السماء عليهم آياما وفي الثامنة عشرة
فتحت جندا سابور صلحا وحلوان عنوة وفيها وقع طاءون عواس وفيها فتحت
الرها وشباط وحران وصيين وطائفة من الجزيرة عنوة وكذا الموصل ورواحيا
وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل
صلحا واسكندرية عنوة والمغرب كله عنوة وفيها فتحت نسر وفيها هلك قيصر
ملك الروم وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادي الفري
وفي سنة احدى وعشرين فتحت نهاوند عنوة ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة وفي
سنة اثنتين وعشرين فتحت كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل وأصبهان
ورواحيا وفي آخرها كانت وفاة أمير المؤمنين عزمين الخطاب رضي الله عنه وذلك
بعد رجوعه من الحج قال ابن المسيب لما نذر عمر من منى أناخ بالابطح ثم استأق
ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعبي
فانقضي اليك غير مصيب ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل شهيدا وكان
قال له كعب الاحبار اني أجسك في الكتاب الاول تقتل شهيدا وأنى لي
بالشهادة في جزيرة العرب ثم قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك
واجعل موتي في بلد نبيك وكان قد قال في خطبته رأيت كأن ديكا تقرني نقرة
أو تقربن واني لأراه حصور اجلي وان قوما يأمروني ان استخلف وان الله لم
يكمل لي بضيع دينه ولا خلافة فان عجل بي أمر فالخلافة شوري بين هؤلاء السنة
الدين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قال الزهري كان عمر

رضي الله عنه لا يأذن لكافر قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن
شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنائع يستأذنه ان يدخل المدينة ويقول
ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس وانه حديد ونقاش ونجار فاذن له ان يرسله
الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء الى عمر يشنكي شدة
الخراج فقال له ماخراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم قال له عمر رضي الله عنه ألم
أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحي تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال
لاضمن لك رحي يتحدث الناس بها فلما ولي قال لاصحابه أوعدني العبد وهو أبو
لوثة ثم انه الخبيث اشتمل على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه فكمن في
زاوية من زوايا المسجد في الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر هو قطف الناس
للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات كما أخرجه الحاكم وطعن معه اثني عشر
رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه
قال أبو رافع كان أبو لوثة عبدا للمغيرة يصنع الارحاء وحمل عمر رضي الله عنه
الى أهله وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالناس
أقصر سورتين وأتى عمر بنيف فشر به فخرج من جرحه فلم يقين فسقوه لبنا فخرج
ثانيا فقالوا لا بأس عليك فقال إن يكن في القتل بأس فقد قتلت فجمل الناس
يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وددت أني خرجت منها كفافا
لاعلي ولالي وإن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي فأتى عليه ابن
عباس فقال لو أن لي طلاع الأرض ذهبلا فتديت به من هول المطلاع وقد جعلتها
شورى في عثمان وعلي وطاعة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأجلهم ثلاثة أيام وقال
يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء فإن أصابت المرأة سعدا
فهو ذاك والا فليستن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة وأمر صهييا
أن يصلي بالناس قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان أبو لوثة مجوسيا وكان
اسمه فيروز وقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل منيتي بيد رجل لا بدعي
الاسلام وكانت أصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين
ودفن يوم الأحد وصح ان الشمس كسفت يوم موته وناحت الجن عليه ثم قال

عمر رضي الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه انتظر ما عليّ من الدين فحسبوه فوجد ثلاثين الفا أو نحوها فقال ان وفي مال آل عمر أده من أموالهم والا فاسأل في عدي قال لم تنف أموالهم فاسأل في قریش واذهب الى ام المؤمنين عائشة و يستأذن عمر أن يدفن عند صاحبیه فذهب اليها فقالت كنت أريدك تعني المكة لنفسی والله لا وثرته اليوم على نفسي فأقى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله ثم قال رضي الله عنه أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالم أجر والانصار وأوصيه بالامصار خيرا فلما توفي رضي الله عنه صلى عليه صهيب في الماء وخرج الناس يمشون وعبد الله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقال عائشة رضي الله عنها ادخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبیه رضي الله عن أبي بكر وعمر وصلوات الله وسلامه على رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وروى لا مبر المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وثلثون حديثا أخرجه في الصحيحين منها احدى وثمانون اتفاقا على ستة وعشرين واغرد البخاري بأربعة وثلاثين ومسلم بأحد وعشرين

﴿تانيه﴾

اعلم ان خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه مرتبة ولازمة لحقيقة خلافة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وقد قام الاحبا و اشارات الكتاب والسنة على حقيقة خلافته فما ثبت للاصل الذي هو الصديق من حقبة الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لاحد من فرق الصلال في الطعن والتزاع في حقبة خلافته وقد علم أهل العلم علما با ضروري ان الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدر في ذلك من غير مربة فقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «مارأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سي» وقد رأى الصحابة رضي الله عنهم ان يستخلف أبو بكر فهذا صح عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو من أكابر الصحابة وقبائهم ومتقدميهم فعكس الاجماع في الصحابة على خلافة أبي بكر ولذلك كان هو أحق بها عند جميع أهل السنة والجماعة

في كل عصر ومصر وكذلك عند المعتزلة وأكثر فرق الامة على انه أحق بهامن
جميع الصحابة روى البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول
اجمع الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا نحت أديم السماء خبرا من أبي بكر فولوه رقابهم
وأخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال ما كان أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشكون ان أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه
الا خليفة رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا على ضلالة وقد ثبت في
الصحيحين وغيرهما مما باع التواتر وعلم من الدين بالضرورة ان أمير المؤمنين علي
بن أبي طالب رضي الله عنه بايعه واعتداليه عن تأخره لعدم مشورته وان له حقا
في الشورى حتى ان سيدنا عليا رضي الله عنه بايع أبا بكر على المنبر لازالة شبهة
التخلف وفرح الناس بذلك والتصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة
ومن أعظم فضائل الصديق وأتم فراسته على التحقيق وأكمل نصحه لهذا الدين
القوم استخلافه أمير المؤمنين عمر الفاروق لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد
وظهور الاسلام الظهور التام ورفع أهل الكفر وعبد الأصنام فان أبا بكر الصديق
رضي الله عنه لما ثقل به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر
بن الخطاب فقال ما سألتني عن أمر أنت اعلم به مني فقال أبو بكر وان كان فقال عبد
الرحمن هو والله أفضل من ورائك ورأيتك فيه أتم رأي فدعا عثمان بن عفان فقال
أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به وقال اعلمي كذلك فقال علمك في ذلك فقال
للصديق علمي به ان سر برته خير من علانيته وانه ليس فبنا مشله وشاور معهما
زيدا وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والانصار فقال اللهم علمه الخير ثم
دعا عثمان فكتب عهده لعمر ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج
بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر رضي الله عنه عمر خاليا
فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال اللهم اني لم أرد بذلك
الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت اعلم به واجتهدت لهم رأيا
فوليت عليهم خبرهم وأقوامهم عليهم وأعرضهم على ما يرشدكم وقد حضرني من

أمرك ما حضرني فاخلقني فيهم فهم عبادك ونواصيهم يدك أصلح ولايته واجعله من خلافتك الراشدين وأصلح له رعيته وقد قال ابن مسعود أنرس الناس ثلاثاً أبو بكر استخلف عمر وصاحبه موسى حين قالت استأجره والعزير حين تقرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه وأخرج ابن عساكر عن بشار بن حمزة قال قتلت أبو بكر أنشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهداً أفترسون به فقال الناس دمتنا يا خليفة رسول الله قتام علي رضي الله عنه قتال لأرضي الان يكون عمر قال انه عمر رضي الله عنهم أجمعين

(وبعد) أي بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي يليه في الأفضلية أمير المؤمنين أبو عمر أبو عبد الله ذو النورين (عثمان) بن عفان بن أبي العاص راسه الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي قال ابن الأثير يقال كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما ولدت له رقية رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله أكنى به وأمه أروى وأما أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب حمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو أروى أم عثمان كرز بضم الكاف وفتح الراء فراي مصفر كرز وكريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديماً على يد الصديق الأعظم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر المجرنين الى الحبشة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البث بامت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر العظمى ولم يشهد عثمان رضي الله عنه بدرأ لتخلفه بأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض رقية رضي الله عنها بخاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ولما ماتت رقية زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أختاً أم كلثوم ونوفيت عنده أيضاً تسع من الهجرة قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي بندي النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد المشرة المشهود لهم بالجنة واحداً للذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عنهم واحد وأحد الصعابة الذين جمعوا القرآن وصر

ان الصديق جمعه أيضا وانما يميز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع وكان رضي الله عنه ذاجال مفرط روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا وروى عنه من الصحابة زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك يزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع وأبو أمامة وأبو قتادة وأبو هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وخلائق من التابعين وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان رضي الله عنه إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان أعلمهم بالمسالك عثمان وبعده ابن عمر رضي الله عنهم وأخرج ابن عساكر ابن عثمان رضي الله عنه كان رجلا ربة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض مشرب بحمرة بوجه نكتات جذري كبير اللحية عظم الكراديس بميد ما بين المنكبين جزل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس أصلع أحسن الناس نفرا جمته أسفل من أذنيه بخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وقال بعضهم رأيت عثمان فما رأيت قط ذكرا ولا اتى أحسن رجلا منه وأخرج ابن أبي عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت لا زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان قال لها «إن بعلك أشبه الناس بمجدك إبراهيم وأبيك محمد» صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن أبي عدي أيضا وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا لنشبه عثمان بأبينا إبراهيم» وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال «ألا استحيي من رجل نستحيي منه الملائكة» وأخرج البخاري أن عثمان رضي الله عنه حين حوضر أشرف عليهم وقال أنشدتكم الله ولا أنشد إلا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزهم أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جفر بر رومة فله الجنة فخرتها فصدقوه بما قال وبابح رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنه يساره فكانت يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان جبرا من يمن نعمة
وأخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فنة فقال يقتل فيها هذا مفاطوما لعثمان قال الترمذي حديث حسن غريب من
هذا الوجه وأخرج أبو تميم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عثمان أحيا أمي وأكرمها وأخرج عن أبي امامة رضي الله عنه
مرفوعا أن أشد هذه الأمة بعد نبيا حياء عثمان بن عفان وأخرج الطبراني عن
أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان عثمان لأول من هاجر
بأهله الى الله بعد لوط» وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن
عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان الله - وفي لفظ -
لعل الله مقدمك - وفي لفظ - بمصك فيصا فان أرادوك (على) خلعه فلا تخلعه حتى يخلعه
وفي لفظ فلا تخلعه حتى نلقاني وأخرج الترمذي عن أبي سهلة قال سمعت عثمان
رضي الله عنه يقول يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الى عبد فانما
يمثل له وما بر عليه ان شاء الله فصرحتي قتل رضي الله عنه شهيدا قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن طلحة بن عبيد الله وقال غريب
وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان
وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي الاشعث
الصنعاني ان خطباء قامت بالشام وفيهم وجال من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقت وذكر القتن فتربها ومر رجل مبتنع في
نوب فقال «هذا يرمد على الهدى» فمدت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فاقبلت عليه
بوجهه فقلت هذا قال نعم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مطلوم وانه يرمد على الهدى
واما ذكر خلافه رضي الله عنه فتقدم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه جعلها شوري بين السنة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط
فقال عبيد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد

جعلت أمرني إلى علي وقال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان فقال عبد الرحمن بن عوف أنا لأربدنها ذاكما يريد أن هذا الأمر ونجمه إليه والله عليه والاسلام لينظر أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الأمة فسكت الشيطان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه إلي والله علي أن الوكم ٧ عن أفضلكم قالوا نعم فخلا بعلي وقال له لك من القدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لأن أمرتك لتعدن ولأن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال وكان عبد الرحمن بن عوف قبل أن يتخلى عنها أحد قد خلا بعثمان فقال له فإن لم نبايعك فمن نشير في قال علي وقال لعلي أن لم نبايعك فمن نشير علي قال عثمان ثم دعا الزبير فقال إن لم نبايعك فمن نشير علي قال علي أو عثمان ثم دعا سمدا فقال له من نشير علي فأما أنا وأنت فلا تريدان فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن اعيان المهاجرين والانصار فرأى هوى أكرهم عثمان فبايعوه جميعاً فثبتت بيعة عثمان باجماع الصحابة عليها ولهذا قال ﴿فأنزلك المراءى الجدال والشك﴾ قال في القاموس المراءى بالضم والكسر الشك والجدال يقال ماراد عماراة ومراءى وامترى فيه وتمارى شك وفي الحديث «لا تماروا في القرآن فإن مراءيه كفر» المراءى والجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريية كما في نهاية ابن الاثير وتقدم فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جملة من بايعه وقد غزا معه وكان يقيم الحد بين يديه كما أخبر بذلك عن نفسه رضوان الله عليه وخلافة عثمان فرع عن خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق رضوان الله تعالى عليهم أجمعين واستشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في داره سنة خمسة وثلاثين في أوسط أيام التشريق وصلى عليه الزبير وكان أوصى اليه ودفن في حش كوكب بالقيع وهو أول من دفن به والاش بالخاء المهملة والشبن المعجمة البستان وضم الخاء أجود من كسرها وكوكب بجرجل من الانصار وولي الخلافة احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومدة حصاره في داره إلى أن قتل سبعة وأربعون يوما وقيل شهران وعشرون

برما واستشهد وهو يومئذ صائم وهذا يريد كونه قتل بعد أيام التشريق أو قد قيل كان قتله لئلا عشرة خلت من ذي الحجة أو سبع عشرة وفيل له خلون منه يوم النوبة وقبل ليلتين يتينا منه وقدم في جامع الأصول وفي أثر السلام أنه قتل في ثمانية عشر من ذي الحجة واختلف في من باشر قتله فذكر كثير أنه لا يعرف قاتله وقيل الأسود التحيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الأيهم من مصر أيضا وقيل سودان بن حمدان وقيل رومان الياني وقيل سواد بن رزما وقيل رومان بن سرحان رجل أزرق قصير وقيل قتله رجل من أهل مصر يقال له حمار أزرق أشهر وقيل قتله ابنان وقيل غير ذلك وله يومئذ من المصراة ثمان وعشرون سنة وقيل ثمان وعشرون وقبل ثمانين وروى أنه كان المصحف بين يديه يقرأ في نوبة قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى (فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) وأخرج الحاكم عن الشعبي رحمه الله قال ما سمعت من مراتي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك رضي الله عنه

فكف بديه ثم أغلق بابه وأقبل ان الله ليس بفافل

وقال لا هل الداء لا تتلوم عفا الله عن كل امرئ لم يقاقل

فكيف رأيت الله صب عليهم الـ مداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف وأيت الخير أدبر بعده عن الناس أديار الرياح الجوافل

وأخرج الامام أحمد عن المنيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وسر تخضر قتال الملك امام العامة وقد نزل بك ما ترى واني اعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احدها ان تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وانت على الحق وهم على الباطل واما ان تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتدخل رواحلك فتلق بمكة فانيهم لن يستحلوك وانت بها واما ان تلحق بالشام فان أهل الشام فيهم معاوية فقال عثمان رضي الله عنه فاما ان اخرج فاقتل فلن اكون أول من حالت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء واما ان اخرج الى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم» فلن اكون انا واما ان ألحق بالشام فلن أقارق دار

هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور التميمي قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا اني لرايع أربعة في الاسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فانكحني الاخرى و اتفنت وما تمتعت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا أن لا تكون عندي فاعتقها بعد ذلك ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام ولقد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضم الى هذه العشرة تجهيزه جيش العسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم لما جاءه بالمال وكان ألف دينار فنتشرها في حجرة صلى الله عليه وسلم «ماضر عثمان ماعل بعد اليوم» مرتين رواه الترمذي وقال حديث حسن ويضم اليها أيضا ما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي عن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت يوم الدارحين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اثوني بصاحبكم اللذين ألبسا عليّ فجيء بهما فقال أنشدكم بالله والاسلام زاد رزين ولا أنشد الا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولبس بها ما يستعذب الا بثررومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشترها او يجعل دلوها فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من مالي وأنا اليوم أمنع أن أشرب منها حتى أشرب من ماء الملح قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام أتعدون ان المسجد ضاق بأهله فقال صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آكل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وأنا اليوم أمنع ان أصلي فيه ركعتين قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهزته قالوا اللهم نعم قال وأنشدكم بالله هل تعلمون اني كنت على ثبير مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فحرك الجبل حتى نساقت حجارتها بالحضيض فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيد قالوا اللهم نعم فقال الله أكبر شهدوا لي بالجنة

ورب الكعبة ثلاثا وفي رواية شهدوا لي ورب الكعبة إني شهد ثلاثا وفيه يقول
حسان بن ثابت رضي الله عنه

من سره الموت صرفا لا مزاج له قليات مادونه سيفه دار عظاما
ضجروا بأشبه عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
أيسر من وشيكنا في ديارهم الله أكبر بأثارات عظاما
وعلى كل حال قتل عثمان رضي الله عنه ظلما لا محال وهو واحد العشرة
المشهودة لهم بالجنة واحد السابقين الأولين إلى الإسلام واحد الخلفاء الراشدين
واحد المهاجرين المقربين وأحد أختان سيد الأولين والآخرين ومناقبه كثيرة
ومآثرة غزيرة وإياديه شيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى جميع أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم روي لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وأربعون حديثا منها في العجيبين
سنة عشر اتفاقا على ثلاثة وانفرد البخاري بمائة وسلم بخمسة

وبعد فالفضل حقيقا فاسمع نظاي هذا للبطين الانزع
مجدد الابطال ماضي العزم منزع الاوجال وافي الحزم
وفاني الندى مبدي الهدى مردى العدا

عجلى الصدى يا ويل من فيه اعتدى

(وبعد) بيناهم على الضم لحذف المضاف اليه ونية ثبوت معناه أي وبعد عثمان
عثمان رضي الله عنه على القول الرجيع والمذهب الصحيح (فالفضل) الشامخ والقرب
الراسخ والحد الباذخ من سائر الامة واتفاق الأئمة (حقيقا) أي في حقيقة الامر
غير شك ولا نكر (فاسمع) فل أمر بني على السكون وحرك بالكسر لتغايبه مني
(نظاي) أي منظومي (هذا) الذي ادركت فيه عقبة السلف الصالح وضمت
ما يقضيه كل محقق فالع ثابت ذلك الفضل ومستقر (الامام المهام) أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب (البطين الانزع) قال ابن الأثير في تهافته وفي وصفة علي

رضي الله عنه البطين الانزع أي العظيم البطن وفي حديث علي أيضا رضي الله عنه: أبيت مبطانا وحولي بطون غري؟ المبطان الكثير الاكل والعظيم البطن ذكر ذلك على سبيل الاستفهام الانكاري والمراد بكونه بطنا ان باطنه عظيم لتضامه من العلوم والمعارف والمراد بالانزع المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين والنزعتان عن جانبي الرأس مما لا شعر عليه قال في النهاية كان الامام علي رضي الله عنه أنزع الشعر له بطن وقبل معناه الانزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان (مجدد الابطال) قال في القاموس جدد له فانجدل وتجدل صرعه على الجدالة كسحابة الارض مطافنا أو ذات رمل دقيق وتقدم حديث «أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وان آدم لمجدل في طيفته» أي ماتي على الجدالة وهي الارض وفي حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه حين وقف على طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وهو قتيل فقال اعز عليا أبا محمد أنت أراك مجدلا تحت نجوم السماء أي مرميا ملقى على الارض قتيلًا والابطال جمع بطل بفتح الموحدة والطاء المهله وكشداد بين البطالة أو البطولة الرجل الشجاع سمي بذلك لأنه يبطل جراحته فلا يكثر بها أو يبطل عنده دما الاقران كما في القاموس ولا شك ان عليا رضي الله عنه قتل من الابطال عدة مثل الوليد بن عتبة يوم بدر وعمرو بن عبدود يوم الخندق ومرحب من ابطال خير وغيرهم وقوله في الماضي العزم في اشارة الى شدة قوته ووفور شده والماضي من مضى في الامر مضاء ومضوا نفذ ومضى السيف أي قطع والمضو كالمعلو التقدم والعزم الجد والصبر ومنه قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقوله في مفرج أي كاشف في الاوجال في يقال فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه والاولجال جمع وجل بفتح الواو والجيم الخوف ورجل وجل كفرج ياجل ويجل ويوجل وييجل بكسر أوله وجلا وموجلا كقعد ويجمع أيضا على وجلين والمرأة وجلة اشارة الى ما كان عليه من كشف الغموم وتفريج الحسوم والاقدام في المواقف الصعبة والبروز الى الاقران المستصعبة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه

يحب الله ورسوله وحببه الله ورسوله « فبات الناس يدورون أي يخرمون
ويتحدثون بينهم بمطاعها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كأنهم يرحرون أن يعطاهم فقتل أين علي بن أبي طالب قتيلا يشكي عينه
قال فاستلوا إليه فأقي به فبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينه ودعاه
فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية الحديث وقوله « واني الحزم » إشارة
إلى وفور عقله وغيرة فطنته وفضله والحزم ضبط الرجل أمره والحزم من فرائه
مأخوذ من قولهم حزمت الشيء إذا شددته وفي الحديث « ما رأيت من فائضات
عقل ودين أذهب لآل الرجل الحازم من أحدنا » يعني النساء أي أذهب لقتل
الرجل المعتز في الأمور المستظهر فيها وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم مثل
ما الحزم فقال « لشئير أهل الرأي ثم تعليمهم » وفي القاموس الحزم ضبط الأمور
والأخذ فيه بالثقة كالخزامة والخزومة يقال حزم ككرم فهو حازم وحزيم والجسم
حزمة وحزماء وفي قوله « واني » أي كثير « الهدى » أي السخاء والكرم يقال
فلان يهدي على أصحابه أي يسحق كلبي الهاية وفي القاموس نندي سخي وأفضل
كأندي فهو ندي الكف والنسباء الثراء والشعم والمطر والليل وشي « يتعليب به
كالبحور وفي محل آخر أنه يكثر عطاياه انتهى إشارة إلى غزارة كرمه وجزالة
عطاياه وحزمه « ميسدي » أي مظهر « الهدى » أعني العلوم الغامضة والفهم
الرائضة والهدى بصم الماء وفتح الدال المهلة الرشاد والدلالة « مردي العدى »
اسم فاعل من أرداه إذا أهلكه وكسره وأوقع أعداء في الردى والتلف والهلاك
« مجلي » أي مزبل ومزق وكأشرف « الصدى » أي العطش والظما والمراد به
كأشرف الكرب ومجلىبوب « ياويل » هذه يراد بها الدعاء بالحزن والهسلاك
والمشقة ومعنى النداء فيها أي يا حزن ويا هلاك ويا عذاب احضر فذا وقتك
وأوامك « من » أي إنسان مكلف من ذكر وأنثى « فيه » أي في أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب « اعتدى » بانتقاصه وانحطاطه عن منزلته الشائخة ودرجته
لباذخة وهضم من حقوقه الطاهرة وفضائله الطاهرة أو غلا فيه غلوا خارجا عن
لوره ونسب إليه ما ليس له من نحو الوهية كنفلة أهل الرضى أو نبوة أو فضيلة

على من هو نفسه اعترف بأنه أفضل منه وقد أخرج البزار عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ان نبيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصاري حتى أنزلوه المنزل الذي ليس به» ألا وأنه يهلك في اثنان محب بقرظني بما ليس فيّ ومبغض بجهله شاكّي علي ان يبهتي ورواه أبو يعلى والحاكم أيضاً وأخرج الامام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي «أشقى الناس رجلان أحببر عمود الذي عقر الناقة والذي يضر بك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى يبل منه هذه» يعني لحبته - وقد ورد ذلك أيضاً من حديث علي وصيب وجابر بن سورة وغيرهم رضي الله عنهم وروى الطبراني وأبو يعلى بسند رجاله ثقات الا واحدا منهم وقد وثق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوماً من أشقى الاولين قال الذي عقر الناقة يا رسول الله قال صدقت قال فمن أشقى الآخرين قال لا أعلم لي يا رسول الله قال الذي يضر بك على هذه وأشار صلى الله عليه وسلم الى يافوخه فكان علي رضي الله عنه يقول لاهل العراق يعني عند ضجره منهم وددت انه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعني لحبته من هذه ووضع يده على مقدم رأسه وصح أيضاً ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لعلي لا تقدم العراق فاني أخشى ان يصيبك بها ذباب السيف فقال علي وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو الاسود الدؤلي فما رأيت كال يوم محارب يخبر بهذا عن نفسه

اذا علمت هذا فاعلم ان أمير المؤمنين علي الانزع البطين ابن أبي طالب واسمه عبد مناف وقبل اسمه كنيته ابن عبد المطلب واسمه شيبه الحمد قاله ابن اسحق وقيل عامر قاله ابن قتيبة قال ابن عبد البر ولا يصح وكنيته أبو الحارث والحارث أكبر أولاده ويكنى أيضاً أبا البطحاء واما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب أردفه حين أتى به من المدينة صغيراً فكان يقال له من هذا فيقول عدي وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي الخ النسب الشريف فعلي رضي الله تعالى عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً في الاسلام وقد أسلمت وهاجرت وأمير

المؤمنين علي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالحق وأحد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مالموا أحادة وصهره علي سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأحد السابقين إلى الإسلام
 وأحد العلماء الزمانين والشهداء المشهورين والرهاد المدكورين والخطباء
 المعروفين وأحد الخطباء الراشدين وأحد من جمع القرآن المس وأول حلفاء من
 بني هاشم وأ والسلف السعيد أسلم علي رضي الله عنه قدما قال ابن عباس
 وأسن من مالك ويريد من أرفق وسالم الفارسي وحاسة من السجادة رضي الله عنهم
 أنه أول من أسلم حتى نزل بعصم الإجماع عليه وقد ورد في ذلك عدة أحاديث وتقدم ذكر
 الصديق ما يجمع الأقوال على التحقيق ويدل لهذا ما قاله أمير المؤمنين رضي الله عنه لما
 بلغه افتحار معاوية فقال له لعله أكتب إليه ثم ألقى عليه رضي الله عنه قوله

محمد السبي أحبي وصهرى	وحجرة سيد الشهداء عني
رحمتم الذي بمسي وبصحي	يطير مع الملائكة من أي
وست محمد مكى وعمرى	موط لجها لدي ولحي (١)
وسطأ أحمد اساي مها	فأيكم له - سيم كسي
مسقةكم إلى الإسلام طرا	علاما ما ملئت أوان حلبي

قال الامام الحافظ السبكي ان هذا الشعر مما يجب على كل متواضع في علي

رضي الله عنه حفظه لعلم مفاخره في الإسلام اسبحي

واعلم ان ما قبل أمير المؤمنين علي من أنى طالب رضي الله عنه كثيرة

وما أثره غريرة ووصائله شهرة حتى قال سدا الامام أحمد رضي الله عنه ما جاء

لاحد من الفضائل ما جاء لعلي رضي الله عنه وكذا قال اسماعيل القاضي

والسائي وأبو علي البسابري لم يرد في حق أحد من الصحابة الا ما يمدح الحسن

أكبر مما جاء في علي رضي الله عنه قال بعض العلماء وسب ذلك والله أعلم ان الله

نعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون منه مما انبى به علي وما وقع من

الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاعصى ذلك تصح الامة ما شاهده انك الفصائل

(١) قوله موط لجها تحريف صوابه موط بالسبب أي مخلوط وممزج دمه ولجها

في ولديهما اه مصححه

لنحصل النجاة لمن تمسك به من بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من
 سمع من الصحابة تلك الفضائل وبشما نصحا للامة بضائم الاشتداد الخطب واشتغلت طائفة
 من بني أمية بتنقيصه وسبه حتى على المنابر وواقفهم على ذلك الخوارج اشتغلت جهابذة
 العلماء والحفاظ من أهل السنة ببحث فضائله حتى كثرت نصحا للامة ونصرة للحق
 وقد أخرج السائي في الطبروريات عن عبد الله ابن الامام أحمد رضي الله عنهما قال
 سألت أبي عن علي ومعاوية فقال اعلم أن عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداءه وه شبناء فلم
 يجدوا فجاءوا الى رجل قد حاربته وقتلته فاصروه كيادا منهم له رضي الله عنه وقال شيخ
 الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه الكل مقرر بأن معاوية ليس كفوا لعلي رضي الله
 عنهما في الخلافة ولا يجوز ان يكون معاوية خليفة مع امكان استخلاف علي لسابقتيه
 وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله فانها كانت عندهم ظاهرة معروفة كفضل اخوانه
 أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولم يكن بقي من أهل السورى غيره وغير سعد لكن
 سعدا كان قد تركه هذا الامر وكان الامر قد انحصر في علي وفي عثمان رضي الله
 عنهما فلما توفي عثمان لم يبق لها معين الا علي رضي الله عنه وانما وقع ما وقع من السر
 بسبب قتل عثمان رضي الله عنه وقال شيخ الاسلام ومعاوية لم بدع الخلافة ولم
 يبايع له بها حين قاتل عليا ولم يقاتله علي رضي الله عنه على انه خليفة ولا انه
 يستحق الخلافة ولا كانوا يرون ان يسدوا عليا بقتال بل لما رأى على ان لهؤلاء
 شوكة وهم خارجون عن طاعته رأى ان يقاتلهم حتى يردوا الى الواجب وهم رأوا
 ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما باتفاق وقتله في عسكر علي رضي الله عنه وهم
 غالبون لهم شوكة وعلي رضي الله عنه لم يمكنه دفعهم لما لم يمكنه الدفع عن عثمان
 فرأوا من الآراء الفاسدة ان نبايع خليفة يقدر على ان ينصفنا وببذل لنا الانصاف
 وكان في جهال الفرقة من يظن بالامامين علي وعثمان رضي الله عنهما ظنونا كاذبة
 منهم من يزعم ان عليا رضي الله عنه أمر بقتل عثمان رضي الله عنه وكان علي رضي
 الله عنه بخلف وهو البار الصادق بلا يمين انه لم يقتله ولا رضي بقتله ولم يبالى على
 قتله قال شيخ الاسلام وهذا معلوم بلا ريب من علي رضوان الله عليه فكان
 اناس من محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه فمحجوه يفصدون الطعن على

عثمان وآله كان يستحق القتل وإن علياً أمر بقتله ومبىءه يصدقون الضمن علي
 علي رضي الله عنه وأنه أذن على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذي صبر نفسه ولم
 يدفع سبها ولم يسدك دم مسلم في الدفع عنه فكيف في طلب طاعته وأمثال هذه
 الأمور التي تنسب إلى المشركين العثمانية والمؤوية وكل من العائدين مقررات
 معاوية ليس بكفر ولا رضي الله عنه ولي الخلافة ووقعت له المبايعة برا المعلن
 قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة فإنه لما قتل عثمان جاء الناس بهرسون
 إليه فقالوا له نابعك قد يدك فلا بد للناس من أمير فقال علي رضي الله عنه ليس
 ذلك اليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد
 من أهل بدر إلا أتى علياً فقالوا ما نرى أحداً أحق بها منك مد يدك نابعك
 فبايعة وهرب مردان وولده وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان
 قالت لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرته
 علياً والناس بائعين فدعا نجيها فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب
 قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله لئلا كرمي أبي قتلت عنه وأنا أناب إلى الله
 سبحانه وتعالى والله ما قلته ولا أمسكته فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه أدخلها
 وذلك أن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما دخل كما ذكر فأخذ باجبة عثمان فقال
 له عثمان رضي الله عنه والله لو وآك أبوك لساومك مكلمك مني فتراخت يده ودخل
 عليه الرجلان فترجياه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت
 امرأة فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت إلى الناس فقالت
 إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبحاً وبلغ الخبر علياً وطلحة
 والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم
 حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا وضرب علي الحسن ومصدر الحسين
 وشتم محمد بن طلحة وكان أوسايم يذبون عن عثمان وقال لابنيه كيف قتل وأنا
 على الداب وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله فهرع الناس إليه فبايعة حميما وزعم
 بعض الناس أن طلحة والزبير إنما بايعا كلوهين غير طائعين ثم خرجا إلى مكة وأمر
 المؤمنين عائشة بها فأخذها وخرجها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك علياً

فخرج الى العراق فاتي طلحة والزبير ومن معها وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى
 الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا
 وأقام علي رضي الله عنه بالبصرة خمسة عشر ليلة ثم انصرف الى الكوفة ثم خرج
 عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين
 ودام القتال بها أياما فرجع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من
 عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا ان يوافوا رأس الحول بأذرح فبنظروا في أمر
 الامسة فافترق الناس ورجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وبلغت القتلى
 ثلاثين ألفا قال القرطبي في التذكرة وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر
 وقيل تسعة أشهر وقبل ثلاثة أشهر وقيل بل قتل في ثلاثة أيام وهي الايام البيض
 ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين ذكره
 الثقة المحدث أبو اسحق ومن تلك الايام ليلة الهرير جعل بهر بعضهم الى بعض
 والهرير الصوت يشبه الثباح لانهم تراموا بالنبل حتى فزيت وتطاعنوا بالرماح حتى
 اندقت وتضاربوا بالسبوف حتى انقضبت حتى نزل القوم يمشي بعضهم الى بعض
 وقد كسروا أنفان سيوفهم وتضاربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد فلا يسمع
 الاغممة القوم والحديد في الهام ثم تراموا بالاحجار ثم جثوا على الركب فتعاثروا
 بالتراب ثم تكادموا بالافواه وكسفت الشمس وثار الغمام وارتفع الغبار وضلت
 الاولوية والرايات ونزلت مواقيت أربع صلوات لان القتال كان من بعد صلاة
 الصبح الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين كما
 في تاريخ الامام احمد رضي الله عنه وغيره وكان عدة أهل الشام الذين مع معاوية
 مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا وكان أهل العراق الذين مع علي رضوان الله عليه
 عشرين أو ثلاثين ومائة ألف ذكر ذلك الزبير من بكار واستشهد في صفين أبو
 اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان مع علي رضوان الله عليه وكان عمار
 يومئذ ابن ثلاث وتسعين سنة وكان قد سماه رسول الله الطيب المطيب فقد روى
 الترمذي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال جاء عمار بن ياسر
 يستأذن علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال «انذبتوا له مرحبا بالطيب المطيب» قال

الترمذي حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أخبرني من هو خير متي أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمار «تقتلك فئة باغية» وأخرجه مسلم أيضا من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار «تقتلك الفئة الباغية» وفي الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار «أبشر تقتلك الفئة الباغية» واستقى يوم صفين فأني بقعب فيه لبن فلما نهار إليه كبر ثم قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آخر رزقي من الدنيا ضياح لبن في مثل هذا القعب ثم حمل فلم يثن حتى قتل أخرج الترمذي المسند منه وقال حسن صحيح والباقي ذكره زرير وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل ينفذ الثراب عن عمار وهم يننون المسجد النبوي ويقول «ويح عمار يدعوم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال وجعل عمار يقول أعوذ بالله من الفتن وفي رواية «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» ولم يذكر البخاري هذه الزيادة يعني تقتله الفئة الباغية وهذه الزيادة صحيحة ثابتة وهي في صحيح مسلم وغيره وكذلك في بعض نسخ البخاري كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ومن رضي بقتل عمار رضي الله عنه كان حكمة حكما أي حكم الفئة الباغية التي قتلته ويروي أن معاوية تأول أن الذي قتلته هو الذي جاء به إلى ميون مقاتله فاقته إلا الذي أخرجه فالزمه علي رضي الله عنه بقوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين أخرجه لقتال المشركين ولا يخفى أن حجة معاوية هذه أوهى من بيت المنكوت ومن ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ولا ريب أن قول علي رضي الله عنه هذا هو الصواب انتهى ولا يرئاب ذرو الباب أن الحق والصواب مع أمير المؤمنين أبي السبطين وزوج سبدة نساء العالمين على ابن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين

وأما معاوية رضي الله عنه فهو مجتهد غفلي وليس له يومئذ في الخلافة حق ومن ثم قال له أبو مسلم الحولاني أنت تنازع عليا في الخلافة وأنت مثله قال لا وأني لأعلم

انه أفضل ولكن ألسنهم تملدون ان عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه ووليه أطلب
 يدمه فأتوا عليا فقتلوا له يدفع لقاتلة عثمان فأجاب معاوية أهل الشام فأرسل
 لي علي أبا مسلم يطلب بدم عثمان وأنه وليه وابن عمه فقال أمير المؤمنين علي
 يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكم المدعى عليهم عندي فأحكم بما أنزل الله
 فأبى معاوية حتى جرى ماجرى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان أهل الشام
 يسمون قتل عمار فتح الفتوح رقي قتله يقول الحجاج بن غزية الانصاري
 قال النبي له تقتلك شر ذممة سيطت لحومهم بالبغي فجار
 فالיום يعلم أهل الشام أنهم أصحاب ذاك ومنهم شئت النار
 وقال ابن عبدون في عمار رضي الله عنه

ومارعت لابي اليعقظان صحبته ولم تزوده الا الضيغ في العدر

قال في النهاية الضياح والضيغ بالفتح اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط وهو يفتح
 الضاد المعجمة وسكون التحتية فحاء مهمل وفي القاموس اللبن الرقيق المزوج وكذا
 الضياح يفتح انضاد المعجمة وما رفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها قال
 علي رضي الله عنه نعم نحن أحق بالاجابة الى كتاب الله تعالى فقال القراء الذين
 صاروا بعد ذلك خوارج خوانا يا أمير المؤمنين ما تنظر الى هؤلاء ألا تمشي عليهم
 بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف يا أيها الناس اتهموا رأيكم فآل
 الامر الى أن كتبوا بينهم كتابا ان يوافوا رأس الحول بأذرح كما تقدم فخرجت
 عن طاعة أمير المؤمنين الخوارج وهم القراء فقتلوا كافر علي وكفر معاوية فاعتزلوا
 عليا رضي الله عنه ونزلوا حرورهم بهم بضعة عشر ألفا فأرسل علي اليهم ابن عباس
 رضي الله عنهم فناشدهم الله ارجعوا الى خليفتمكم فبم نعمتم عليه أفي قدمة أو
 قضاء قالوا نخاف ان ندخل في الفتنة قال فلا تمجولوا ضلالة العام بخافة فتنة العام
 القابل فرجع بعضهم الى الطاعة وقال آخرون نكون ناحية فأن قبل القضية يعني
 التحكيم فاننا على ما قلنا عليه أهل الشام بصفتين وان نقضها قاتلنا معه فصاروا
 حتى قطعوا النهر وافتقت منهم فرقة يقتلوا الناس فقال أصحابهم ما على هذا
 فارقنا عليا فلما بلغ أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه صنفهم وكان متجهزا لقتال أهل

الشام بعد التحكيم فإن الناس اجتمعوا بافرح في سبعين من سنة ثمان وثلاثين وحضر في هذه القضية سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة ابرئ اعترزوا الفتنة رضي الله عنهم فقدم عمرو بن العاص أبو موسى الاشعري مكيدة منه فكلم فانتا على خلع الاثنين علي و معاوية وبصير الامر تدرى فمن رضى أهل بدر من المهاجرين والانصار فهو الخليفة فتقدم أبو موسى فقال قد خلت عليا فقام عمرو فقال إن أبا موسى قد خلع عليا واني نصبت معاوية فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمرا ويقول أنك غدرت فرجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وصار علي على خلاف من أصحابه حتى صار رضي الله عنه بعض على أصبه ويقول أعصى وبطاع معاوية وربما قال و بطاع ابن آكلة الا كباد اشارة الى أكل هند بنت عتبة أم معاوية من كبد حمة رضي الله عنه يوم أحد لما تجهر علي رضي الله عنه لقنال أهل الشام شمله أمر الخوارج وما ارتكبه من المفاسد قتل لأصحابه أناس يرون الى عدوكم أو ترجعون الى هؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم فقالوا بل فرجع اليهم فقال رضي الله عنه اسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة فكان كذلك فقال اغلبوا في القتلى رجلا صفته كذا وكذا وذكر من نمت ان له ثديا كشدي المرأة فطلبوه فوجدوه على الميت الذي ذكره أمير المؤمنين لهم فقال رجل الحمد لله الذي أمادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن في اصلاص الرجال لم تحمله النساء بعد وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «مروق مارقة على حين فرقة من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين الى الحق» رواه مسلم في صحيحه فقتلهم علي رضي الله عنه وفرح على قنال الخوارج بخلاف وقمة الجمل وغيرها فانه كان يظهر منه الحزن والكآبة والاسف ومن بقايا الخوارج القرامطة وهم الباطنية والاسماعيلية والملاحدة واخراهم

(غريبة عجيبة) ذكر الحلال السيوطي في تنقيح المرجان قال ذكر في كتاب نزعة المذاكرة من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حضرت مع علي بن أبي طالب رضي الله

عنه قتل الخوارجية بالنهراون فالتمس علي ذا الثدية فلم يجدوه فقال اطلبوه فوجدوه
بعد ذلك فقال علي رضي الله عنه من يعرف هذا فقال رجل من القوم نحن نعرفه
هذا قوس وأمه ههنا فأرسل علي الى أمه فقال لها من أبو هذا قالت ما أدري
الا اني كنت أرعى غنما لاهلي في الجاهلية بالمدينة ففشتني شي كهيئة الظلة فخلت
منه فولدت هذا انتهى تعني ان أباه من الجن وهذا غريب جدا والله أعلم

﴿تقريبه﴾

علم مما تقدم ان احق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمة أعني أبا بكر وعمر
وعثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ياتفاق أهل المل والعمد كطالحة والزبير
وأبي موسى الأشعري وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان ومحمد
بن مسلمة وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قال بعض
محققي علمائنا قد اتفق على بيعة علي رضي الله عنه عمار ومن حضر المدينة من
البدرين والاتصار كاجتماع أهل القبلة على بيعة أبي بكر رضي الله عنه قال
الحسن البصري رضي الله عنه والله ما كانت بيعة علي رضي الله عنه الا كبيعة أبي
بكر وعمر رضي الله عنهم وقال أبو عبد الله بن بطة من علمائنا كانت بيعة علي رضي الله
عنه (بيعة) اجماع ورحمة لم يدع الى نفسه ولم يجبرهم على بيعته يسيفه ولم يغلبهم بعشرته
ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو
قدره ولقد أباهما فأجبروه وقاعس عنها فأكرهوه وقال سيدنا الامام أحمد رضي
الله عنه ان عليا رضوان الله عليه لم تزل الخلافة واسكن علي زانها وروى الشامي
قال دخل اعرابي على علي رضي الله عنه حين أفضت اليه الخلافة فقال والله يا أمير
المؤمنين لقد زلت الخلافة وما زاتك ورفعتها وما رفعتك ولهي كانت أحوج اليك
منك اليها قال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى قد أحسن الاعرابي وصدق في ما قال
فان عليا ومن تقدمه من الخلفاء رقي الله عنهم زينوا الخلافة وجعلوا أمة محمد صلى الله
عليه وسلم زانوا الدين وأظهروه وأسسوا الاسلام وأشهره وأنشد الامام الحافظ
أبو الفرج ابن الجوزي في تبصرة في حق علي رضي الله عنه

ما زانه الملك اذ حواه بل كل شي به يران جرى قدات الملوك سبنا

فليس قدامه غيان قالت يدها ذرى معال يعجز عن مثلها العيان
وفي شرح المناصد عن بعض المتكلمين انهم على بعة علي رضي الله عنه
الاجماع ووجهه انه قتله ما انحصر الامر فيه وفي عثمان زمن الشورى على انه اله
أو لعثمان وهذا اجماع على علي رضي الله عنه لولا عثمان فلما وفي عثمان رضي الله عنه
بقيت على اجماع ومن ثم قال بعض محققى علماء الكلام لا اكتمال بقول من قال
لا اجماع على امامة علي رضي الله عنه وقد تقدم في كلام شيخ الاسلام ما يهتس
منه هذا المقام والله ولي الانعام

ولما قتل على رضي الله عنه الخوارج بالهرول واستأصل جمهورهم ولم ينج
منهم الى القليل انتدب من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والحجاج بن
عبد الله الصريحي و يسرف بالبرك ودادويه مولى بني العنبر بن عمرو بن نعيم
فاجمعوا رأيهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وان يكون قتلهم
في ليلة واحدة وهي ليلة سبعة عشر من رمضان أو احدى عشر وقبل ليلة
احدى وعشرين من شهر رمضان وكان تعاقدهم وتماهدهم على ذلك بمكة المشرفة
فضمن ابن ملجم قتل على قتل له وكيف لك بذلك قال اغتاله ضمن البرك
قتل معاوية ضمن دادويه قتل عمرو بن العاص وزعموا ان هذه الثلاثة قد أفسدوا
أمر هذه الأمة ولو قتلوا لعاد الامر الى مستحقه كذا زعموا لعنهم الله تعالى
فتوجه كل واحد منهم الى صاحبه فاما البرك الصريحي فقدم على معاوية بدمشق
فضربه فخرح أليته وهو في الصلاة ويقال انه قلع عرق النسل منه فما أحبل النساء
بعد تلك الضربة واما دادويه بن حذافة العنبري فقدم مصر لقتل عمرو بن
العاص فانفق انه تلك الليلة استخلف على صلاة الفجر خارجة بن حذافة بن
خاتم بن عبد الله بن عوف بن عتبة بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب
القرشي العدوي شهيد ففتح مصر وكان أمير يدع المدد الذين أمدهم أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في فتح مصر وكان على شرط مصر في
أمره عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم قال في جامع الاصول
كان خارجة بن حذافة هذا أحد فرسان قریش فيقال انه كان يعدل بألف

فارس قاله ابن عبد البر وكان كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستدع ثلاثة آلاف فارس فأمدته بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمزدد بن الأسود رضي الله عنهم. فراد الخارجي دأبوه قتل عمرو بن العاص فقتل خارجة بن حذافة فلما قتله الخارجي أخذ وأدخل على عمرو فقال الخارجي من هذا الذي أدخلتموني عليه قالوا عمرو بن العاص قال ومن قتلت قالوا خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة فذهبت مثلا والى هذا أشار أبو محمد عبد الحميد بن عبدون الاندلسي في قصيدته الرائية التي رثى بها بني الافطس ملوك بطليوس بقوله

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

واما أشقى الآخر بن عبد الرحمن بن ملجم اللعين فقدم الكوفة ولقي بها من اخوانه الخوارج فسارهم بما أراد فاشتري سيفا فباع زعموا بألف وسقاه السم حتى لفظه وكان في خلال ذلك يأتي عليا رضي الله عنه فيسأله فوتمت عينه على قطام بنت عاتمة من تيم الرباب وكانت خارجية ترى رأي الخوارج وكانت جميلة رائمة في الجلال فأعجبته فخطبها فقات آليت ان لا أتزوج الا على مهر لا أريد سواه فقال ما هو فقات ثلاثة آلاف وعبد وجارية وقتل علي بن أبي طالب فقال والله ما أتيت الا لانتك به ولا أقدمني هذا المصر غير ذلك ولكن لما رأيتك أردت تزويجك فقالت ليس الا الذي قلت لك فقال وما يغنيني منك اذا أنا قتلت عليا اعلم اني لم أفك فقالت ان قتله ونجموت فهو الذي أردت تبلغ شفاء نفسك ويهنيك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا فقال لهالك ما اشترطت ثم قال لعنه الله تعالى

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسموم

فلا مهر أغلام من علي وان غلا ولا فتك الادون فتك ابن ملجم

فقات له ورأى من يشد ظهرك فبعثت الى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقي ابن ملجم شبيب بن شجرة الاشجعي فقال يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والاخرة فقال ما هو فقال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب فقال ثكلتك أمك لقد جئت شيئا إدا كيف تقدر على ذلك قاله انه رجل لا حرس له

ويخرج الى المسجد منفردا فتتمكن منه وقد كما له في المسجد فقتله فان سمعوا
نحونا وان قتلنا فقد سمعنا بالدكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة فقال ويك
عليك ذومابطة في الاسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم ومانشرح نفسي لقتله قاتل
ويك انه حكم الرجال في دين الله وقتل اخواننا الصالحين فقتله ببعض من
قتل فلا تشكن في ذلك فأجابه وأقبل حتى دخلا على قطام وهي معنكة في المسجد
الأعظم في قبة ضربتها لنفسها فعدت لها وأخذنا سيفها وجلسا قبالة السدة
التي يخرج منها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فخرج الى مائة
الصح فبدده شيب فصر به فأخطاه وضربه عبدالرحمن على رأسه وقال الحكم قد يابلي
لا لك ولا لأصحابك فقال علي رضي الله عنه فزت ورب الكعبة لا يفر منكم كتاب
وشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم ابن ملجم فأفرجوا له فتناه العيرة
ابن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب فرمى عليه قطيفة كانت عنده واضربه
وضرب به الأرض وقد على صدره وأما شبيب فانزعز السيف من يده وحل من
حضر موت وصرعه وقعد على صدره فجعل الناس يصيحون عليهم بصاحب السيف
خفاف المصري على نفسه فرمى بالسيف وأفل شبيب من بين الناس فأخذه ابن
ملجم فدخل به على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال ان أعش فلا مرأى لي
وان أمت فالأمر لكم بالعفو أو القصاص واجتمع الأطباء عنده وكان أبصرهم
بالطب أنير بن عمرو السكري وكان من أملاء كسرى فأخذ رنة شاة حارة فنبع
عرقا منها فأخرجه فأدخله في جراحة علي رضي الله عنه ثم نفخ العرق فاستخرج
فاذا عليه يافس دماغ واذا الضربة قد وصلت الى أم رأسه فقال يا أمير المؤمنين
أعهد عهدك فأنت ميت وسمع ابن ملجم لعنه الله الرنة من الدار فقال له من
حضره أي عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال ابن ملجم
فعلى من تبكي أم كلثوم أعلى تبكي اما والله لقد اشتريت سبني بألف ومائة
أعرضه فما يعيه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولما
صر به ضربه لوقمت على من بالشرق لا أت عليهم ثم مات أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلة الاحد لتسع عشرة من رمضان سنة

أربعين وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وصلى عليه
الحسن ودفن بدار الإمارة بالكوفة ثم أحضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط
والبوازي وقطعت يده ورجلاه وكطت عيناه بمسامير الحديد حجة ثم قطع لسانه
ثم أحرق في قوصرة وقيل أنه قطعت أطرافه لعنه الله ولم يتأوه بل (كان) يتلو القرآن
فلما أرادوا قطع لسانه امتنع من إخراجهم فتمتعوا في ذلك فقتل له قطعت يداك ورجلاك
فما تمانعت فما هذا التمانع عند قطع لسانك قال لئلا يفوتني من تلاوة القرآن شيئا
واناجي فشقوا شذقه وأخرجوا لسانه بكلاب فقطعوه وكان عمر أمير المؤمنين
للمات ثلاثا وستين سنة كأبي بكر وعمر كمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
تعالى أعلم

ولما بلغ عائشة رضي الله عنها موت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قالت لتصنع العرب ماشاءت بعده فليس لها من ينهاها وكان عبد
الرحمن بن ملجم قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان من العباد
المعدودين قبل خروجه حتى يقال إن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله أن
يوسع دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس الفقه والقرآن ثم كان من شيعة أمير
المؤمنين علي رضي الله عنه وشهد معه صفين ثم فعل بعد هذا ما فعل فنسأل الله
حسن الخاتمة في عافية وعند الخوارج إن ابن ملجم أفضل الأمة وكذلك النصيرية
يعظمونه قال أبو محمد بن حزم يقولون أنه أفضل أهل الأرض لأنه خلص روح
اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره وعند الروافض أنه أشقى الخلق في الآخرة
قلت ولا يخفى أنه استحل قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بل عذ قتل من
أعظم القرب وهذا كفر بلا ريب حتى إن عمران بن حطان الخارجي قبحه الله تعالى
قال يمدح ابن ملجم لعنه الله

يا ضربة من تقى ما أراد بها الأليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لا ذكره يوما فاحسبه أو في البرية عند الله مبرانا
وعارضه بعض أهل الحق بقوله

قل لابن ملجم والاقدار غالبه هدمت وملك للإسلام أركاننا

قلت أفذل من يمشي على قدم
واعلم الناس بالأيام ثم بما
صبر النبي ومولاه وذاصره
وكان منه على وغم للمسود له
وكان في الحرب سينا ماضيا ذكرا
دكرت قتله والله مع من حذر
أبي لاحسبه ما كان من بشر
أشقى مراد اذا عدت قبائلها
كهاقر الباقاة الأولى التي جلبت
قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تحمله
لقوله في شقي ظل مجترما
بأضربة من تقى ما أراد بها
بل ضربة من غوي أودته لطي
كأنه لم يرد قصدا بضربه
وما أحسن ما قل عمارة اليماني في الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم

أردت عليا وعثمان بمخلبا
ومن أراد الناس في مصيبتهم
واعلم ان مناقب علي رضي الله تعالى عليه كثيرة ومآثره شهيرة ولقد
فيه ابن عباس رضي الله عنهما كان لمي ضرس قاطع في العلم وكان له الأدم
الاسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم وافقه في السنة والجد في الحر
والجود في المال وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتمود بالله من معضلة له
لما أبو حسن يعني عليا رضي الله عنه وأخرج الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الله
ابن الخوزي في تبصرته بسنده عن أبي صالح قال قال معاوية بن أبي سفيان
لضرار بن ضمرة صف لي عليا قال أوتعتني يا أمير المؤمنين قال بل تصف

قال أوتعفيني قال لا أعفئك قال أما ذلأبد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا وبحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جش بكان والله كأحدنا يحينا اذا سألناه ونبئتنا اذا أنبأناه ويأتينا اذا دشوناه ونحن والله مع تقربه لنا وقربه منا لانكأه هية ولا نبئتة لعظمته كان اذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطعم القوي في باطله ولا يئأس الضعيف من عدله فأشهد بالله لرأيه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته ينامل نمل السليم ويكي بكاء الحزين فلكتابي اسمه وهو يقول يادنيا يادنيا أبي تعرضت أم لي تشرفت هبات هبات غري غيري قد بتك ثلثاً لارجمة لي فيك ولا مشوية فعمرك قصير وعيشك حزين وخطرك كبير ويروى انه قال حلالك حساب وحرامك عذاب ثم انشد رضي الله عنه

دنيا تخادعني كأنني لست أعرف حالها مدت الي عيناها فرددناها وشاها
حظر الآه حرامها وأنا اجنبت حلالها وعامها خداعة فركت جملتهاها

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكه وقد اخنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله أبنا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقى عبرتها ولا تسكن حسرتها وأنشد الحافظ ابن الجوزي في النبصرة من نظم الامام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ووصف نفسه

اذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر

وان برقت في محل الصواب عياء لا يجليها البصر

مقنعة بغيوب الأمور وضعت عليها صحيح الفكر

لساني كشفتة الاريجي أو كلسان الحسام الذكور

وفي الطيور يات قال قال رجل لعي رضي الله عنه نسمةك تقول في الخطبة

اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فانغور رقت عيناه قال
هم أحبابي أبو بكر وعمر اماما المهدي وشيخا الاسلام وجلا قريش والمقتدى بهما
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدى
الى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو في حزب الله

والامام علي أمير المؤمنين رضي الله عنه أول من وضع علم الحرف قال أبو القاسم
الرجاجي في أماليه عن أبي الأسود الدؤلي قال دخلت على أمير المؤمنين قرأته مفكرا
قلت فيهم تفكر قال اني سمعت ببلدكم هذا الخنا فاردت ان أضع كتابا في أصول العربية
فقلت ان فعلت هذا أحييتا وبقيت فينا هذه الامة ثم أتيت بعد ثلاث فأتني الي صحيفة
فيها : بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى
والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل : ثم قال واعلم
يا أبا الاسود ان الاتيائه ثلاثة طاهر ومضمر وشي : ليس بظاهر ولا مضمر : ثم قال تتبعه
واصح نحوه وزد فيه : وهذا مشهور وما تحيط الدفاتر بالبحر الحضم . والشئ الاعظم
والسواد الاعظم فكل ما ذكرناه بالنسبة لما تركناه كقطرة ماء من بحر الجني أو
كرملة واحدة من رمال فجى وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسائة
وسبعة وثلاثون حديثا منها في الصحيحين أربعة وأربعون حديثا اتفقا منها على
عشرين وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بخمسة عشر والله ولي التوفيق ثم قال في نظبه
﴿ حبه كحبهم حتما وجب ومن تعدى أو تلافى كذب ﴾

﴿ حبه ﴾ أي حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ كحبهم ﴾
أي الخلفاء الراشدين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق الامام
المبجل على التحقيق المسمى بمبدأ الله والمقلب بعتيق فمن أحبه فهو مؤمن ومن
بغضه فهو زنديق وكذلك عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق وكذلك عثمان بن
عفان الذي بكل مكرمة مرهوق فان كنت مؤمنا فأحبهم جميعا وحتم ذلك على
نفسك وعلى كل أناء جنسك ﴿ حتما ﴾ أي خالصا بحكم الامر ﴿ وجب ﴾ على
جميع الامة باتفاق الأئمة لا يزوغ عن حبهم الا هالك ولا يروغ عن وجوب ذلك
الا آفك ومن ثم قال ﴿ ومن ﴾ أي أي مكلف من هذه الامة المحمدية ﴿ تعدى ﴾

في حبه أولم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة ﴿أوقلا﴾ هم أو أحدا منهم أي أبغضهم أو أحدا منهم يقال قلاه كرماء رفضه فلا وقلا إذا أبغضه وكرهه غاية الكراهة وتركه وهجره وقال الامام أبو المظفر عون الدين بن هبيرة القلي بغض بعد حب ﴿وقد﴾ التاء في جواب من وقد حرف تحقيق ﴿كذب﴾ في كل واحدة من الخصائين من تمديه في الحب أو بغضه لهم أو لأحد منهم رضي الله عنهم أجمعين .

﴿تنبيهات﴾

(الاول) اعلم ان الواجب اعتقاده ان أفضل هذه الأمة بعد انبيائها صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فهم الذين وليوا الخلافة التي هي النبابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المؤمنين من افادة الدين وصيانة المسلمين بحيث يجب على كافة الخلق الانباغ ويحرم عليهم المخالفة وقد بين صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة بعده بأثلاثون سنة ثم نصير ملكا عضوا فكانت مدة خلافتهم فأخرج الامام أحمد من حديث سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون من بعد ذلك الملك» ورواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الاربعة وأيام الحسن رضي الله عنهم وأخرج البزار بسند حسن من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان أول دينكم نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية ثبت بالنص ان مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكذا مدة سيدنا الحسن رضي الله عنه وكانت سنة أشهر وأياما والله أعلم

(الثاني) ترتيبهم في الخلافة وهذا قول عامة أهل السنة من أهل الحديث والعققة والكلام من الاثرية والاشعرية والمالكية والزيدية وغيرهم قال الامام أحمد رضي الله عنه علي رضوان الله عليه رابعهم في الخلافة والمنفصل وقال من فضل عليا على أبي بكر وعمر أوقد مه عليهما في الفضلة . الامامة دون النسب فهو رافعي مبتدع

فاسق ذكره القاضي أبو يعلى قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين فإن فصله يعني عليا رضي الله عنه سلى عثمان رضي الله عنه فكذلك يعني أنه يكون راضيا بمبتدعا فاسقا وفي رواية أخرى لا يكون راضيا بمبتدعا مفصلا عليا على عثمان رضي الله عنهما وتبرأ الامام أحمد رضي الله عنه ممن ظلمهم أو أحاداهم اهـ

(الثالث) اعلم ان الذي أطبق عليه علماء الملة وعلماء الامة ورواها الاثنيان أفضل هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم الصديق الاعظم أبو بكر ابن أبي قحافة ثم عمر الفاروق بن الخطاب رضي الله عنهما ثم اختلفوا فلا كثرون ومنهم الامام أحمد والامام الشافعي وهو المشهور عن الامام مالك رضي الله عنهم ان افضل بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وجزم الكوفيون ومنهم من يمان الثوري بتفصيل علي بن عثمان وقيل بالوقف عن التفصيل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبد الله الساردي عن المدونة ان مالكا سئل أي الناس أفضل بعد نبينا فقال أبو بكر ثم عمر ثم قال أوفي ذلك شك فنبل له وعلي وعثمان فقال ما أدركت أحدا من اقتدي به يفضل أحدهما على الآخر انتهى وقوله أوفي ذلك شك يريد ما سحره ان تفصيل أبي بكر وعمر على بقية الامة قطعي نعم حكى القاضي عياض عن الامام مالك انه رجع عن التوقف الى تفصيل عثمان قال القرطبي وهو الاصح ان شاء الله تعالى وقد نقل التوقف ابن عبد البر عن جماعة من السلف منهم الامام مالك ويحيى القطان وابن معين قال الامام يحيى بن معين ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفصله فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فصله فهو مذهب ومن ثم يعلم ان حكاية الاجماع على ان عثمان أفضل من علي رضي الله عنهما مدخول بل الخلاف معلوم نعم معتمد محقق أهل السنة ان الخلفاء الراشدين في ترتيب الافضل على نسق ترتيب الخلافة وهذا مخصوص الامام أحمد وغيره من أئمة الاسلام لكن التفصيل في طرف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قطعي على المعتمد وقيل طي كما عند الباقلاني وغيره

(الرابع) سئل الامام أبو زرعة الوري العراقي عن اعتقاد في الخلفاء الاربعة

الافضية على الترتيب المعلوم ولكن يحب أحدهم أكثر هل ياتم أولا فأجاب بأن المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبة الدينية له أكثر ففى اعتقدنا في واحد منهم انه أفضل ثم أحبنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا نعم ان أحبنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بأن أفضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لمكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر الا بلسانه وأما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه انتهى وعلى كل حال المحبة الدينية لازمة للأفضلية على حسب زيادتها ونقصها والله التوفيق

﴿ وبعد فالأفضل باقي العشرة فاهل بدر ثم اهل الشجرة ﴾

﴿ وبعد ﴾ أي بعد الخلفاء الراشدين ﴿ فالأفضل ﴾ من سائر الصحابة المكرمين ﴿ باقي العشرة ﴾ المشهود لهم بالجنة على لسان سيد العالمين وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وهم الستة الذين نوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

أحدهم أبو محمد طلحة ابن عبد الله بن عثمان بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي النسي وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد الحضرمي أخت العلاء الحضرمي أسلمت وأسلم طلحة قديما على يد أبي بكر الصديق وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان أنفذه مع سعيد بن زيد يعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء بدر وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ووقاه بيده فثلت أصبعه وجرح برمته أربعة وعشرين جراحة وقبل كانت فيه خمسي وسبعون بين طعنة وضربة ورمية كفاي

جامع الاصول وماء النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد طلحة الخدير وسماه يوم غزوه ذات المشبرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود وكان آدم كثير الشعر ليس بالحمد اقطاع ولا بالسبط حسن الوجه دقيق العينين لا يغير شمره . قال رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس له شربتين من جهادى الآخرة ست وست وثلاثين ويقال ان مروان بن الحكم قتله وقيل أصابه سهم في حلقه ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة وقيل اثنتان وستون بلقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وروي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين سبعة المتفق عليه منها حديثان وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة وروي عنه السائب بن يزيد وعبد الرحمن بن عثمان ابن عبيد الله التيمي وأبو عثمان النهدي وفيه ان أبي حازم وموسى بن طلحة وغيرهم

(الثاني) أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الاسدي وأمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو ابن ست عشرة سنة فعليه عمة بالخذان لترك الاسلام فلم يفعل وهاجر الى أرض الحبشة المجرتين وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وهو أول من سل السيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكان أبيض طويلا ويقال لم يكن بالطويل ولا بالقصير بميل الى الخفة في اللحم ويقال كان أسمر خفيف العارضين قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ودفن بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره بها مشهور يجتمع سبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين تسعة المتفق عليه منها حديثان وباقيها للبخاري روى عنه امامه عبدالله وعروة وغيرهما وهو أحد الشجعان المشهورة وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

(الثالث) أبو اسحق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب ويقال

أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي
 الزهري وأمه حمة بنت سفيان وقيل بنت أبي سفيان بن عبد شمس بن عبد مناف
 أسلم قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال
 كنت ثالثا في الاسلام وأنا أول من رى بهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قصيرا غليظا ذاهامة شبن الاصابع آدم ابطس
 أشعر الجسد وفداه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بأبويه أي قال له «أرم فذاك
 أبي وأمي» مات رضي الله عنه في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب
 الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة من قبل
 معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين وله بضع وسبعون
 سنة وقيل اثنان وثلاثون وهو آخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة وكف بصره
 في آخر عمره رضي الله عنه روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون
 حديثا منها في الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثا اتفقا منها على خمسة عشر وانفرد
 البخاري بخمسة ومسلم بثمانية عشر روى عنه عبد الله بن عمر وجابر بن سمرة
 وعامر ومحمد ومصعب بن وه وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن المسيب وأبو
 عثمان النهدي وقيس ابن أبي حاتم وغيرهم

(الرابع) أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وبقي
 نسبه معروف من نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي وأمه فاطمة
 بنت ببيعة بنتح الموحدة وسكون العين المهلهة والجيم ابن أمية بن خزاعة أسلم
 قديما قبل ان يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم شهد المشاهد
 كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدو فانه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان
 خبر غير قرش كما تقدم آفنا وضرب لها النبي صلى الله عليه وسلم بسهميهما في
 الغنمية والاجر كان آدم طويلا أشعر مات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها
 ودفن بها سنة إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل
 مات بالكوفة ودفن بها مجتمع مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي روي
 له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعون حديثا منها في الصحيحين

ثلاثة المتفق عليه منها اثنان واثالث البخاري

(الخامس) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن
رهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري كان اسما
في الجاهلية بعد عمرو قسامة النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وأمه الشفاء بنت
عوف بن عبد الحارث بن زهرة أسلمت وهاجرت وفي الزهر البسام اما صفية بنت
عبد مناف بن زهرة وبقال الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالقاف بنت عوف وأملم
هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهاجرا الى الحبشة المجربة بن
وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد وعلى
النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته . كان ملو بلا رقيق البشارة
أيض مشربا بحمرة ضخم الكففين أقفى وقيل كان ساقط العينين أعرج أصيب
يوم أحد وجرح عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فخرج . ولد بعد
الليل بمصر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة
وقبل خمس وسبعون سنة وياتي نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة
روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وستون حديثا منها في الصحيحين سبعة
أحاديث المتفق عليه منها حديثان وبقايا للبخاري وروى عنه ابن عباس وأبوه إبراهيم
وبجالة بن عبد وغيرهم رضي الله عنهم

(السادس) أمين الامة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال
بن أمية بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري
أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجرا الى الحبشة الثانية وشهد المشاهد كلها
مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد ونزع الحاتين التين دخلنا
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حلق المنفر بفيه فوقعت ثنياته
فكان أحسن الناس همتا كان رضي الله عنه طولا معروق الوجه خفيف الاحية مات
في طاعون عمواس بالاردن سنة ثمان عشرة ودفن هناك وقبره مشهور يزوار
و بترك به وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا ولم يخرج
له البخاري في صحيحه شيئا ولا أخرج له مسلم الا في حديث المنبر من رواية أبي

الزبير عن جابر بن عبد الله رضي عنهم وهو قوله يعني قول أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نحن نرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى تام فسموه حديثاً فهو لا العشرة المذكورون في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطاح في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» رواه الترمذي وأخرج أبو داود والترمذي عن دباح بن الحارث قال كنت قاعداً عند فلان في الكوفة في المسجد وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعدته على السرير فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس ابن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد من سب هذا الرجل فقال يسب علياً فقال لا أرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تشكر ولا تغير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأني لنفي أن أقول عليه ما لم يقل فبأسألني عنه غدا إذا لقيت» «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطاح في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» وسكت عن العاشرة لولا أن هو العاشر قال سعيد بن زيد يعني نفسه ثم قال يعني سعيد بن زيد رضي الله عنه: والله لأشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغفر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمرو بن زاذرن ثم قال لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله تعالى أن لا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة والشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم ولفظ الترمذي: أشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قال: عبد الله بن ظالم المازني قلت أي لسعيد ابن زيد رضي الله عنه من التسعة قد كرم قلت ومن العاشر فتلكاً هنية ثم قال أنا والترمذي في رواية أخرى عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «عشرة في الجنة بعد التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم تشدك الله يا أبا الأعور من العاشر قل: تشدوني يا الله أبو الأعور في الجنة: أبو الأعور هو سعيد بن زيد والاحاديث في هذا المعنى كثيرة ويكفي ما أخرجه الترمذي عن عقبة بن علقمة

البشكري قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول يعني بعد وقعة الجمل
سمعت اذني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول طلحة والزبير جارا سيه
في الجنة. وبعد المشرة أي الذين يلونهم في الأفضلية

﴿ مأهل ﴾ غزوة ﴿ بدر ﴾ المعلى وهي البطشة الكبرى ويقال لها بدر القتال ويوم
الفرقان كما رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهي التي أعز الله بها الاسلام وقم
بها عبدة الاصنام وبدر قرية مشهورة ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة
على نحو ما مر اهل من المدينة النبوية قبل نسبت الى بدر بن محمد بن النضر بن
كنانة وقيل الى بدر بن الحارث وقيل الى بدر بن كعدة وقيل بل بدر اسم للبئر
التي بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصعابها فكان البدر يري فيها وقيل بل هو سلم
على البلد المذكورة كغيرها من أسماء البلاد قال البهوي وهو قول الأكثر وكانت
وقعة بدر مائة الف خمسة عشر خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان عدد
المسلمين ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله
عنهما قال كما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب
بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزوه معه الا مائة من بضعة
عشر وثلاثمائة وفي حديث أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه عند ابن جرير
وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ننتدفعه فاذنا نحن ثلاثمائة وثلاثة عشر فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مدنا بسر بذلك وحمد الله تعالى وقال عدة أصحاب طالوت وروى الامام أحمد
وابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي وأبو عوانة وابن حبان من حديث
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم ثلاثمائة وثمانية عشر وافظ مسلم تسعة عشر
رحلا ونظر الى المشركين فاذا هم الف وزيادة الحديث وروى البزار بسند حسن
عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كانت عدة أهل بدر عدة أصحاب
طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر وفي المتنح ثلاثة عشر بدل سبعة عشر وفي

الصحيح عن موسى بن عتبة عن الزهري قال جميع من شهد بدرا من قريش من ضرب له سهمه أحد وثمانون مع أن البخاري واسحق بن راهويه أخرجا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان المهاجرون يوم بدر نيفا على السنين والانصار نيفا وأربعين واثنتين قال الحافظان حبر والجمع بين هذين الحديثين ان حدث البراء في من شهد بدر احسا وقول الزهري في من شهدا بالعدد حكما من ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له سهمه وأجره او المراد بالعدد الاول الاحرار والثاني بانضمام مواليهم واتباعهم واذا انحدر هذا فجميع من شهد القتال ثلاثمائة وخمسة أو ستة فثقت عدنا نية أنفس من أهل بدر ولم يشهدوا وانما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم اكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد والحارث بن حاطب والحارث بن الصمة وبخوات بن جبير وعاصم بن عدي وأبو بابة رضي الله عنهم واستشهد من المسلمين في وقعة بدر أربعة عشر نفسا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي الله عنهم أجمعين وقتل من الكفار سبعون واسر سبعون وقدرى الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن الثمانية عشر الذين قتلوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى أرواحهم في الجنة في طبر خضر تسرح في الجنة فينبأهم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطالعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول عبادي ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قاتنا وروى البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه وكان من أصل بدر قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال كذلك من شهد بدرا من الملائكة وروى نحوه الامام أحمد من حديث رافع بن خديج قال الحافظ ابن الجوزي في جامع المسانيد كذا وقع في مسند الامام أحمد والظاهر انه غلط من بعض الرواة وانما هو حديث رافع بن رفاعة الزرقي لا ابن خديج ويحتمل أن يكون سمعه ابن خديج من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الامام أحمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية

وروى أبو داود وابن ماجه والطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وروى الامام احمد عن أم الامين حفصة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اني لأرجو ان لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت قلت أليس الله تعالى يقول (وان منكم الا واردةها) قالت فسمعت يقول (ثم تجي الذين اتقوا ونذوا الظالمين فيها جثيا) وأخرج مسلم والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه ان عبدا لحاطب جاء يشكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا رسول الله لبدخان حاطب البار قال «كذبت لا بدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية» وفي الصحيح عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة كتاب حاطب وان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» أو قال - قد وجبت لكم الجنة وفي المعنى أحاديث غير ما ذكرنا

﴿تأنيبه﴾

قد استشكل جمع قوله «اعملوا ما شئتم» فان ظاهره انه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع واجيب بانه إخبار عن الماضي أي كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده انه لو كان لا يستقبلونه من العمل لم يقع يلغظ الماضي ويقال فأسغذبه لكم وتعقب بأنه لو كان للماضي الاستدلال به في قصة حاطب لانه صلى الله عليه وسلم خاطب بذلك عمر رضي الله عنه منكر عليه ما قال في أمر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر بست مستبين فدل على ان المراد ما سباني وأورده بلفظ الماضي مبالغة في تعقيقه فان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال لحاطب قائمك الله تری رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانتاب وتكتب الى قريش تحذره دعني يا رسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وما يدريك باعمر أن الله عز وجل اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فاغرو وقت عينا سمر وقل الله برسوله اعلم حين سمعه

يقول في أهل بدر ما قال وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا عدوي وعدوكم أولياء - إلى قوله - والله بما تعملون بصير) وقيل إن صبغة الأمر في قوله اعملوا للنشر بف والتكريم فالمراد عدم المؤاخضة بما يصدر عنهم وأهم خصوصاً بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم - اللغة وتأهلوا لأن يغفر لهم الذنوب اللاحقة أي كلما علموه بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور وقيل فلما أراد أن ذنبهم تقع إذا وقعت مغفورة وقبل هي شهادة بعدم وقوع الذنوب منهم وفيه نظر ظاهر لما ثبت في قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه منأولاً فحده عمر ثم هاجره بسبب ذلك فرأى عمر في المنام من يأمره بمصالحته وكان قدامة بدرياً والذي يفهم من سياق القصة الاحتمال الثاني وانفق العلماء على أن الإشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا فيما يتعلق بأحكام الدنيا من إقامة الحدود ونحوها والله أعلم على أنه زعم أناس أن قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) الآية وفيها (فأعقبهم نفاقاً) الآية نزلت في ثعلبة ابن حاطب أو ابن أبي حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عوف الانصاري الأوسي وقد ذكره من البدرين وقد عده الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب من أهل بدر ثم عده في الكتاب المذكور من جملة المنافقين ثم قال قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المناقبون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين قال ابن الجوزي وقد كان فيهم من شهد بدرًا فتغيرت حاله كثعلبة ومعتب بن قشير فعوذ بالله من الخذلان انتهى وقال ابن الكلبي أن ثعلبة البدرى قتل بأحد وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الانصاري ذكره ابن اسحق في من نبى مسجد الضرار قال الحافظ ابن حجر وفي كون صاحب القصة إن صح الخبر ولا نظنه يصح هو البدرى المذكور قد تغير وقد تأكدت المغيرة بينهما بقول ابن الكلبي أن البدرى استشهد بأحد ويقوي ذلك أيضاً أن ابن مردويه روى في نفسه من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية المذكورة

بني ارمهم من عاهد الله، قال نزل ذلك في رجل يقال له ثعلبة بن أبي حماسة من
الانصار أتى محمداً وأشهدهم فقال: آتانا الله من فضله: الآية فذكر
القصة مطولة فقال إنه ثعلبة بن أبي حاطب والبسدي اتفقا على أنه ثعلبة بن
حاطب وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية
وحكى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون
بهذه المثانة كيف يعقبه الله تعالى فقال في قلبه وينزل فيه ما نزل قالوا نعم أنه غيره
والله تعالى أعلم

(ثم) بعد أهل بدر قال فضيلة (أهل) بيعة الرضوان تحت (الشجرة) المهدودة وتسمى شجرة البيعة وشجرة الرضوان وهي شجرة خضراء سمره
بفتح الميملة رضم الميم من شجر العالج وهو نوع من الغضاء أو من سدر كما
رواه مسلم عن جابر ولما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بلغه أن ناساً يذهبون إلى الشجرة فيصلون تحتها ويتبركون بها فأمر رضي الله عنه
بها فقتلت وأخي مكانها خشبية الاقنان بها لما وقع تحتها من الخبز فلو بقيت
لما آمن من تعظيم أهل الجبل لما حتى ربما أفضى بهم جهلهم إلى أن بها قوة تقع
وضر كما هو مشاهد من شأن الناس في هذه الأزمان ومنه أزمان من تعظيم ما هو
دونها من الشجر والبغايا ومن ثم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كانت رحمة من الله يعني إخطاها بعد ذلك أو كانت موضع رحمة من الله وعمل
رضوانه لا نزاهة الرضى على المؤمنين عندها

وقيل أهل أحد المقدمه والأول أولى للنصوص المحكمه

وقوله (وقيل أهل) غزوة جيل (أحد المقدمه) أي في الزمن والافضلية إشارة إلى أن
الاصح الافضل أهل بدر فاهل أحد فاهل البيعة وقوله (والأول) وهو تقديم أهل
البيعة في الافضلية على أهل غزوة أحد (أول) وأحق وأحرى بذلك وذلك (إلى)
ورود (النصوص المحكمه) من الكتاب والسنة من أحاديث نبي الرحمة صلى الله عليه
وسلم وكانت غزوة أحد في نصف شوال سنة ثلاث أول نهار السبت وفي الفتح لاجدى
عشر خلت منه وقيل تسع وقيل ثمان وقيل سبع وأحد بعم الدرة والماء والدليل

المؤمنين هو جبل أحد ليس بذئ شخاب بينه وبين المدينة أقل من فرسخ وهو في شمالها الى الشرق روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه وابن أبي شبة والطبراني بسند جيد عن سويد بن عامر الانصاري والبخاري عن أبي حميد الساعدي والبخاري عن سهل بن سعد والطبراني عن أبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له «أحدنا جبل يحبنا ونحبه» وتكرره صلى الله عليه وسلم هذا القول مراراً وفي الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعاً «أحد ركن من أركان الجنة» قال ياقوت أحد اسم منجبل لهذا الجبل وقال السهيلي سمي أحدًا لتوحيده وانقطاعه عن جبال أخر هناك أو لما وقع من أهله من نصرته التوحيد ولا أحسن من اسم مشتق من الاحدية وأهله هم الانصار نصرُوا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حياومينا اذا علمت هذا فظاهر كلام متكلمي الأشاعرة ان أهل غزوة أحد يلون أهل بدر في الافضالية وكان عدة أهل غزوة أحد بعد انخزال ابن أبي سبيعة وكان المشركون ثلاثة آلاف وعد من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون رجلاً منهم أربعة من المهاجرين وهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبد بن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الانصار وزاد بعضهم من المهاجرين سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة وثقف بن عمرو الاسدي حليف بني عبد شمس وهذا يوافق ما رواه ابن حبان والحاكم عن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال أصيب يوم أحد من الانصار أربعة وسنون ومن المهاجرين ستة والذي يظهر لي والله أعلم أنه ان أراد شهداء أحد فنعم والافحتاج الى توقيف فنظن له فقد وردت الاحاديث في فضل شهداء أحد كقوله صلى الله عليه وسلم في حق عبد الله والد جابر رضي الله عنهما «ما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفعتهم» رواه البخاري وأخرج ابن المنذر عن أنس رضي الله عنه قال لما قتل حمزة واصحابه يوم أحد قالوا يا ليت لنا مخبراً يخبر اخواننا بالذي صرنا اليه من كرامة الله تعالى لنا فأوحى اليهم سبحانه وتعالى انا رسولكم الى اخوانكم فانزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً الى قوله - لا يضيع أجر المؤمنين) وأخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عباس رضي الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصيب اخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أمهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب مائة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وحسن مقبلهم قالوا باليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا وفي لفظه قالوا من يبلغ اخواننا انا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا ينسكوا عن الحرب فقال الله عز وجل اما أبلفهم عنكم فانزل الله تعالى هؤلاء الآيات (ولا تحسبن الدين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) إلى آخر الآيات وروى نحوه عبد الرزاق في المصنف وابن أبي شيبة والامام أحمد في المستند ومسلم في الصحيح من حديث ابن مسعود وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد فإذا بلغ فرضة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فتم عتبي الدار» ثم كان أبر بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم بفعله وكذا عمرو وعثمان رضي الله عنهما ولما أجرى معاوية رضي الله عنه الدين فرت على الشهداء فأخرجهم طرايا تنفي أطرافهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فأقبلت يده عن جرحه فانبعث الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم قل جابر رجل رأيت أبي في حضرة كانه قائم والفرقة التي كفن فيها كما هي وكان ذلك بعد أحد بست وأربعين سنة وأصابته المسحة رجل رجل منهم وهو حمزة فانبعث الدم فقال ابن سعيد الخدري رضي الله عنه لا يشكر بعد هذا منكر وكأوا هم يغمرون فيجح عليهم من القبور ويح المسك وروى الحارث في مسنده عن سعد بن أبي وقاص والحاكم عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذكر أصحاب أحد يقول «أما والله لوددت أني غودوت مع أصحابي فنحص الجبل» (١) يعني شهداء أحد والاحاديث في ذلك كثيرة جدا

وأما أهل الشجرة بنو أهل البيعة وهم أصحاب المدينة فقد وردت النصوص المحسكة في فضاهم كما سنذكر طرفا من ذلك والمدينة بحاء مضمومة فذال مهملتين

(١) في مجمع بحار الأنوار عن نهاية ابن الأثير : انه ذكر قتلى أحد فقال «يا ليتني غودرت مع أصحابي فنحص العجل» هو بالضم أصل العجل وسفحه تني ان يكون استشهد يوم أحد

والدال مفتوحة فمؤحدة مكسورة مفتوحة بالتحقيق والتشديد قال النحاس سألت
كل من لذيت ممن أتى به من أهل العلم عن الحديبية فلم يختلفوا إلى قرأتها مخذنة ونص في
الباء على اللخفيف وحكي التثنية عن ابن سبويه في المحكم قال في تهذيب الناطع ولم أره
لغيره وزعم بعضهم أن التثنية لم يسمع في فصيح وقال الأمام الزوي هاهنا مشهور أن
قال البرقي قريبة من مكة أكثرها في الحرم وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله
عنه والحديبية بئر قال المافظ ابن حجر يشير إلى أن المكان المسمى بالحديبية سمي ببر
كانت هناك هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك ويغنيها وبين مكة نحو مبرحلة
واحدة ومن المدينة جمع مراحل وكانت في ذي القعدة من السنة السادسة وكان
عدة المسلمين الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أربعة عشر مائة
وأكثر من ذلك ولعل الزائد على الألف وأربع مائة من الخدام والانباع وأما
نفس المقاتلة فأربعة عشر مائة وأما قول ابن اسحق كانوا سبعمائة فغلط لم يوافق
عليه وكان سبب البومة أن قرشاً لما صدت أنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن المسجد
الحرام فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال له اذهب إلى قرش وأخبرهم أننا لم نأت
لقتال وإنما جئنا عماراً وأدعهم إلى الإسلام ثم لما إن عثمان رضي الله عنه قد قتلته قرش
فدعا الناس إلى البومة وقال «لا نبرح حتى نأجز القوم» روى ابن جرير وابن أبي حاتم من
حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه والبيهقي عن عروة وابن اسحاق عن الزهري
ويحمد بن عمر عن شيوخه قال سلمة رضي الله عنه بينا نحن ذائقون الزادى ما أدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أناس البومة البومة نزل روح القدس فأخرجوا
على اسم الله قال سلمة فسرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة
سمرفاً فبأنه وفي صحيح مسلم عنه قال بإيمته أول الناس ثم بإيمته وسط الناس
ثم بإيمته آخر الناس والصحيح أن الذي تابع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول
الناس في تلك البومة أبو سنان الأسدي فقل أبسط يدك بإيمتك فقل صلى الله عليه
وسلم علام نبائي قال علي ما في نفسك قل وما في نفسي قال النبي اضرب بسيفي
بين يديك حتى يظهر لك الله أو اقل فبأيمه وبأيمه الناس على بية أبي سنان
وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الأخرى عن عثمان بن

عنان رضي الله عنه وقال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولاك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ثم تبين كذب الخبر فنزل عثمان رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وكانوا عشرة وذلك بعد البيعة ثم كانت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا في الحديبية ألفا واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله أيضا رضي الله عنهما وسلم عن ام سر رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل ابدا واحد بايع تحت الشجرة» وأخرج الامام أحمد أيضا بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لاهل الحديبية «لا بدرك قوم بعدكم صاعكم ولإمداكم» وسأل أبو الزبير جابرا كم كانوا يوم الحديبية قالوا كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمرأخذ يده تحت الشجرة وهي مسرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعير وقال بايعناه على ان لا نفر وعند ابن اسحاق قال جابر رضي الله عنه فكانني انظر اليه يعني الى الجذ بن قيس لاصقا باسط نافته قد ضبا اليها وهو يفتح الضاد والموحدة مهموزا أي لخبثا بها يستتر بها من الناس فبايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت وهذا الجذ بن قيس الذي لم يبايع كان يرمى بالغلق وعده الحافظ ابن الحوزي في منتخب المنتخب من المواقيع وقد نزل في حته في غزوة نبوك ما يشعر بذلك وهو ان عمه البراء بن معرور وكان سيد بني سلمة بكسر اللام في الجاهلية فسود النبي صلى الله عليه وسلم عليهم غمر بن الجموح وقبل سود عليهم شر بن البراء بن معرور ومال اليه ابن عبد البر وأخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر» ومن ثم قال ابن عبد البر ليس في غزوانه صلى الله عليه وسلم ما يدل بدرا أو يفرب منها الا غزوة الحديبية وقيل صاحب الجمل الاحمر غير الجذ بن قيس يدل له ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي

بيده لقد غفر للركب أجمعين الأرويكبا واحدا على جل أحرز انت عليه رجال القوم ليس منهم» وقال صلى الله عليه وسلم «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر» قال أبو سعيد رضي الله عنه فطلب في المعسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل والرجل من بني ضمرة من أهل سيف البحر يظن أنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقبل لسعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا فقال له سعيد وبجأت أذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك وقال جابر فقلنا له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي وإذا هو قد أضل بعبدا له فأنطلق بطلب بعبده بعد أن استبهر المعسكر وطلبه فيهم فينأى هوى جبال سراوخ أذ زلقت به نعله فتردى فمات فما علم به حتى اكته السباع وقصة هذا قبل البيعة إذ هذا ليس من عسكر المسلمين بخلاف الجند بن قيس والله أعلم

﴿تأنيهات﴾

(الاول) ظاهر كلام علما أن أفضل الصحابة بعد العشرة أهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة أولا فأولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم رتب وهذا الذي قدمه ابن حمدان في نهاية المبتدئين ثم ذكر أن أمة محمد خير الامم وأفضلهم القرن الذي صحبوه وشاعده وآمنوا به وصدقه ونصروه وأفضل القرن الذي صحبوه أربع عشرة مائة الذين بايعوا بيعة الرضوان وأفضلهم أهل بدر الذين نصره وأفضلهم أربعون في الدار كنفوه يعني السابقين الاولين وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه وشهد لهم بالجنة ومات وهو عنهم راض وأفضل هؤلاء العشرة الخلفاء الاربعة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهذا موافق لما حررنا من تقديم أهل البيعة على أهل غزوة أحد فالنحقيق أن أهل بيعة الرضوان ياون أهل بدر في الافضية لما قدمنا من النصوص ولأن الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعوك بحت الشجرة) وقال في أهل غزوة أحد (ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استنزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلیم) وفي

الآية الاخرى (ثم صرفهم عنكم ليليتكم رائحة تفرغكم) فرفضهم في الموضوعين
بالعفو وروى عن أهل الرمة بالرضى وهو أسل وأسنى وأسل من العفو وهو دا طاهر
والله تعالى أعلم

(الثاني) المراد بالسنة من الاولين ائمة من قبل الفتح وقولوا والمراد
بالفتح أمر الحديبية قال تعالى لا يستري منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل
(أولئك أعلم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقولوا) قال شيخ الاسلام ابن
تيمية في التناوي المصرية المراد بالفتح فتح الحديبية لما مع النبي صلى الله عليه
وسلم أصحابه تحت الشجرة وكان الذين باعوه أكثر من الب وأربع مائة وم
الذين فتحوا خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل المرأحد بايع تحت الشجرة
وسورة الفتح أنزلها الله تعالى قل مع مكة وكانت الامة تحت الشجرة سبقت
من الحجرة كما تقدم وبذلك الصالح الذي كان ينه صلى الله عليه وسلم وابن
اشركين في الحديبية حصل الفتح والخير الكثير الذي لا يله الا الله تعالى مع
كوبه كان قد كرهه حاني من المسلمين ولم يعلموا ما به من حسن العاقبة ثم
فتح الله تعالى على نبيه وعواده المسلمين مكة في شهر رمضان من العام الثامن وكان
قد أنزل في سورة الفتح (لندخل المسجد الحرام ان شاء الله آم بن محسنين وروسكم
ومقصرين - الى قولك ادخل من دون ذلك فتحا قريبا)

(الثالث) المراد الافساية من حيث الحملة ولا يلزم تفضل كل فرد مثلا
من المهاجرين على كل فرد من الانصار وانما يقول الصحبة أسل من غيرها
ولا أحد من غير الصحابة يساوي أحدا من الصحابة وكذلك الهجرة وكذلك
كل ما امتازت به جملة على غيرها من غير خصم لافضل من الفضائل
والكمالات التي امتاز بها على غيره من غير تلك الخيبة التي فصله فيها غيره
كما يأتي بان ذلك وتحريره والله أعلم

وعاشه في العلم مع خديجة في السبقي فافهم المكتبة النتيجة
(وعاشه) الصديقه بنت الصديق رضي الله عنهما ام عبد الله المؤمنين وحبية
رسول رب العالمين عقد عليها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بستين وقيل ثلاثون

بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى وهي بنت نسم ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة
وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة رضي الله عنه سنة ثمان
عشرة وخمسين ففي رضي الله عنها وعن أبيها أفضل نساءه صلى الله عليه وسلم (في العلم)
النافع والمنفعة الناصح فليار من الفضل في ذلك ما ليس لغيره من سائر أزواجه صلى الله عليه
وسلم حتى كان الأكبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم إذا
أشكّل عليهم أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عند هارقة. وقع الخلاف بين علماء
السلف في الفاضل بينها وبين أم المؤمنين خديجة فتقدم الباب في من متأخري علماءنا تبع
لابن حمدان في نهاية المبتدئين أن عائشة أفضل النساء وقال الإمام وفق الدين أفضل
النساء خديجة قول المتخفي ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام وقد اختلف في تفضيل خديجة
على عائشة على ثلاثة أقوال تأييدها الموقف قال وصلت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية
قدس روحه عنهما فقال اختص كل واحدة منهما بحصة وتولى هذا أشرت بقولي مع
خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أم المؤمنين وأول أزواج
رسول رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة
وبقيت معه إلى أن أكرمته الله تعالى برسالة فأمّنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير
صدق ومانت قبل الهجرة بثلاث سنين في الاصح وقيل بأربع وقبل بخمس ولم
ينزوج صلى الله عليه وسلم عليها غيرها وكل أولاده منها الذكور والاناث لابراهيم
عليها السلام فانه من سرته مارية القبطية فخديجة المذكورة أفضل نساء النبي
صلى الله عليه وسلم (في السبق) إلى الاسلام وموازرة خير الانام قال شيخ
الاسلام في جوابه للمحقق ابن القيم خديجة كان تأييدها في أول الاسلام وكانت
نسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبذل دونه ما لا فادركت غرة الاسلام
واحنات الاذى في الله وفي رسوله وكانت نصرته للرسول صلى الله عليه وسلم في
أعظم الحاجة لها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها قال وعائشة رضي الله
عنها تأييدها في آخر أوقات الاسلام فلها من المنفعة في الدين وتبليغه إلى الامة
وانتفاع بنبيها بما أدت اليهم من العلم ما ليس لغيرها فعائشة رضي الله عنها في آخر
الاسلام من حمل الدين وتبليغه إلى الامة وأدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه

خديجة ولا غيرها ما تميزت به عن غيرها وقال المحدث في كتابه مدافع الموائد
 الخلاف في كون عائشة رضي الله عنها أفضل من فاطمة عليها السلام أو فاطمة
 أفضل إذا حذر محل التفضيل لا يستقيم أي الخلاف فان أريد بالتفضل كثرة
 الثوب عند الله فذلك أمر لا يطلع عليه إلا بالوصف لا به حسب تعاضل أهمل السلوب
 لا بمجرد أعمال الجوارح وكم من عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه والآخري
 أرفع درجة منه في الجنة وإن أريد بالتفضل التفضيل فالعلم فلا ريب أن عائشة
 أعلم وأنفع للامة وأدت من العلم ما لم يؤد غيرها ولحاج إلى علمها خواص الامة
 وعامة المؤمنين أريد بالتفضل شرف الأصل وجلالة النسب فلا ريب أن فاطمة
 أفضل فإنها نعمة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه
 غير أخواتها وإن أريد السيادة فعاطية سيدة نساء الامة وإذا تبين وجوه
 التفضيل وورد الفضل وأسبابه صار الكلام بطله وعدل وأكثر الناس إذا تكلم
 في التفضيل لم يفعل حجات الفضل ولم يوازن بينها فيبحس الحق وإن أضاف إلى
 ذلك نوع تعصب زهوى لمن يوصله تكلم بالجهل والظلم قال وقد سئل شيخ الاسلام
 ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفضيل الثاني وإلى
 هذا التفضيل اشرنا بقولنا (فاهم) فهم تحقيق وإذعان وتقديق وإيقان (ممكنة
 النتيجة) أي ثمرات الخلاف فان الكثرة أثر قليل كالقطة شبه الأثر الذي يكون في
 المرأة والسيوف ومه حديث الجملة وإذا فيها نكتة سوداء أي أثر قليل كالقطة
 شبه لوسح وأصله من النكت بالحصى ونكت التراب والارض بالتفصيل والنتيجة المراد
 بها هنا الحكم المتولد من القصصين بالتفصيل في التفضيل وأصله من نتجت الباقية إذا
 ولدت وهي منتوحة وانضحت إذا حملت فهي نتوج ولا يقال منج ونتاجت الباقية
 انتحها إذا ولدتها والحكم الماتح مما نحن فيه أن خديجة أفضل بحسب السبق
 والواردة وانفاها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلبته وحمل المشاق بسببه ونحو
 ذلك وعائشة أفضل بحسب تحملها للعلوم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فإنها أحد
 المكثرين ونشرها لسنته صلى الله عليه وسلم ونعمها للامة فإنها كانت عالمة بقيقة فصحاء
 فاضلة كثيرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم عارفة بأمر العرب وأشمارها وفصائلهم

ومناقبها كثيرة لانحصى ومجبة النبي صلى الله عليه وسلم ايها وفضيلها على سائر زوجاته
صلى الله عليه وسلم مما لا يخفى قال الامام المحقق ابن القيم في جلاء الافهام ومن خصائص
خديجة رضي الله عنها ان الله سبحانه وتعالى بعث اليها السلام مع جبريل فبلغها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أني
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه ادام
أو طعام أو شراب فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشره ابنت في الجنة
من قصب لا صخب فيه ولا نصب ورواه مسلم أيضا وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها
وأما عائشة رضي الله عنها فإن جبريل سلم عليها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج
البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوما ياعائش هذا جبريل يقرئك
السلام» فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته قالت وهو يرى مالا أرى قال ابن
القيم من خواص خديجة رضي الله عنها أنها لم تسوء قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه
ايلا ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهذه منقبة ومن خواصها أنها أول امرأة
آمنت بالله من هذه الامة ومن خصائص عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه
وسلم لم يتزوج بغير غيرها وإنها كانت ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو في لحافها ولما نزلت آية النخيل بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فخيرها
وقال لها «فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبويك فقالت في هذا أستأمر أبوي
فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن
كما قالت ومن أعظم خصائصها أنها كانت أحب زوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليه كما ثبت عنه ذلك في الصحيح والمسانيد والسنن وقد قال صلى الله عليه
وسلم «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» رواه البخاري ومسلم
وغيرهما ومن أعظم خصائصها ان الله تعالى يرأها بمارماها به أهل الافك وأنزل
في برائها وحيا يتلى في محارب الملامين وصلواتهم الى يوم القيامة وشهد لها بانها
من الطيبات فله من حصان عظمت فضائلها وجلت مناقبها وورسخت قدمها في الدين
وعظم شأنها عند سائر المسلمين واحتاج لعلها آمنة الصحابة وشهد لها أهل

التحقيق بالقدم والاصابة فقد أخرج الترمذي عن أنى موسى الأشعري رضى الله عنه قال ما أشكل عليا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت قط وألعاثة لا وحدا بعد هامة لما قال الترمذي حديث حسن صحيح وأخرج الترمذي عن أنس رضى الله عنه وصححه بن رحلا قال من عانته رضى الله عنه بعد عمار بن ياسر رضى الله عنه قال أعرف من وحامد وحنان مؤمن حبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الترمذي عن عبد الله بن زياد الأسدي قال سمعت عمار بن ياسر رضى الله عنه يقول هي روحاني الدنيا والآخرة يعني عائشة رضى الله عنها وقال حدثت حسن صحيح ومما فيها كثيرة وفصائلها عريضة رضى الله عنها وعن رابر أرواح رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصل في حقهم

في ذكر الصحابة الكرام طرق لاجل بيان مرآتهم على تبرهم والتعريف بما يجب لهم من المعونة والتجمل والتمريض والتمصيل على سائر الأمانة وتفتح ن آدام وأشامهم والكف عما حرم بهم مما له لم يفتح عونه وسامح الله بأوليائهم سائنة وإذا كن لأحد منهم هبات مع مكفرة مستهلكة في سلم حساسهم وحجيم معاهداتهم ثم لا مبر لهم محاسن ولما قل

﴿وليس في الأمة كالمصحابة في الصل والمعروف والاصابة﴾

(وأيضا في الأمة) المحمدية المصدا على سائر الأمانات المصانية، وعلى الله ما به وملم، أفضل ما حاسبهم من المدكر الحكيم والذين القوم والصرائط المستقيم فيكون الصحابة أفضل حاق الله تعالى مد أنبياء الله على ورسله (كالمصحابة) الكرام الذين داروا بصحة خبر الأمان ما به أفضل اصالة وأهم السلام وتقدم في صدر الكتاب تعريف المصحابة وطريق ثوب الصحة وبيان مدله المصحابة ورواها - مدتهم ودرجاتهم ومتمهده الممول عند أمة الأمة ان المصحابة رحووا الله ما بهم كلهم مدلول بالكتاب والدة واحماح أهل الحق المعتبرين قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قيل اتفق المسلمون ان ذلك في المصحابة لكن الخلاف في المقامير مشهور ورواج

كثير عموماً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) وهذا خطاب للموجودين حينئذ وقيل تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات فليس في سائر الأمة المحمدية مثل الصحابة الكرام (في الفضل) بشاهد ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً منكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه وهذا وإن ورد على نسب وهو ما جرى بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد رضي الله عنهما دالة برة بعموم اللفظ ولا ينافي ذلك كون الخطاب لأصحابه فإن المراد لا بسب غير أصحابي ولا يسب بعضهم بعضاً فالمراد الهي عن حصول السب لهم مطلقاً وقوله لو أن أحداً منكم بالخطاب يمكن جملة على أن المراد من جاء من غيرهم ينزل نفسه منزلة لهم وقد باني الخطاب لقوم تعريضاً لغيرهم كثيراً اعتماداً على القرائن وهذا الموضع منه والنصف أحد اللغات الأربع في النصف فإنه يقال نصف بكسر التون وفتحها وضمها ونصف بفتح التون وزيادة الياء والمعنى لو أنفق أحداً منكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثراه في ذلك نفقة أصحابي مداً ولا نصف مداً لأن اتفاقهم كان في نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته وذلك ممدوم بعده فنفسون ذلك أفضليتهم على غيرهم مطلقاً وإن نصيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم وفي الصحيحين وغيرهما عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خبر الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فملا أدري إذ كر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن - زاد في رواية - وبشلفون ولا يستحلفون» ورواه أبو داود ولفظه «خير أمتي أقرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم» والله أعلم إذ كر اثالث أم لا الحديث ورواه النسائي بنحوه ورواه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه وفيه والله أعلم إذ كر اثالث أم لا: وأخرجه مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها وأخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يلع الحاضر الغائب الى الله في أصحابي لا يتخذونهم غرضا عدي فمن أحبهم فحبي أحبهم ومن أبغضهم فبغضي أبغضهم ومن آداهم متآدائي ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه ومن أحده الله فيوشك ان لا يفك» وأخرج الترمذي «بما من حدث ابن عمر رضي الله عنه» قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذا رأيتم للذين يسون أصحابي يقولوا لعنة الله على شركم» وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الربير يا ابن أخي أمرنا ان نستمعوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيبهم وأخرج الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض الابل ثم لهم نورا وقائدا يوم القيامة» وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «سألت ربي عن اخلاف أصحابي من عدي فأوحى اليي بمحمد ان أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور ومن أخذ شيء مما هم عليه من خلافهم فهو عندي على هدى» قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصحابي كل نجوم أبيهم اقتد بهم اهتديتم» ذكره في جامع الاصول

(و) ليس في الامة كالصحابة الكرام في (المسروف) وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله وافتقار اليه والاحسان الى الناس وكل ما نذب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والممتنعات وهو من الصفات الثالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا يشكرونه والمعروف الصفة وحسن الصفة مع الاهل وعبرهم من الناس ضد المكرب في ذلك جميعه وفي حديث «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة وقبل اراد من بذل جاهه لأصحاب البارئ التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله في أهل التوحيد في الآخرة وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى ذلك قال يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيمة فيغفر لهم بمعروفهم واتي حسناتهم جماعة فيعطونها ما زادت سيئاته على حسناته

فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان الى الناس في الدنيا والآخرة ولا
يرتاب أحد من ذوي الالباب ان الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات
السبق واستولوا على مالي الامور من الفضل والمعروف والصدق فالسيد من اتبع
صراطهم المستقيم وايقى منهجهم القويم والتمس من عدل عن طريقهم ولم يتحقق
بتحقيقهم فأى خطبة رشده لم يستولوا عليها وأى خصلة خير لم يسبقوا اليها تالله
لقد وردوا يذبوع الحياة عذبا صافيا زلالا واطدوا قواعد الدين والمعروف فلم
يدعوا لاحد بعدهم مثالا فتحو القلوب بالقرآن والذكر والايان والقرى
بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن لا المعروف
الا ما عنهم عرف ولا برهان الا ما بعلمهم كشف ولا سبيل نجا الا ما سلكوه
ولا خير وسعادة الا ما حقه وحكوه فرضوان الله تعالى عليهم ما نحتل المجالس
بنشر ذكركم وماتمة الطروس بعرف مدحهم وشكرهم

﴿ و ﴾ ليس في الامة أيضا كالصحابه رضي الله عنهم في ﴿ الاصابة ﴾
للحكم المشروع والهدى المتبوع فهم أحق الامة باصابة الحق والصواب
واجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد وغيره عن
ابن مسعود رضي الله عنه قال من كان مناسيا فليئس بأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانهم أبر هذه الامة قلوبا وأئمة لها علما وأقواما هديا وأحسنها
حالا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم
فانهم كانوا على الهدى المستقيم فأحق الامة باصابة الصواب أبرها قلوبا وأئمة لها
علوما وأقواما هديا من غير شك ولا رتياب وروى أبو داود انطياشي عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال ان الله نظر في قلوب المباد فظهر قلب محمد خبر قلوب العباد فبعثه
برسلته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه
خير قلوب العباد فاخترهم لصحبة نبيه ونصرة دينه فآراه المسلمون حسا فهو
عند الله حسن وآراه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح فخير قلوب العباد أحق
الخلق باصابة الصواب فكل خير واصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم انما عرفت
لدينا ووصلت اليها من الرعي الاول والسرب الذي عليه الممول فهم الذين نقلوا

(إعلام الموقعين) كان الملح به صلاح الطعام فالصواب به صلاح الانام فلو أخطأ
الصحابة فيما أفروا به لاحتاج ذلك الى ملح يصلحه فاذا أفتى من بعدهم بالحق
كان قد أصحح خطأهم فكان ملحا لهم انتهى أي والحال أنهم هم الملح المصلح
فكيف يكون غيرهم مصلحا لهم فهذا خلاف روى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما
عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال يامعشر القراء خذوا طريق من كان
قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتهم سبعا بعيدا وإن تركتوه بمينا وشمالا لقد
فلانهم ضلالا بعيدا: قال في أعلام الموقعين ومن الحال ان يكون انصواب في غير
طريق من سبق الى كل خير على الاطلاق وقال فيه أيضا من تأمل المسائل الفقهية
والحوادث الفرعية وتدرّب بمسالكها وتصرف في مداركها وسلك سبلها ذللا
وارنوى من موردها ذللا ونهلا علم قطعا ان كثيرا منها قد يشتبه فيها وجوه
الرأي بحيث لا يوقف فيها بظاهر مراد أو قياس صحيح تنشرح له الصدور وبثليج
له الأفراد بل تتعارض فيها الظواهر والاقبسة على وجه يقف المجتهد في أكثر
المواضع حتى لا يبقى للظن رجحان بين لاسيما اذا اختلف الفقهاء فان عقولهم
من أكمل العقول وأوفرها فاذا تلددوا وتوقفوا ولم يتقدموا ولم يتأخروا لم يكن
ذلك وفي المسئلة طريقة واضحة ولا حجة لاثمة فاذا وجد فيها قولاً لأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم سادات الامة وقادة الائمة وأعلم الناس
بكتاب ربهم وسنة نبيهم وقد شهدوا بالتنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم
في العلم اليهم نسبتهم اليهم في الفضل والدين كان الظن والحالة هذه بأن الصواب
في جهنهم والحق في جانبهم من أقوى الظنون وهو أقوى من الظن المستفاد من
كثير من الاقبسة هذا مما لا يتري فيه عاقل منصف وكان الرأي الذي يوافق
رأيهم هو الرأي السديد الذي لا رأي سواه واذا كان المطلوب في الحادثة انما
هو ظن راجح ولو اسند الى استصحاب أو قياس علة أو دلالة أو شبه أو عموم
أو خصوص أو محفوظ مطلق أو وارد على سبب فلا شك ان الظن الذي يحصل
لنا بقول الصحابي الذي لم يخالف أرجح من كثير من الظنون المستندة الى هذه
المورأ أو أكثرها فظهر بهذا ان الصحابة رضي الله عنهم أولى الامة بالأصابه

فبأثبت عنهم فأنهم رضي الله عنهم كانوا أئمة فلو با وأعتق علما وأقبل فكيف
وأقرب إلى أن يقنوا لصواب من غيرهم لما خصهم الله به من توفيق الأخذ
وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الأخذ وحسن الإدراك وسرعة نقله لله
أو عدمه وحسن التصدد وتنزي الراب فلهذا طريقتهم وسأيتهم والمعاني
الصحيحة مكررة في قلمهم وعقولهم ولا حاجة بهم إلى النظر في الأساء وأحوال
الرواة وعلى الحديث والجرح والتعديل ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع
الأصوليين فقد أعدوا عن ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران أحدهما قال الله
تعالى كذا وقال رسوله كذا والثاني معناه كذا وكذا وهم أسعد الناس بهاتين
المقدمات وأحلى الأمة بهما فتوأم متوافرة بحسنة شايها وبالله التوفيق
ولهذا يقول في العظم

فإنهم قد شاعروا المخار	وعابروا الأسرار والأثوار
فوجاهدوا في نية حتى بانا	دين الهدى وقد سما الأدبا
فوقد أتى في محكم التنزيل	من فضلهم ما يشفي للذيل
فروي الأحاديث وفي الآثار	وفي كلام القوم والأشعار
فما قدرنا من أن يحيط نظمي	عن بعضه فاقنع وخذعن علم

(فإنهم) أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان من الملك السلام (قد
شاهدوا) وصحبوا (المختار) تألب الإطلاق في المختار من سائر الأنام عليه
أفضل الصلاة وأتم السلام (وعابروا) في صحبتهم لسي المختار (الأمراء) القرآنية
وعلموها من الحضرة النبوية وعلموا التنزيل وأسبابه والتأويل وآدابه (و)
عابوا (الأمراء) القرآنية والأشعة المصطفوية فهم أسعد الأمة بأصابة الصواب
وأحدر الأئمة جلم فيه السنة والكتاب لذوهم بصحة النبي صلى الله عليه وسلم
ومشاهدة نزول لوحى ومعرفة الأسباب فلا يجاروا في علمهم ولا يباروا فيه
فيهم فكل علم ومعهم وخبر عنهم وصل وكل سعادة وسبادة وفقه من علمهم
وسببهم حصل فرضوان الله عليهم ما رين ذكرهم الدفاتر وشرف نشرهم

المبارك ﴿ وجاهدوا في سبيل الله ﴾ لاعلا كلمة الله وبذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله ﴿ حتى ياتنا ﴾ بألف الاطلاق أي ظهر ووضح واستعلن ﴿ دين الهدى ﴾ أي دين الاسلام الذي به الهدى والدلالة الموصلة والموز والملاح وأشرق نور الاعتقاد وشاع الوصول فلاح ﴿ وقد سما ﴾ أي علا دين الاسلام والله الحمد ﴿ الاديان ﴾ أي سائر الاديان التي كانت قبله وتقدم تعريف الدين لغة واصطلاحاً فسائر الاديان غير دين الاسلام الذي جاء به سيد ولد عدنان ومنسوخة وكل عبادة لم يأت بها قبي باطله ممسوخة كما قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقال (ان الدين عند الله الاسلام)

﴿ وقد أنى في محكم التنزيل ﴾ من الكتاب العظيم والذكر الحكيم ﴿ من فضاهم ﴾ أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام ﴿ ما ﴾ أي الذي يعني من الآيات المحكمات والكلمات الباهرات ﴿ يشفي ﴾ من شفى يشفي أي يبري ﴿ للجهل ﴾ بالغبين المعجمة كأمير العاش أو شدته أو حرارة الجوف كما في القاموس والمراد ما يعاني حرارة الجهل بتقاتمهم الباذخة وينفي الوهم والنمل عن أطوار علومهم الراسخة كقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وكقوله (والسابقون الاولون) الآيات وكقوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقوله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى (ثم أودنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله تعالى (يا أيها الناس آمنوا بالله وكونوا مع الصادقين) قال غير واحد من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أئمة الصادقين وكل صادق بعدهم فهم يأتهم في صدقه بل حقيقة صدقه اتباعهم وكونهم معه وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) أي أمة خياراً ندولاً فإن هذا حقيقة الوسط فهم خير الامم وأعدلها في أقوالهم وأفعالهم وأراد انهم ونياتهم وبهذا استحقوا ان يكونوا شهداء

لرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقلل شهادتهم عابهم فهم شهداؤه ولهم
نوره هم ورع دكرهم وأنتى عليهم وقول تعالى (وحاهدوا في الله حق جهاده هو
احتياكم وما حمل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو مما حكم المسلمين
من قل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) الآية
الى عبر ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الرحامية

(و) قد أنى أيضاً (في الاحاديث) السوية (وفي الآثار) السامية (و) قد
أتى (في كلام النور) من المحدثين والمفتها والصوفية وأهل المعارف والحقائق
والمهم الوفية والعلوم الشرعية والافهام الدكية (و) في (الاشعار) المرفوعة من
العرب والمولدين من مدحهم واثاء سلمهم (ما) أي شيء (قد رما) أي راد
وعلاوتما (من ان يحيط بطبي) في هذه الارحوزة ويصدق (عن مصه) فضلاً
عن عاله وكله (فائق) بما ذكره لك من الآيات البانية والاحاديث الثابتة
عن سيد بني آدم وصفوة جميع العالم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وحد)
ذلك واعتمد عليه وصيره البك واعنصم به واستند اليه فاه (عن علم) ويقين
وايصاح وتبين ومعرفة وتمكين وقوله واقع من افقوع وهو الرضا بالسير من
المطاء وقد وقع يقع قوعاً وقامة بالكسر اذا رعى وقع بالفتح يقع قوعاً
اذا سأل ومه حديث «انقاعة كبر لا يبي» لان الاساق منها لا يقطع فكلاما
تعدر عليه شيء من أمور الدنيا وقع «أدونه ورحي وحديث «عن من وقع ودل
من طمع» لان النافع لا يبدله الطالب ولا يرال عريرا ولى كل حال فلا مقام يسد
مقام اسوة أسطم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه
وسلم ونصرة دينه القويم وصراطه المستقيم قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآيات وقول (والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعهم باحسان رضي الله عنهم ووصوا عنه من تأمل في ما ذكرنا
حق التأمل وأعطى المقام حقه نعماً من قسيح ما اتحدت الراضية واصبح ما
ذهبت اليه من الإلحاد في آيات الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الافك والمناقضة والمذر المسدر من أدنى شائبة تروي تلك المناصب الشامخة

والعلوم الراسخة ولهذا نقول

﴿واحد من الخوض الذي قد يزري بفضلهم مما جرى لو تدري﴾
 ﴿فانه عن اجتهاد قد صدر فاسام اذل الله من لهم هجر﴾
 ﴿واحد﴾ حذر اذعان وتسليم مع سلامة صدر وامثال أمر النبي الكريم
 ﴿من الخوض﴾ المفضي الى النوسع والتعقيب والتبجح والتأنيب ﴿الذي قد يزري﴾
 وبنيص ويحيط ﴿بفضلهم﴾ العلوم من الكتاب والسنة عند ذوي العلوم مما
 ذكرنا في ما تقدم شذرة صالحة منه ﴿مما﴾ أي من الاختلاف والخصام والنشاجر
 الذي ﴿جرى﴾ بينهم ﴿لو﴾ كست ﴿تدري﴾ غب ذلك الخوض المفضي
 الى توليد الاحن وحزازات القلوب والحققد على أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وذلك من أعظم الذنوب فانهم خير اقرون وهم السابقون الاولون
 وذلك أنه جرى بين علي ومعاوية وقبائلا وبعدهما من المنازعات والمقاتلات
 ما لو صدرت من سواهم أو كانت من غيرهم لم تقصر عن التفسق فضلا عن غيره
 والجواب عن ذلك ما أشبر اليه بقوله ﴿فانه﴾ أي النخصم والنزاع والقتال
 والدفاع الذي جرى بينهم كان ﴿عن اجتهاد قد صدر﴾ من كل واحد من
 رأسا للفرقة ٧ ومقصد سائح لكل فرقة من الطائفتين وان كان المصيب في ذلك
 للصواب ٧ واحدا وهو علي رضوان الله عليه ومن والاه والمخطي هو من نازعه وعاداه
 غير ان للمخطي في الاجتهاد أجرا وثوابا خلافا لاهل الجفا والعماد فكل ما صبح
 مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجه يفي عنهم الذنوب والآثام
 فمقالة علي مع العباس رضي الله عنهما لا تفضي الى شين وتفاعد علي رضوان الله
 عليه عن مبايعة الصديق الاعظم في بدء الامر كان لاحد أمرين اما لعدم مشورته
 كما عتب عليه بذلك واما رفرقا مع خاطر سيدة نساء العالم فاطمة البتول عليها
 السلام مما ظنت أنها وليس الامر كما هنالك ثم ان عليا بايع الصديق رضي الله
 عنهما على رؤس الاشهاد فامتدت الكلمة والله الحمد وحصل المراد وتوقف علي
 رضي الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان اما لعدم العلم بالقاتل واما خشية زاهد
 (١ ش عقيدة السفاريني - ٤٢)

الفساد والطغيان وكانت عائشة وطالحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم و
 انبيهم مايس مجتهد ومقلد في جواز محاوكة أمير المؤمنين سبدا أبي الحسين
 الأنزع الطين رضوان الله عليه وقد اتفق أهل الحق ان المصيب في تلك الحروب
 والتنازع أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه من غير شك ولا تدافع والحق الذي
 ليس به نزول أنهم كلهم رضوان الله عليهم عدول لانهم مثابون في تلك
 المحاصيات مجتهدون في هاتيك المقالات فإنه وإن كان الحق على المعتمد عند أهل
 الحق واحد فالخطي مع بذل الوسع وعدم التصبر مأجور لا مأزور وسبب تلك
 الحروب اشتباه الفصايا فلشدة اشتباهها احتلب اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام
 قسم ظهر لهم باحتماد ان الحق في هذا الطرف وان محالفه باغ فوجب عليهم
 نصرة الحق وقاتل الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن لمن عساه
 صفته التأخر عن مساعدة الامام العادل في قتال البغاة في اعتقاده وقسم عكسه سواء
 سواء وقسم ثالث اشتبها عليهم القضية فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين
 فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحمل الاقدام
 على قتال مسلم حتى يظهر ما يوجب ذلك وبالحمله فكأنهم معذورون ومأجورون
 لا مأزورون ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به في الاجماع على قبول شهادتهم
 ورواياتهم وثبوت عدائهم ولهذا قل علماءنا كقبرهم من أهل السنة ومنهم ابن
 حمدان في نهاية المبتدئين بحسب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كناية
 وفراة واقراء وسامعا وتسميما ويجب ذكر محاسنهم والترضضي عنهم والمحبة لهم
 وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائق لا
 يوجب كفرا ولا فسقا بل وبما يثابون عليه لأنه اجتهد سائق ثم قل وقيل
 المصيب علي ومن قائله فخطاؤه معفو عنه وإنما نهى عن الخوض في العلم
 لان الامام أحمد كان يسكر على من خاض وبلم أحاديث الفضائل وقد تبرا
 رضي الله عنه من ضلالمهم أو كرمهم وقال السكوت عما جرى بينهم وقال بعض المحققين
 البحث عن أحوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة
 والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس هو مما ينتفع

به في الدين بل ربما أضر باليقين وإنما ذكر العلماء منها تنقفا في كتبهم صوة
 للمفسرين عن إنناو بل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ورواياتهم ليتجنبها
 من لا يصل الى حقيقة علمها ولأن الخوض في ذلك إنما يصلح للتعليم وللدرد على
 الماخصين أو لتدريس كذب تشتمل على تلك الآثار فيأول ذلك وبيته للعوام
 لفرط جهلهم بالنأو بل مع ان غالب أوكل ما يحكيه الرافضة بموضوع وأكثره باطل
 معنوع فلا جرم السلامة في انسابهم وكف اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم
 ولهذا قال (في السلم) من الخوض في تلك البحور واحذر من المشار في ذلك الغطش
 الذي يجور فإن من قارف الفتنة افتتن ومن تعرض بدينه للشبهات والشهوات اختبئ
 ثم ان الناظم دعا على طائفة الجفا والفجور وأهمل الرفض والضلال ممن حاد
 عن الامر بالمأمور فقال (اذل الله) سبحانه وتعالى وقد فعل (من) كل مبتدع
 من الرافضة ومن وافقهم (لهم) أي للصحابة الكرام أول مبضهم (عجر) وعادى
 ولم يوال وبحب وقد روى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه « اذا أراد الله
 تعالى رجلا من أمي خيرا أتى حب أصحابي سب في قلبه » وأخرج الترمذي من
 حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه مرفوعا « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا
 بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فيبغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
 آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » والذي أجمع عليه أهل
 السنة والجماعة انه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم
 والكف عن الطعن فيهم وإثناء عليهم فقد شئ الله سبحانه عليهم في عدة آيات من
 كتابه العزيز على انه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لوجب الحال
 التي كانوا عليها من الهجرة والعجاء ونصرة الدين وبذل المهج والاموال وقتل
 الآباء والاولاد والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين والقطع (١) بتعديلهم
 والاعتقاد لنزاهتهم وانهم أفضل جميع الامة بعد نبيهم هذا مذهب كافة الامة
 ومن عليه الممول من الأئمة وأما من شذ من أهل الزيغ والابتداع ممن ضل وأضل

(١) انظر أين مفعول (لا وجبت) وما عطف عليه كلمة (القطع) ولعله سقط قبلها
 (جهنم) أي لا وجبت الجلال التي كانوا عليها من كذا وكذا جهنم والقطع بتعديلهم

فلا اتفقت إليهم ولا يعمل عليهم ولما قال الامام أبو زرعة العرافي من أجل شيوع مسلم اذا رأيت الرجل يمتنع أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانلم أنه زنديق وذلك ان القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى اليه ذلك كله الا الصحابة فمن حرمهم أما أراد إبطال الكتاب والسنة فيكون العرخ به ألبق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق وقال ابن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال تعالى (لا يستوي منكم من أتى من قبل الفتح وقال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقالوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (إن الذين سبقتم ما الحسنى أولئك عنها مبعدون) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة والحاصل أنه لا يهجر الصحابة ويعادهم الا عدو لله ورسوله من ردة الله خبيث زنديق والله ولي التحقيق قال العلامة ابن حنبل في نهاية المبتدئين من سب أحدا من الصحابة مستعملا كفر وإن لم يستحل فسق عنه يكفره طائفا وإن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر والله تعالى أعلم ولما انتهى الكلام على الصحابة الكرام حسبما يقتضيه المقام وإن كان ما ذكر في جنب ما سكت عنه كقصة من بحر طام وذاتة من نور عام ذكر التابعين لهم بإحسان ثم تابعيهم كما قاله خير الامام فقال

وبعدهم فالتابعون أخرى بالفضل ثم تابعوهم طرأ

(وبعدهم) أي بعد الصحابة المخصوصين بالفضل والمدة العامة والاصابة (فالتابعون) لهم بإحسان (أخرى) أي أحق وأجدر (بالفضل) والاتقان والتقدم على غيرهم من سائر أهل الايمان وتعريف التابعي هو كل من صح الصحابي ومطابقه مخصوص بالتابعي بإحسان ويقال للواحد تابع وتابعي ولا بد في التابعي من ريادة على ما تعتبر به الصحبة في الصحابي كما تقدم لان الصحبة خصوصية كما بناء ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة أو ثلاثة من الصحابة وبالعلم والزهد وغير ذلك وقد اختلف في أفضل التابعين قال سيدنا الامام أحمد وغيره من أهل العلم أفضل التابعين سعيد بن المسيب وقال قوم أفضل التابعين أويس بن عامر ويقال عمرو وكنيته أبو عمرو وهو القرني واستدلوا له بحديث «خير التابعين أويس» رواه الحاكم عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى

الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم «ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والده وكان به بياض» (١) قدروه فليستغفر لكم قال النووي هو أويس بن عامر كذا رواه مسلم وهو المشهور وقال ابن ما كولا ويقال أويس بن عمرو وهو القرني بفتح القاف والواو هو بطن من مراد وهو قرن بن رديان وغلطوا من نسبة الى قرن المنازل الجبل المعروف بمقات أهل تجمد في الاحرام وفيه طلب الدماء والاستغفار من أهل الصلاح وان كان الطالب أفضل منهم فان قبل كيف استجاز الامام أحمد ومن تحا نحوه تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين مع وجود النص الضريح بالنقل الصحيح في تفضيل أويس القرني فالجواب ان مراد سيدنا الامام أحمد واضرا به أفضلية سعيد في العلوم الشرعية كالفسر والحديث والفقه ونفع الامة بذلك وبما بلغه عن الصحابة الكرام عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فانه الامام الحافظ الثقة المؤمن حتى قيل فيه أعلم أمة محمد بدين محمد بعد محمد سعيد بن المسيب رحمه الله ورضي الله عنه والدليل على أفضلية التابعين قول النبي صلى الله عليه وسلم «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدوي أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة — ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن» زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ورواه أبو داود ولفظه «خير أمتي القرن الذي بعث فيهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ورواه مسلم من حديث أبي هريرة وفيه والله أعلم أذكر الثالث أم لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لانس النار مسلما رأيي أو رأي من رأيي رواه الترمذي من حديث جابر قال طلحة فقد رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجو الله تعالى قال الامام المحقق بن القيم في أول كتابه اعلام الموقعين ألقى الصحابة الكرام الى التابعين

(١) سقط من الحديث شيء وأصله «وله والده هو بها بر لو أقسم الله على الله لأبره وكان به بياض فبري» الخ اه مصححه

ما تاتوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكان سندهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم
عن حبريل عن رب العالمين سندنا صحيحا عاليا وقالوا هذا عهد نبينا الينا و
عهدنا اليكم وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم تحري
التابعون لهم باحسان على مهاجهم القويم واقفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا
قال في ثم في الفضل بعد التابعين في تابعهم في أي اتباع التابعين لما تقدم من
صحيح الاخبار وصريح الآثار في طرا في أي جميعا وهو منصوب على المصدر أو
الحال لانهم سلكوا مسلكهم الرشيد (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط
الحمد) وكانوا بالنسبة الى من قياهم كما قال اصدق القائلين (ثلاثة من الاولين وقبل
من الآخرين) ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل في احدى الروايتين كما ثبت في
الصحيح من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وعمران بن حصين رضي
الله عنهم أجمعين من قوله صلى الله عليه وسلم خبر الناس قرني الحديث والقرن
أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الامور المقصودة والاصح انه
لا يضبط بمدة قدره صلى الله عليه وسلم أصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى آخر
من مات من أصحابه وهو أبو الطفيل مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من نحو
مائة الى سعين سنة وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين وفي
هذا الوقت ظهرت ابدع طهورا فاشيا وأطلقت المعترلة ألسنتها وأظهرت الجهمية
نحلها وورفت الفلاسفة وساءوا متحنث أئمة الدين وعلماء المسلمين يقولوا بخلق القرآن
وكان المقصود الاعظم منهم امامنا الامام أحمد فقام بأمر السنة أنم قيام وعاضده
عليها ائمة اعلام وحفاظ الدين فخام شكر الله عليهم وثبتنا على نهجهم آمين وظهر
مصدق قوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية ثم ينشرو الكذب قال في النهاية خبر الناس
قرني يعني الصحابة ثم التابعين والقرن أهل كل زمان وهو مقدار الوسط في أعمار كل
زمان مأخوذ من الاقتران فكاه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم
وأوام وقيل القرن أربعون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر
قرن بقرن قرنا قال الحافظ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور القرن أهل كل
زمان وهو المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم

فصل في

في ذكر كرامات الاولياء واثباتها

وهذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نقيها وإهالها وهذا قال

﴿ وكل خارق أتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح ﴾

﴿ فأنها من الكرامات التي بها نقول فاقف للدلالة ﴾

﴿ ومن تشاها من ذوي الضلال فقد أتى في ذلك بالحال ﴾

﴿ فأنها شهيرة ولم تزل في كل عصر ياشقأهل الزلل ﴾

﴿ وكل خارق ﴾ معادة من الخوارق وهي ستة أنواع (الاول) المعجزة وتقدم الكلام

عليها (الثاني) الارهاص وكل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها فالمعجزة أمر خارق للعادة

مقرون بدعوى النبوة والارهاص المقدمة لها قبلها كقصة أصحاب الفيل (الثالث)

الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على بدعبدظا

هر الصلاح ملتزم لما به نبى كاف شرعاً مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم

بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم (الرابع) الاستدراج والمكر (الخامس) المعونة كما يظهر

بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تحليلها لهم من الخن والمكره

(السادس) الاهانة والاحتقار كما فعل مسيلة الكذاب من مسحه بيده على رأس

غلام فانقرع ومن ثقله في بئر عذبة ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا أجابا ومن

الخوارق الفاسدة السحر والشعوذة ونحوها

والحاصل ان الكرامة لا بد أن تكون أمرا خارقا للعادة ﴿ اتى ﴾ ذلك الخارق ﴿ عن ﴾

أمرى ﴿ صالح ﴾ وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات

المجتنب عن المعاصي المعرض عن الاتهام في الذات والشهوات من ذكر واثني ولا بد أن

يكون صدر ذلك الخارق في زماننا ويعدده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ من ﴾ انسان ﴿ ناع لشرعنا ﴾ معشر المسلمين لان سائر الشرائع سواء قد نسخت

وان يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا

الابان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة

كما تقدم آتيا ولا اعتبار كون من صدرت عنه الحوارق عارفاً معلوماً فظهر الصلاح
متابعا لشرعية محمد صلى الله عليه وسلم أشار بقوله { وناصح } لله ورسوله ولكتبه
ولشرعية النبي صلى الله عليه وسلم أي أتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخدامهم
عامتهم فإن الدين الصحيح فما يصدر من الحوارق المؤكدة لكذب الكذابين
ونزوات المفترين من قبيل المكر والاستدراج والمخن والاعوجاج وأما إذا صدرت
عن ذكر من الصالح الناصح امتنع لشرعا الفويم وديننا المستقيم { فانها } تكرر
{ من الكرامات التي بها } أي بجوازها ووقوعها { تقول } معشر أهل السنة من
السلف والخلف قال ابن حنبل في نهاية اللبندين وكرامة الأولياء حق واصرار الإمام
أحمد رضي الله عنه على من أمكرها وضاله قل وتوجد في زمن النبوة واشترط
الساعة وغيرها ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فبما يخبر به عن الله تعالى
ولا على ولايته لحواجز سلبها وإن تكون استدراجا له يعني أن مجرد الحارق لا يدل
على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا
طلبه تشريفا له طاهرا ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره أنه ولي الله تعالى غالبا
بذلك وقيل بل لا يلزم من صحة الكرامات وجودها صدق من يدعيها بدون
بينة أو قرائن حاله نعيد الحزم بذلك وإن مشى على الماء وفي الهواء أو سخرت
له الحن والسباع حتى تنظر خاتمته ومواقفته للشرع في الأمر والنهي وإن وجد
الحارق من نحو حاهل فهو محرقة ومكر من ابليس واغواء واضلال ولا شيء
على من طس الخبر ممن براه منه وإن كان في الباطن شيطانا وحسن الخلق بأهل
الدين والصلاح حسن { فاقف } في اعتقادك الصالح ونهيك الماجيح أي البيم
{ للادلة } الشرعية والمشاهدات الحسية والفواطم العقلية فإن كرامات الأولياء
ثابتة بالبيان والبرهان أما أولا فإن وجودها جائز عقلا واقع عيانا وشرعا فإن
حمل مرسم بلا ذكر ووجود الرق شئها بلا سبب من فاكهة الصبغ في الشتاء
وفاكهة الشتاء في الصيف من الحوارق وليستنا بتمييزين لعدم شرط المعجزة وهو
دعوى النبوة والتعدي نذهب كون ذلك كرامة لها وأيضا قصة آصف بن برخيا
فإن احصاره عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر خارق للمادة حقا وأيضا قصة

أصحاب الكهف فإن بناءهم ثلاثمائة سنين بلا آفة من أعظم الخوارق وثانيًا ما تواتر معناه وإن كانت فواصله آحادًا من كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم وإلى وقتنا هذا مما ذاع وشاع وملا الآفاق والاسماع وضاعت عن احصائه الدفاتر وشهدت بوجوده الاكابر والاصاغر ولا ينكره الا معاند ومكابر فلا جرم فهو الحق الصراح الرادع لاهل الانكار والكفاح وهو مع كونه كرامة لمن ظهرت على بدنه غالبًا فهو دليل على صحة نبوة متبوع من ظهرت على بدنه وحقيقة دينه واستقامة مذهبهم ومن ثم قلنا ﴿ ومن ﴾ أي أي انسان كائنًا من كان ﴿ نفاها ﴾ أي كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلًا عن وقوعها ﴿ من ذري ﴾ أي أصحاب ﴿ الصلال ﴾ والزيف عن نهج أهل السنة والاعتزال وكذا من نحنا نحوم من أهل السنة كالاسناد أبي اسحق الاسفرايني وعبد الله الحلبي من الاشاعة ﴿ فقد أتى في ذلك ﴾ النفي وعدم التجويز لهما ﴿ بالحال ﴾ المابذ للبرهان والعيان وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن فمع هذه الأدلة المتواترة والوقائع المنكثرة فلا ينكار لها مكابرة غير منظور اليه ولا معول عليه وزعمهم ان الخوارق لو جاز ظهورها من الاولياء لا لتبس النبي بغيره أذ الفرق ما بينهما إنما هو بالمعجزة وبأنها لو ظهرت لكثرت الاولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة والقرص كونها خارقا فاذا خرجت عن كونها خارقا لكثرتها نافيت المقصود وخالفته ولأنها لو ظهرت لافرض التصديق لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز أن يكون ما يظهر من النبي افرض آخر غير التصديق وبان مشاركة الاولياء للانبياء في ظهور الخوارق بخلاف بعظيم قدر الانبياء ووقعهم في النفوس باطل المأخذ غير صالح للتمسك به والتعويل عليه والانتفات له والمصير اليه حتى ولو لم تكن الأدلة بكرامات الاولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة فكيف والأدلة القرآنية والسنن النبوية والآثار النافذة والمشاهدات العيانة أكثر من ان نحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى ولهذا قال معلل المارتنكويه في نفيها من الحال ﴿ لاتما ﴾ أي كرامات الاولياء كثيرة ﴿ شيرة ﴾ للعيان ثابتة بالبرهان ﴿ ولم تزل ﴾ تظهر على يد الاولياء الصالحين وهل التحقيق العارفين ﴿ في كل عصر ﴾ من الاعصار الماضية وإلى الآن والعصر مثلثة

وبصين النهر ويجمع على اعصار وعصور وأعصر وعصر ويطلق العصار على
اليوم والليلة والعشى الى احرار الشمس وذلك كما تقدم من حكاية قصة مريم
وعرش بلقيس وقصة اصحاب الكهف والمشي على الماء كما نقل عن كثير من
الاولياء من الصحابة وغيرهم كما في قصة العلاء من الحضرمي من الصحابة رضي الله
عنه اجمعين فانه لما ذهب الى البحرين سلكوا مفارة وعطشوا عطشا شديدا حتى
خافوا الملاك فدخل فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا حليم يا علي يا عظيم اسقنا
سحابة فأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا الى خليج من البحر
ماخض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سحابة فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا حليم يا علي
يا عظيم اجربنا ثم أخذ يمدان فرسه ثم قل جوزوا باسم الله قل أبهريرة فمسيا
على الماء فوالله ما نبل لاقوم ولا خف ولا حاور ولا خش اربعة آلاف والنهران
في الهواء كما في قصة حمزة بن ابي طالب ذي الجراحين رضي الله عنه وكقصة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويته لجيش سارية وهو على المبر بالمدينة وهو ولد
فدادى وهو على المبر لأمير الجيش سارية فقال يا سارية الجبل عذبرا له من
المدن ومكرم له من وراء الجبل وسباع سارية مع بعد المسافة وكشرب خالد بن
الوليد رضي الله عنه السم من غير أن يحصل له تضربه وكجربان الليل يكاد
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وامثال ذلك من كرامات الصحابة
رضي الله عنهم مما لا يحصى الا بكلمة وكذلك كرامات الساجدين ومن بعدهم ما هو
طافح مشهور لا يمكن رده واسكاه لانه في غاية البيان والظهور ولذا قال لمن
انتحل المحال (يا شقيا أهل الرلل) بما ارتكبوا ويا خباياهم لما انتحلوا من رد
المحسوس وتكذيبهم للبرهان بوساوس العوس ومكابرتهم لامسكار البيان بمجرد
الوهم والهموس وقد قال علماؤنا ان كرامة الولي وظهور الحارق على يده من كونه
من آحاد الامة معجزة الرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لانه
يظهر تلك الكرامة انه ولي وان يكون وليا الا وان يكون محققا في ديانته ودبائته
شيئا لا ريب فيه والامان والافتقار بالخوارج والاركان لمساواة فيه المنبوع
وسوله الذي عليه المعول والى ما جاء به الرجوع والطاعة لاوامره والانذار من زواجره

في السر والاعلان حتى لو ادعى هذا الذي ظهرت على يده الكرامة الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر الخارق على يده ولو فرض ظهوره فهو حنبلي من قبيل الاستدراج والحاصل ان الامر بالخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله أو من قبل آحاد أمته وهو بالنسبة للولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله فالنبي لا بد من علمه بكونه نبيا ومن قصده اظهار خوارق العادات وظهور المعجزات وأما الولي فلا يلزم أن يعلم بولايته ويستمر كرامته ويسرها ويجهتد في اخفاء أمره كما تقدمت الإشارة الى ذلك كله

﴿تنبيهات﴾

(الاول) وافق أبو حنيفة البصري المعري ومن نحا منحاه أهل السنة في جواز كرامات الاولياء ووقوعها (الثاني) يحوز في الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها ولو كقلب العصا حديد وكوجود ولد من غير أب لا يمثل ما يختص به النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذي هو أعظم المعجزات وأخص الآيات وقال قوم الكرامات تخص مثل اجابة دعاء ونحوه قال الامام النووي وهذا غلط من قائله وانكارا للحسن بل الصواب جريانها حتى في قلب الاعيان (الثالث) الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولي مادام عاقلا بالغا الى مرتبة سقوط التكليف عنه بالاوامر والنواهي ومن زعم ذلك فهو الحاد وزندقة ومن الزندقة مازعه من زعمه من بعض الكرامية ومن نحا منحهم من أن الولي قد يبلغ درجة النبي بل أعلا وتقدم الكلام في نزيف هذا المقام بما يحصل به المرام والله ولي الانعام (الرابع) قال بعض المحققين للولي أربعة شروط (أحدها) أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخلق وبين النبي والمشي (الثاني) أن يكون عالما بأحكام الشريعة تقلا وفهما ليكتفي بنظره عن التقليد في الاحكام الشرعية كما اكتفي عن ذلك في أصول التوحيد فلو آذهب الله تعالى علما أهل الارض لوجدتندما كان عندهم ولا أقام قواعد الاسلام من أولها الى آخرها (ثالث) وهذا غير معتبر ولا مشترط في مطلق الولي من غير تردد نعم يعتبر هذا في المجتهد المحدد دون مجتلي الولي والله أعلم (الثالث) إن يتخلف بالاخلاق المحمودة

التي دل عليها الشرع والعقل من الورع عن المحرمات يل والمكروهات وامتناع
 المأمورات واحلاص العمل وحسن المتابعة والاعتداء (الراعي) أن يلتزمه الخوف
 أبدا واحتقار النفس سرمدًا وان يفتل الى الخلق بعين الرحمة والصيحة وأن يبد
 جهدة في مراقبة محاسن الشريعة ومطالعة عيوب النفس وآفاتهما والخوف بملاحه
 السابقة والحاجة ويجمع ذلك كله ويزيد عليه قوله تعالى (ألا أن أولياء الله لا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون) الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة
 لا تبدل لكلمات الله ذلك هو النور العظيم والله تعالى أعلم

﴿فصل﴾

في المفاصلة بين البشر والملائكة وهي مسئلة عطية قد كثر فيها الاختلاف
 ونشبت فيها الأقوال وعظمت فيها المحن والجدال ولكثرة الخلاف فيها وتباين
 أقوال الأئمة من المنكاه من وغيرهم في تفاصيلها قلنا في الظم

﴿وعندنا تفضيل أعيان البشر على ملائكة ربنا كما اشتهر﴾

﴿قال ومن قال سوى هذا افتري وقد تعدى في المسال واجتري﴾

﴿وعندنا﴾ معشر أهل السنة خصوصاً أهل الأثر وسلب الأمة وكبار الأئمة قائمهم بقولهم
 وبتقدمهم (تفضيل أعيان البشر) بحركة الانسان ذكر أو أنثى ويطلق البشر
 الواحد والجمع وقد هتئ وبجمع ايشارا والمراد بأعيانهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام
 والاولياء فالانبياء أفضل من الاولياء وهما أفضل من الملائكة وقيل كل صا
 وأفضل من الملائكة قال الامام أبو الوفا ابن عقيل الصحيح تفضيل الانبياء
 الصالحين على الملائكة والملائكة أفضل من الفسقة وقال تارة الانبياء أفضل
 من الملائكة وجبريل واسرافيل وميكائيل أفضل من الاولياء وقال سيد
 الامام أحمد رضي الله عنه بنو آدم أفضل من الملائكة ولنا قلنا ﴿على ملائكة﴾
 ربنا ﴿تارك وتعالى﴾ كما اشتهر ﴿ذلك من نصوص امامتنا الامام أحمد رة
 الله عنه والملائكة هو الملك وجمعه ملائكة وحذفت همزة ملائكة لكثرة الاستعمال
 وأصل وزنه مفعول فتقيل ملائكة وقد تحذف الهاء من الجمع فيقال ملائكة وأه
 ما لك بتقديم همزة من الالوكة وهي الرسالة ثم قدمت اللام على همزة في ا

كما في النهاية وغيرها (قال) (إمامنا الامام أحمد رضي الله عنه) (ومن) (أي) (إنسان) (قال) (بل) (أنه) (أعنف) (بجنايته) (سوى هذا) (أي) (غير القول) (بفضل بني آدم على الملائكة) (أقرب) (أي) (أن) (بكلام خطأ) (بشعر) (بالافتراء) (وقد تعدى) (أي) (تجاوز) (الحسد المنقول) (والثابت عن الرسول والسلف الفحول) (في المقال) (الذي اعتمد) (واجترى) (أي) (افتات على الشارع) (بالاعتقاد) (الذي اعتمد) (وانظر النص بخطي) (من فضل الملائكة وقيل كل مؤمن أفضل من الملائكة قال ابن حمدان في نهاية المتبدين وقل الامام العلامة أبو بكر عبد العزيز ابن جعفر المشهور بفلام الحلال رحمه الله تعالى من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة ومن كان شره أكثر من خيره فالبهائم خير منه وقيل من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه هذا محصل قول جل أصحابنا وقال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد سئل شيخنا شيخ الاسلام ابن نبيمة روح الله روحه عن صالح بن آدم والملائكة أيهما أفضل فأجاب بأن صالح البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية فان الملائكة الآن في الرفيق الاعلا منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقين في عبادة الرب ولا ويب أن هذه الاحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالح البشر أكمل من حال الملائكة قال وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتنفي أدلة الفرقين وبصالح كل منهم على حقه قال ابن القيم فملئ المنكلم في هذا الباب يعني باب التفاضل بين الاشياء ان يعرف أسباب الفضل أولا ثم درجتها ونسبة بعضها الى بعض والموازنة بينها ثانيا ثم نسبها الى من قامت به ثالثا كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعا فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها فكما خالد بن الوليد لشجاعته وحروبه وكال ابن عباس بفقته وعلمه وكال أبي ذر بزمه وتجرده عن الدنيا قال فهذه أربع مقامات يضطر اليها المنكلم في درجات التفضيل وتفضيل الانواع على الانواع أسهل من تفضيل الاشخاص على الاشخاص وأبعد من الهوي والغرض انتهى ما يخص

تسبيحات

(الاول) قد علمت ان هنا ثلاث صور (الاولى) التفضيل بين الانبياء والملائكة وفي هذه ثلاثة أقوال (أحدها) الانبياء أفضل وعليه جمهور أهل الحق من أهل السنة وهو الصواب (الثاني) الملائكة أفضل وهو قول الممثلة واختاره من الاتباع أبو اسحق الاسفرائيني وأبو بكر الباقلاني والحاكم والمحبس وفخر الدين في المعالم وأبو شامة واختار محر الدين (الاول) في الاربعين وفي المحصل (الثالث) الوقت عن القول بالمفضل بل لاجل الدواعي على الآخر ومحل الخلاف على هذا القول في غير نبي محمد صلى الله عليه وسلم أم هو أفضل لخلق بلا خلاف لا يفضل عليه ذلك مقرب ولا غيره كما ذكره غير واحد من حكمي الخلاف كالسيوطي في الحياك والشيخ السكي في منع الموانع والسراج البلقي في منهج الاصلان وندر الدين الزركشي وتسل غير الدين الرازي الاجماع على ذلك وكأنه أراد اجماع أهل السنة.

(الصورة الثانية) المفاضل بين خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الانبياء وهذه الصورة زعم بعض نبي الخلاف بان خواص الملائكة أفضل من أولي البشر في شرح عقائد السني الاجماع على ان خواص الملائكة أفضل من أولياء البشر بعد الرسل والانبياء وهذا مردود مدحول فقد قدمنا ان معتد القول عند علمائنا من واقفهم ان الاولياء أفضل من خواص الملائكة نعم ابن شقيل حالهم في ذلك فقال خواص الملائكة من حبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت أفضل من الاولياء وقال في القول بخلاف هذا شناعة عطية على قوله كذا قال مع أنه هو نفسه صرح بان الانبياء والاولياء أفضل من الملائكة وصح ذلك (الصورة الثالثة) التفضيل بين أولياء البشر وغير الخواص الملائكة وفي هذه قولان (أحدهما) تفصيل جميع الملائكة على أولياء البشر وحرم به ابن السبكي في جمع الجوامع وذكره القمني في منحه انه قول أكثر العلماء والثاني تفضيل أولياء البشر على الملائكة وحرم به الصغار من الحمية وهو المختار عندهم ومال البلقيني الى مضمونه وهو انه قد يرجح من اولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة وقال قوم من أهل السنة

ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من انبياء افضل من الاولياء من الملائكة وذوهم آخرون الى ان الملائكة لا علاء فصلون على سكان الارض وفصل جماعة من محمدي الملائكة ومن وافقهم فقالوا رسل البشر كموسى عليه افضل الصلاة والسلام افضل من رسل الملائكة كجبريل عليه السلام ورسل الملائكة كاسرافيل عليه السلام افضل من عامة انبياء البشر وهم اولياؤهم غير الانبياء كابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعامة البشر كاوليائهم غير الانبياء افضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكرويين وهذا نحو ما حكينا عن ابن عقيل واحتج أهل هذا التفضيل بالاجماع وقد علمت انه مدخول بل ادعوا فيه الضرورة واحتجوا على تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة بوجوه سنذكرها ونقل البلقيني في منبج الاصل ان الحمار عندما نذية ان خواص البشر وهم الرسل افضل من جملة الملائكة والملائكة لخواص افضل من الانبياء غير المرسلين والانبياء افضل من غير الخواص من الملائكة قل ومنهم من وقف في التفضيل بين صالحى البشر واساؤة كذا قال والحق المعتمد عندهم ان خواص البشر كالانبياء افضل من خواص الملائكة كرسامهم وخواص الملائكة كرسامهم افضل من عوام البشر كالاولياء وعوام البشر افضل من عوام الملائكة وهم غير الرسل منهم والله اعلم

(التذية الثاني) في بعض أدلة مذهب أهل الحق من تفضيل صالحى البشر على الملائكة خلافا لامة معتزلة والفلاسفة ومن نحي نحوهم منها قوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فالسجود له افضل من السجود فان قيل لم لا يجوز ان يكون السجود لله تعالى وآدم كالقيلة فالجواب انه لو لم يكن السجود دالا على منصب المسجود على الساجد لما قال ابليس (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) اذ لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل ذلك السجود على ترجيح منصب المسجود له على الساجد (ومنها) ان آدم عليه السلام كان اعلم من الملائكة والاعلم افضل لقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقد قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) على قوله قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم (ومنها) ان طاعة البشر اشق

والاشق أفضل فان البشر يحبون على الشهوة والحرم والغضب والهوى ونحوها وهذه
من أكبر الموانع وهي مفقودة في الملك (ومنها) قوائمه الى (ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) والعالم عبارة عما سوى الله تعالى والآل
يراد به الرجل نفسه وفراد به اقاربه الاذنون ويراد به اتباعه فان قيل يشكل هذا في
قوله تعالى في بني اسرائيل (واني فضلكم على العالمين) فذلكم على ظاهر هذا فيفضل
انبياء بني اسرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب أولا الآية تحتل اختصاص
وثابا من شرط العالم المعدل عليه أن يكون موجودا (١) حال وجود انبياء بني
اسرائيل اما الملائكة فعم موجودون حال وجود محمد صلى الله عليه وسلم
(ومنها) ان الملائكة لهم عقول بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل والآدمي
له عقل وشهوة ثم ان الآدمي ان رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهائم
كما قال تعالى (أولئك كالأغنام بل هم أضل سبيلا (٢) واذا رجح عقله على
شهوته كان أفضل من الملائكة فمن يطع الله وأوامره وطيبته معجونة بالشهوة
والهوى ويقمع شهوته وبخالف هواه تدون عبادته أفضل ألا ترى من ابتلى من
الملائكة بالشهوة كبف وقع في المعصية على ما قيل وذكر نحو هذا البيهقي وقال
كما وقع لهاروت ماروت وساقها من ثلاثة طرق ثم أخرج البيهقي عن عبد الله بن
سلام رضي الله عنه انه قال ان أكرم خليفة الله على الله أبو القاسم صلى الله عليه
وسلم قبل رحلك الله وأبن الملائكة قال الملائكة خافى كخافى الارض وخلق
السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلق وان أكرم الخلق على الله
أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وأخرج البيهقي أيضا عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا على أهل السما وعلى الانبياء قل وما فضله
على أهل السما قال ان الله قال لأهل السما (ومن بقل منهم اني له ان دونه فذلك
تجزيه جهنم) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك

(١) لعلها حذفا هو «ولم يكن محمد (ص) موجودا» اهـ مصححه

(٢) قوله تعالى (سبيلا) ليس من هذه الآية بل ثمتها «أولئك هم
الغالبون» وفي آية أخرى «انهم الا كالأغنام بل هم أضل سبيلا» اهـ مصححه

الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وأخرج أيضا عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما شيء أكرم على الله من بني آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال الملائكة محبوبون بنزلة الشمس والقمر» قال البيهقي تفرد به عبيد الله بن غانم السلمي عن خالد الحذاء وعبيد الله قال البيهقي عنده عجائب قال ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفاً على ابن عمرو وهو الصحيح قال البيهقي ومن قال بالقول الآخر هو تفضيل الملائكة على سكان الأرض أتبه ابن يقول إذا كان التوفيق للطاعة من الله تعالى وجب أن يكون الأفضل من يكون توفيقه له وعصيته إياه أكثر ووجدنا الطاعة التي وجودها بتوفيقه وتصمته من الملائكة أكثر فوجب أن يكونوا بذلك أفضل وأخرج البيهقي أيضاً حديث «ما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة رب خفتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله تبارك وتعالى لا أجعل من خائفته بيدي ولقخت فيه من روحي كن قلت له كن فكان» قال وفي ثبوته نظر انتهى وقال العزيم عبد السلام في انباء كلام له في انواع المناضل بين الحوادث من الجواهر والاجسام لا يفضل الملائكة على الانبياء الا بهجوم بني التفضيل على خيالات توهمها وأرواحها فاسدة تعمدها ولم ينفوا الخيالات والتوهمات في امور يعلم انه خلافها انتهى وقال الامام بن عقيل من علمنا في كتابه الارشاد مؤمنوا اولاد آدم من الاولياء والزهاد والانبياء من طريق الاولى اشرف من الملائكة على قول أصحابنا قل وعندي ان فيه تفصيلاً وذلك ان في الملائكة من لا يجوز أن يفضل عليه الاولياء مثل جبريل وميكائيل وملاك الموت والمترين ولكني افضل عليهم الانبياء ومنهم من يفضل عليه اولياء بني آدم وهم من عدا المقرين من الملائكة السيئة وغير ذلك قل والدلالة على ان خواص الملائكة المرسلين والمقرين خير من الاولياء خلافاً لأصحابنا ان هؤلاء ساوهم في العبادة وفضلوا بالقرب والرسالة وسماع الكلام من الله تعالى الذي شرف بسماعه موسى عليه السلام على غيره وهذه الرتبة عظيمة لمن علمها وفارق الانبياء لانهم فضلوا بالرسالة والنبوة ومعاملة الامم والتعليم وجعل الملائكة خدماً لهم ولان في قولنا بان صالحاً من بني

آدم خير من جبريل شفاعته عظيمة علينا من حيث سويتنايته وبين رتبة الانبياء مع جلالة جبريل وعظمته وشفاعته عند الله فمن جبريل سفير الرحمن وحامل وحيد الى الانبياء ثم قال واستدل من قبل بالعموم بما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «خلفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال: «اوسعوا لمن خلفكم قلنا: ولمن نوسع يا رسول الله قال: لا لانك انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا من بين أيديكم ولا من خلفكم واما يكونون عن ايمانكم وشانكم» قلوا: امن فضلا عليهم أو من قضاهم عليه قل: «انتم افضل منهم» وأبصا عن النبي صلى الله عليه وسلم «مؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» وأيضاً اللفظ المشهور «ان الله تعالى يباهي ملائكته بأهل عرفاته ولا يباهي الا بأفضل وأيضاً فان جبريل فتخر بأن يسى من أهل البيت وسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء وكان تحته طائفة والحسين والحسين انتهى والابواب عن هذا اما حديث أبي هريرة الاول فوضوع لانحل روايته فقله عن الاحتجاج به ومن حكم بوضعه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية وأورد الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات باختصار فلم يذكر قوله قالوا: من فضلا عليهم الخ وحكم بوضعه وأما حديث «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده» فالمعروف من لفظ الحديث «المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته» كذا رواه أبو ماجه وهذا اللفظ لا يدل على تفضيل الاولياء على جميع الملائكة بل على بعضهم وحديث المباهاة لا يدل على الافضلية وأما حديث ان جبريل عليه السلام افتخر بأن يسى من أهل البيت وسأله النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء فلا أصل له قال الحافظ السهوتي لم أقف له على أصل في شيء من كتب الحديث وكيف يجسر أحد على تفضيل غير الانبياء من البشر على جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل مع ما في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة قال أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يخافون العناق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ابواب جبريل وميكائيل وقال سراج الدين البانيني الاكثر من الاشاعة على تفضيل الانبياء على الملائكة وذهب القاضي أبو بكر الباقلاني واخلبي الى ان الملائكة العلوية افضل وبتبني أن يكون محل الخلاف في غير النبي صلى الله عليه وسلم

أفضل خلق الله أجمعين قال وأما الصالحون من البشر غير الأنبياء فأكثر العلماء على تفضيل الملائكة عليهم وعندنا أن من كان منهم تقيا نقيًا موافيا لموت على ذلك فقد يفضل على الملك باعتبار المشقات في عباداته مع ما فيه من الدواعي إلى الشهوة وغيرها لا سيما من كان خليفة سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والسلام وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح جمع الجوامع أما تفضيل الأنبياء على الملائكة فهو عقيدة الأشعري وجمهور أصحابه وهو آخر أقوال أبي حنيفة فإذ ذكره شمس الأئمة لا جماع العصمة مع التركيب المعرض للذنوب التي يجنب الصبر عليها والشهوات التي يجنب الصبر عنها ومن أحسن الأدلة قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الأنبياء (وكلًا فضلنا على العالمين) والملائكة من العالمين فدل على أنهم أفضل منهم وقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) وأراد بني آدم لأن الملائكة لا يجازون بل هم خدام أهل الجنة ولأن الأنبياء قامت حجة الله على خلقه بخلاف الملائكة حتى قال تعالى (ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلا) ولأن آدم سجده للملائكة والمسجود له أفضل من الساجد كما تقدم ثم في الأنبياء من هو أفضل من آدم ولأن الناس في الموقف أنما ينشعرون بالأنبياء لا بالملائكة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا شك أن للبشر طاعات لم يثبت مثلها (للملائكة) كالجهاد والغزو ونحو الغلبة الهوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلاء والمحن والرياء وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويبشرونهم بالحلال رضوانه عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة وقال بعض المحققين انفقوا على أن العصاة من المؤمنين دون الأنبياء والملائكة فاما المطيعون فاختلفوا في المفاضلة بينهم وبين الملائكة على قولين وقال ابن يونس من الشافعية في مختصره في الأصول بعد ذكر القولين وقال الأكثرون من المؤمنين الطائع أفضل من الملائكة وقال ابن المنبر مذهب أهل السنة أن الرسول أفضل من الملك باعتبار الرسالة لا باعتبار عموم الأوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجرد ما أفضل من الملائكة ومعاذ الله والله أعلم

(النتيجة الثالثة) قد أشرنا فيما تقدم أن المعترلة ذهبت إلى تفضيل الملائكة

على الشر حتى على الرسل ولأنبياء واختاره من الأشاعرة القاضي أبو بكر
 البلاغاني وأبو اسحق الاسفراييني وحنيفة أبو عبد الله المازكي وأبو الحسين والفخر
 الرازي في العالم دون الأديبين وأبو شامة ومن تحاخمهم واحتجوا بمجمع
 مها قوله تعالى (لن يستكفهم الله) يسبح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) قالوا
 فهذا يقتضي كون الملائكة أفضل من المسيح ألا ترى أنه يقال إن فلاناً لا
 يستكف الورع من خدمته ولا السلطان ولا يقال إنه لا يستكف السلطان من
 خدمته ولا لورع بر فلما ذكر المسيح أولاً والملائكة ثانياً علمنا أن الملائكة أفضل
 من المسيح والجواب عنه من وجوه (الأول) أن محمداً صلى الله عليه وسلم وكذا إبراهيم
 الخليل أفضل من المسيح عليه السلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح كونهم
 أفضل من محمد ولا من إبراهيم عليهما الصلاة والسلام (الثاني) أن قوله ولا الملائكة
 المقربون صيغة أجمع فتناول الكل فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من
 المسيح فلم قلنا أنه يقتضي كون كل واحد من الملائكة أفضل من المسيح (الثالث)
 أن الواو في قوله ولا الملائكة المقربون حرف عطف وهو أنما يفيد الجمع المعاني
 لا الترتيب والمآل الذي ذكرناه ليس بحجة لأن الحكم الكلّي لا يثبت بالمثل
 الجزئي ثم أنه معارض نحو قولك ما أعانني على هذا الأمر لا عمرو ولا زيد
 فهذا لا يفيد كون المآخر في الذكر أفضل من المتقدم معه قوله تعالى (ولا الهدي
 القلائد ولا آمن البيت) ولما اختلفت الأمة امتنع اتعويل عليها ثم في التحقيق في
 المسئلة أنه إذا قيل هذا العالم لا يستكف من خدمة الوزير ولا السلطان فمن
 نعلم بقولنا إن السلطان أعلم درجة من الوزير معرنا أن الفرض من ذكر الثاني
 هو المبالغة فهذه المبالغة إنما عرفناها بهذا الطريق لا بمجرد الترتيب في لذكر فلا
 يمكن أن نعرف أن المراد من قوله ولا الملائكة المقربون بيان المبالغة إلا إذا
 عرفنا قبل ذلك أن الملائكة المقربين أفضل من المسيح وجبت بتوقف صحة
 الدلائل على صحة المطلوب وذلك دور (الرابع) هو أن الآية الكريمة دالة على
 أن منصب الملك أعلى وأزيد من منصب المسيح لكن لا تدل على الزيادة من
 لجميع الوجوه فالملك أزيد من جهة القوة والقدرة والبطش فإن جبريل عليه السلام

قام مدائن قوم لوط والبشر لا يتقنون على مثل ذلك فلم قام ان الملك أفضل من البشر في كثرة الثواب الحاصل بسبب مزبذ الخشوع والعبودية وتعام التحقيق ان الفضل المختلف فيه في هذه المسئلة هو كثرة اثاره ثم ان كثرة الثواب لا يحصل الا بنهاية التواضع والخضوع وكون العبد موصوفا بنهاية التواضع لله تعالى لا يلائم صبرورنه مستكفا من عبودية الله تعالى بل يناقضها وينافيها فامتنع ان يكون المراد من الآية هذا المعنى وأما اتصاف الشخص بالقدره الشديده والقوة الكماله فانه مناسب للمرد ورك العبودية فالصارى لما شاهدوا من المسيح احياء الموتى وابراء الاكف والايص اخرجوه بسبب هذا انقصر من القدره عن عبودية الله تعالى فقال تعالى ان عيسى لا يستكف بسبب هذا القدره عن عبوديه ولا الملائكة المقربون الذين هم فوقه في القدره والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين وعلى هذا الوجه ننظم دلالة الآية على ان الملك أفضل من البشر في الشدة والقوة والبطش لكنها لا تدل البتة على ان الملك أفضل من البشر في كثرة اثاره ويقال أيضا انما ادعت الصارى بالآية عيسى لانه وجد لا من أب فقبل لهم الملك حصل ووجد لا من أب ولا من أم فكيف يستكف المسيح عن العبودية لكونه وجد من أم لا من أب والملك الذي وجد لا من أب ولا من أم لا يستكف عنها فالملائكة أعجب في هذا من المسيح في هذا الباب مع أنهم لا يستكفون عن عبودية الله تعالى

وهنا قوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته والاستدلال هذه الآية الكريمة من وجهين (الاول) انه تعالى احتج بعدم استكبار الملائكة عن عبادته على ان البشر يجب ان لا يستكبر عنها ولو كان البشر أفضل من الملائكة لما تم هذا الاستدلال فان السلطان اذا أراد ان يقرر على رعيته وجوب طاعتهم له فانه يقول الملوكة لا يستكبرون عن طاعتي فمن هؤلاء المساكين والجملة فظاهر ان هذا الاستدلال لا يتم الا بالقوى على الاضعف (الثاني) انه قل ومن عنده وهذه عندي الفضيلة والقرية والجواب عن هذا فهم مما قبله وهو ان الملائكة مع تمام قوتهم وشدة بطشهم لا يتمرّدون عن طاعة الله تعالى ولا يستكبرون فبالا البشر يتمرّدون عن طاعة الله مع غاية ضعفهم وهنأ

بوجب كون الملك أقوى من البشر لا كونه أفضل منه بهنئ كفرة القوا
ويحاج عن ادني أنه ممرض بقوله تعالى في صفة البشر (في متمد صدق عند
ملك مقتدر) وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى «أنا عند المنكسرة قلوبهم
وهذا أفضل لأنه قال في الملائكة أنهم عددتهم وقال في وصف المنكسرة قلوبهم
ان ربيهم عددهم

ومها ان عبادت الملائكة أدوم وأشق فوجب ان نكرت أفضل بشاء
قوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وعلى هذا التقدير لو كانت أعمارهم
مساوية لأعمار البشر لكان طاعتهم أدوم وأكثر فكيف ولا نسبة للمركب
البشر الى عمر الملائكة وإنما فصل الادوم لأنه أشق فكان أفضل وفي المادية
«خيركم من طال عمره وحسن عمله» والمواب عن هذه بأن لا حجة لم في
شيء من ذلك أما كون عبادتهم أشق ل عبادة للبشر أشق لما فيهم من
دواعي الخلف والنقاد وانفور وإما يدل جمع ذلك على قوة الملائكة وهذه
مسلم ولا حجة لم أيضا في المادية لأنه خطاب لبشر خادمة ولا يلزم من فاضل
أحد الانواع شيء انتفضل به في غيره كما لا يخفى وأنت اذا تأملت بانعقاد
حق أمثال وجدته غير دال على معادهم وقد قامت الأدلة من العرف الآخر
على تفضيل الانبياء وكذلك من ألقاهم بهم في التفضل في الحلة ولا يذهب
عليك أنه لا خلاف في فضيلة الملائكة وإنما الخلاف في أصليتهم على خراس بني آدم
هذا وقد قل بعض العلماء مسألة تفضل البشر على الملك أو الملك على البشرية
بما يفسر اعتقاده وبغير الجمل به ولو اتى العبد ربه سافحا من المسئلة بالكفاية
لم يكن عليه ثم فما هي مما كلف الناس بمعرفة

وقد القاني ناج الدين السبكي اناس ثلاثة وجل عرف ان الانبياء أفضل من
الملائكة واعتقده بالدليل وآخر حمل هذه المسئلة ولم يشغل بها بالكفاية وهذا لا ضرر
عليها فل وثالث ففى أن الملك أفضل وهذا على خطر وعلى يقال زمن ففى بتفضيل
الانبياء على خطر بكون الساذج أعلم منه أو أنه ناج لاحابة الحق من الخطر هذا وضع
فظهر قال والسبب أفهمه عن الزواله السلامة في السكوت عن هذه المسئلة وان الدخول في

النفصيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسا أهلا للحكم فيه وقد جاءت أحاديث نحسم اشارتها مادة الدخول في ذلك فأن قوله صلى الله عليه وسلم «لا تفضلونني على بونس بن مني» ونحوه ونحن على قلع بأنه صلى الله عليه وسلم أفصل من بونس عليه السلام ولم يختلف في ذلك أحد لله اشارة الى أنكم لا تدخلون في أمر لا يعينكم ومال السوفة والدخول بين الملوك وأعني بالسوفة في هذا أمثالناو بالملوك الانبياء والملائكة عليهم السلام وقد علمت مذاهب الناس مما أسألتنا والله أعلم

(النتيجه الرابع) اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام، وعدمه قال العلامة شمس الدين بن مفلح في كتابه الفروع ما نصه قال ابن حامد في كتابه الجن كالانس في التكليف والعبادات قال ومذاهب العلماء اخرج الملائكة من التكليف والوعود والوعيد انتهى ونقدم من الكلام على الجن وكذا قال في الفروع قبيل باب الامام في كلام أبي الهاء ان كشف العورة خاليا هي مسئلة مسترحاهن الملائكة والجن قال وكلام صاحب المحرر وظاهر كلامهم يجب عن الجن لا هم مكلفون أجانب وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لان الآدمي مكلف وقبـ أمر الشارع في خبر مهز بن حكيم بحفظها عن كل أحد لا من زوجته وأمه وهذا مع العلم بحضورهم انتهى ملخصا ولعل مراده اخراجهم عن التكليف بما كلفنا به لا مطلقا والافهم مكلفون قطعاً قل ابن جماعة في شرح بدء الاله الى المسكانون على ثلاثة أقسام قسم كف من أول الفطرة قطعاً وهم الملائكة وآدم وحوا عليهم السلام وقسم لم يكف من أول الفطرة وهم أولاد آدم وقسم فيهم نزاع وظاهر انهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجن انتهى قلت الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة إذ فيهم لا يوصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرن ومن يزعم منهم عن أمر فانذقه من عذاب الميرس بسبحون الليل والنهار لا يفترون - يخافون ربهم من فوقهم) وقل (وهم من خشيتهم مشفقون - اذ اوجبت الى الملائكة اني معكم فليتوا الذين آمنوا) وهذا كله تكليف وناشي عن التكليف والاحاديث طائفة بمعنى ذلك والله أعلم

(الحامس) في ذكر بعض امتيازات بين المعلومات قال العز بن عبد السلام الجواهر

والاحكام كلها مساوية من جهة ذواتها وانما يفضل بعضها على بعض بصفاتها واعراضها
 وانتسابها الى الاوصاف الشريفة في التفاضل النفيسة وأوصافها انما يذهب انفرادي في كتابه
 أنوار الفروق الى عشر بن قاعدة أولها تفصيل العلوم على غيره بذاته دون سبب به مرض
 له بوجوب التفضيل له على غيره وله مثل أحدها الواجب لذاته المستغني في وجوده
 عن غيره كدات الله تعالى وصفاته الثماني العلم حسن لذاته وهو أفضل من العلم لان العلم
 عدم الجهل به ونحوه بالجهل مع العلم وذلك لذات العلم لا لصفة قامت به كذا ان الجبرل
 تقيصة لذاته لا لصفة قامت به أوجبت تحصه بخلاف الجاهل والعالم نقص الجاهل
 لصفة قامت به وهي الجهل وفصل العالم بصفة قامت به وهي العلم الثالث الحياة
 أفضل من الموت لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك وسبب تفضيلها كونها تثنى بها
 العلوم والقدر والارادات وغير ذلك من التصرفات وصفات الكمال كالشهوة
 والرسالة والولاية وغيرها ونحوه جمع ذلك مع الموت يعني ابتداء ذلك وان لم تقطع
 هذه الاشياء بالموت ولا تنفى ولا تصحى بل ندوم وتستمر وذلك الحياة لذاتها
 لا لمعنى أوجب لها ذلك الثانية التوصل بالصفات الحقيقية القائمة بالمفضل كتفضيل
 العالم على الجاهل والتفاضل المختار على الموحب بالذات بسبب الارادة والاختيار
 القائم به وتفضيل القادر على العاجز بسبب القدرة الوجود به القائمة به فهذا كله
 تفضيل بالصفات القائمة بالمفضل لذاته وبه خالف القاعدة الاولى الثانية التفضيل
 بطاعة الله تعالى كتفضيل المؤمن على الكافر وتفضيل أهل الكتاب على عبيد
 الاوثان فأحل تعالى ذبايحهم وأباح قروبنا من فرائضهم دون عبدة الاوثان فإنه
 جعل ما ذبحوه كالميتة وتصرفهم فيه بالذكاة كنصرف الحيوان اليهم من السباع
 والكواسر في الانعام لا أثر لذكابهم وجعل نسائهم كائنات الحيل والحديد محرقات
 الوطء كل ذلك اهتمام لهم لجحدهم الرسالة والرسول وكتفضيل الولي على آحاد
 المؤمنين المقصرين في الطاعة وقيل لاقتصارهم على أصل الدين الواجب وكثرة
 طاعة الولي وبذلك سمي ولياً أي تولى الله بطاعته وقيل لأن الله تعالى تولاها بملكه
 ولذلك أيضاً تفاضل الاولياء بينهم بكثرة الطاعة فمن كان أكثر تقرباً الى الله
 تعالى كانت رتبته في الولاية أعظم وكتفضيل الشهيد على غيره من حيث الجملة

لانه أطاع الله تعالى يذل نفسه وماله في نصرة دينه وأعظم بذلك طاعة وكنفضيل العلماء على الشهداء كما جاء في الحديث «ما جمع الاعمال في الجهاد الا كنقطة في بحر وما الجهاد وجميع الاعمال في طلب العلم الا كنقطة في بحر» وفي حديث آخر «لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء لرجح (١)» بسبب طاعة العلماء لله تعالى بضبط شرائعه وتعظيم شعائره التي من جعلها الجهاد وهداية العباد الى الملك الجواد وتوصل معالم الاديان الى يوم الدين ولولا سعيهم في ذلك من فضل الله تعالى لا تقطع الجهاد وغيره ولم يبق على وجه الارض من يقول الله وكل ذلك من نعم الله عليهم قلت هذا انتصار للقول بأفضلية العلم على الجهاد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما فعندهما العلم تعلمه ونفايه أفضل من الجهاد وهي رواية عن الامام أحمد أيضا لان العلم هو الدليل المرشد وقد قال الامام أبو الوفاء بن عقيل ومما انعم الله علي ان حجب الي العلم فهو أسمى الاعمال وأشرفها قال ابن مفلح في فروعه واختاره أي القول بأن العلم أفضل الاعمال غيره من علمائنا ولفظ الرواية العلم أفضل الاعمال لمن صحت نيته قيل فأي شيء تصحيح النية قال ينوي ٧ يتواضع فيه وينفي عنه الجهل قلدهمنا

الرابعة التفضيل بكثرة الثواب الواقع في العمل وله مثالات منها الايمان أفضل من جميع الاعمال بكثرة ثوابه فان ثوابه الخلود في الجنان والخلوص من النيران ومن غضب الديان ومنها صلاة الجماعة فانها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين صلاة ومنها الصلاة في أحد المساجد الثلاثة ومنها صلاة القصر أفضل للمسافر من الاتمام وان كان الاتمام أكثر عملا

الخامسة التفضيل لشرف الموصوف منها صفات الله تعالى من علمه وكلامه وقدرته وادارته وسائر الصفات المنسوبة الى الله تعالى أفضل من غيرها لوجوه منها اشرف الموصوف ومنها صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم كعلمه وكرمه وشجاعته وحلمه

(١) لعله سقط من الاصل شيء ولفظ الماروي «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء» ذكره في الاحياء وقال العراقي أخرجه ابن عبد البر بسند ضعيف وذكر له سارح الاحياء تخاريج أخرى ضعيفة وفيها زيادة «فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء» أه مصححه

رجيع ما هو صفة لنفسه الكريمة له الشرف والفضل على صفاتها من وجوه أحدها شرف الموصوف

السادسة التفضيل بشرف المدلول وله أمثلة منها تفضيل الاذكار الدالة على ذات الباري وصفاته العلى وأسمائه الحسنى ومنها تفضيل الآيات المتعلقة بالله صلى الله عليه وآله هو الله أحد على الآيات المتعلقة في أبي طيب ككثرت يدا أبي طيب ومنها الآيات الدالة على الوجوب والتحريم أفضل من الآيات الدالة على الإباحة والكراهة والذب لاشتمالها على الحث على أعلا رتب المصالح والزرع عن أعظم المفاسد

السابعة التفضيل بشرف الدلالة لا بشرف المدلول كشرف الحروف الدالة على الاوصاف الدالة على كلام الله تعالى فان ذلك أوجب شرفها على جميع الحروف لهذه الدلالة وأمر الشرع بتعظيمها فلان مسك الأعلى طهارة ويكفر من أهانها بالفاذورات وله وقع عظيم في الدين فلا يجوز اخراجها عن بلاد المسلمين الى بلاد الكافرين خشية ان نالها أيديهم قلت وهذا على حسب اعتقاده من أنها مخلوقة وليست هي من كلام رب العالمين والحق ان ما بين دفتي المصحف كلام رب العالمين وعمله المئين والله أعلم

الثامنة التفضيل شرف المتعلق كتفضيل العلم على الحياة فان الحياة لا تتعلق بشيء بل لها موصوف فقط والعلم له موصوف وتتعلق فله مزية شرف بذلك وكذلك القدرة والارادة والسبح بالاصوات والبصر بجميع الموجودات المبصرات التاسعة التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل المتعلق بذات الله وصفاته على غيره من العلوم وكتفضيل الفقه على الطب لثقله بأحكام الله تعالى وهذا القسم عين المدلول فكل مدلول متعلق وليس كل متعلق مدلول لان الدلالة والمدلول من باب الالفاظ والحقائق الدالة كالصنعة على الصانع فانها تدل عليه رأيا العلم ونحوه فلا يقال له دال بل هو مدلول في نفسه وليس بدليل على غيره بل له متعلق خاصة وهو معلومه وكذلك الارادة المتعلقة بالخير أفضل من الارادة المتعلقة بالشرور والنية في الصلاة أفضل من النية في الطهارة لأنها متعلقة بالمقاصد والثاني بالوسائل والمقاصد أصل من الوسائل والمتعلق بالافضل أفضل

العاشرة التفضيل بكثرة التعلق كتفضيل علم الله تعالى على قدرته وإرادته وسمعه وبصره لتعلقه بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات واختصاص الارادة بالممكنات وجوداً وعدمها والقدرة بوجود الممكنات خاصة واختصاص السمع بالمسموعات على ما تقدم

الحادية عشر ٧ التفضيل بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود الثانية عشر التفضيل بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على جميع بقاع الارض وحكاه القاضي عياض اجماعاً والمراد والاعطاء الشريفة فيه وفي بدائع الفوائد للمحقق ابن القيم قال ابن عقيل سألت أياً أفضل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو الكعبة فقلت ان أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وان أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الافلاك الدائرة لان بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح انتهى

الثالثة عشر التفضيل بسبب الاضافة كقوله تعالى (أولئك حزب الله) أضافهم اليه تعالى ليشرفهم بالاضافة اليه واطافة البيت اليه تعالى وكذا الناقية ونحوها الرابعة عشر التفضيل بالانساب والاسباب كتفضيل ذريته عليه السلام على جميع الذراري بسبب نسبهم المائصل برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتفضيل نسائه على جميع النساء وان تفاوت في ذلك

الخامسة عشر التفضيل بالثمرة والجدوى كتفضيل العالم على العابد لان العلم يشتر صلاح الخلق وهدايتهم الى الحق بالتعليم والارشاد وأما العبادة فقاصرة على محليها ومن هذا الوجه تفضيل الرسالة على النبوة

السادسة عشر التفضيل بكثرة الثمرة بأن تكون الحقيقتان لكل واحد منهما ثمرة لكن ثمرة أحدهما (٧) أعظم وجدواها أكثر كثرة علم الفقه وعلم الهندسة فان كلاهما مشتمل على أحكام شرعية لان الهندسة يستعان به في الحساب والمساحات والحساب يدخل في المواريث وغيرها والمساحات تدخل في الاجارات ونحوها من نوازل المسائل الفقهية الا انها بالنسبة الى مسائل الفقه قليلة فثمرة الفقه أعظم وعلم النحو أنفع من علم المنطق وعلم الاصول أنفع من علم النجوم وكل علم بحسب ثمرته والله أعلم

السابعة عشر التفضيل بالتأثير كقدرة الله تعالى على العلم والكلام بالنسبة للتأثير فانها موزنة في تحصيل وجود الممكنات والعلم تابع فن حيث سعة المتعلق والعموم فالعلم أفضل ومن حيث التأثير فالقدرة والله أعلم وكذلك الارادة بالنسبة الى الحياة فان الارادة موزنة للتخصيص في الممكنات بزمانها وصفاتها الجائزة عليها والحياة لا تؤثر ايجادا ولا تخصيصا وليس في صفات الله السببه التي تثبت الصفاته الا القدرة والارادة قطعاً.

الثامنة عشر التفضيل بجودة البنية والتركيب كتفضيل الملائكة الكرام عليهم السلام على الجن بسبب جودة أبنيتهم وحسن تركيبهم فانهم خلقوا من نور فجبريل يسير من العرش الى العرش مسيرة سبعة آلاف سنة لحظلة واحدة ويحمل مدائن قوم لوط الخمسة من تحت الارض على جناحه ولا يضطرب منها شيء بل ينقلها من نحرها ويصمد بها الى الجورثم يلقها وهذا عظيم والملاك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجن ولهذا سأل سليمان عليه السلام ربه ان يولي على الحان الملائكة ففعل له ذلك فقسم الزاجرون لهم عند العزائم وغيرها التي يتعاطاها أهل هذا العلم فيقسمون على الملائكة بتلك الأقسام التي نعظمها الملائكة فنفعل في الحان ما يريد المقسم عليهم بتلك الاسماء العظيمة كذا روى القرافي (١) قال وكانوا قبل زمن سليمان عليه السلام بخالطون الناس في الاسواق ويعشون بهم عبثاً شديداً فلما رتب سليمان عليه السلام هذا الترتيب وسأله من ربه انجازوا الى القلوات والحراب من الارض قفلت أذيتهم والملائكة عليهم السلام تراقبهم في ذلك فمن عبث منهم وعثر ردوه أو قتلوه كما يفعل ولاية بني آدم مع سفهائهم قال وما سبب اقتدار الملائكة على الحان افاضل أبنيتهم ووفور قوتهم فهم مفضلون على الجن من هذا الوجه مضافاً لبقية الوجوه ومن هذه الحشية فضلت الملائكة على البشر قال القرافي فان الصحيح أن البشر أفضل على تفصيل فيه فاذا ورد نص في تفضيل الملك حمل ذلك التفضيل وانتفاء على الابنية

(١) أشار المؤلف الى البراءة من هذا القول وله الحق فهو من الخرافات والقول في عالم الغيب بغير برهان ومثله عامة ما قاله القرافي في هذا الباب لم يصححه

وجودة التركيب اذا كان النص يحتمل ذلك فتندفع أكثر الاسئلة والتقوض عن
المسندل على افضلية الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا نزاع أن الملائكة
في أبنيتهم ٧ وأبنية بني آدم ضميعة بالنسبة الى أبنية الملائكة فتحل نصوص التفضيل
على ذلك وكذلك تفضيل الجان في الابنية وجودة التركيب على بني آدم ومن ثم
الجان يعيشون الآلاف من السنين ولا تعرض لهم الامراض والاسقام التي تعرض
لبنى آدم بسبب ان أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الاغذية فلا
يحصل لهم التعفن والآفات الناشئة عن الرطوبات ومن حيث جودة العنصر وحسن
التركيب فضل الذهب على الفضة

الناسعة عشر التفضيل باختيار الله تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما يشاء
على ما يشاء فيفضل أحد المتساويين على الآخر من كل وجه كتفضل شاة
الزكاة على شاة التطوع كتفضل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض على
الفاتحة خارج الصلاة وقال ابن عبد السلام الفضائل ضربان أحدهما فضل
الجمادات كفضل الجواهر على الذهب وفضل الذهب على الفضة وفضل
الفضة على الحديد وفضل الانوار على الظلمات وفضل الشفاف على غير
الشفاف وفضل اللطيف على الكثيف والنبر على المظلم والحسن على القبيح والضرب
الثاني فضائل الحيوان وهي اقسام أحدها حسن الصور (الثاني) قوة الاجسام كالقوى
الجاذبة والممسكة والدافعة والغاذية والقوى على الجهاد والقتال وحمل الاعباء
والاثقال (والثالث) الصفات الداعية الى الخير والوازعة عن الشر كالغيرة والنخوة
والحياء والشجاعة والسخاء والحكم (الرابع) العقول (الخامس) الحواس (السادس) العلوم
المكتسبة وهي اقسام كعرفة وجود الاله وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ومعرفة
ارسال الرسل وانزال الكتب وتنبية الانبياء ومعرفة ما شرع الله من الاحكام
الحسنة وأسبابها وشر وطم ارموانها ومعرفة الاحوال الناشئة مما ذكر من المعارف
كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والتعظيم والاجلال والقيام بطاعة الله تعالى
في كل ما أمر به ونهى عنه وما رتبته الله تعالى على هذه المعارف والاحوال والطاعات
من لذات الآخرة وانفراحها بالنعيم الجمياني والروحاني كإذنة الامن من عذاب

الله والانس بقربه وجواره وسماح كلامه وسلامه مصحوبة بالرضا الدائم والنعيم
المقيم والنظر الى وجهه الكريم مع الخلاص من العذاب الاليم فهذه فضائل بعضها أفضل
من بعض فمن اتصف بافضلها كان أفضل البرية ولا شك ان معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته ولذات رضاه والطر الى وجهه الكريم أفضل مما عداها من وأفضل الملائكة من
قام به أفضل هذه الصفات وان تساوى اثنان من الملائكة في ذلك لم يفضل أحدهما
على الآخر وكذا ان تساوى الملك والبشر في ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر
فان فضل الملك على البشر بشي من ذلك كان أفضل منه وان فضل البشر على
الملك بشي من ذلك كان أفضل منه والفضل منحصر في أوصاف الكمال والكمال
إما بالمعارف والطاعات والاحوال وإما بالافراح والذات فاذا أحسن الله تعالى الى
أجساد الانبياء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأحسن
الى أرواحهم بالمعارف الكاملة والاحوال المتواليه وأذا قدم لذة النظر اليه وسرور
وضاء عنهم وكرامة تسليبه عليهم فابن للملك مثل هذا واعلم ان الاجساد مساكن
الارواح ولما كن والمسكن أحوال أحدها ان يكون الساكن أشرف من المسكن
الثانية ان يكون المسكن أشرف من الساكن الثالثة ان يستويا في الشرف فلا
يفضل أحدهما على الآخر واذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بخصوصية المسكن
واذا كان الشرف للمسكن فلا يتشرف به الساكن والاجساد مساكن الارواح
ذكر اختلاف الناس في التفضيل الواقع بين البشر والملك فقال ان فاضل بينهما
جهة تفاوت الاجساد التي هي مساكن الارواح فاجساد الملائكة أشرف وأفضل
من اجساد البشر المركبة من الاخلاط وان فاضل بين أرواح البشر وأرواح الملائكة
مع قطع النظر عن الاجساد التي هي مساكن الارواح فارواح الانبياء أفضل من
أرواح الملائكة لانهم فضلو عليهم بالارسال ورسول الملائكة قليل لأن رسولا
الملائكة يأتي الى نبي واحد ورسول البشر يأتي الى الامم والى أمة واحدة فيهديه
الله تعالى على يديه فيكون له أجر تبليغه ومثل أجر من اهتدى على يديه وليس مثل هذا
للملائكة وبالجهاد في سبيل الله وبالصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله تعالى يحسب
الصابرين ولا عبرة بفضل أجساد الملائكة على أجساد الانبياء لان الاجساد

مساكن ولا شرف بالمساكن وإنما الشرف بالآوصاف القائمة بها الساكن فلا اعتبار
 بالساكنين دون المساكن فإن الأنبياء قد سكنوا في بطون أمهاتهم مع القطع بأنهم
 أفضل من أمهاتهم فروح المسيح أفضل من جسد مريم وكذلك روح إبراهيم
 أفضل من جسد أمه وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جسد أمه
 فإذا انظر هذا في أسباب التفضيل فاعلم أن هذه الأسباب الموجبة لانه فضل قد تتعارض
 فيكون الأفضل من حاز أكثرها وأفضلها وقد يختص المفضول ببعض الصفات
 الفاضلة ولا يقدح ذلك في التفضيل عليه كقوله صلى الله عليه وسلم أفضلكم علي
 وأفرضكم زيد وأقرؤكم أبي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأزهدكم أبو
 ذر رضي الله عنهم مع أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل من الجميع وكذلك
 الأنبياء فخص سليمان بالملك العظيم ونوح بالإنذار المبين من النبيين وآدم أبا
 البشر مع تفضيل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين فلو لا جواز تخصيص المفضول
 بما ليس للفاضل لزم التناقض فلا جرم علمنا أن التعامل ما بين الملائكة والأنبياء
 عليهم السلام إنما هو بالطاعات وكثرة الثوبات والآحوال السنيات وشرف النبوات
 والرسالات والدرجات العليا فكل من كان فيها أتم فهو أفضل وفيما ذكر
 من تعداد أسباب التفضيل الرد على المأمون بن هرون الرشيد الخليفة في زعمه أن
 أسباب التفضيل أربعة وكلها في علي رضي الله عنه أكل منها في غيره فزعم أنه أفضل
 الصحابة وهي العلم والشجاعة والكرم وشرف النسب وأخذ يرد على الصحابة
 رضوان الله عليهم أجمعين ويرد على أهل السنة فبطل بما ذكر دعوى هذا الحصر
 وكان المأمون هذا رافضيا معتزليا قدريا ومائل التفضيل كثيرة بين الأنبياء
 والصحابة والملائكة والله تعالى أعلم وقد بسطنا العبارة وذكرنا ما لم يفيده المطلوب
 غير أن الأعراض عن كثير مما ذكر كان أليق بشرح هذه الأرجوزة وبالله التوفيق

سجل الباب السادس

في ذكر الامامة ومتعلقاتها

ولا غنى لامة الاسلام في كل عصر كان عن امام
 يذب عنها كل ذي جحود ويمتني بالغزو والحدود
 وفعل معروف وترك نكر ونصر مظلوم وقمع كفر
 وأخذ مال النبي والخراج ونحوه والصرف في منهاج

قال علماؤنا كغيرهم نصب الامام الاعظم فرض كفاية لان السعابة رضي
 الله عنهم أجمعوا على ان نصبه واجب بعد اقراض زمن النبوة بل جعلوه أم
 الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم في
 تعيينه لا يندح في الاجماع المذكور ولثلك الاهمية لما توفي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا فقال: أيها الناس من كان يعبد محمدا
 فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فلا بد لهذا الامر
 من يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم قالوا صدقت تنظر فيه فلهذا قلنا (ولا غنى)
 ولا مندوحة ولا بد (لامة) دين (الاسلام) وهي بالضم الجماعة أرسل اليهم
 رسول والجيل من كل حي ومن هو على الحق مخالف لسائر الاديان والرجل الجامع
 للحير وفي نسخة مللة بدل أمة وهي بكسر الهمزة الشريعة أو الدين (في كل عصر)
 من الاعصار وزمن من الازمان (كل) أي وجد وحصل واستمر (عن امام)
 متعلق بقوله لا غنى بل هو فرض لازم وواجب جازم ووجوبه عند أهل السنة وأكثر
 المعتزلة بالسمع يعني التواتر والاجماع وزعم جمهور المعتزلة أن وجوبه بالعقل ووجوبه
 شرعا لميسر الحاجة اليه فانه صلى الله عليه وسلم أمر باقامة الحدود وسد
 الثغور وتجهيز الحيوت للجهاد وحماية البيضة والتذب عن الحوزة ولذا قال (يذب)
 بفتح المنة التحنية وضم الذال المعجمة وتشديد الواحدة أي بدفع ويمنع (عنها)
 أي عن الاسلام وبيضة الدين (كل) ملك جبار وملحد مفوار ومعتد بهذا

وظلوم كفار (ذي) اي صاحب (جحود) اي انكار يقال جحدته حقه وبحقه كمنه جحدا وجحود انكره مع علمه والمراد به هنا الجاحد للدين القويم والضال عن الصراط المستقيم واضرا به (ويعتني) ذلك الامام المنصوب يقال عنه الامر بعينه ويعنوه عنائة وعناية وعنايته واعتنى به اهتم (بالفرو) اسبغ غزوا الكفار وقهر اهل البغي وانفجار يقال غزاه غزوا اراده وطلبه وقصده كاستزاه وغزا العدو سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوا غزاة فهو غاز فيقاتل من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم او يدخل في الذمة (و) يعتني الامام المنصوب ايضا باقامة (الحدود) جمع حد وهو لغة المنع والفصل بين شيئين وحدود الله تعالى محارمه كقوله تعالى (تلك حدود الله فلا تقربوها) وحدود الله ايضا ما حده وقدره والحدود العقوبات المقدرة سميت بذلك لانها تمنع من الوقوع في مثل الذنب الذي رتب تلك العقوبة عليه او لكونها زواجر عن أي المحارم التي حرمها الله تعالى فيقيم الحدود لئلا يحارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك (و) يعني أيضا بالامر : (بفعل معروف) وقد تكرر ذكره في الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكلما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المجهنات والمفجحات وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه (وترك نكر) معطوف على ما قبله أي ويعتني أيضا بالنهي عن كل منكر وهو ضد معروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر (و) يعتني المنصوب : (بنصر مظلوم) من ظلمه بتخليصه من نحو سجنه ورد ظلامته عليه من ظلمه وأخذ حقه ممن هو عليه ونحو ذلك (وقع) أهل (كفر) أي قهرهم وذلمهم يقال قعه كمنعه واقعه والمقهور لان ذلك من أجل المقاصد الشرعية والمصالح الاسلامية (و) يعتني أيضا : (بأخذ مال النبي) اصل النبي مصدر فاء بني فيه اذا رجع ثم أطلق على المال الحاصل من جهاته المذكورة في كتب الفقه سمي قبيلا لانه راجع منها الى أهل الاسلام كأنه في الاصل لهم ثم يرجع اليهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في السياسة الشرعية سمي قبيلان لأنه

تعالى أوفاه على المسلمين أي رده عليهم من الكفار فان الأصل ان الله تعالى إنما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه تعالى إنما خلق الخلق لعبادته فالسكافرون به أباح أنفسهم التي لم يبدؤوا بها وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته لعياده المؤمنين الذين يبدؤونه فأوفاه اليهم ما يستحقونه كما يعاد على الرجل ما غصب من مبرائه وإن لم يكن قبضه قبل ذلك وهو ما أخذ من مال كافر بحق الكفر بلا قتال كالجزية (والخراج) وزكاة تغلبي وعشر مال تجارة حربي ونصفه من ذبي (ونحوه) أي نحو ما ذكر كالمال الذي تركه الكفار فرعا وهربرا وبذلوه فزعا ماني الهندنة وغيرها وخس الحس من المنية ومال من مات من الكفار ولا وارث له ومال المرتد اذا مات على ودنه يقتل أو غيره أو لحق بدار حرب (و) يستني أيضا (الصرف) لذلك المال المدكور (في منهاج) أي طريق وجهة مصرفه المينة له شرعا فيصرف في مصالح أهل الاسلام ويبدأ من ذلك بالام فالام من المصالح العامة لأهل الدار التي بها حفظ المسلمين وطوائف جند الاسلام وعماراة الثغور وكفاية أهلها وما يحتاج اليه من يدفع عن المسلمين من السلاح والكرام وسد البشوق وكري الانهار وعمل القناطر على الطرق والمساجد وارزاق القضاة والأئمة والمؤدنين والفقهاء ومن يحتاج اليه المسلمون وكل ما يعود نفعه على المسلمين فان فضل منه شيء قسم بين المسلمين غنيهم وقببرهم نعم لا يفرد العبد بالعطاء بل يزاد سيده واحنا رشيع الاسلام ابن تيسية قدس الله روحه أنه لاحظ ارافصة فيه ذكره المحقق ابن القيم في كتابه راد المعاد في هدي خير العباد عن الامامين مالك وأحمد رضي الله عنهما وكل ما ذكر من اقامة الحدود وسد الثغور وحفظ بيضة الاسلام واجب وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فلهذا قلنا ولا غنا لمة الاسلام عن اقامة امام فنصبه فرض كفاية اذ في نصبه جلب منافع لا نحصى ودفع مضار لا نستقصي وكل ما كان كذلك فهو واجب فان جلب المنافع ودفع المضار المترتبة على نصب الامام تكاد تلحق بالضرورات بل بالمشاهدات بشهادة ما تراء من الفتن والفساد وانقصاص أمور العباد بمجرد موت الامام وان لم يكن على ما ينبغي من الصلاح والساد فاقامة الامام فرض كفاية عند أهل السنة ومن وافقهم بالاجماع

وعند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كآبي الحسن والمجاهظ والخياط والكمي
 في الضرورة وأما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا اعتداد بها لان مخالفتهم
 كسائر المبتدعة غير قادح في الاجماع ولا يخل بما يفيد من القطع بالحكم المجمع
 عليه ودعوى ان في نصبه ضررا من حيث ان الزام من هو مثله بامثال أو أمره
 فيه اضرار به فيؤدي الى الفتنة ومن حيث أنه غير معصوم من نحو الكفر والفسوق
 فان لم يعزل أضرب بالنابض وان عزل أدى الى محاربة وفيها ضرر أي ضرر باطلا لا ينظر
 اليها لان الاضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لانسبة بينهما واذا اجتمع
 ضرران دفع أعظمهما باخفهما وجوبا وفرض انتظام الناس بدون امام بحال عادة
 كما هو مشاهد

﴿ ونصبه بالنص والاجماع ﴾ وقهره فحل عن الخديع ﴿
 ﴿ وشرطه الاسلام والحرية ﴾ عدالة سميع مع الدرية ﴿
 ﴿ وان يكون من قريش عالما ﴾ مكلفا ذا خبرة وحاكما ﴿

﴿ و ﴾ يثبت ﴿ نصبه ﴾ أي الامام الاعظم ﴿ بالنص ﴾ من الامام على
 استخلاف واحد من أهلها بان يعهد الامام بالامامة الى انسان ينص عليه بعده ولا
 يحتاج في ذلك الى موافقة أهل الحل والعقد (١) كما عهد أبو بكر الصديق بالخلافة
 الى عمر الفاروق رضي الله عنها ﴿ و ﴾ يثبت نصبه أيضا ﴿ بالاجماع ﴾ من أهل
 الحل والعقد من المسلمين كإمامة الصديق الاعظم أبي بكر رضي الله عنه وخليفة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بايعه أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس
 الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت امامته وكذا يجعل الامر شورى
 في عدد محصور ليتفق أهل البيعة على أحدهم فانفقوا على واحد منهم صار اماما
 كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث جعل أمر الامامة بين ستة أنصار
 حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهم أجمعين ﴿ و ﴾ يثبت
 نصبه أيضا ﴿ قهره ﴾ الناس بسيفه حتى يذعنوا له ويدعوه اماما فثبتت له الامامة

(١) ان أهل الحل والعقد رضيوا بهم فبقوله هذا لا دليل عليه

قال الامام أحمد رضي الله عنه في رواية عبدوس بن مالك العطار ومن غلب عليه بالسيف حتى صار خليفة رسمي أمير المؤمنين فلا يحمل لاحد يؤمن بالله نيب ولا يراه اماما يرا كان أو قاحرا انتهى لان عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير رضي الله عنهما فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى أيسوه طوعا وكرها ودعوه اماما ولما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين وازالة دمانهم وذهاب أموالهم ولهذا قال (محل) أمر ارشاد أي اسد وزل ومنه (لا ينزلون عنهم أحولا) (عن الحداد) متعلق بحل من خدعه كتمه خدعا وليكسر خنقه وأراد به المكره من حيث لا يعلم كاختدعه فانخدع والاسم الخديعة يعني انك تخادعة أهل البدع وتروبن ما يظهرون من جرائز الخروج على الامام وعن طاعته وزعمهم علم وحرب نصه فانهم ضالون ومن واقعهم صار منهم ثم أخذ في ذكر شروط الامام المصوب وما يعتبر ان يكون به ومنصفا به على سبيل الوحوب (وشرطه) أي يشترط فيه (الاسلام) لان غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل (والحرية) لان الرقيق بجميع أنواعه عليه الولاية فلا يكون واليا على غيره فضلا عن عامة المسلمين وخاصتهم وأما حديث «اسمعوا له وأطيعوا» ولو ولي عليكم عبد اسود كان رأسا زبيية محمول على نحو أمير سرية . وشرطه أي يشترط فيه أيضا (عدالة) لاشتراط ذلك في ولاية القضاء وهي دون الامامة العظمى نعم ان فهر الساس غير عدل فهو امام كما تقدم نص الامام أحمد رضي الله عنه في مثل ذلك . ويعتبر فيه أيضا (سمع) أي ان يكون سميا بصيرا ناطقا لان غير المتصف بهذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق (مع الحرية) بتفصيل الدال المهمة وكبير الرأى ونشديد التحية بها تأييد من الدراية وهي العلم والخبرة يقال دريت الشيء ودريت به دربا ودربا بالكسر ودريا كجلى علمه أو بضرب من الحيلة كما في القاموس وأرد به اعتبار كونه عالما بالاحكام المتعلقة بالسياسة والحروب ذو بصيرة قد علم أحوال الناس ومكرهم وخطهم وخبر أحوالهم لاحتياج الامام الى جميع ذلك بخلاف المغفل فلا يصلح للامامة العظمى (و) يعتبر أيضا (أن يكون) الامام (من قرشي) وهو من كان من نسل فهر بكسر الفاء وسكون

الحاء بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمه بن مدركة واسمه
 عمرو بن الياس واسمه حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ففهر جماع
 قر يش في قول الكلبي وغيره من العلماء في أنساب العرب وسوا قر يشا لانهم كانوا
 يترشون عن نخلة الناس بفتح الحاء المعجمة أي حاجتهم وفقرهم ومعناه ينفقون
 عنها ويستعملونها لبغيتهم ويسدوا خلعتهم وكان ذلك من قولهم تفرشت الرماح
 اذا تداخلت في الحرب لان المستعمل المستخير بدخل أحوال الذي يطلب علم حاله
 ليحصل له مقصوده وقيل أنه مأخوذ من التفرش وهو التفتيش لانهم كانوا
 يعبثون الحاج فيقطعون الجائع ويكسون العاري ويحملون المنقطع قال الجوهري
 الفرش الكسب والجمع وقد قرش بقرش بالسكسر قال الفراء وبه سببت قر يش
 وقيل سموا بدابة عنابية نأكل الدواب في البحر وقيل غير ذلك وانما اشتراط
 كونه من قر يش اقوله صلى الله عليه وسلم «الائمة من قر يش» رواه الامام أحمد وأبو
 يعلى في مسنديهما والطبراني من حديث أبي برزة رضي الله عنه وروى الترمذي
 نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وانقطعه «الملك في قر يش» وسنده
 صحيح وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال «الخلافة في قر يش» ورواه
 الطبراني أيضا وروى البزار من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «الامراء من قر يش أبرارها أمراءها وفجارها
 أمراء فجارها» وفي الحديث «قدموا قر يشا ولا تقدموها» وقول الصدوق
 والمهاجر بن الانصار ان العرب لاتدين الا لهذا الخي من قر يش ورووا لهم في ذلك
 الاخبارو يعتبر ان يكون ﴿ عالما ﴾ بالاحكام الشرعية لاحتياجه الى مراعاتها في
 أمره ونهيهِ وان يكون ﴿ مكلفا ﴾ أي بالغاً عاقلاً لان غير البالغ العاقل يحتاج لمن
 يولي أمره فلا يكون والياً على أمر المسلمين وان يكون ﴿ ذا خبرة ﴾ بتدبير الأمور
 المذكورة في البلاد والعباد ﴿ وان يكون ﴿ حاكماً ﴾ أي قادراً على ايصال الحق
 الى مستحقه وكف ظلم المعتدي وقمع أهل الافتراء والاعتداء وقادراً على اقامة
 الحدود وقمع أهل الضلال والجحود لا أخذه رأفة في اقامة الحدود والذب عن
 الإمامة فان عفت لاكثر من واحد فهي للاول فان فدي الامام بعد العدة

المقارنة للعدل لم ينزل على الاصح الاشهر ولا تشترط عصمته في حال من الاحوال ولا كونه افضل الامة ولا كونه هاشميا أو اظهار معصية على يده . يعلم بها صدقه خلافا للرافضة وهذا من خرافاتهم وجعالاتهم ومن جعالاتهم أيضا زعمهم ان غير المعصوم يسمى طالبا فيتناوله قوله تعالى (لا يزال عهدي الطالمين) اذ الطالم لمة من بضع الشيء في غير محله وشرعا الماضي ولا يلزم من كونه غير معصوم ان يكون عاصيا ولا طالبا لما ذكرناه فلا يصدر عنه ذنب أو اذا صدر عنه ذنب تاب منه توبة نصوحا

وكن مطيعا أمر دقيما أمر مالم يكن بمنكر فيحذر

(و) اذا عتدت له الامامة فصار اماما للمسلمين (كن مطيعا) أنت وسائر رعيتك (أمره فيما) أي في الشيء الذي (أمر) به ان كان طاعة والماصل ان طاعته تجب في الطاعة ونسب في المسنون وتكره في المكروه فاذا أمر بمعروف وجب امتثال أمره (مالم يكن) أمره (شيء) منكر (ضد المعروف) (لا يطاع في ذلك بل) (يحذر) ويجتنب فلا تجب طاعته في المعصية بل نحرم اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال شيخ الاسلام ابن تيمية في صدر كتابه السياسة الشرعية ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجهانه قال «ان الله يرضى ثلاثا ان تبذره ولا تشركوا به شيئا وان تنصروا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تاصحوا من ولاة أمركم» قل وآية الامراء في كتاب الله تعالى هي قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعماء يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) قال نزلت الآية الاولى في ولاة الامر عليهم أن يؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك الا أن يأمروا بمعصية الله تعالى فاذا أمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شيء فردوه الى كتاب الله تعالى ومنه نبيه صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم وإن لم يفعل ولاية الأمور ذلك أطبعوا في ما يأمرون به من طاعة الله لأن ذلك من طاعة الله ورسوله وأديت حقوقهم البهم كما أمر الله ورسوله وأعينوا على البر والتقوى ولا يعاونون على الآثم والعدوان فلي ولي الأمران يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» وواه الخباكم في صحيحه وفي رواية «من قلد رجلا عملا على عصاة وهو يجد في تلك العصاة من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أقرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين والله تعالى الموفق

﴿فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر﴾

ولما كان صلاح العباد في المعاش والمعاد لا يتم ولا يصلح ولا يستقيم لهم حال إلا بذلك قال

﴿واعلم بأن الأمر والنهي معا فرضا كفاية على من قدوعا﴾
 ﴿وإن يكن ذاواحمدا تبينا عليه لمكن شرطه أن يأمن﴾
 ﴿فاصبر وزل باليد واللسان لمنكر واحذر من النصان﴾

﴿واعلم﴾ أيها المتبحر في علم أصول الدين المحرر لدعائم الدين وقواعد الحق المبين ﴿بأن الأمر﴾ أي بالمعروف وتقدم أنه اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والاحسان إلى الناس كما تقدم قريبا ﴿والنهي﴾ عن المنكر وهو ضد المعروف ﴿معا﴾ أي كل واحد منهما مفردا وكلاهما ﴿فرضا كفاية﴾ على جماعة المسلمين يخاطب به الجميع ويسقط عن يقوم به بخلاف فرض العين فإنه يجب على كل واحد ولا يسقط عنه بفعل غيره ﴿على من﴾ أي إنسان أو الذي ﴿قدوعا﴾ أي حفظ حكمه وعلمه وذلك لأن إصلاح المعاش والمعاد إذا نه بطاعة الله ورسوله وامتنال أوامره والالتناء بحرم زواجره ولا تتم ذلك إلا

بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبه صاوت هذه الامة خير امة اخرجت للناس
 قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)
 وقال تعالى (ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
 المنكر أولئك هم المفلحون) وقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
 يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال عن جبي اسرائيل (كانوا لا يتناهون عن
 منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي الحديث الثابت عن أمير المؤمنين أبي بكر
 الصديق رضي الله عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال: أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضمنونها على غير موضعها (يا أيها الذين
 آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) واني سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول «ان الناس إذا رأوا المكر لم يغيروه أو شك أن يعهم
 الله بعقاب منه» وفي لفظ من عنده رواه أبو داود والنسائي وقال حديث حسن
 صحيح وابن ماجه والشافعي ولفظه «اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 «ان القوم إذا رأوا المكر لم يغيروه» عنهم الله بعقاب» وفي رواية لابي داود سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يتدبرون على
 أن يغفروا ثم لا يغفروا إلا بوشك أن يعهم الله من عقاب» وفي رواية ان الناس
 إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعهم الله بعقاب من عنده
 (وان يكن ذا) أي الذي علم بالمكر وتحققه وشاهده وماراه وعارف بما ينكر (واحد)
 أو كانوا عدداً لكن لا يحصل المقصود إلا بهم جميعاً (تعيناً) أي الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وصار فرض عين (عليه) أو عليهم للزومه عليهم (لكن
 شرطه) أي شرط افتراضه على الجماعة أو الواحد سواء كانا فرض كفاية أو عين
 (ان بأمنا) بألف الاطلاق على نفسه وأهله وماله ولم يخف سوطاً ولا عصاً ولا
 أدى ولا فئة تزبد على المكر وقيل ان زادت وجب الكف وان تساوى يادها
 الانكار قال الامام أحمد رضي الله عنه يأمر بالرفق والخضوع وان اسعره ما يكره
 لا يعضب فيكون ير بد ان يتصر لفسه ولهذا قال (قاصبر) على الاذى من
 تأمره ونهيه ولا تغضب لنفسك بل لله (وزل) المنكر وغیره من زاله عن مكانه

يزيله زيلاً وأزاله إزاله دالاً لا ﴿باليد﴾ وهو أعلا درجات الانكار وإزالة المنكر كإزالة
الحجر وكسر أواني الذهب والفضة والحيلولة بين الضارب والمضروب ونحوه ورد
المقصوب إلى ماله ﴿و﴾ غير المنكر: ﴿اللسان﴾ حيث لم تستطع تغييره باليد بأن تعظه
وتذكره بالله وألهم عقابه وتوبخه وتعنفه مع لين وإغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال
وقد يحصل المقصود في بعض الحالات بالرفق والسياسة بازيد واتم مما يحصل
بالعنف والرياسة كأن يقول لمن رآه متكسفاً في نحو حمام استرسنرك الله ونحو ذلك
﴿للمنكر﴾ متعلق بزل وفي نسخة بدل زل «ذذ» أي اطرد وامنع للمنكر باليد واللسان
﴿واحذر﴾ من النزول عن أعلا المراتب حيث قدرت على أن تغير المنكر نيدك إلى
أوسطها وهو الانكار باللسان الأمع المعجز عن ذلك ثم انه لا يسوع لك العدول
عن التغير للمنكر باللسان وانت تقدر عليه إلى الانكار بالقلب فان لم تستطع تغيير
المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل إلى الانكار بقلبك وهو أضعف الإيمان فلذا احذر
﴿من النقصان﴾ وأشار بذلك إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم والترمذي
وابن ماجه والنسائي ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من رأى منكم
منكراً فغيره بيده فقد برى ومن لم يستطع ان يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برى»
ومن لم يستطع ان يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برى وذلك أضعف الإيمان» وفي
صحيح مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون
مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه
فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»
وفي هذا الباب عدة أحاديث وقد دلت كلها على انكار المنكر بحسب القدرة
عليه وان انكاره بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الإيمان
من قلبه وقد روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه قال قال علي رضي الله عنه

ان أول ما نملكون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالستكم ثم العزم
 بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر عكس فحمل أعلاه أس
 وقال ابن مسعود رضي الله عنه هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر بق
 يشبر الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرف
 هلك وأما الانكار باليد واللسان فائما يجب بحسب الطاقة وفي سنن أبي داود
 عن العرس بن عميرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا عمل
 الخليفة في الأرض كان من شهدا فكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها وضي
 كان كمن شهدها » وخرج ابن أبي الدنيا نحوه عن أبي هريرة مرفوعا واعلم
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كون ذلك واجبا ثارة بحمل عليه رجاء الثواب
 وثارة خوف العقاب في تركه وثارة اغضب الله على انتهاك محارمه وثارة الصب
 للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب
 الله وعقوبته في الدنيا والآخرة وثارة بحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبه وأه
 أهل أن يطاع فلا يعصى وينذر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يقتدى من
 انتهاك محارمه بالفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت ان الحاق كلهم أطاعوا
 الله وان لحقي قرض بالمغارض فمن لحظ ما ذكرناه بان عليه ما يلغاه من الاذى
 في الله عز وجل قال سفيان الثوري قدس الله روحه لا يأمر بالمعروف وينهى عن
 المنكر الا من كانت فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر
 عدل بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى وقال الامام أحمد رضي الله عنه السامر
 يحتاجون الى مداراة ورفق، الأمر بالمعروف بلا غلظة الارجل معلن بالنسق فلا حرمة له
 ولا اعتبار كون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر عدلا بما ينهى أشار بقوله

هو ومن نهى عما له قد ارتكب فقد أتى بما به يقضى العجب
 هو فلو بدا بنفسه فذاها عن غيرها لكان قد أفادها

(ومن) أي أي انسان أو الذي (نهى) الحاق (عما) أي الشيء الذي (له) أي لـ
 الشيء الذي نهى الناس عنه (قد ارتكب) وفعله وخالف قوله عمله من فعل المحظور

وترك الأمر «فقد» والله «أني» من قاله وحاله «من ما» أي من العمل الذي «به» أي منه «يقضي». بآنيائه لما لم يسم فاعله «العجب» نائب الفاعل أي يقتضي الغلاء وأهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجيب. أي يحكمون ويقطعون بالعجب وهو انكار ما يرد عليك وبخفي سببه والمراد أنه يعظم عليهم ذلك ويكبر لديهم أن ينهي عن الفسح ويأتيه ويأمر بالحسن ولا يأتيه وقد ورد التحذير عن مثل ذلك كقصة أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «بوني بالرجل يوم القيامة فيأتي في النار فتندلق أي اعماره ومعنى تندلق أي تخرج فيدور فيها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فسلان مالك ألم نكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية وأنهي عن المنكر وآتية» رواه البخاري ومسلم وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «مررت ليلة أسري بي بأقوام تفرس شفاههم بقاويض من نار قلت من هؤلاء يا جبرائيل قال خطباء أممك الذين يقولون مالا يملكون» وروى نحوه ابن أبي الدنيا من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا وفيه فقال الخطباء من أممك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وروى الطبراني بإسناد حسن عن جندب بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» وروى الأصمعي عن أنس رضي الله عنه مرفوعا «أن الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخاف قوله عمله ويأمن جاره بوائده» كان الحسن البصري رحمه الله إذا خرج إلى الناس فكان له رجل عابن الآخرة ثم جاء يخبر عنها فكانوا إذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئا وكان الامام أحمد لا تذكر الدنيا في مجلسه ولا تذكر عنده إنما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوي الذراعين فيرغم ضربه فيردع فاما من هو سقيم البدن لا قوة له فإذا ينفع تأديبه بالضرب والنفوس مجبولة على عدم الاتقاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا يتنفع به وهذا

بمنزلة من يصف له الطبيب دواء لمرض به مثله والطبيب قمعرض عنه غير ملتفت
اليه بل الطبيب أحسن حالا من هذا الأمر المخالف لما أمر به لانه قد يقوم عند
الطبيب دواء آخر مقام هذا الدواء وقد يرى ان به قوة على ترك التداوي بخلاف
الواعظ فان ما يعظ به طريق الحياة لا يقوم غيرها مقامها فلا بد منها ولهذا التفرقة
قال شعيب عليه السلام لغومه (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) وقال
بعض السلف اذا أردت ان يقول منك الامر والنهي واذا أمرت بشي فكن أول
الفاعلين له المؤمنون به واذا نهيت عن شيء فكن أول الممتنعين عنه ولهذا قال
(فلو بدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أمره ونهيه لغيره في نفسه)
متعلق سدا في فسادها في أي منها وردها في عن غيرها في متعلق بفسادها أي عن
ضلالها والتي الضلال والانهماك في الباطل ومنه حدث الاسراء لو أخذت الحجر
غوت أمك أي ضلت في المكان في بدايته بإرشاد نفسه وردها عما هي فيه من
ارتكاب مهابي الهوى والضلال والعيا والوبال في قد أفادها في الجادة والسلامة
والرشد والاستقامة فان الناصح الشفيق والمرشد الرفيق يبدأ في إرشاده من الام
بالام فالام والاقرب فالاقرب من ذوي الرحم ولا أم ولا أقرب اليه من نفسه
التي بين جنبيه وقد قال من أفصح في المقال ونصح لمن كان له قلب أو ألقى
البال وترك الوبال

يا أيها الرجل المدلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء الذي السقام من الضنا	كي يشتفي منه وانت منهم
لأنه عن خاف ونأني مثله	عار عليك اذا فعلت عظيم
فابدأ نفسك فامها عن غيرها	فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقل ما تقول ويقتدى	بالقول منك وينفع التعليم

ولما جلس عد الواحد من ريد الواعظ أته امرأة من الصالحات فأنشدته

يا واعظا قام لاحتساب	يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وانت المريب حقا	هذا من المنكر المحجب
لو كنت أصلحت قبل هذا	عييك أو تبت من قريب

كان لما قلت يا حبيبي موقع صدق من القلوب
تنهى عن النفي والهادي وأنت في النهي كالمرتب

وقال آخر

وغير تقي بأمر الناس بالثقي طيب يداوي الناس وهو مستقيم
وجاء رجل لابن عباس رضي الله عنهما فقال أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن
المنكر فقال إن لم نخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل والا فابدأ بنفسك
ثم تلا (أنا أمرت الناس بالبر وتنسون أنفسكم) وقوله تعالى (لم تقولون مالا تفعلون
كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام
(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)

﴿تنبيهات﴾

(الاول) ما قدمنا من اعتبار كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
مستقيم الحال هو عين السكال والمؤثر أمره ونهيه في القلوب والذي قاله وحاله
ترياق الذنوب في ظهور الانجراح وادراك الفلاح وأما الوجوب فلا يستقط عن
المكلف وإن كان بغير تلك الاوصاف بل من غير أهل المدالة والعفاف فعلى مرتكب
الذنوب النهي عن مثل ما ارتكب لأن تركه للمنكر ونهيه فرضان متعينان ليس لمن
يترك أحدهما أن يترك الآخر فيجب على متعاطي المكلف أن ينكر على الجالس
لأن النهي عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلاق باحد الواجبين
لا يمنع وجوب فعل الآخر وقد روى ابن أبي الدنيا باسناد فيه ضعف عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن فروعاً «أمروا الناس بالمعروف وإن لم تعملوا به وإنهوا عن
المنكر وإن لم تتأهوا عنه كله» وقيل للحسن أن فلانا لا يعظ ويقول اخاف أن
أقول مالا أفعل فقال الحسن وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم
يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال الامام مالك عن ربيعة قال سعيد بن
جبير لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء
ما أمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر قال الامام مالك ومن ذا الذي ليس فيه شيء
(الثاني) متعلق وجوب الانكار الرواية للمنكر ونحققه فلو كان مستورا فلم يره

ولكن علم به فالذهب بحجب عليه الامكار لتحققته والمنصوص عن الامام أحمد في أكثر الروايات أنه لا يتعرض له ولا يفش على ما استراب وقد روي عنه أنه يكسر المغلي اذا تحققت وهذا المتمد وأما اذا سمع صوت ملهاة ولم يعلم مكانه فلا شيء عليه وأما ستور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الأئمة مثل صفيان الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي عنه نعم قال القاضي أبو يعلى في كتابه الاحكام السامانية ان كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستمرار به باخبار ثقة عنه اتيته حرمة يقوت استدراكها كالزنا والقتل تجاز التجسس والاقدام على الكشف والبحث حقرا من فوات استدراك اتيته المحارم وان كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه انتهى وحكمة عدم وجوب التنبش مع وجود النصوص على التجسس ان العاصي اذا أخفيت انما نضر من يعملها اذا أعلنت ضرت العامة فأخرج الامام أحمد من حديث عدي بن عمير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بن ظهرايبهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة» وخرج الامام أحمد أيضا من ما جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ان الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول مامعك اذا رأيت المنكر أن تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت الناس» وأخرجنا من حديثه أيضا مرفوعا «لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال - يرى أمر الله عليه فيه قتال ثم لا يقول فيه فيقول الله له يوم القيامة مامعك ان تقول في كذا وكذا فيقول خشية الناس فيقول اياي كنت أحق ان تخشي» فهذا محمول على ان المانع له من الامكار مجرد المية دون الخوف المسقط للانكار فان خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحيس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الاذى أو خاف مثل ذلك على أهله أو جيرانه سقط وجوب الانكار وقد نص على ذلك الأئمة منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم قال الامام أحمد لا يتعرض للسلطان فان سبقه مسلول وقتل ابن شيرمة الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر كالجهاد بحجب على الواحد ان يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منها ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك وأما مجرد خوف السب أو سماع الكلام السيء فلا يسهط الانكار نص عليه الامام أحمد وان احتمل الاذى وقوي عليه فهو أفضل نص عليه وقال «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وهذا رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا وخرج ابن ماجه معناه من حديث أبي امامة وفي مسند البزار عن أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قالت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال «رجل قام الى امام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله وحديث «لا يذبني الله من ان يذل نفسه» يدل على انه اذا علم انه لا يطيق الاذى ولا يصبر عليه فلا يتعرض حينئذ للامر والنهي وهذا حق وإنما الكلام في من علم من نفسه الصبر كذلك قاله الامام أحمد وسفيان والفضيل بن عياض وغيرهم

(الثالث) اذا علم انه لا يقبل منه فهل يسهط وجوب الامر والنهي حكى القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد رضي الله عنه في ذلك روايتين وصحح القول بوجوبه قال الحافظ ابن رجب وهو قول أكثر العلماء . وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال تكون معذرة وهذا كما أخبر الله عن الذين أنكروا على المعتدين في السبت أنهم قالوا لمن قال لهم (أتعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) وقد ورد ما يستدل به على سقوط الامر والنهي عند عدم القبول والانتفاع في سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قيل له كيف تقول في هذه الآية (عليكم أنفسكم) فقال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «بل اتشعروا بالمعروف واتقوا عن المنكر حتى اذا رأيت شعا مطاعا وهوى متبعا وذنباً مؤثرا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام» وقد روى معنى هذا من عدة وجوه وقال العلامة ابن حنبل في نهاية المبتدئين «يجوز الانكار فيما لا يرجى زواله وان خاف أذى وقيل لا وقيل يجب ولا يجب الانكار فيما فات ومضى الا في العقائد والآراء»

(الرابع) الذي يجب انكاره من المنكر هو ما كان مجمعا عليه فأما المختلف فيه فمن

علمانا من قال لا يجب انكاره على من فعله مجتهدا فيه أو قلدا لمجتهد نقايذا سائنا واستثنى القاضي في الاحكام السلطانية ما ضعف فيه الخلاف وكان ذريعة الى محطور متفق عليه ككساح المنعة فان ذريعة الى الرد المجمع على تحريمه وذكر بن أبي اسحق بن شافلا انه ذكر ان المنعة هي الزنا صراحة وقال ان بطلانها لا يفسخ نكاح حكم به قاض اذا كان قد تأول فيه الا ان يكون قضى لرجل بمقدمة متعة والمنصوص عن الامام أحمد رضي الله عنه الاسكار على اللاعب بالشرطينج وتأوله القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد أو تقليد سائغ ونظر فيه الحافظ ابن رجب بأن المنصوص عنه أيضا ان يجرد شارب البيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضعف الخلاف فيه لدلالة السنة على تحريمه وان لم يخرج قاعده المتأول من العدالة بذلك والله أعلم وكذا نص الامام أحمد رضي الله عنه على الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك لضعف مثل هذا الاختلاف لمصادمته للنصوص عن صاحب الشريعة والله أعلم

(الخامس) وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ودليله بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فمكة قوله تعالى (ولكن منكم أمة بدعون الى الخير وبأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وتقدم في أول الفصل وأما السنة فقد ذكرنا منها ما يحصل به المقصود وأما الاجماع فلان المسلمين كانوا في الصدر الاول ومن بعدهم يتواصون بذلك ويمنحون تاركه مع القدرة فعلى الناس اعانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصره على ذلك وما يختص علمه بالعلماء يختص انكاره بهم ومن يأمرونه به من الولاة والعوام ومن التزم مذهبا أنكر عليه مخالفته بلا دليل ظاهر ولا تقليد سائغ أو عذر ظاهر والله تعالى الموفق

الختام

(نسأل الله تعالى حسن الخاتمة)

في فوائد جليلة وفرائد جزيلة لا يسع من خاض في مثل هذه العلوم الجبل بها وهي في الأدلة وما يتعلق بها وهي قسمان مفردات ومركبات كما قال الامام الموفق ولذا قال

﴿مدارك العلوم في العيان محصورة في الحد والبرهان﴾

﴿وقال قوم عند أصحاب النظر حس وإخبار صحيح والنظر﴾

﴿مدارك العلوم﴾ المدارك جمع مدرك من أدرك الشيء بالشيء واستدركه حاول ادراكه به وأدرك الشيء أحاط به وبلغ وقته وانتهى الى العلم به والاحاطة بحكمه والمراد المدرك بالعقول لأننا نشاهد قطعا آثار العقول في الآراء والحكم والحيل وغيرها متفاوتة وذلك يدل على تفاوت العقول في نفسها والعقول جمع عقل وهو لغة المنع سمي بمنع صاحبه عن الرذائل والقبائح ولذا لا يطابق عليه تعالى العاقل واصطلاحاً ما يحصل به الميز بين المعلومات وعن الامام الشافعي انه قال العقل آلة التمييز والادراك وهو غريزة قاله الامام أحمد رضي الله عنه وقاله الحارث المحاسبي ليس مكتسباً بل خلقه الله تعالى بفارق به الانسان البهيمة ويستعد به لقبول العلم وتدبير الصنائع الفكرية فكأنه نور يقذف في القلب كالعالم الضروري والصبا ونحوه حجاب له قال القاضي وغيره انه غير مكتسب كالضروري وقال البربهاري من أصحابنا ليس العقل بجوهر ولا عرض ولا اكتساب وانما هو فضل من الله تعالى قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا يقتضي أنه القوة المدركة كما دل عليه كلام الامام أحمد لا الادراك وهو بعض العلوم الضرورية عند أصحابنا والاكثر يستعد بها لفهم دقائق العلوم وتدبير الصنائع الفكرية وقاله أبو بكر الباقلاني وابن الصباغ وغيرهما فخرجت العلوم الكسبية لان العاقل يتصف بكونه عاقلاً مع انتفاء العلوم النظرية وانما قالوا بعض (٢ ش عقيدة السفاريني - ٥٣)

المعلوم الضرورية لانه لو كانت جميعها لوجب أن يكون الفائد للعلم بالمدرجات غير عاقل لعدم الادراك المعاق عليها والمشاهد خلافه وعمل العقل القلب عندنا وعند الشافعية والاطباء وله اتصال بالدماغ وروي عن الامام أحمد أن عقله الدماغ وهو قول أبي حنيفة والطوفي من أصحابنا وقيل في الدماغ ان قلنا انه جوهر والا فني القلب والصحيح أن العقل يختلف كالمدرج به وقال الامام ابن عتبل من علمائنا والاشاعرة والمعتزلة العقل لا يختلف لانه حجة عامة يرجع اليه الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك وقال غير واحد العقل عقلان غريزي ونجربى مكنسب فالعقل الغريزي لا يختلف وأما الكسبي فيختلف وحمل العلامة الطوفي الخلاف على ذلك وقوله ﴿ في البيان ﴾ أي المشاهدة وبادىء النظر لذوي الرقان ﴿ محصورة ﴾ في شيئين لا ثالث لهما أى محبوسة ومنوعة فيهما ومتصورة عليهما لا تتجاوزهما ﴿ في الحد ﴾ ويأتي الكلام عليه قريباً ﴿ و ﴾ في ﴿ البرهان ﴾ هو الحجة والدليل وفي الحديث الصدقة برهان أي أنها حجة لطالب الاجر من أنها فرض يجازي الله به وعليه وقيل بل هي دليل على صحة ايمان صاحبها لطيب نفسه باخراجها وذلك لعلاقة ما بين النفس والمسال والبرهان عند أهل الميزان قياس مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقينيات واليقين اعتقاد أن الشيء كذا مع اعتقاد أنه لا يكون الا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تغيره

﴿ وقال قوم ﴾ بل مدارك العلم ﴿ عند أصحاب النظر ﴾ الفكر والتدقيق والبحث والتحقيق أعني علماء النظر وهم النظار من المتكلمة والمنطقيين وعلماء الاصول ثلاثة أحدها ﴿ حس ﴾ أي ما يدرك بأحد الحواس الخمس وهي جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس فخلق الله تعالى كلا من تلك الحواس لادراك أشياء مخصوصة فالسمع للاصوات والذوق للطعوم والشم للروائح والبصر للرئيات واللمس للمماسات وهي القوة المثبتة ٧ في جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك عند التماس والاتصال فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالخاصة الاخرى والمدرج بشيء منها يقال له محسوس

﴿ و ﴾ الثاني ﴿ أخبار صحيح ﴾ ثابت رجيح مطابق للواقع فان الخبر كلام محتمل

الصدق والكذب احتمالا متساويا بقطع النظر عن قائله وله نسبة خارجة فان طابقته فصادق والافكاذب وهذا الخبر الذي يفيد العلم على نوعين (أحدهما) المتواتر الثابت على السنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب ومصادقه وفوق العلم من غير شبهة وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الماضية في الأزمنة الخالية والبلدان النائية كوجود مكة وبغداد فان من لم يحسن الاكتساب ولا ترتيب المقدمات من النساء والصبيان يدرك ذلك فلو لم يكن العلم بذلك ضروريا لما أحسنوا ذلك وأما خبر النصارى بقتل عيسى عليه السلام واليهود بتأييد موسى عليه السلام فتواتره ممنوع لأن مسنده مجرد الوهم والهوى فان قبل خبر كل واحد لا يفيد الا الظن وضم الظن الى الظن لا يوجب اليقين وأيضا جواز كذب كل واحد يوجب جواز كذب المجموع لأنه نفس الآحاد فالجواب الهيئة الاجتماعية أوجبت له من القوة ما لم تكن لأفراده كقوة الجبل المؤلف من الشجر مع الشمرات فان قيل الضرورات لا يقع فيها تفاوت ولا اختلاف ونحن نجد العلم يكون الواحد نصف الاثنان أقوى من العلم بوجود اسكندر والمتواتر قد أنكر افادته العلم جماعة من العقلاء كالسمنية والبراهمة فالجواب هذا ممنوع بل قد تفاوت أنواع الضروري بواسطة التفاوت بالالف والعادة والممارسة والاختلاف بالبال ونصورت أطراف الاحكام وقد يختلف فيه مكابرة وعنادا كالسوفسطائية في جميع الضرورات كما سننبه عليه قريبا (النوع الثاني) من نوعي الخبر المفيد للعلم خبر الرسول المؤيد بالمعجزة الخارقة للمقدرة بالنحدي كما مر فيوجب العلم الاستدلالي للقطع بأن من أظهر الله تعالى المعجزة على يده نصديقا له في دعوى الرسالة لا يكون الا صادقا فيما أتى به من الاحكام واذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعا وانما كان استدلالا لتوقفه على الاستدلال واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات وكل خبر هذا شأنه فهو صادق ومضمونه واقع والعلم الثابت بخبر الرسول بشابه العلم الثابت بالضرورة كالحسوسات والمتواترات في التيقن والثبات

(و) الثالث من مدارك العلم (النظر) أي الفكر الذي يطلب به علم أو ظن قال العلامة شهاب الدين أحمد ابن قاضي الجبل من محققي علمائنا النظر لغة الانظار والروية والرأفة

والتفكر وعرفا الفكر المطلوب به علم أو ظن فينتقل من أمور حاصلة ذهنا إلى أمور مستحصلة وقد بطلن على حركة النفس التي يليها البطن الأوسط من الدماغ المسي بدودة أي حركة كانت في المعقولات وفي المحسوسات تسمى تخيلا لا فكرا وقال الامام ابن عقيل في الواضح النظير هو الاصل في تحصيل هذا الامر والطريق اليه وهو اسم مشترك يقع على الرؤية بالضرر كما قال تعالى (وجوه يومئذ ضرة إلى ربها ناظرة) وعلى الانتظار المنتظر والتوقع له (فناظرة بهم يرجع المرسلون) وهو ههنا أي في عرف الاصوليين التأمل والتفكر والاعتبار بمعرفة الحق من الباطل والفصل بين الحجة والشبهة وهو فكرة القاب وتأمله ونظرة المطلوب به علم هذه الامور وغلبة الظن لبعضها وقد بصيب الناظر فيها وقد يخطئ وكلاهما نظر منه وقد ينظر في شبهة وفي دليل وقد يصل بنظره الى العلم تارة اذا سلك فيه المسلك الصحيح ورتبه على واجبه ومقتضاه وقد لا يصل اليه اذا قصر وغلط. وخاط في أو نظر فيها هو شبهة وليس بدليل والنظر آلة وغرض فالآلة هو المطلوب من أجل غيره والقرض هو المطلوب من أجله في نفسه فالقرض كعرفة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم انتهى

والحاصل أن اسباب العلم ثلاثة الخواص السليمة والخبر الصادق والعقل ووجه الحصر أن السبب ان كان من خارج فالخبر الصادق والا فان كان آلة غير المدرك فالخواص والا فالعقل وان كان المؤثر في العلوم كلها في الحقيقة هو الله تعالى لانها بخلقه وإيجاده والله اعلم

هو فالحد وهو اصل كل علم وصف محيط كاشف فانتمهم

هو وشرطه طردو عكس وهو ان أنما عن الذوات، فالنام استبن

هو وان يكن بالجنس ثم الخاصه فذلك رسم فافهم الخاصه

(ف) اذا عرفت ما ذكرناه لك من التمهيد وطلبت تعريف الحد المذكور (الحد) في اللغة المنع ومنه سمي البواب حدادا لانه يمنع من يدخل الدار والحدود حدودا لانها تمنع من العود الى المعصية وسمي التعريف حدا لمنعه الداخل

فيه من الخروج عنه والخارج عنه من الدخول فيه وقوله ﴿وهو﴾ أي الحد
 ﴿أصل كل علم﴾ جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو الحد وخبره الذي هو وصف الخ
 وإنما كان أصلاً للملوم لأن من لا يحيط به علماً لا ينتفع بما عنده قال الفخر أبو محمد
 اسماعيل البغدادي من علمائنا الحد على الحقيقة أصل كل علم فن لا يحيط به علماً
 لا نفع له بما عنده وقاله غيره وهو صحيح كما في شرح مختصر التحرير ﴿و﴾ الحد
 في الاصطلاح ﴿وصف محيط﴾ بموصوفه قال الامام القاضي أبو يعلى من أئمة علمائنا
 معنى الحد هو الجامع لجنس ما فرقه التفصيل المانع من دخول ما ليس من جملة
 فيه وفي التحرر المحيط بمعناه أي بمعنى المحدود فكأنه قال حد الشيء الوصف
 المحيط بمعناه ﴿كاشف﴾ بالرفع عطف على محيط الذي هو نعت لوصف أي مبرز
 للمحدود عن غيره ولذا قال الغزالي قيل حد الشيء نفسه وذاته وقيل هو اللفظ
 المفسر لمعناه على وجه يجمع ويمنع وقال العلامة ابن حردان في نهاية المبتدئين
 انه قول يكشف حقيقة المحدود وذكر فيه ثمانية أقوال ﴿فاقتهم﴾ أمر بالانفعال
 لقبول الفهم بالفهم والفهم ادراك معنى الكلام بسرعة كما في واضح ابن عقيل
 واستظهروا عدم تقبيده بسرعة كما قاله الطوفي في شرح مختصره وتبعه العلامة
 أبو بكر الجراعي في حواشي أصول ابن اللحام قال الطوفي لان من سمع كلاماً
 ولم يدرك معناه الا بعد شهر أو أكثر قيل فهمه وبذلك يقال الفهم اما بطيء
 أو سريع فبنقسم اليهما ومورد القسمة مشترك بين الاقسام نعم السرعة قيد في
 الفهم الجيد انتهى وقيل الفهم جودة الذهن من جهة نهيشه لا فنباس ما يرد عليه
 من المطالب والذهن قوة النفس المستعدة لاكتساب الحدود والاراء
 (وشرطه) أي شرط كون الحد صحيحاً والشرط في اللغة العلامة وفي العرف ما يعتبر
 للحكم وهو ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم فلا يوجد المشروط مع عدم شرطه ولا يلزم
 من وجود الشرط وجود المشروط وهو عقلي ولغوي وشرعي فالعقلي كالحياة للعلم
 واللغوي كقوله ان دخلت الدار فأنت طالق والشرعي كالطهارة للصلاة ﴿طرد﴾
 خبر المبتدأ الذي هو شرطه وهو المانع الذي كلما وجد الحد وجد المحدود ﴿وعكس﴾
 وهو الجامع الذي كلما وجد المحدود وجد الحد فهذا عكس الاطراد و يلزم من

ذلك أنه كلما اتفنى الحد اتفنى المحدود وقال الجراعي في الحواشي المطرد هو الذي اذا وجد الحد وجد المحدود وهو المانع قال والمنعكس هو الذي اذا عدم الحد عدم المحدود وهو الجامع قال وهذا قول الجمهور منهم الغزالي وابن الحاجب وابن مفلح قال وعكس القرافي والطوفي قتالا المطرد هو الجامع والمنعكس هو المانع وذكر أبو علي التيمي في كتاب التذكرة في أصول الدين ان هذا التعريف للحد قول المتكلمين وأما الماطقة فقالوا انه القول الدال على ماهية الشيء وهو ما يتحصل من جنس التعريف وفصله قال ولا يحتاج فيه الى ذكر المطرد والعكس لأن ذلك يشيع الماهية واعلم أن الحد من حيث هو تام ورسمي ولفظي ولذا قال ﴿ وهو ﴾ أي الحد ﴿ ان أبنا ﴾ أي دل وكشف ﴿ عن الذات ﴾ أي ذاتيات المحدود الكلية المركبة كما اذا قيل ما الانسان فيقال حيوان ناطق ﴿ ف ﴾ هو أسية الحد الذي أبنا عن ذاتيات المحدود الحقيقي ﴿ التام ﴾ وهو الأصل وله حد واحد لأن ذاتيات الشيء لا يكون له حدان مثاله حيوان ناطق فانه حد للانسان فان قبل جميع ذات الشيء عن الشيء والشيء لا يفسر نفسه فالجواب أن دلالة المحدود من حيث الاجمال ودلالة الحد من حيث التفصيل فليس عينه من كل وجه فصح تعريفه به ولذلك لم يجعل اللفظان مترادفين الا اذا كان الحد لفظيا فلذا قال ﴿ استبين ﴾ أي اطلب البيان والكشف عن حقيقة الحد فان هذا هو الحد الحقيقي التام المنبني عن ذاتيات المحدود وان كان بفصل قريب فقط من غير ذكر جنس فحد حقيقي ناقص كما اذا قيل ما الانسان فقلت ناطق وكذا ان كان بفصل وجنس بعيد كجسم ناطق بالنسبة الى الانسان ﴿ وان يكن ﴾ الحد مركبا ﴿ بالجنس ﴾ أي من الجنس القريب ﴿ ثم الخاصه ﴾ مثال ذلك حيوان ضاحك بالنسبة الى الانسان ﴿ فذاك ﴾ المركب من جنس قريب وخاصة نحو الضاحك ﴿ رسم ﴾ تام فان الضاحك عرض في بالفعل منارق لا بالقوة وسمي خاصة لاختصاصه بحقيقة واحدة بالقوة أو بالفعل بالنسبة الى الانسان لأن الضحك بالقوة لازم لماهية الانسان مختص بها وبالفعل منارق لما يختص بها وتعريف الخاصة هي كلية تقال على ما نعت حقيقة واحدة فقط قولنا عرضيا وان كان الحد

بها أي الخاصة فقط كقولك الانسان ضاحك سي رسماً ناقصاً وكذا ان كانت الخاصة مع جنس بعيد كقولك الانسان جسم ضاحك ﴿ فافهم الخاصة ﴾ بضم الميم فاء مهمله مفتوحة فالف فصاد مهمله مدغمة في مثلها ففاء تأنيث أي المقاسمة يقال حصص الشيء تحصيصاً وحصص بان وظهر وتخاصوا وحصوا اقتصوا حصصاً كما في القاموس قال والحصة بالكسر النصيب والمراد افهم التقسيم ما بين الحد الحقيقي التسام كالحیوان الناطق بالنسبة الى الانسان والحقيقي الناقص وله صورتان الأولى أن يكون بفصل قريب فقط كالناطق بالنسبة الى الانسان أو بالفصل مع جنس بعيد كالجسم الناطق بالنسبة الى الانسان أيضاً وكذا افهم الزم الحقيقي التام والرسم الناقص على ما ذكرنا والجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو كالحیوان بالنسبة الى أنواعه نحو الانسان والفرس والنوع كلي مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة في جواب ما هو كالانسان بالنسبة الى زيد وعمر ونحوهما من أفرادہ والفصل غير مقول في جواب ما هو بل في جواب أي شيء هو في ذاته وهو الذي يميز الشيء عما يشاركه في الجنس كالناطق بالنسبة الى الانسان والحد الانفي ما كان بلفظ مرادف أظهر عند السائل من المستل من عنه كما لو قال قائل ما انخندرس فيقال له هو الخمر والله أعلم

﴿ وكل معلوم بحس وحجى فنكره جهل قبسح في الهجا ﴾
 ﴿ فان يقم بنفسه فجوهر أولاً فذاك عرض مفتقر ﴾
 ﴿ الجسم ما الف من جزئين قصاعداً فاترك حديث المين ﴾

﴿ وكل معلوم بحس ﴾ من الحواس الخمس الظاهرة التي لا شك فيها ولا آفة تعتبرها فانكاره قبيح جداً اذ هو مجرد مكابره قال في شرح الجواهر وينسب انكار الحواس الى بطليموس وأفلاطون وأرسطو وجالينوس قال ويجب أن يكون مرادهم بذلك أن جزم العقل ليس بمجرد الحس بل بتوسط ضمنية لا أن حكم الحس غير معتد به أصلاً والا يلزم انتفاء علومهم المبنية على الأحكام الحسية واستدل من قال بالانكار بأن الحس كثير الغلط فلا يعتبر وبيانه أنه يرى العنبة

في الماء كالأجاسة أو القطرة النازلة كالخط المستقيم ومنها أن الحس حاكم بيباض الثلج وهو مركب من أجزاء شفاقة ليس في الواقع له يابض وأن الثائم يجزم بما رأى في النوم جزمه في اليقظة وكذا صاحب البرسام ونحوه فيمكن مثل ذلك في غيرهم وذلك كاف في رفع الثقة وأيضاً الأمثال متواردة أهم من أن تكون جواهرها كالأجسام عند الظلام أو عرضاً كالألوان عند متكلمي الأشعرية ومن واقعهم والحس حاكم باستمرارها فيقوم الاحتمال في الشكل ولا جزم مع قيام الاحتمال وجواب شبههم عما أوردوه بأنه غير دال على عدم الوثوق يجزم العقل في المحسوسات بدمم الجزم بل على عدم جزم العقل بمجرد الحس وهو غير منكور قال الحاكم في هذه الصور العقل بوسط الحس لا الحس فقط كذا قيل والحق أن انكار الوثوق بالمدرك بالحواس مكابرة (و) كذا ما يدرك (محجى) كالي هو العقل (فكره) أي انكاره وردء بدمم الوثوق به (حمل قبيح) متناه في القبيح (في الهجاء) أي في الشكل والمثل يقال هذا على محاذ أي على شكله أي قبيح في العادة المستمرة ومردود عند ذوي المحام المجيدين في التبحر والكشف عن حقائق الأشياء يقال محجى البت كرضي هجياً انكشف قال العلامة نجم الدين بن حمدان في نهاية المبتدئين كل مؤد إلى حقيقة ثابتة تعلم عقلاً أو حساً فإنكاره منسطة انتهى والسوفسطائية أنكروا كلام الحسيات والبديهيات فقالوا بدمم إنجزم في كل منهما فأوردوا عليهم جزمهم بالشك فالترموه عدم الجزم فيه أيضاً فقالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون وهو لا ثلاث فرق عندية وعنادية ولا أدرية فالعندية قالت مذهب قوم حق بالقياس إليهم باطل بالنسبة إلى خصومهم ولا حق في نفس الأمر والعنادية ما من قصة بديهية كانت أو نظرية إلا ولها معارض يساويها في القوة والقبول وأما اللاأدريه وهم أمثالهم فتالوا نحن شاكون وشاكون في أنا شاكون ونسكوا بان دليل كل من منكري الحسيات والبديهيات دال على انقائهما والنظر متفرع عليهما متف باتقائهما ولا طريق إلى الجزم غير الحس والبدية والنظر فلم يكن جزم تحقق أصلاً وإذا كان الأمر كذلك لم يكن للمناظرة معهم فائدة لأنها لا فائدة المجبول بالمعلوم وليس عندهم معلوم فتعجز المناظرة إلى التزام مذهبهم ولذا منع المحققون منها معهم ولكن يقال لهم هل ميزتم بين الإلم

واللذة أو بين مذهبكم وما يناقضه فإن ابوا الا اصرارا أوجعوا ضربا وعذبوا
بالتأثر ليعترفوا أو بهلكوا وسوف سطا اسم للحكمة الموهبة والعلم المزخرف لان سوف
معناه العلم والحكمة واسطا معناه المزخرف والغلط ومنه اشتقت السفطة كما اشتقت
الفلسفة من فيلاسوف أي محب الحكمة

﴿ تنبيهان ﴾

(الاول) اعلم ان العلم منه ماهو ضروري ومنه ماهو كسبي فالضروري مايلزم نفس
المخلوق لزوما لايجد الى الانفكاك عنه سبيلا كالتصديق بأن الكل أعظم من الجزء
وان الواحد نصف الاثنين وان العلم البدهي أخص من الضروري لان البدهي
هو ما يثبت به العقل من غير احتياج الى شيء آخر ويمكن الاحتياج في
الضروريات الى شيء آخر غير العقل كوجدان أو تجربة أو غيرهما وأما الكسبي
فهو مقابل للضروري وهو النظري والاستدلالي وهو ما يتضمنه النظر الصحيح
وعرفه غير واحد بما يحصل بالذات عقيب النظر وفي مختصر التحرير وشرحه الدال
التاصب للدليل وهو لغة المرشد وشرعا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى
مطلوب خبري وبدخل في المطلوب الخبري ما يفيد القطع والظن وهو مذهب
أصحابنا وأكبر الفقهاء والاصوليين وقيل ان ما أفاد القطع يسمى دليلا وما أفاد
الظن يسمى اشارة وقال يحصل المطلوب المكتسب بالنظر الصحيح في الدليل
عقبه عادة وعلى هذا أكثر العلماء لانه قد جرت العادة بأن يفيض على نفس
المستدل بعند النظر الصحيح مادة مطلوبة وصورة مطلوبة الذي توجه بالنظر
الى تحصيله وقبل يحصل عقب النظر ضرورة لانه لا يمكنه تركه . ثم ان
الادراك لماهية الشيء بلا حكم عليها بنفي أو اثبات تصور لانه لم يحصل به
سوى صورة ذلك الشيء في الذهن وتصور ماهية الشيء مع الحكم عليها بالإيجاب
أو سلب تصديق فالتصور ادراك الحقائق مجردة عن الاحكام والتصديق
نسبة محكمية بين الحقائق بالإيجاب أو السلب والعلم الحاصل بالضرورة
والكسب هو صفة يميز المتصف بها بين الجواهر والاعراض والواجب والممكن

والممتنع تميزاً جازماً مطابقاً لواقع بحيث لا يحتمل التقيض والحق أنه يتفاوت كالعلوم وكما يتفاوت الايمان قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العراب ان جميع الصفات المشروطة بالحياة تقبل التزايد وروي عن الامام احمد رضي الله عنه في المعرفة الحاصلة في القلب في الايمان أهل تقبل التزايد والقص روايتان قال والصحيح من مذهبا ومذهب جمهور أهل السنة امكان الزيادة في جميع ذلك انتهى وتقدم وجوب اعتقاد قبول الايمان للزيادة والقصان أو دليل ذلك بالعقل والقرآن والله أعلم

(الثاني) اعلم ان المسلم يطلق امة وعرفاً على اربعة أمور (احدها) ما لا يحتمل التقيض كما تقدم (الثاني) يطلق ويراد به مجرد الادراك سواء كان جازماً أو مع احتمال راجح أو مرجوح أو مساو (الثالث) انه يطلق ويراد به التصديق قطعياً كان أو ظاهرياً (الرابع) يطلق ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم ومنه قوله تعالى (ما عرفوا من الحق) اي علموا وقد يطلق الظن ويراد به العلم كقوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) اي يعلمون والمعرفة من حيث انها علم مستحدث أو انكشاف من بعد لبس اخص من العلم لشموله غير المستحدث وهو علم الله تعالى والمستحدث وهو علم العباد ومن حيث انها يقين وظن اعم من العلم لاختصاصه حنيفة باليقين وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب والله اعلم

ثم ان كل شيء لا يخلو اما ان يقوم بنفسه اولاً (فان يقم) ذلك الشيء بنفسه اي بذاته ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين ان يتحيز نفسه غير تابع بحدوده لتحيز شيء آخر وعد الفلاسفة معنى قيام الشيء بذاته استغناؤه عن محل يقومه فلا يخلو القائم بنفسه من أحد أمرين اما أن يكون مركباً من جزئين فصاعداً وهو الجسم كما يأتي الكلام عليه أو غير مركب فان قام بنفسه وكان غير مركب من جزئين فصاعداً (ف) هو (جوهر) والجوهر هو العين الذي لا يقبل الانقسام لا فعلاً ولا وهماً ولا فرضاً وهو الجزء الذي لا يتجزأ وعند الفلاسفة لا وجود للجوهر الفرد أعني الجزء الذي لا يتجزأ وزعموا ان تركيب الجسم انما هو من الميولي والصورة وأقوى الأدلة على اثبات الجزء الذي لا يتجزأ عند القائلين به

انه لو وضع كرة حقيقة على سطح حقيقي لم تماسه الا بجزء غير منقسم اذ لو ماسة بجزئين لكان فيها خط بالفعل فلم تكن كرة حقيقة وأشهرها عند محققي المتكلمة وجهان (الاول) ان لو كان كل عين متقسما الى نهاية لم تكن الحردلة أصغر من الجبل لان كلا منهما غير متناهي الاجزاء والمظيم والصغر انما هو بكثرة الاجزاء وقائها وذلك انما يتصور في المتناهي (الثاني) قالوا ان اجتماع الجسم ليس لذاته والا لما قبل الافتراق فאלله تعالى قادر على أن يخلق فيه الافتراق الى الجزء الذي لا يتجزأ لان الجزء الذي يتنازعوا فيه ان أمكن افتراقه لزم قدرة الله تعالى عليه دفعا للمعجز وان لم يمكن ثبت المدعى الذي هو وجود الجزء الذي لا يتجزأ والضعف هذه المدارك لم يثبت شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وان كان في اثباته نجاة من كثير من ظلمات الفلاسفة مثل اثبات الحيولى والصورة المؤدى الى قدم العالم ونفي حشر الاجساد وامتناع الحرق والالتئام مما هو معلوم الفساد من دين الاسلام بالضرورة والله أعلم ﴿أولا﴾ يقوم بنفسه ﴿فذلك﴾ الذى لا يقوم بنفسه بل لا بد أن يكون قائما بغيره تابعا له في التحيز أو مختصا به اختصاص الناعت بالمنعوت فهو ﴿عرض معتقر﴾ الى محل يقومه فوجود العرض في الموضوع هو ان وجوده في نفسه هو وجوده في الموضوع فيمتنع الانتقال عنه فالعرض مفترق الى محل يقوم به ويحمله وقيل هو الموجود في شيء غير متقوم به لا كجزء منه ولا يصح قوامه دون ما هو منه وقيل ما بطرا على جوهر من كون ولون لا انه بمعنى انه لا يمكن تعلقه بدون المحل كما قد توهم ذلك بعضهم نعم بوجود ذلك في بعض الاعراض كالأبوة مثلا

﴿والجسم ما﴾ أي شيء أو الذي ﴿ألف﴾ أي ركب ﴿من جزئين فصاعدا﴾ أي أكثر يعني ذاهبا الى جهة الصعود والارتفاع عن اثنين فيكون أقل ما يتركب من جزئين ولا حد للكثرة ﴿فأترك حديث﴾ أي كلام ﴿الامين﴾ أي الكذب يعني الكلام الكذب وأراد بهذا الرد على من زعم انه لا يتركب من أقل من ثلاثة أجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة أغني الطول والعرض والعمق وعلى من زعم انه لا يتركب من أقل من ثمانية أجزاء لتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة وقيل

الجسم ما يقبل الزيادة بالوصف بجوهر الجسم منه وقد قدمنا الكلام على الجوهر والجسم والعرض عند قولنا في الباب الاول

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العالم
فراجع ان شئت وانما أعاده هنا بما للاصحاب في الحاقهم أو اخر العقائد كلمات
يكثروا دوراتها في هذا العلم ومن هذا القبيل قوله

﴿ ومستحيل الذات غير ممكن ﴾ وضده ما جاز فاسمع زكي ﴿
﴿ والضد والخلاف والتقيض والمثل والغيران مستفيض ﴾ .
﴿ وكل هذا علمه محقق ﴾ فلم نطل به ولم نتمق ﴿
﴿ ومستحيل الذات غير ممكن ﴾ أي المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور اذ لو
تعلقت به القدرة لصار ممكنا لانها لا تتعلق الا بالممكنات كما مر وضده أي
ضد المستحيل ﴿ ما ﴾ أي الذي ﴿ جاز ﴾ وجوده وعدمه والحاصل ان
الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده
والممكن ما جاز وجوده وعدمه يعني قبل ايجاده وتقدم الكلام عليه في
الباب الاول ﴿ فاسمع زكي ﴾ أي علمي وفهمي وتفهمي في اختصار الكلام
مع تمام الاحكام يقال زكن كفرح وازكنه علمه وفهمه وتفهمه وظنه او
الزكن ظن بمنزلة اليقين عندك او طرف من الظن وازكنه اعلمه وافهمه والازكان
ان تزكن شيئا بالظن فيصيب ثم اشار الى بعض ما ذكره النجم ابن حمدان في
آخر نهاية المبتدئين فقال ﴿ والضد ﴾ يعني مع ضده فالضدان هما ما امتنع اجتماعهما
في محل واحد في زمن واحد كالسواد والبياض والحركة والسكون والاجتماع
والافتراق اذا الشيء الواحد لا يكون اسود ابيض في زمن واحد ولا يكون
ساكنا متحركا في زمن واحد ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا اسود ولا
ابيض قال في نهاية المبتدئين وقيل الضدان الوصفان الوجوديان للذات يمتنع
اجتماعهما لئلاهما كالسواد والبياض وقبل كل ذاتين يتعاقبان على موضع واحد
ستحيل اجتماعهما فيه بينهما عاية الخلاف والبعد انتهى وهي عبارات متفاربة المعنى

في الجملة (والخلاف) أي الخلافان يجتمعان ويرتفعان كالحركة واليباض في الجسم الواحد (والنقيض) أن لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم المضامين الى معين واحد (والمثالي) أن ما قام احدهما مقام الآخر وسد مسده وعمل عمله والجواهر متائلة وقيل هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة فهما لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة كيباض وبياض واما المتشابهان فهما اللذان يتقاربان اما في الصورة واما في استحقاق المعنى المجوز عليهما او في السبب الذي تعاق به وجودهما ونحو ذلك مما يقع به المشابهة والمتشابهان من وجه قد يختلفان من آخر والمثلان لا يختلفان من وجه وال مختلفان قد يختلفان من وجه ويشبهان من وجه آخر (والغيران) هما المختلفان وقيل هما الموجودان اللذان يمكن ان يفارق احدهما الآخر بوجه فالتفان يقر بان من المثلين وهما في التعارب على العكس من المختلفين وفيهما زيادة على أصح حد المتشابهين لانه قد يكون التفاوت بالوصف كما في المتشابهين لانه وقد يكون التفاوت بالزمان والمكان وليس ذلك في المتشابهين وقد يكون في المتماثلين تفاضل من وجه مثل الحركتين تكون احدهما أشد من الاخرى ولذلك يتفاوت السوادان شدة وضعفا وكل علم ذلك معلوم عند أهل هذا الفن وعند المناطقة (مستغضب) استفاضة ظاهرة لا تخفى على احد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية

(تنبيه) قد ينذر ارتفاع الخلافين لخصوص حقيقة كونهما خلافاين كذات واجب الوجود تعالى ونقدس مع صفاته وقد يتعدو اقتراقهما والخسة مع الفردية والجوهر مع الالواز ونحو هذا وهو كثير لكن لاتسافي بين امكان الافراق والارتفاع بالنسبة الى الذات وتعدر الارتفاع بالنسبة الى امر خارجي عنها وهذا الذي ذكرناه كله بالنسبة الى ممكن الوجود اما الله تعالى وصفاته فلا يقال بإمكان رفع شيء منها لعدم رفعه بسبب وجوب وجوده وقد قدمنا في بحث الصفات ما يرشد لهذا

(وكل هذا) المذكور واضعافه مما لم يذكر (علمه) مشهور عند أرباب الفن (محقق) وحيث كان كذلك فله تقتصر على هذا المقدار الذي ذكرناه (فلم نطال به) أي بذكره (ولم نتمق) من التنبق وهو التحسين والترتين قال في القاموس تمق الكتاب كتبه وتمقه تميقا حسنه وزينه بالكتابة ويقال للشيء المروج فيه تمقه

بحركة اذا المفصود انما هو ذكر امهات مسائل العقائد السلفية ونظم فرائد الاصول
الاثرية وقد ذكرنا منها ما لعله يصحفي المبتدي ويشفي المتشي ويكمد المغمدي
وبالله التوفيق ثم حمدنا الله تعالى عودا على بدء قتلنا

﴿ والحمد لله على التوفيق ينتج الحق على التحقيق ﴾
﴿ مسلما لمقتضى الحديث والنص في القديم والحديث ﴾
﴿ لا أعتني بنسب قول السلف موافقا أئمتي وسلفي ﴾

﴿ والحمد لله على التوفيق ﴾ وهذا حمد في مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل
والشرب الصافي من ينبوع الشربيل من غير الحاد ولا تأويل ولا تشبيه ولا
تعطيل والتوفيق تسهيل مسيل الخير والطاعة قال الامام الحق ابن القيم في كتابه
شرح منازل السائرين قد اجمع العارفون بالله ان التوفيق ان لا يملك الله تعالى الى
نفسك والخذلان ضده وهو ان يخلي بينك وبينها فالعبيد متغلبون بين توفيقه
وخذلانه بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فبطيع مولاه ورضيه
ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه وبغفل عنه بخذلانه له فمؤثر
بين توفيقه وخذلانه فان وقته فيفضله ورحمته وان خذله فبغضه وحكمته وهو سبحانه
المحمود في هذا وهذا له انهم حمدوا كماله لم يمنع العبد شيئا هو له واعا منه ما
هو مجرد فضله وعطائه وهو اعلم حيث يضمه واين يجعله قال فتى شهد العبد هذا
المشهد وأعطاه حقه علم ضرورته وفاته الى التوفيق في كل نفس ولحظة وطرفة عين
وان توحده وایمانه بمسك بد غيره لو تخلى عنه طرفة عين لئل عرشه ونخرت سماه
ایمانه على الارض وان المسك له من يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه
فذا به قبله ولسانه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف
قلبي على طاعتك ودعواه يا حي يا قيوم يا بدیع السموات والارض يا ذا الجلال
والاکرام لا اله الا انت برحمتك استغيث اصلح لي شأني كله ولا تكلني الى
نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك ثم قال والتوفيق هو ارادة الله من نفسه
أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يوجهه قادرا على فعل ما يرضيه مر بذا له

حجاً له مؤثراً له على غيره ويغض اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله تعالى
والعبد محل له قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة والله عليم
حكيم) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه في
مواضعه وعند أهله ولا يمنعه أهله ولا يضعه عند غير أهله وذكر هذا عند عقب
قوله (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) ثم جاء بحرف
الاستدراك فقال (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه) قال وقد فسرت الجبرية
وغيرهم التوفيق بأنه خالق الطاعة واخذلان خلق المعصية وبنوا ذلك على أصولهم
الفاسدة من انكار الاسباب والحكم وردوا الامر الى محض المشيئة من غير
سبب ولا حكمة قال وقابلهم القدريه ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام
والتمكن من الطاعة والاقدار عليها وتهيئة اسبابها قال وهذا حاصل لكل كافر
ومشرك بلفظه الحجة وتمكن من الايمان وقد قدمنا في الكلام على القدر ما لعله يكفي
وبشني والله التوفيق وقوله ﴿لمهيج الحق على التحقيق﴾ متعلق بالتوفيق والمهيج
الطريق الواضح كالمهيج والمتهاج والحق هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على
الافوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك ويقابله الباطل وأما
الصدق فشاع في الاقوال خاصة ويقابله الكذب وقد يفرق بين الحق والصدق بأن
المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى
صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيقته مطابقة الواقع اياه والتحقيق ايقاع
الاشياء في محالها وردھا الى حقائقھا يقال حقق الطريق ركب حاقه وحقق الامر
تبقته وقوله ﴿مسلماً﴾ حال من معمول التوفيق أي الحمد لله على توفيقي لمهيج الحق
حال كوني مسلماً ﴿لمقتضى الحديث﴾ أي لما يقتضيه الحديث الصحيح النبوي
﴿والنص﴾ الصريح القرآني وقدم الحديث لمراعاة القافية ولشدة الاعتناء بالتمسك
بالسنة النبوية والاحاديث المرضية كالنص كما هو في نسخة وهي أولى وأخري
وحينئذ فالنص هو المقدم وسواء أدركنا معناه بعقولنا أم لم ندركه وهذا هو الحق
الواجب على كل مسلم بوضحه ان وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله

من صفاته وغيرها ليس مرقوفا على أن يقوم دليل عقلي على ذلك فإنه لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول عليه السلام اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وحب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الدين قال الله تعالى عنهم (وقولوا لنؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقياعه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يحبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يحبر به اذا كان الذي لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله وما لم يحبر به ان علمه بعقله آمن به ومن سلك هذا السبيل فوجود الرسول واخباره وعندهما عنده سواء وما يذكر من القرآن والحديث والاحماع لا أثر له عنده هؤلاء وقد صرح بذلك جماعة من أئمة المتكلمة وتقديم هذا في الباب الاول بعد قولنا

فكل ما قد جاء في الدليل ثابت من عبر تمثيل

وقوله (في التقديم والحديث) بمحتمل معنيين كلاهما مراد (أحدهما راجع الى الناظم وهو أن هذا عقيدتي واعتمادي وبني عصمتي واعتقادي التسليم والالتزام والمستول والاعتماد على مقتضى الصوم القرآنية والأحاديث النبوية سواء أدركنا معانيها بقولنا أو قصرت عن ادراك حقائقها ألبابا وآراؤنا وهذا في أول زمان وجود ادراك فهمي ولم يملك عن هذا عقد لي ودليل علمي فتقديم زماني وحديثه على ذلك وهو موجه القويم وان تابنت المسالك (الثاني) أن مبنى علمي وحقيقة حجتي وفهمي وعصمتي وسدي إنما هو الص التراقي والخبر الصحيح السوي وما أجمع عليه السلف سواء في ذلك الأحكام المتعلقة بالعبادات وبحوها من المعاملات والأحكام والحيايات والحدود والكفارات أو الاخبار عن البرزخ والمعاد وما للعالم من شقوة أو أسعاد هذا وهذا ونحوه مما يتعلق بالحدوث والحوادث أو كان مما يتعلق بالتقديم الديان من الذات والصفات والقرآن حسبا برها على ذلك في شرحها هذا على قدر الإمكان مما يعلمه الناظر فيه بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة والأدلة الباقية والالزامات القاسمة (لا أعني) في أصل نظم عقيدتي

هذه بقول قائل وان جل أمره وشاع ذكره ﴿ بغير قول السلف ﴾ أي لا أعول ولا ينهني ولا يعنيني في نظم عقد توحيدى الا قول السلف الصالح والرعى الاول الفالح وفي نسخة «لا أعني الا بقول السلف» ولست في ذلك منفردا ولا ناهجا نهجا متقدما بل في نهجي المذكور وسيري المشكور حال كوني ﴿ موافقا أمتي ﴾ من أئمة أهل الآثار ﴿ وساني ﴾ في ذلك من كل همام معتبر قد سبروا الأخبار ودونوا الآثار وعرفوا ما كان عليه النبي المختار وما اقتناه عليه أصحابه الأبرار وأصهاره الأخيار وأنصاره الأقطار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار وقد قال «سفتقرق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي» وتقدم ذلك في المقدمة

﴿ ولست في قولي بهذا مقلداً ﴾ الا النبي المصطفى مبدى الهدى ﴿

﴿ صلى عليه الله ما قطر نزل وما تعانى ذكره من الازل ﴾

﴿ وما انجلي به يديه الديجور وراقت الاوقات والدهور ﴾

﴿ ولست في قولي بهذا ﴾ أي بما أشرت اليه من اقتناء الأئمة والسلف الصالح ﴿ مقلداً ﴾ لم في اعتقادي ، وان الذى نحوه بمجرد عمدي واعتقادي ، من غير نظر في الدليل وبحث عن الكثير والقليل ، بل نظرت كما نظروا ، وسبرت كما سبروا ، وخضت في علوم النظر والكلام ، والحكمة والأحكام ، فرأيته لا تشفي من سقام ، ولا تروي من أوام ، ولا تهدي من ضلال ، ولا تجدي من نوال ، هذا والاب عاكف على الآثار ، عارف بشرات الاخبار ، كارف من نشرها ما يزيل ثن الاراء ، غارف من بجرها ما يطفي حرارات الاهواء ، مقتبساً من أنوارها ما يقشع ظلمات الافكار الفلسفية ، ملتمساً من أسرارها ما يجمع شبهات الانظار الكلامية ، مقيداً منها بما يزيل الخيالات المعتزلية ، معتمداً منها على ما يغسل الزبالات الرافضية ، فليس لي في كل سيري مقلداً ، ولا في اعتقادي قدوة ومعتمداً ﴿ الا النبي المصطفى ﴾ من سائر العالم المختار من سائر بني آدم ﴿ مبدى ﴾ أي مظهر ومبين وكاشف ﴿ الهدى ﴾ بالدلائل الواضحة ، ومرشد العالم الى سلوك المسالك الناجحة ، وتقدم

الكلام على الهداية ، بما فيه كفاية ، فقد بذلت وسبي في اقتناء آثاره ، واقتناء أخباره ، وسبر أحواله ، ونشر أقواله ، وتهذيب سيرته الشريفة ، وثبوت شريسته المحمكة المثينة ، فكرعت منها عللاً بعدنهل ، وشربت عذبا زلالا صافيا يربا من زالات الآراء والزلل ، فذاك متمدي مدى العمر ، لا زيد ولا بكر ، ولا خالد ولا عمرو (صلى عليه الله) تقدم الكلام على معنى الصلاة والسلام (ما قطر نزل) أي مدة دوام نزول الأمطار وتداول الأعصار ، والقطر هو الماء والنزول وكفه من الماء إذا هطل (و) صلى الله وسلم عليه (ما تمنى) المعتنون (ذكره من الأزل) في الأعصار الحالية والاطوار البالية والقرون القانية والامم الماضية فانه لم يحل زمان من ذكره ولا أوان من التنويه بشرعه ومبعثه ونبيه وأمره الى أن جاء أبان رسالته رمان بهته وظهور مقائمه فظهرت شمس نبوته على سائر كواكب البوات فانخست وبهرت رسالته سائر المقالات فانطمست (و) صلى الله وسلم عليه (ما أنجلي) أي تفرق وزال وامكشف (بهديه) الماصع ونور شرعه المشرق اللامع (الديجور) أي الظلام قلب في القاموس الديجور التراب والظلام والاعصر الصارب الى السواد أي مدة دوام انجلاء ظلام الشرك وسواد الافك وغبار الدع والانتكار بما رهبه ونور شرعه الذي أزال كل ظلام وأطاع كل بار (و) ما بهديه صلى الله عليه وسلم (راق) أي صنت قال في القاموس الترويق التصفية والراوق المصفاة والريق يردد الماء على وجه الارض من الصحاح والرائق الخالص (الاوقات) جمع وقت وهو المقدار من الدهر وأكثر ما يستعمل في الماضي والميقات يطلق على الزمان والمكان المضروب للعمل وفي نسخة ما راق الايام بدل الاوقات جمع يوم والمراد ما خلصت وصفت الاحوال جمع حال الواقعة في الاوقات والحاصلة في الايام والساعات والحال كه الانسان وما هو عليه كالحالة ويراد بالحال الهيئة ومنه تنبر من حال الى حال (و) ماراقت (الدهور) جمع دهر وهو الزمان الطويل والامد الممدود وقد بعد في الاسماء الحسنى والمراد على حذف مضاف والذي عده في الاسماء الحسنى نظر الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فان الله هو

الدهر الى ظاهر الحديث القدسي قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وقال الخطابي معناه انا صاحب الدهر ومدير الامور التي ينسبونها الى الدهر فمن سب الدهر من اجل انه هذه الامور عاد بسبه الى ربه الذي هو فاعلها وانما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور وكانت عادة الجاهلية أنهم اذا اصابهم مكروه اضافوه للدهر فقالوا يؤسا للدهر وتبا للدهر قال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن بكرة له ذلك وقد شن الفارة الحافظ ابن الجوزي على من نسب شيئا من ذلك الى الدهر ولو لم يعتقد ظاهره في عدة مواضع من كتبه منها صيد الخاطر وغلط الغاضي عياض من زعم ان الدهر من أسماء الله تعالى فان الدهر مدة زمان الدنيا وعرفه بعضهم بأنه أمد منغولات الله في الدنيا أو فعله لما قبل الموت وقد تمسك الجبلية من الدهرية والمعتلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم لان الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شيء عندهم ولا صانع سواه وكفى في الرد عليهم قوله في بقية الحديث «أنا الدهر أقلب ليله ونهاره» فكيف يقلب الشيء نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقال محمد ابن أبي جرة لا يخفى ان من سب الصنعة فقد سب صانعها فمن سب نفس الببل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى وذكر نحو ما قدمنا من أن ليس للدهر ولا للببل والنهار فعل ولا تأثير فمن سب شيئا من ذلك يؤول من حبث المعنى أنه سب خالق ذلك انتهي ملخصا

﴿ وآله وصحبه أهل الوفا معادن التقوى وينبوع الصفا ﴾

﴿ وتابع وتابع للتابع خير الورى حقا بنص الشارع ﴾

﴿ صلى الله على ﴾ آله ﴿ أي أبيه على دينه وقيل أفار به الادنون من بني هاشم وبني المطلب والاول اختيار الامام احمد في مقام الدعاء والثاني اختيار الامام الشافعي وقيل آله اهل الصواب جواز اضافته الى الضمير خلافا لمن انكر

ذلك نعم هو قليل ﴿وصحبه﴾ وهم كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
 مؤثما ومات على الايمان وتقدم الكلام عليهم في اول الكتاب وفي قوله ﴿اهل
 الوفا﴾ اشارة الى انهم فعلوا ما امروا ووفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من بذل
 نفوسهم الفية وكل نفيس في نصرة الدين والقويم والتمسك بهديه المستقيمة
 وقوله ﴿معدن التقوى﴾ يصح جره على التبعية لما قبله ونصبه بفعل محذوف تقديره
 أمدح ونحوه ورفع خبر لمبتدا محذوف تقديره هم والمعدن جمع معدن بكسر
 الدال قال الازهري سمي المعدن معدنا لمعدون ما أنبته الله فيه أي لاقامته فيه يقال
 عدن بالمكان يعدن عدونا والمعدن المكان الذي عدن فيه الجوهر من جواهر
 الارض أي ذلك كان . وأخرى خلق الله تعالى وأجدر بإقامة التقوى فيهم وعدونهم
 لديهم بعد أنبياء الله تعالى ورسوله أصحاب نبيه المصطفى رضوان الله تعالى عليهم
 والتقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفة وامثال امره واجتناب نهيه وحقيقتهما
 ان يجعل المرء بينه وبين مدامي الله وقاية تمنعه من انتهاكها والوقوع فيها
 فلا بد أن يجعل بينها وبينه حاجزا وفي سنن الترمذي وابن ماجه من حديث
 عبد الله بن يزيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يبلغ العبد
 ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا بما به بأس » وقال ابو الدوداء
 رضي الله عنه التقوى تمام التقوى ان يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة
 وحتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما حجابا بينه وبين
 الحرام وتقدم الكلام عليها في صدر الكتاب ﴿وينبوع الصفا﴾ معطوف على
 معدن والينبوع بفتح النحبة وسكون الون وضم الموحدة وبعدها واو ساكنة فعين
 موهلة عين الماء أو الجدول الكثير الماء كما في القاموس والصفا ضد الكدر كالاصفو
 والصفوة وصفوة الشيء مثله ماصفي منه ومنه صفا الجو اذا لم يكن فيه لطمة غيم
 فالصحابة الكرام ينبوع كل خالص من الكدر نقي من غبار البدع وقذى الفكر
 فمن ورد مورد هم كرم صافيا زلالا ومن زل عن نهجهم شرب أجاجا قدرا وبالا
 ﴿و﴾ على ﴿تابع﴾ لهم باحسان ﴿وتابع للتابع﴾ على سهج الاستقامة والاتقان
 وهؤلاء القرون الثلاثة ﴿خير الزرى﴾ كفتي الخلق أي من هذه الامة وأفضلهم

أحق ذلك ﴿حفا بنص الشارع﴾ للشرائع بعني النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قل عمران ابن حصين رضي الله عنها فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة رواه البخاري ومسلم وغيرهما وكذا في حديث أبي هريرة عند مسلم ولفظا حديث أبي هريرة «خير أمي القرن الذي بعثت فيه» ولهذا المعنى قال

﴿ورحمة الله مع الرضوان والبر والتكريم والاحسان﴾
 ﴿تهدي مع التبجيل والانعام مني لمثوى عصمة الاسلام﴾
 ﴿أئمة الدين هداة الامة أهل التقى من سائر الائمة﴾
 ﴿لا سيما احمد والنعمان ومالك محمد الصنوان﴾

﴿ورحمة الله تعالى﴾ مع الرضوان ﴿من الله تعالى﴾ والبر ﴿بالكسر الاحسان والشفقة﴾ والتكريم ﴿لهم من فضله العميم وكرمه الكريم﴾ والاحسان ﴿اليهم من الله لانهم أحسنوا عملا واخلصوا قولا وفعلًا فيجازيهم بالاحسان افوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان

﴿تهدي﴾ بضم المثناة الفوقية على صيغة مالم يسم فاعله أي هذه الامور التي هي الرحمة والرضوان والبر والتكريم والاحسان ﴿مع التبجيل﴾ أي التعظيم وفي حديث أنه عليه السلام أتى القبور فقال «السلام عليكم أصبتم خيرا يجيلا» أي واسمعا كثيرا من التبجيل بعني التعظيم كما في النهاية وقال في القاموس بجله يجيلا عظمه ﴿والانعام﴾ من الملك المنعم المهيمن السلام ﴿مني﴾ أي بأن أسأل الله تبارك وتعالى ان يفعل جميع ذلك بمنه وكرمه وطوله وحلمه ﴿لمثوى﴾ أي منزل ومقام قال في النهاية المثوى المنزل من ثوى بالمكان اذا اقام فيه وفي القاموس المثوى المنزل وجمعه مثاوى وهو مجاز لان المراد الثاوين فأطلق المحل واراد الحال ﴿عصمة﴾ أهل ﴿الاسلام﴾ من البدع المضلة والآراء المحلدة وأهل الزيف والاحاد والافك والعناد والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامي والاعتصام الامتناع بالمشي - افعال منه وفي شعر أبي طالب في حق النبي صلى الله عليه وسلم «ثمال اليتامى عصمة للارامل» أي بمنعهم

من الضياع والحاجة وعلى كل حال انما عصمة هذا الدين بقدا الصحابة والتابعين كان
 بهؤلاء الاثمة المجتهدين ومن ثم قال (أئمة) أهل هذا الدين المتين ونور الله المبين
 الذي جاء به النبي الامين من عند رب العالمين (هذه الامة) أي الدين الامة على
 نهج الرسول والكاشفين لهم عن معاني الكتاب المنزل والاحاديث التي عليها المعول
 والدالين ربيع الزائنين وبدع المتبدعين وضلال المضلين والحاد الملهدين فقد
 شيدوا مبانيها وسددوا معانيها وأصلوا أصولها وفصلوا فصولها فأصبحت الشريعة بهذا
 الترتيب مضبوطة وأحكامها بهذا الوصف والتبويب مبرورة فن رام احتلاس
 حكم من أحكامها نكص على عقبيه وهو خائب ومن دنا من سماء أحكامها رث
 كواكب حرسها بشهاب ثاقب ولست أخص بهذا الوصف والدعاء أحدادون أحدل
 أسأل الله تعالى لهم جميع الانهم هم (أهل التقى من سائر) أي جميع (الائمة) من
 المعتزدي ماتوا لهم وأفعالهم من كل عالم همام وحبير فتمام ومقدم مقام كالائمة
 المتبوعة الآتي ذكرهم والسفيانين والحادين واسحاق بن راهويه وأبي ثور
 ويحيى بن معين وابن أبي ذئب والبحاري ومسلم وعبد الله بن المبارك والليث
 ابن سعد وريسة بن عبد الرحمن وعبد الملك بن جريج وداود وغيرهم فانهم
 وان ثابنت أقوالهم واختلفت أراؤهم من حجة الفروع الفقهية فالجميع سلفية
 أثرية ولهم في السنة التصانيف النافعة والتأليف الناصعة كائن سعيد الدارمي
 وأبي بكر بن خزيمة وأشباههم ثم صد أن عم جميع الاثمة بالدعاء والثناء خص
 الاثمة الارسة الذين مدار الشريعة الآن على ما أصلوه وأحكامها ضمن ما
 فصلوه فقال (لاسيا) هذه الكلمة منية على دخول ما بعدها في ما قبلها
 الأولى فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء فن سدها كذلك وأولى بذلك
 وبحوز في الاسم الذي بسدها الجر والرفع مطلقا وكذلك النصب أيضا اذا
 كان نكرة وفرد روي بالأوجه الثلاثة قول امريء القيس ه ولا سجا يوم بدارة
 جلجل ه وأرجحها الجر وهو على الاضافة وما زائدة بين المضاف والمضاف اليه
 مثلحاني أيما رجلين والرفع على أنه خبر لمضمر محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة
 اية والتقدير ولا مثل الذي هو يوم أو ولا مثل شيء هو يوم وعلى الوجهين فتحة

سبي اعراب لأنه مضاف والنصب على التمييز كما يقع التمييز بعد مثل في مثل (ولو جئنا بمثله مددا) وما كافة عن الاضافة وفتحة سي فتحة بناء مثلها في لا رجل وأما انتصاب المعرفة نحو ولا سبعا زيدا فمنعه الجمهور وتشديد سبعا ودخول لا عليها ودخول الواو على لا واجب عند قوم حتى قال ثعلب من استعمل لا سبعا على خلاف ما جاء في قوله : ولا سبعا يوم : فهو مخلى وذكر غيره أنها قد تخفف وقد تحذف الواو كقوله

فه بالعقود وبالايمان لا سبعا عقد وفاء به من أعظم القرب

وهي عند الفارسي منصوبة على الحال وعند غيره اسم للالتبرئة واختاره بعضهم الامام (أحمد) ابن محمد بن حنبل الشيباني سيدنا وامامنا وقدوتنا ومتبوعنا والواسطة بيننا وبين نبيتنا محمد صلى الله عليه وسلم الامام الشهير والامة العلم المنير صاحب المسند والتفسير والزهدي وغيرها رضي الله عنه وتقدمت ترجمته في صدر الكتاب والله اعلم (و) الامام الاعظم والحبر الماعظم أبي حنيفة (النعمان) بالجبر عطف على ما قبله على المختار الاكثر وبصح الرفع فيهما كما أشرنا أولا على الاشهر وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي امام أهل العراق وفقيههم بالاتفاق وامام اصحاب الرأي قال الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات الحفاظ قيل انه من أبناء فارس وهو من التابعين فانه رأى أنس ابن مالك وأبا الطفيل رضي الله عنهما وروى عن حماد بن ابي سليمان وعطاء وعاصم بن ابي النجود والزهري وقتادة وخاق وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وابو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وهما الصحابان اذا أطلقا عند الحنفية قال الامام يحيى بن معين كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بما لا يحفظ وقال الامام عبد الله بن المبارك ما رأيت في الفقه مثله وقال مكِّي بن ابراهيم كان أعلم أهل زمانه وما رأيت في الكوفيين أوسع منه وقال الامام الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وسئل يزيد بن هارون أيهما أفقه أبو حنيفة أو سفيان فقال سفيان أحفظ للحديث وأبو حنيفة أفقه أكره أبو حنيفة رضي الله عنه على القضاء فأبى أن يكون قاضيا وكان يحيى الليل صلاة ودعاء ونفرا ولد رضي الله عنه ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وقيل سنة احدى وقيل ثلاث

وخمسین والاول اصح

(و) الامام ابي عبد الله (م مالك) بالحرف وانتوين هو الامام الكبير والحكم
المسير والعلم الشهير أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر
ابن عمرو بن الحارث الاصبحي الحبيري المدني شيخ الأئمة وامام دار الهجرة
روى عن جماعة من التابعين مافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحيد الطويل
وعبرهم وعنه الامام الشافعي وخاق جمعهم الخطيب في مجلد قال الامام علي بن
المدني للملك نحو الف حديث وقال الامام ابن الامام عبد الله بن الامام أحمد
رضي الله عنه قات لأبي من أثنت اصحاب الزهري قال مالك أثبت في كل
شيء وقال الامام البخاري رضي الله عنه اصح الاسانيد مالك عن مافع عن ابن
عمر رضي الله عنهما وقال الامام الشافعي رضي الله عنه اذا جاء الأثر فمالك النجم
وعند الامام احمد سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اصح الاسانيد (١) قال
اس خلكان أخذ عن الامام مالك الاوراعي وبجي بن سعيد وغيرها ونودي في
المدينة ألا لا يفتي الناس الا مالك بن انس وابن أبي ذئب مات في المدينة سنة
نسع وسعين ومائة وهو ابن تسعين سنة رضي الله عنه ودفن في البقيع وكان شديدا
البياض الى الشقرة ما ولا عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره
حاق الشارب وبميه ويراه من المثلة رحمه الله ورضي عنه

والامام ابي عبد الله (م محمد) معطوف على من قبله سقط حرف العطف لاقامة الوزن
فهو محمد بن ادریس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد
يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطالي الشافعي رضي الله عنه مجتمع نسبة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور وقوله (الصنوان) اي القرابة
للسي صلى الله عليه وسلم يقال للصلتين صنوان كما زاد في الاصل الواحد كل واحد منهما
صو وبهم وركبتان صنوان متحاورتان او يديمان من عين واحدة وفي حديث
العباس رضي الله عنه «أن عم الرجل صنوايه» وفي رواية «العباس صنوايي» وفي رواية
«صنويي» يريد صلى الله عليه وسلم ان اصل العباس واصلي واحد وفي نسخة بدل

(١) كذا في الاصل والمأثور عن أحمد: اصح الطرق الزهري عن سالم عن أبيه

الصنوان المتقن من الاتقان لا ثقافته للعلوم واحكامه للمنطوق منها والمفهوم فهو
امام الأئمة وقادة الامة ولد بغزة هاشم سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة المشرفة
وهو ابن ستين وقيل ولد بمسقلان وقيل باليمن سنة أربع وخمسين وقبل سنة
اثنتين كذا في طبقات الحفاظ للجلال السيوطي وشرح ألفية الحديث للمصنف
وفي طبقات الحفاظ أيضاً ولد ببلاد غزة سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو
ابن ستين فنشأ بها وكان رضي الله عنه جم المفاخر منقطع النظر اجتمعت فيه من
العلوم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم
واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية
والشعر حتى قرأ عليه الأصمعي مع اشتهاره بهذا الشأن اشعار الهذليين ما لم
يجتمع في غيره حتى قال الامام أحمد رضي الله عنه عرفنا ناسخ الحديث ومنسوخه
ما جالسنا الشافعي وقال عبد الله بن الامام أحمد قلت لأبي أسية رجل كان
الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له فقال يا بني كان الشافعي كالشمس
لأذنبا وكالغافية للبدن هل لذين من خلف أو عنهما من عوض كذا في وفيات
الأئمة ابن لابن خلكان قال السيوطي في طبقات الحفاظ روى الشافعي عن محمد
ابن علي وابن أسامة وسعيد بن سالم وسفيان بن عينة والامام مالك واسماعيل
بن عتبة وابن أبي فديك وخاق وعنه ابنه أبو عثمان محمد والامام أحمد وأبو ثور
وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو طاهر بن البرخ وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد
الزعفراني والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البوبطي
ويونس بن عبد الأعلى وخلق كثير قال ابن عبد الحكم لما حملت أم الشافعي به
رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى اقتض بمصر ثم وقع في كل بلد منه
شظية فتأوله أصحاب الرويا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر ثم ينتشر في
سائر البلدان وقال الامام أحمد إن الله تعالى يقبض للناس في رأس كل مائة سنة
من يعلمهم السنة وينمي عن رسول الله الكذب فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر
ابن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله
عنه حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر وقال
(٢ شرح عقيدة السفاريني ٥٦)

الرميع ابن سليمان كان الشافعي يفتي وله خمسة عشر سنة وكان يعي القيل إلى أن مات وقال أبو ثور كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول للأخبار فيه وحجة الإجماع وبيان النسخ والمسنوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة قال ابن مهدي ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها وقال هرون بن سميد الديلمي لو أن الشافعي فاطر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لطلب لاقداره على المطارة وكان الحميدي يقول حدثنا سيد الفقهاء الشافعي توفي رحمه الله ورضي عنه في شهر رجب سنة أربع ومائتين وقال ابن خلكان أنه توفي آخر يوم من رجب ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره مشهور بزار ويتبرك به وأجمع العلماء قاطبة على ثننه وإمامته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضة وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه رضي الله عنه وكان الشافعي قد قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ثم خرج إلى مصر وكان وصوله إليها سنة تسع وتسعين ومائة قاله ابن خلكان والله أعلم ثم أشار إلى أنه يجب على كل واحد من هذه الملة من له عمل وتقوى أن يفتل واحداً من هؤلاء الأربعة على الأصح الأقوى فقال

﴿ من لازم لكل أرباب العمل تقليد خير منهم فاسمع تحلي ﴾

﴿ من ﴾ أي الذين هم فهو جندا خيره فرض ﴿ لازم ﴾ لا انفكك عنه ولا مدوحة منه ﴿ لكل ﴾ واحد مكلف من ﴿ أرباب ﴾ أصحاب ﴿ العمل ﴾ الصالح والكسب الناحج ممن ليس فيه أهلية الاجتهاد المطلق ﴿ تقليد خير منهم ﴾ أي من الأئمة الأربعة المأمومة مذاهبيهم المضبوطة أقوالهم المحفوظة رواياتهم المدونة مذاهبيهم في كل مصر وعصر الواصلة بالتواتر بشروطها وأركانها وموانعها واتقانها بحيث لا يتأني لاحد أن ينسب لمذهب منها ما ليس منه بل آحاد طلبة العلم يرد عليه ويبيته ويقول هذا ليس في هذا المذهب حتى أنهم يعرفون المشهور من أقوال المذهب والمجور وإن كان الدليل المأثور مع القول المجهور والخبر يفتح الحاء المهملة وكسرها ويسكون الموحدة العالم المتقن وكان يقال لابن عباس رضي الله

عنها الخبر والبحر لعلمه وسعته وتسمى سورة المائدة سورة الاحبار لقوله تعالى
 (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والرايون والاحبار) والتقليد لغة وضع
 الشيء في العنق محيطا به وذلك الشيء يسمى قلادة وجمعها قلاند وعرفا أخذ
 مذهب الغير مع اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا معرفة دليله فالرجوع الى قول
 النبي صلى الله عليه وسلم والى المفتي والى الاجماع ورجوع القاضي الى العدول
 ليس بتقليد ولو سمي ذلك تقليدا لساغ وفي المقنع المشهور أن أخذه بقول المفتي
 تقليد وهو أظهر وقدمه النجم بن حمدان في آداب المفتي وقال شيخ الاسلام
 في المسودة والتقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع تقليداً لأن
 الاجماع دليل ولذلك يقبل قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد
 بخلاف ثبأ الفقه وذكّر في ضمن مسألة التقليد أن الرجوع الى قول الصحابي
 ليس بتقليد لأنه حجة وقد قال الامام أحمد في رواية أبي الحارث من قلدا الخبر رجوت أن
 يسلم ان شاء الله تعالى فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وان كان حجة في نفسه
 (تنبيه) انما قال الكل أرباب العمل ليحترز به عن التقليد في عقائد التوحيد من معرفة الله
 تعالى ونعوت ذاته وبصناته والرسالة وكنهه في أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر
 ذكره علماءنا وقل الاجماع في ذلك غير واحد منهم أبو الخطاب الكلواني وأبو الوفاء بن
 عقيل لتساوى الناس فيما لا يسوغ فيه اجتهاد وتقدم الكلام عليه في آخر الباب الاول
 مطولا والله أعلم قال الامام موفق الدين في الروضة وأما التقليد في الفروع فهو جائز اجماعاً
 قال وذهب بعض القدرية الى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل واستدل لجواز التقليد
 بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) وهو عام لتكرره بتكرار
 الشرط وعلة الامر بالسؤال الجهول وأيضا الاجماع فان العوام يقلدون العلماء من
 غير ابتداء مستند من غير تكبر وأيضا عدم القول بذلك يؤدى الى خراب الدنيا
 بترك المعاش والصنائع ولا يلزم مثله في التوحيد والرسالة لتيسره وقلته ودليل العقل
 والنقل ولذا قال الامام مالك يجب على العوام تقليد المجتهدين في الاحكام كما يجب
 على المجتهدين الاجتهاد في أعيان الادلة خلافاً للمعتزلة اليفسادية فانهم وأفقوا
 القدرية في إيجابهم على العوام الاجتهاد واحتجوا بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)

ومن الاستغناء ترك التقليد ولأن العامي متمكن من كثير من وجوه البطل فوجب أن لا يجوز له تركها قياساً على المجتهد ولما أن الخطأ متعين وبلغ الصواب تعبيراً بل متمذراً في حق العوام إذا افتردوا بجمرة الاحكام لأنهم لا يعرفون السامع والمنسوخ ولا المخصص ولا المقيد ولا كثيراً كما يتوقف عليه دلالة الاقايض ولا يضبطونه ولا يسوغ لهم مخالفتهم لقرط الغزو فيه فهم لا يستطيعون الوصول اليه وقد توسط أبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة فقال شعائر الاسلام الطاهرة لا تحتاج لتصب الاجتهاد فلا حاجة الى التقليد فيها كالصلوات والحج وصوم ومضان ونحو ذلك وأما الامور الخفية من المجتهد فيه فتعين التقليد فيها بالضرورة ولا نزاع في ذلك لان تحصيل الحاصل محال ولا سيما والتقليد انما يفيد الظن وهو دون الضرورة بكثير وما لم يثبت الى حد الضرورة يتعين التقليد فيه لحاجة النظر الى آلات مفقودة في العامي

(تنبيهات)

(أحدها) منع قوم وجوب لزوم مذهب معين قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية تنازع المتأخرون من أصحاب الامام أحمد والامام الشافعي وغيرهما هل على العامي ان يلتزم مذهبا واحداً بينه من مذاهب الائمة المشهورين بحيث يأخذ بزمانه ورحضه على قولين قال والمشهور انه لا يجب كما انه ليس له أن يقلد في كل مسألة من يوافق غرضه وليس له ان يقلد في المسألة الواحدة اذا كان الحق له من لا يقلد اذا كان الحق عليه بل عليه باتفاق الائمة ان يعدل بين نفسه وبين غيره في الاقوال فاذا اعتقد وجوب شيء أو نحرجه اعتقد ذلك عليه وعلى من بمائله كشفعة الجوار فليس له ثبوت الشفعة اذا كان هو الطالب وانتاؤها اذا كان هو المطلوب كما يفعل أهل الهوى متابعة لهوى لامرعاة التقوى وقال في مواضع أخرى التمدد بمذهب بحيث يأخذ برخصه وعرائمه طاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمره ونهيه وهو خلاف الاجماع وترقب أيضاً في جواز ذلك فضلاً عن وجوبه وقال ان خالفه لفوة الدليل أو زيادة علم أو تقوى قدراً حسن ولم يقدح ذلك في عدالته بل نزاع وقال بل يجب في هذا الحال وأنه نص الامام وكذا قال القدوري الحنفى ما ظله أقوى قبله تقليده فيه وله الانفاء به حاكياً مذهب من قلده وقال صدر الوزراء عون

الدين ابو المظفر ابن هبيرة انه من مكاييد الشيطان أن يقم أو ثانا في المعنى تبعد من دون الله مثل أن يتبين له الحق فيقول هذا ليس بمذهبنا تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق وقال ابو محمد بن حزم أجمعوا على أنه لا يحل للعالم ولا المفتي تقليد رجل فلا يحكم ولا يقتي الا بقوله انتهى والاشهر الآن عليه أن بمذهب بمذهب قال ابن حمدان في الرعاية هذا الاشهر فلا يقلد غير أهله وقال في آداب المفتي يجهد في أصح المذاهب فيتبعه وقطع الكبار بلزوم النذهب بمذهب قال الامام النووي هذا كلام الاصحاب والذي يقتضيه الدليل أنه لا يلزمه انتهى

(الثاني) اذا قلنا يلزمه ان يتمذهب بمذهب يجوز له الانتقال عن المذهب الذي تمذهب به وعمل به عند الاكثر فيتخير في الصورتين واختار الآمدي منع الانتقال فيما عمل به وتقدم كلام شيخ الاسلام أنه اذا خالفه لقوة دلائل أو زيادة علم أو تفوق فقد أحسن ولم يقدح في عدالة بالانزع والحاصل أن العلماء في ذلك ثلاثة أقوال الأول امتناع الانتقال عنه مطلقا لالتزامه أياد الثاني له الانتقال عنه مطلقا والتزامه مالا يلزم غير لازم والثالث التفصيل وهو ان كان عمل بمقتضى ذلك المذهب الذي تمذهب به وصلى وصام وزكى ونحو ذلك على حسب غير ملتفت بغيره لزمه الوفاء عليه وامتنع عليه الانتقال عنه وصوب ذلك بعض العلماء وجزم به غير واحد

(الثالث) يحرم على العامي الذي لبس بمجتهد تتبع الرخص في التقليد ولو قلنا يجوز الانتقال وهو أنه كلما وجد رخصة في مذهب عمل بها ولا يعمل بغيرها في ذلك المذهب قال علماءنا ويفسق بذلك لأنه لا يقول باباحة جميع الرخص أحد من علماء المسلمين فان قال بالرخص في مذهب لا يقول بالرخصة الاخرى في غيره قال الامام ابن عبد البر لا يجوز للعامي تتبع الرخص اجماعا وقال الامام احمد رضي الله عنه لو ان رجلا عمل بكل رخصة بعمل بمذهب أهل الكوفة في النيز وأهل المدينة في السماع وأهل مكة في المنعة لكان فاسقا وقال عمر لو ان رجلا أخذ يقول أهل المدينة في السماع يعني الفناء واتيان النساء في أدبا رهن أو يقول أهل مكة في المنعة والصرف ويقول أهل الكوفة في السكر كان أشر عباد الله تعالى وقال سليمان النيمي لو اخذت برخصة كل عالم

او قال زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله لكن قال القاضي ابو يعلى بن الفراء امام المذهب
بمذكر كلام الامام احمد رضي الله عنه المتقدم آنفا هذا محمول على أحد الوجهين اما ان
يكون من أهل الاجتهاد ولم يؤده اجتهاد الى الرخص فهذا قاسق لانه ترك ما هو الحق
عنده واتبع الباطل أو يكون عاميا فأقدم على الرخص من غير تقليد فهذا أيضا
قاسق لانه أدخل وهو التقليد قال واما ان كان عاميا وقلد في ذلك لم ينسق لانه
قلد من يسوغ اجتهاده ونظر فيه الجراعي في حواشيه على اصول ابن اللحام قلت وم
الحق وقد قتل جمع محققون أن ما يجوز تقليد في النوارل ٧ والانتقال من مذهب
الى مذهب في بعض المسائل بثلاثة شروط (الاول) ان لا يجمع بين المذهبين مثلا
على صفة يخالف الاجماع كنز وج بنبر صدق ولاولي ولاشهود فان هذه الصورة
يقل بها احد قلت أي تزوج بلاولي مقلدا لابي حنيفة وبلاشهود مقلدا لمالك فهذا
لم يقل به احدهما ولاغيرهما وهو ذريعة لازنا فهذا لانزاع في رده (الثاني) ان يتقدم
فيمن يقلده الفضل ولو بوصول خبره اليه (الثالث) ان لا يتبع رخص المذاهب
(الرابع) لما قل ان يقلد المفضل مع وجود الفاضل من المجتهدين عند أكثر علمائنا
منهم القاضي وابو الخطاب والامام الموفق في روضته وقاله الحنفية والمالكية وأكثر
الشافعية وقيل يصح ان اعتقده فاضلا أو مساويا لا ان اعتقده مفضولا لانه
ليس من القواعد أن يستدل عن الراجح الى المرجوح وقال الامام ابن عقيل
وابن سريج والقفال والسيمان يلزمه الاجتهاد فيقدم الارجح (في) معناه قول
أبي القاسم الحرقى والامام الموفق في المقنع والامام أحمد رضي الله عنه روايتان
واستدل للاول بأن المفضل من أصحابه صلى الله عليه وسلم ومن السلف كان
يفتي مع وجود الفاضل مع الاشتهار والتكرار ولم ينكر ذلك احد فكان اجماعا
على جوار استثنائه مع القدرة على استغناء الافاضل ونظائر قوله تعالى (فاسئلوا
أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وأيضا العامي لا يمكنه الترجيح لقصوره ولو كلف
بذلك لكان تكليفه نضرب من الاجتهاد وان ولف ابن الحاجب ذلك زاعما أن
الترجيح بظهور التسامع ورجوع العلماء اليه وغيره لكثرة المستفتين وتقديم العلماء له انتهى
لكثرة جهات التفضل كما سبق وإيجاد أشياء في المفضل بعضها ما يفضل الفاضل

ها والله أعلم قوله ﴿ فاسمع نخل ﴾ أي فاسمع نظامي وما أشرت اليه من لزوم مكلف لم يبلغ رؤية استخراج الاحكام من معادنها ولا استنباط الادلة من مكانها التقليد قداء بأحد أئمة الهدى ومصاييح الدجا وقوله نخل أي تظان وتعلم ذلك لان انسان قبل سماعه يكون خالي الذهن فاذا سمع الكلام وتامل مافيه من الاحكام أو ظن لزوم ذلك على ذوي الافهام وأصله مثل يقوله الرجل اذا بلغه شيء رجل فانه وقيل معناه انه من يسمع أخبار الناس ومناقبهم ومثالبهم يقع في نفسه ذلك من خير أو شر ولفظ المثل « من يسمع يخل » أي من يسمع له خبر يحدث لان حذف المفعولين اقتصاراً لافادة تجديد الفعل أو حدوثه

﴿ ومن نجما لسبلهم من الوردى مادارت الافلاك او نجم سرى ﴾
 و﴿ رحمة الله تعالى مع البر والاحسان والعفو والغفران تهدي لـ ﴾ من أي انسان الذي ﴿ نجما ﴾ أي قصده تبعاً ﴿ لسبلهم ﴾ ككتب جمع سبيل وهو الطريق الواضح أنه خص الأئمة الاربعة بعد عموم الأئمة دعاً لمن اتبعهم أو اتبع واحداً منهم ن ﴿ سائر ﴾ الوردى ﴿ كفتى الخلق ﴾ ما دارت ﴿ أي مدة دوران ﴾ الافلاك ﴿ م ذلك بفتح الفاء واللام جدار النجوم وتجمع ايضاً على فلك بضمين ومن كل شيء تتداهر ومعظمه والمراد الاول ﴿ او نجم سرى ﴾ أي وتهدي لهم ولتبعيهم الرحمة رضوان والبر والاحسان والانعام مدة دوام سرى النجوم على الدوام وسرى هدى سارعة الليل والنجم الكوكب وجمعه أنجم وأتجام ونجوم ونجم والنجم من النبات نجم على غير ساق والثريا والوقت المضروب والمراد الاول

﴿ هدية مني لأرباب السلف مجانباً للخوض من اهل الخلف ﴾

﴿ خذها هديت واقنني نظامي تفز بما أملت والسلام ﴾

ما كان نظم هذه العقيدة بسؤال بعض أصحابنا التجديدين وأنها على ما نجاهف من الاثريين قال عند تمام انجراح السؤال هذه العقيدة الاثرية المفيدة لدية ﴿ مهداة وعطية مؤداة ﴾ متي ﴿ بعون الله وتوفيق من لا ينبغي الرشد من ﴾ لارباب ﴿ جمع رب بمعنى صاحب طريقة ﴾ السلف ﴿ وعقيدة اهل الاثر من

نرجع على الحق وسلف خال كوفي (عجائب) في أصل نقلها اياها تضمنيني اياها أقول الله
 وعقائد أهل الآثار (الطوس) في السوابل والحمد في صرف آيات التبريل
 متفاهاتك بت ومماها الظاهر المؤيد بالسلبية والاحاديث النبوية والاخبار السا
 والآثار الاثرية الى غير عما لها من غير دليل قوي ولا اذن شرعي مما هو دأب المنته
 (من أهل) مذهب (الخلف) خذها أي هذه العقيدة (هديت) يضم الماء وكما
 الدال المهمة على صبغة المالم بسم فاعله أي هداك الله أيها الأثري والمتبع في اعتنا
 أثري (واقفي) أي انبج (نظامي) في هذه العقيدة السلفية التي هي بأهوت
 من السلف وفيه قال ان قلت (تقر) أي تنظر (بما) أي بلدي (أملت)
 نيل للملاحقة ودرج الكجاس قال في القاء وس الفوز الجاح والنظر بالخبر والامل الرجاء ينل
 أملا أو لا يتأمل الرجاء (و) ننظر أيضاً (السلام) أي الأمان من التخليط الجلي والته
 الكلامي وما ينشأ عن ذلك من حزازات الصدور وسوايس الأفكار وتصعب الإ
 معنى السلام لغة الأمان قل العلماء السلام من أسماء الله تعالى فهي السلام عليك
 الله عليك وسلم الله عليك وقل الملائمة أبو بكر من أبي داود في المذخنة في معنى اسمه
 السلام قبل مناه ذو السلامة من كل عيب وتقيصة فكون من أسماء التنزيه وقيل
 تسلم العباد من الممالك ف يرجع الى القدرة وقيل ذو السلام على المؤمنين في
 ف يرجع الى الكلام القديم الأزلي قل تعالى (سلام تولامن وب رحيم) قل
 البد من هذا الاسم أن يسلم من النفس والحقد والحسد ومن كل رذيلة
 وهذا آخر ما قصدت إيراد على منظومتي المشهورة بالثورة المضية في عقد أهل
 المرضية وأنا أتوسل اليه تعالى بلسان الافتقار وأتذلل اليه بجان النذل والا
 وأنضرع بحوارح العجز والانكسار وأنشفع بحرمة النبي المختار وآله الأطهار وآه
 الاخبار وأصهاره الأبرار وسائر المهاجرين والانصار وبجميع الأبياء والم
 وبالملائكة المقربين وبالعلماء العاملين وأهل المعرفة والمحققين أن يجعل هذا الشرح
 لوجه الكرم وسبباً للفوز لديه في جنات النعيم وأن ينظر الي والى من كتب
 وأقرأه بين العاية وأن يحفظني وأهل بيتي وإخواني من كل ضلالة وغواية وأ
 به من كتب وأقرأه وفيه ووهابه انه جواد كريم رؤف رحيم وصلى الله على سب
 سيد المرسلين وآله وصحبه وأمة التز المجولين وكافة من دعانا بخير يارب